# كليلة ودمنة

لبيدبا الفيلسوف الهندي

تعريب عبد الله بن المقفع

طبعة جديدة منقحة

بيروت

مكتبة صادر

Pleasure Press 99
CA
398.21
K144;FA
c-1
1937

# كليلة ودمنة

لبيدبا الفيلسوف الهندي

تعريب عبد الله بن المقفع

طبعة جديدة منقحة

بيروت

مكتبة صادر

مكتبة لسان العرب
أ علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

حق الطبع محفوظ لادارة مكتبة صادر

Philip K. Hitti

5951-14195

# باب

## مُقَدِّمَةِ ٱلْكِتَابِ

قَدَّمَهَا بَهْنُودُ بْنُ سَحْوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلِيِّ بْنِ ٱلشَّاهِ ٱلْفَارِسِيِّ . ذَكَرَ فِيهَا ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ عَمِلَ بَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفُ ٱلْهِنْدِيُّ رَأْسُ ٱلْبَرَاهِمَةِ(١) لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ كِتَابَهُ ٱلَّذِي سَمَّاهُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ وَجَعَلَهُ عَلَى أَلْسُنِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلطَّيْرِ صِيَانَةً لِغَرَضِهِ فِيهِ مِنَ ٱلْعَوَامِّ . وَضَنًّا(٢) بِمَا ضَمَّنَهُ عَنِ ٱلطَّغَامِ(٣) وَتَنْزِيهاً لِلْحِكْمَةِ وَفُنُونِهَا وَمَحَاسِنِهَا وَعُيُونِهَا(٤) إِذْ هِيَ لِلْفَيْلَسُوفِ مَنْدُوحَةٌ(٥) وَلِخَاطِرِهِ مَفْتُوحَةٌ . وَلِمُحِبِّيهَا تَثْقِيفٌ(٦) . وَلِطَالِبِهَا تَشْرِيفٌ . وَذَكَرَ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنْفَذَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ بْنُ قُبَاذَ بْنِ فَيْرُوزَ مَلِكُ ٱلْفُرْسِ بَرْزَوَيْهِ رَأْسَ أَطِبَّاءِ فَارِسَ إِلَى بِلَادِ ٱلْهِنْدِ لِأَجْلِ كِتَابِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ . وَمَا كَانَ مِنْ تَلَطُّفِ بَرْزَوَيْهِ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى ٱلْهِنْدِ حَتَّى حَضَرَ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي ٱسْتَنْسَخَهُ لَهُ سِرًّا مِنْ خِزَانَةِ ٱلْمَلِكِ لَيْلًا مَعَ مَا وَجَدَ مِنْ كُتُبِ عُلَمَاءِ ٱلْهِنْدِ . وَقَدْ ذَكَرَ ٱلَّذِي كَانَ مِنْ بَعْثَةِ بَرْزَوَيْهِ إِلَى مَمْلَكَةِ ٱلْهِنْدِ لِأَجْلِ نَقْلِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ . وَذَكَرَ فِيهَا مَا يَلْزَمُ مُطَالِعَهُ

---

(١) عباد برهمة من آلهة الهنود (٢) بخلاً (٣) الارذال (٤) خيارها (٥) سعة (٦) تهذيب

مِنْ إِتْقَانِ قِرَاءَتِهِ وَٱلْقِيَامِ بِدِرَاسَتِهِ وَٱلنَّظَرِ إِلَى بَاطِنِ كَلَامِهِ . وَأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ لَمْ يَحْصُلْ عَلَى ٱلْغَايَةِ مِنْهُ . وَذَكَرَ فِيهَا حُضُورَ بَرْزَوَيْهِ وَقِرَاءَةَ ٱلْكِتَابِ جَهْرًا . وَقَدْ ذَكَرَ ٱلسَّبَبَ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بُزُرْجُمْهُرُ بَابًا مُفْرَدًا يُسَمَّى بَابَ بَرْزَوَيْهِ ٱلطَّبِيبِ . وَذَكَرَ فِيهِ شَأْنَ[1] بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ وَآنَ مَوْلِدِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ ٱلتَّأْدِيبَ وَأَحَبَّ ٱلْحِكْمَةَ وَٱعْتَبَرَ[2] فِي أَقْسَامِهَا وَجَعَلَهُ قَبْلَ بَابِ ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ ٱلَّذِي هُوَ أَوَّلُ ٱلْكِتَابِ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ ٱلشَّاهِ ٱلْفَارِسِيُّ : كَانَ ٱلسَّبَبُ ٱلَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ بَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفُ لِدَبْشَلِيمَ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ أَنَّ ٱلْإِسْكَنْدَرَ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ ٱلرُّومِيَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَمْرِ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِنَاحِيَةِ ٱلْمَغْرِبِ سَارَ يُرِيدُ مُلُوكَ ٱلْمَشْرِقِ مِنَ ٱلْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ . فَلَمْ يَزَلْ يُحَارِبُ مَنْ نَازَعَهُ[3] وَيُوَاقِعُ[4] مَنْ وَاقَعَهُ وَيُسَالِمُ مَنْ وَادَعَهُ[5] مِنْ مُلُوكِ ٱلْفُرْسِ وَهُمُ ٱلطَّبَقَةُ ٱلْأُولَى حَتَّى ظَهَرَ عَلَيْهِمْ[6] وَقَهَرَ مَنْ نَاوَأَهُ[7] وَتَغَلَّبَ عَلَى مَنْ حَارَبَهُ فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ[8] وَتَمَزَّقُوا حَزَائِقَ[9] فَتَوَجَّهَ بِٱلْجُنُودِ نَحْوَ بِلَادِ ٱلصِّينِ فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِمَلِكِ ٱلْهِنْدِ لِيَدْعُوَهُ إِلَى طَاعَتِهِ وَٱلدُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ وَوِلَايَتِهِ . وَكَانَ عَلَى ٱلْهِنْدِ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ مَلِكٌ ذُو سَطْوَةٍ وَبَأْسٍ . وَقُوَّةٍ وَمِرَاسٍ[10] يُقَالُ لَهُ فُورُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ نَحْوَهُ تَأَهَّبَ لِمُحَارَبَتِهِ وَٱسْتَعَدَّ لِمُجَاذَبَتِهِ[11] وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ[12] وَجَدَّ فِي ٱلتَّأَلُّبِ[13] عَلَيْهِ وَجَمَعَ لَهُ ٱلْعُدَّةَ[14]

---

(١) حال (٢) نظر وبحث (٣) خاصمه (٤) يحارب (٥) صالحه (٦) غلبهم (٧) عاداه (٨) اي فرقاً (٩) قطعاً (١٠) شدة (١١) منازعته (١٢) اطراف الرجل ابواه واخوته واعمامه وكل قريب محرم (١٣) التجمع (١٤) ما يعد من مال ومن سلاح .

فِي أَسْرَعِ مُـدَّةٍ . مِنَ ٱلْفِيَلَةِ[١] ٱلْمُعَدَّةِ لِلْحُرُوبِ وَٱلسِّبَاعِ ٱلْمُضَرَّاةِ[٢] بِٱلْوُثُوبِ . مَعَ ٱلْخُيُولِ ٱلْمُسْرَجَةِ وَٱلسُّيُوفِ ٱلْقَوَاطِعِ وَٱلْحِرَابِ ٱللَّوَامِعِ .

فَلَمَّا قَرُبَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورٍ ٱلْهِنْدِيِّ وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعَدَّ لَـهُ مِنَ ٱلْخَيْلِ ٱلَّتِي كَأَنَّهَا قِطَعُ ٱللَّيْلِ ، مِمَّا لَمْ يَلْقَهُ بِمِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ كَانُوا فِي ٱلْأَقَالِيمِ ، تَخَوَّفَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ مِنْ تَقْصِيرٍ يَقَـعُ بِهِ إِنْ عَجَّلَ ٱلْمُبَارَزَةَ . وَكَانَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ رَجُلًا ذَا حِيَلٍ وَمَكَايِدَ مَعَ حُسْنِ تَدْبِيرٍ وَتَجْرِبَةٍ . فَرَأَى[٣] إِعْمَالَ ٱلْحِيلَةِ وَٱلتَّمَهُّلَ وَٱحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرِهِ وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ لِٱسْتِنْبَاطِ ٱلْحِيلَةِ وَٱلتَّدْبِيرِ لِأَمْرِهِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى ٱلْإِيقَاعِ بِهِ[٤] فَٱسْتَدْعَى بِٱلْمُنَجِّمِينَ وَأَمَرَهُمْ بِٱلِٱخْتِيَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ لَهُ فِيهِ سَعَادَةٌ لِمُحَارَبَةِ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ وَٱلنُّصْرَةِ عَلَيْهِ فَٱشْتَغَلُوا بِذَلِـكَ . وَكَانَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ لَا يَمُرُّ بِمَدِينَةٍ إِلَّا أَخَذَ ٱلصُّنَّاعَ ٱلْمَشْهُورِينَ مِنْ صُنَّاعِهَا بِٱلْحِذْقِ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ . فَنَتَجَتْ لَهُ هِمَّتُهُ وَدَلَّتْهُ فِطْنَتُهُ أَنْ يَتَقَـدَّمَ إِلَى ٱلصُّنَّاعِ[٥] ٱلَّذِينَ مَعَهُ أَنْ يَصْنَعُوا خَيْلًا مِنْ نُحَاسٍ مُجَوَّفَةً عَلَيْهَا تَمَاثِيـلُ مِنَ ٱلرِّجَالِ عَلَى بَكَرٍ تَجْرِي إِذَا دُفِعَتْ مَرَّتْ سِرَاعًا . وَأَمَرَ إِذَا فَرَغُوا مِنْهَا أَنْ تُحْشَى أَجْوَافُهَا بِٱلنِّفْطِ وَٱلْكِبْرِيتِ وَتُلْبَسَ وَتُقَدَّمَ أَمَامَ ٱلصَّفِّ فِي ٱلْقَلْبِ . وَوَقْتَ مَا يَلْتَقِي ٱلْجَمْعَانِ تُضْرَمُ فِيهَا ٱلنِّيرَانُ فَإِنَّ ٱلْفِيَلَةَ إِذَا لَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَـلَى ٱلْفُرْسَانِ وَهِيَ حَامِيَـةٌ وَلَّتْ هَارِبَةً . وَأَوْعَزَ[٦] إِلَى ٱلصُّنَّاعِ بِٱلتَّشْمِيرِ[٧] وَٱلِٱنْكِمَاشِ[٨] وَٱلْفَرَاغِ مِنْهَا . فَجَدُّوا فِي ذَلِكَ وَعَجَّلُوا وَقَرُبَ أَيْضًا وَقْتُ ٱخْتِيَارِ ٱلْمُنَجِّمِينَ . فَأَعَادَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ رُسُلَهُ إِلَى فُورٍ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْـهِ مِنْ

---

(١) جمع فيل (٢) المعوّدة (٣) من الراي (٤) الفتك به (٥) اي يأمرهم ويوصيهم (٦) اشار (٧) بالجد (٨) الاسراع

طَاعَتِهِ وَالْإِذْعَانِ(١) لِدَوْلَتِهِ. فَأَجَابَ جَوَابَ مُصِرٍّ(٢) عَلَى مُخَالَفَتِهِ مُقِيمٍ(٣) عَلَى مُحَارَبَتِهِ

فَلَمَّا رَأَى ذُو الْقَرْنَيْنِ عَزِيمَتَهُ سَارَ إِلَيْهِ بِأُهْبَتِهِ(٤) وَقَدَّمَ فُورٌ الْفِيلَةَ أَمَامَهُ وَدَفَعَتِ الرِّجَالُ تِلْكَ الْخَيْلَ وَتَمَاثِيلَ الْفُرْسَانِ فَأَقْبَلَتِ الْفِيلَةُ نَحْوَهَا وَلَفَّتْ خَرَاطِيمَهَا عَلَيْهَا. فَلَمَّا أَحَسَّتْ بِالْحَرَارَةِ أَلْقَتْ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا وَدَاسَتْهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهَا وَمَضَتْ مَهْزُومَةً هَارِبَةً لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ(٥) وَلَا تَمُرُّ بِأَحَدٍ إِلَّا وَطِئَتْهُ(٦). وَتَقَطَّعَ(٧) فُورٌ وَجَمْعُهُ وَتَبِعَهُمْ أَصْحَابُ الْإِسْكَنْدَرِ وَأَثْخَنُوا فِيهِمِ الْجِرَاحَ(٨). وَصَاحَ الْإِسْكَنْدَرُ: يَا مَلِكَ الْهِنْدِ ابْرُزْ إِلَيْنَا وَأَبْقِ عَلَى عُدَّتِكَ وَعِيَالِكَ(٩) وَلَا تَحْمِلْهُمْ إِلَى الْفَنَاءِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُرُوءَةِ أَنْ يَرْمِيَ الْمَلِكُ بِعُدَّتِهِ فِي الْمَهَالِكِ الْمُتْلِفَةِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُجْحِفَةِ(١٠) بَلْ يَقِيهِمْ بِمَالِهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ. فَابْرُزْ إِلَيَّ وَدَعِ الْجُنْدَ فَأَيُّنَا قَهَرَ صَاحِبَهُ فَهُوَ الْأَسْعَدُ. فَلَمَّا سَمِعَ فُورٌ مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَلِكَ الْكَلَامَ دَعَتْهُ(١١) نَفْسُهُ إِلَى مُلَاقَاتِهِ طَمَعاً فِيهِ وَظَنَّ ذَلِكَ فُرْصَةً. فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْإِسْكَنْدَرُ فَتَجَاوَلَا(١٢) عَلَى ظَهْرَيْ فَرَسَيْهِمَا سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ لَيْسَ يَلْقَى أَحَدُهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ فُرْصَةً وَلَمْ يَزَالَا يَتَعَارَكَانِ. فَلَمَّا أَعْيَا(١٣) الْإِسْكَنْدَرَ أَمْرُهُ وَلَمْ يَجِدْ فُرْصَةً وَلَا حِيلَةً أَوْقَعَ(١٤) ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي عَسْكَرِهِ صَيْحَةً عَظِيمَةً ارْتَجَّتْ لَهَا الْأَرْضُ وَالْعَسَاكِرُ. فَالْتَفَتَ فُورٌ عِنْدَمَا سَمِعَ الزَّعْقَةَ(١٥) وَظَنَّهَا مَكِيدَةً فِي عَسْكَرِهِ. فَعَاجَلَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِضَرْبَةٍ أَمَالَتْهُ عَنْ سَرْجِهِ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ. فَلَمَّا

---

(١) الخضوع (٢) مستمر (٣) ثابت العزم (٤) عدته (٥) لا تقف ولا تنظر (٦) داسته (٧) تفرق (٨) اي بالغوا في جراحهم (٩) اي ارحمهم (١٠) المهلكة (١١) ساقته (١٢) دار احدهما حول الاخر (١٣) اعجز (١٤) انزل (١٥) الصيحة

رَأَتِ ٱلْهُنُودُ مَا نَزَلَ بِهِمْ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ حَمَلُوا (١) عَلَى ٱلْإِسْكَنْدَرِ فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا أَحَبُّوا مَعَهُ ٱلْمَوْتَ . فَوَعَدَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ ٱلْإِحْسَانَ وَمَنَحَهُ ٱللّٰهُ أَكْتَافَهُمْ (٢) فَٱسْتَوْلَى عَلَى بِلَادِهِمْ وَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ ثِقَاتِهِ (٣) وَأَقَامَ بِٱلْهِنْدِ حَتَّى ٱسْتَوْسَقَ (٤) لَهُ مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَٱتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ . ثُمَّ ٱنْصَرَفَ عَنِ ٱلْهِنْدِ وَخَلَّفَ ذٰلِكَ ٱلرَّجُلَ (٥) عَلَيْهِمْ وَمَضَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَا قَصَدَ لَهُ

فَلَمَّا بَعُدَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ عَنِ ٱلْهِنْدِ بِجُيُوشِهِ تَغَيَّرَتِ ٱلْهُنُودُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي خَلَّفَهُ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا لَيْسَ يَصْلُحُ لِلسِّيَاسَةِ وَلَا تَرْضَى ٱلْخَاصَّةُ وَٱلْعَامَّةُ أَنْ يُمَلِّكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَهْلِ بُيُوتِهِمْ . فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يَسْتَذِلُّهُمْ وَيَسْتَقِلُّهُمْ (٦) وَٱجْتَمَعُوا يُمَلِّكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَوْلَادِ مُلُوكِهِمْ . فَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكًا يُقَالُ لَهُ دَبْشَلِيمُ وَخَلَعُوا (٧) ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كَانَ خَلَّفَهُ عَلَيْهِمِ ٱلْإِسْكَنْدَرُ . فَلَمَّا ٱسْتَوْسَقَ لَهُ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَقَرَّ لَهُ ٱلْمُلْكُ طَغَى وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ ٱلْمُلُوكِ . وَكَانَ مَعَ ذٰلِكَ مُؤَيَّدًا مُظَفَّرًا مَنْصُورًا فَهَابَتْهُ ٱلرَّعِيَّةُ . فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَٱلسَّطْوَةِ عَبَثَ بِٱلرَّعِيَّةِ (٨) وَٱسْتَصْغَرَ أَمْرَهُمْ وَأَسَاءَ ٱلسِّيرَةَ فِيهِمْ وَكَانَ لَا يَرْتَقِي حَالُهُ إِلَّا ٱزْدَادَ عُتُوًّا (٩) فَمَكَثَ عَلَى ذٰلِكَ بُرْهَةً مِنَ ٱلدَّهْرِ

وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فَيْلَسُوفٌ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ وَيُرْجَعُ فِي ٱلْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ يُقَالُ لَهُ بَيْدَبَا . فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ

---

(١) كرّوا (٢) سلطهُ عليهم (٣) ممن يثق بهم (٤) انتظم (٥) جعله خليفته اي اقامه مقامه (٦) يحتقرهم (٧) عزلوا (٨) اساء معاملتها (٩) تجبرًا

مِنَ ٱلظُّلْمِ لِلرَّعِيَّةِ فَكَّرَ فِي وَجْهِ ٱلحِيلَةِ فِي صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَرَدِّهِ إِلَى ٱلعَدْلِ وَٱلإِنْصَافِ. فَجَمَعَ لِذٰلِكَ تَلَامِذَتَهُ وَقَالَ: أَتَعْلَمُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُشَاوِرَكُمْ فِيهِ. إِعْلَمُوا أَنِّي أَطَلْتُ ٱلفِكْرَةَ فِي دَبْشَلِيمَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلخُرُوجِ عَنِ ٱلعَدْلِ وَلُزُومِ ٱلشَّرِّ وَرَدَاءَةِ ٱلسِّيرَةِ وَسُوءِ ٱلعِشْرَةِ مَعَ ٱلرَّعِيَّةِ. وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ(١) أَنْفُسَنَا لِمِثْلِ هٰذِهِ ٱلأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ ٱلمُلُوكِ إِلَّا لِنَرُدَّهُمْ إِلَى فِعْلِ ٱلخَيْرِ وَلُزُومِ ٱلعَدْلِ. وَمَتَى أَغْفَلْنَا(٢) ذٰلِكَ وَأَهْمَلْنَاهُ لَزِمَنَا مِنْ وُقُوعِ ٱلمَكْرُوهِ بِنَا وَبُلُوغِ ٱلمَحْذُورَاتِ إِلَيْنَا أَنْ كُنَّا فِي أَنْفُسِ ٱلجُهَّالِ أَجْهَلَ مِنْهُمْ وَفِي ٱلعُيُونِ عِنْدَهُمْ أَقَلَّ مِنْهُمْ. وَلَيْسَ ٱلرَّأْيُ عِنْدِي ٱلجَلَاءُ(٣) عَنِ ٱلوَطَنِ. وَلَا يَسَعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاؤُهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ ٱلسِّيرَةِ وَقُبْحِ ٱلطَّرِيقَةِ وَلَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ(٤) بِغَيْرِ أَلْسِنَتِنَا وَلَوْ ذَهَبْنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمَا تَهَيَّأَتْ لَنَا مُعَانَدَتُهُ. وَإِنْ أَحَسَّ مِنَّا بِمُخَالَفَتِهِ وَإِنْكَارِنَا سُوءَ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذٰلِكَ بَوَارُنَا(٥) وَتَعْلَمُونَ أَنَّ مُجَاوَرَةَ ٱلسَّبُعِ وَٱلكَلْبِ وَٱلحَيَّةِ وَٱلثَّوْرِ عَلَى طِيبِ ٱلوَطَنِ وَنَضَارَةِ(٦) ٱلعَيْشِ غَدْرٌ بِٱلنَّفْسِ. وَإِنَّ ٱلفَيْلَسُوفَ لَحَقِيقٌ(٧) أَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ مَصْرُوفَةً إِلَى مَا يُحَصِّنُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوَازِلِ ٱلمَكْرُوهِ وَلَوَاحِقِ ٱلمَحْذُورِ وَيَدْفَعُ ٱلمَخُوفَ لِٱسْتِجْلَابِ ٱلمَحْبُوبِ وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ فَيْلَسُوفًا كَتَبَ إِلَى تِلْمِيذِهِ يَقُولُ: إِنَّ مُجَاوَرَةَ رِجَالِ ٱلسُّوءِ وَٱلمُصَاحَبَةَ لَهُمْ كَرَاكِبِ ٱلبَحْرِ، إِنْ هُوَ سَلِمَ مِنَ ٱلغَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ ٱلمَخَاوِفِ، فَإِذَا أَوْرَدَ نَفْسَهُ(٨) مَوَارِدَ(٩) ٱلهَلَكَاتِ وَمَصَادِرَ ٱلمَخُوفَاتِ

---

(١) ندرّب (٢) تركنا (٣) الانتزاح (٤) مقاومته (٥) هلاكنا (٦) اي طيبه (٧) لجدير (٨) احضرها المورد (٩) جمع مورد وهو الطريق الى الماء « وهو هنا مجاز »

عُدَّ مِنَ ٱلْحَمِيرِ ٱلَّتِي لَا نَفْسَ لَهَا . لِأَنَّ ٱلْحَيَوَانَاتِ ٱلْبَهِيمِيَّةَ قَدْ خُصَّتْ فِي طَبَائِعِهَا بِمَعْرِفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ ٱلنَّفْعَ وَتَتَوَقَّى ٱلْمَكْرُوهَ . وَذٰلِكَ أَنَّا لَمْ نَرَهَا تُورِدُ أَنْفُسَهَا مَوْرِدًا فِيهِ هَلَكَتُهَا، وَأَنَّهَا مَتَى أَشْرَفَتْ عَلَى مَوْرِدٍ مُهْلِكٍ لَهَا مَالَتْ بِطَبَائِعِهَا ٱلَّتِي رُكِّبَتْ فِيهَا شُحًّا[1] بِأَنْفُسِهَا وَصِيَانَةً لَهَا إِلَى ٱلنُّفُورِ وَٱلتَّبَاعُدِ عَنْهُ . وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهٰذَا ٱلْأَمْرِ لِأَنَّكُمْ أُسْرَتِي[2] وَمَكَانُ سِرِّي وَمَوْضِعُ مَعْرِفَتِي وَبِكُمْ أَعْتَضِدُ[3] وَعَلَيْكُمْ أَعْتَمِدُ[4] . فَإِنَّ ٱلْوَحِيدَ فِي نَفْسِهِ وَٱلْمُنْفَرِدَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ ضَائِعٌ وَلَا نَاصِرَ لَهُ . عَلَى أَنَّ ٱلْعَاقِلَ قَدْ يَبْلُغُ بِحِيلَتِهِ مَا لَا يَبْلُغُ بِٱلْخَيْلِ وَٱلْجُنُودِ

وَٱلْمَثَلُ فِي ذٰلِكَ أَنَّ قُنْبُرَةً[5] ٱتَّخَذَتْ أُدْحِيَّةً[6] وَبَاضَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ ٱلْفِيلِ . وَكَانَ لِلْفِيلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ فَوَطِئَ[7] عُشَّ ٱلْقُنْبُرَةِ وَهَشَمَ[8] بَيْضَهَا وَقَتَلَ فِرَاخَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَاءَهَا عَلِمَتْ أَنَّ ٱلَّذِي نَالَهَا[9] مِنَ ٱلْفِيلِ لَا مِنْ غَيْرِهِ . فَطَارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ بَاكِيَةً ثُمَّ قَالَتْ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لِمَ هَشَمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ فِرَاخِي وَأَنَا فِي جِوَارِكَ . أَفَعَلْتَ هٰذَا ٱسْتِصْغَارًا مِنْكَ لِأَمْرِي وَٱحْتِقَارًا لِشَأْنِي . قَالَ هُوَ ٱلَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذٰلِكَ . فَتَرَكَتْهُ وَٱنْصَرَفَتْ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلطَّيْرِ فَشَكَتْ إِلَيْهَا مَا نَالَهَا مِنَ ٱلْفِيلِ . فَقُلْنَ لَهَا وَمَا عَسَى أَنْ نَبْلُغَ مِنْهُ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ لِلْعَقَاعِقِ[10] وَٱلْغِرْبَانِ أُحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصِرْنَ مَعِي إِلَيْهِ فَتَفْقَأْنَ عَيْنَيْهِ فَإِنِّي أَحْتَالُ لَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ بِحِيلَةٍ أُخْرَى فَأَجَبْنَهَا إِلَى ذٰلِكَ وَذَهَبْنَ إِلَى ٱلْفِيلِ . فَلَمْ

---

(١) بخلا (٢) عشيرتي (٣) استعين (٤) اتكل (٥) نوع من العصافير (٦) عشا
(٧) داس (٨) كسر (٩) اصابها (١٠) جمع عقعق وهو طائر على قدر الحمامة

يَزَلْنَ يَنقُرْنَ عَيْنَيهِ حَتَّى ذَهَبْنَ بِهِمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ إِلَّا مِمَّا يَقُمُّهُ (١) مِنْ مَوْضِعِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ ذَلِكَ مِنْهُ جَاءَتْ إِلَى غَدِيرٍ فِيهِ ضَفَادِعُ كَثِيرَةٌ فَشَكَتْ إِلَيْهَا مَا نَالَهَا مِنَ ٱلْفِيلِ . قَالَتِ ٱلضَّفَادِعُ مَا حِيلَتُنَا نَحْنُ فِي عِظَمِ ٱلْفِيلِ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ أُحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصِرْنَ مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ (٢) قَرِيبَةٍ مِنْهُ فَتَنْقُقْنَ (٣) فِيهَا وَتَضْجَجْنَ . فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُنَّ لَمْ يَشُكَّ فِي ٱلْمَاءِ فَيَهْوِي (٤) فِيهَا . فَأَجَبْنَهَا إِلَى ذَلِكَ وَٱجْتَمَعْنَ فِي ٱلْهَاوِيَةِ فَسَمِعَ ٱلْفِيلُ نَقِيقَ ٱلضَّفَادِعِ وَقَدْ جَهَدَهُ (٥) ٱلْعَطَشُ فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَعَ فِي ٱلْوَهْدَةِ فَٱعْتَطَمَ (٦) فِيهَا . وَجَاءَتِ ٱلْقُنْبُرَةُ تُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ : أَيُّهَا ٱلطَّاغِي (٧) ٱلْمُغْتَرُّ بِقُوَّتِهِ ٱلْمُحْتَقِرُ لِأَمْرِي كَيْفَ رَأَيْتَ عِظَمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُثَّتِي عِنْدَ عِظَمِ جُثَّتِكَ وَصِغَرِ هِمَّتِكَ

فَلْيُشِرْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ بِمَا يَسْنَحُ (٨) لَهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ . قَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : أَيُّهَا ٱلْفَيْلَسُوفُ ٱلْفَاضِلُ وَٱلْحَكِيمُ ٱلْعَادِلُ . أَنْتَ ٱلْمُقَدَّمُ فِينَا وَٱلْفَاضِلُ عَلَيْنَا . وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مَبْلَغُ رَأْيِنَا عِنْدَ رَأْيِكَ وَفَهْمِنَا عِنْدَ فَهْمِكَ . غَيْرَ أَنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ ٱلسِّبَاحَةَ فِي ٱلْمَاءِ مَعَ ٱلتِّمْسَاحِ تَغْرِيرٌ (٩) وَٱلذَّنْبُ فِيهِ لِمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ . وَٱلَّذِي يَسْتَخْرِجُ ٱلسُّمَّ مِنْ نَابِ ٱلْحَيَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ لِيُجَرِّبَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ ٱلذَّنْبُ لِلْحَيَّةِ . وَمَنْ دَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فِي غَابَتِهِ لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ . وَهٰذَا ٱلْمَلِكُ لَمْ تُفْزِعْهُ ٱلنَّوَائِبُ وَلَمْ تُؤَدِّبْهُ ٱلتَّجَارِبُ وَلَسْنَا نَأْمَنُ عَلَيْكَ مِنْ سَوْرَتِهِ (١٠) وَمُبَادَرَتِهِ بِسُوءٍ إِذَا لَقِيتَهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ . فَقَالَ ٱلْحَكِيمُ بَيْدَبَا : لَعَمْرِي لَقَدْ قُلْتُمْ

---

(١) يأكله عن وجه الارض (٢) ما انخفض من الارض (٣) النقيق صياح الضفادع (٤) فيسقط (٥) اتعبه (٦) هلك (٧) المسرف في المعاصي والظلم (٨) يعرض ويخطر (٩) اي تعريض النفس للهلكة (١٠) حدته

فأحسنتم. لكنّ ذا الرأي الحازم لا يدع أن يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة. والرأي الفرد لا يكتفى به في الخاصة ولا ينتفع به في العامة وقد صحّت[١] عزيمتي على لقاء دبشليم. وقد سمعت مقالتكم وتبيّن لي نصيحتكم والإشفاق عليّ وعليكم. غير أني قد رأيت رأياً وعزمت عزماً وستعرفون حديثي عند الملك ومجاوبتي إياه. فإذا اتصل بكم خروجي من عنده فاجتمعوا إليّ. وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة

ثم إنّ بيدبا اختار يوماً للدخول على الملك، حتى إذا كان ذلك الوقت ألقى عليه مسوحه[٢] وهي لباس البراهمة وقصد باب الملك. وسأل عن صاحب إذنه[٣] وأرشد إليه وسلّم عليه وأعلمه وقال له: إني رجل قصدت الملك في نصيحة. فدخل الآذن على الملك في وقته وقال: بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا ذكر أنّ معه للملك نصيحة. فأذن له فدخل ووقف بين يديه وكفّر[٤] وسجد له واستوى[٥] قائماً وسكت. وفكّر دبشليم في سكوته وقال: إنّ هذا لم يقصدنا إلا لأمرين: إما أن يلتمس منا شيئاً يصلح به حاله، أو لأمر لحقه فلم يكن له به طاقة. ثم قال: إن كان للملوك فضل في مملكتها فإنّ للحكماء فضلاً في حكمتها أعظم. لأنّ الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال. وقد وجدت العلم والحياء إلفين متآلفين لا يفترقان متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر، كالمتصافيين[٦] إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفساً بالبقاء بعده

---

(١) ثبتت (٢) جمع مسح وهو ثوب من شعر (٣) حاجبه (٤) خضع وتطامن (٥) نهض (٦) المتوادين

تَأَسُّفاً عَلَيْهِ. وَمَنْ لَمْ يَسْتَحْيِ[١] مِنَ ٱلْحُكَمَاءِ وَيُكْرِمْهُمْ وَيَعْرِفْ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ وَيَصُنْهُمْ عَنِ ٱلْمَوَاقِفِ ٱلْوَاهِنَةِ[٢] وَيَنْزِهْهُمْ عَنِ ٱلْمَوَاطِنِ ٱلرَّذْلَةِ[٣] كَانَ مِمَّنْ حُرِمَ عَقْلَهُ وَخَسِرَ دُنْيَاهُ وَظَلَمَ ٱلْحُكَمَاءَ حُقُوقَهُمْ وَعُدَّ مِنَ ٱلْجُهَّالِ

ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى بَيْدَبَا وَقَالَ لَهُ نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا بَيْدَبَا سَاكِتاً لَا تَعْرِضُ حَاجَتَكَ وَلَا تَذْكُرُ بُغْيَتَكَ فَقُلْتُ: إِنَّ ٱلَّذِي أَسْكَتَهُ هَيْبَةٌ سَاوَرَتْهُ[٤] أَوْ حَيْرَةٌ أَدْرَكَتْهُ. وَتَأَمَّلْتُ عِنْدَ ذٰلِكَ فِي طُولِ وُقُوفِكَ وَقُلْتُ: لَمْ يَكُنْ لِبَيْدَبَا أَنْ يَطْرُقَنَا[٥] عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ إِلَّا لِأَمْرٍ حَرَّكَهُ إِلَى ذٰلِكَ، فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ، فَهَلَّا نَسْأَلُهُ عَنْ سَبَبِ دُخُولِهِ. فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَيْمٍ نَالَهُ كُنْتُ أَوْلَى مَنْ أَخَذَ بِيَدِهِ[٦] وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ وَتَقَدَّمَ فِي ٱلْبُلُوغِ إِلَى مُرَادِهِ وَإِعْزَازِهِ، وَإِنْ كَانَتْ بُغْيَتُهُ عَرَضاً مِنْ أَعْرَاضِ[٧] ٱلدُّنْيَا أَمَرْتُ بِإِرْضَائِهِ مِنْ ذٰلِكَ فِيمَا أَحَبَّ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْ أَمْرِ ٱلْمَلِكِ وَمِمَّا لَا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَبْذُلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَنْقَادُوا إِلَيْهِ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ عُقُوبَتِهِ. عَلَى أَنَّ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ[٨] عَلَى إِدْخَالِ نَفْسِهِ فِي بَابِ مَسْأَلَةِ ٱلْمُلُوكِ. وَإِنْ كَانَ شَيْئاً مِنْ أُمُورِ ٱلرَّعِيَّةِ يَقْصِدُ فِيهِ أَنْ أَصْرِفَ عِنَايَتِي إِلَيْهِمْ نَظَرْتُ مَا هُوَ. فَإِنَّ ٱلْحُكَمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِٱلْخَيْرِ وَٱلْجُهَّالَ يُشِيرُونَ بِضِدِّهِ. وَأَنَا قَدْ فَسَحْتُ[٩] لَكَ فِي ٱلْكَلَامِ *

فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا ذٰلِكَ مِنَ ٱلْمَلِكِ أُفْرِخَ[١٠] عَنْهُ رَوْعُهُ[١١] وَسُرِّيَ[١٢] مَا كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ وَكَفَّرَ لَهُ[١٣] وَسَجَدَ ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ:

أَوَّلُ مَا أَقُولُ أَنِّي أَسْأَلُ ٱللّٰهَ تَعَالَى بَقَاءَ ٱلْمَلِكِ عَلَى ٱلْأَبَدِ وَدَوَامَ

---

(١) يخجل (٢) الضعيفة (٣) الرديئة (٤) غالبته (٥) يأتينا (٦) ساعده
(٧) اعراض الدنيا حطامها ومتاعها (٨) يتشجع (٩) اي اذنت (١٠) ذهب
(١١) فزعه (١٢) زال (١٣) خضع

مُلْكِهِ عَلَى ٱلْأَمَدِ(١) . لِأَنَّهُ قَدْ مَنَحَنِي ٱلْمَلِكُ فِي مَقَامِي هٰذَا مَحَلًّا جَعَلَهُ شَرَفًا لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ . وَذِكْرًا بَاقِيًا عَلَى ٱلدَّهْرِ عِنْدَ ٱلْحُكَمَاءِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ بِوَجْهِهِ مُسْتَبْشِرًا بِهِ فَرِحًا بِمَا بَدَا لَهُ مِنْهُ وَقَالَ : قَدْ عَطَفَ عَلَيَّ ٱلْمَلِكُ بِكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ وَٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي دَعَانِي إِلَى ٱلدُّخُولِ عَلَى ٱلْمَلِكِ وَحَمَلَنِي(٢) عَلَى ٱلْمُخَاطَرَةِ فِي كَلَامِهِ وَٱلْإِقْدَامِ عَلَيْهِ نَصِيحَةٌ ٱخْتَصَصْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ . وَسَيَعْلَمُ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذٰلِكَ أَنِّي لَمْ أُقَصِّرْ عَنْ غَايَةٍ فِيمَا يَجِبُ لِلْمَوْلَى عَلَى ٱلْحُكَمَاءِ . فَإِنْ فَسَحَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ(٣) عَنِّي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذٰلِكَ وَإِنْ هُوَ أَلْقَاهُ فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزَمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يَلْحَقُنِي . قَالَ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا تَكَلَّمْ مَهْمَا شِئْتَ فَإِنَّنِي مُصْغٍ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسَامِعٌ مِنْكَ حَتَّى أَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ وَأُجَازِيَكَ عَلَى ذٰلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

قَالَ بَيْدَبَا : إِنِّي وَجَدْتُ ٱلْأُمُورَ ٱلَّتِي ٱخْتُصَّ بِهَا ٱلْإِنْسَانُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ ٱلْحَيَوَانِ أَرْبَعَةَ أَشْيَاءَ وَهِيَ جِمَاعُ(٤) مَا فِي ٱلْعَالَمِ . وَهِيَ ٱلْحِكْمَةُ وَٱلْعِفَّةُ وَٱلْعَقْلُ وَٱلْعَدْلُ * وَٱلْعِلْمُ وَٱلْأَدَبُ وَٱلرَّوِيَّةُ(٥) دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْحِكْمَةِ . وَٱلْحِلْمُ وَٱلصَّبْرُ وَٱلْوَقَارُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْعَقْلِ . وَٱلْحَيَاءُ وَٱلْكَرَمُ وَٱلصِّيَانَةُ وَٱلْأَنَفَةُ(٦) دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْعِفَّةِ . وَٱلصِّدْقُ وَٱلْإِحْسَانُ وَٱلْمُرَاقَبَةُ(٧) وَحُسْنُ ٱلْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ ٱلْعَدْلِ * وَهٰذِهِ هِيَ ٱلْمَحَاسِنُ وَأَضْدَادُهَا هِيَ ٱلْمَسَاوِئُ . فَمَتَى كَمَلَتْ هٰذِهِ فِي وَاحِدٍ لَمْ يُخْرِجْهُ ٱلنَّقْصُ فِي نِعْمَتِهِ إِلَى سُوءِ ٱلْحَظِّ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا إِلَى نَقْصٍ مِنْ عُقْبَاهُ(٨) وَلَمْ يَتَأَسَّفْ عَلَى مَا لَمْ يُعِنِ ٱلتَّوْفِيقُ بِبَقَائِهِ

---

(١) المدى (٢) اغراني (٣) حفظه (٤) جميع (٥) اعمال الفكر (٦) الترفع عن الدنايا (٧) مخافة الله (٨) آخرته

وَلَمْ يُحْزِنْهُ مَا تَجْرِي بِهِ ٱلْمَقَادِيرُ(١) فِي مُلْكِهِ وَلَمْ يَدْهَشْ(٢) عِنْدَ مَكْرُوهٍ . فَٱلْحِكْمَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى عَلَى ٱلْإِنْفَاقِ وَذَخِيرَةٌ لَا يُضْرَبُ لَهَا بِٱلْإِمْلَاقِ(٣) وَحُلَّةٌ لَا تَخْلَقُ(٤) جِدَّتُهَا وَلَذَّةٌ لَا تُصْرَمُ(٥) مُدَّتُهَا * وَلَئِنْ كُنْتُ عِنْدَ مُقَامِي بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ أَمْسَكْتُ(٦) عَنِ ٱبْتِدَائِهِ بِٱلْكَلَامِ فَإِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنِّي إِلَّا لِهَيْبَتِهِ وَٱلْإِجْلَالِ لَهُ . وَلَعَمْرِي إِنَّ ٱلْمُلُوكَ لَأَهْلٌ أَنْ يُهَابُوا وَلَا سِيَّمَا مَنْ هُوَ فِي ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلَّتِي جَلَّ فِيهَا ٱلْمَلِكُ عَنْ مَنَازِلِ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَهُ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ ٱلْزَمِ ٱلسُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ ٱلسَّلَامَةَ . وَتَجَنَّبِ ٱلْكَلَامَ ٱلْفَارِغَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ ٱلنَّدَامَةُ * وَحُكِيَ أَنَّ أَرْبَعَةً مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ ضَمَّهُمْ مَجْلِسُ مَلِكٍ فَقَالَ لَهُمْ لِيَتَكَلَّمْ كُلٌّ مِنْكُمْ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ * فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَفْضَلُ خُلَّةٍ(٧) ٱلْعُلَمَاءِ ٱلسُّكُوتُ . وَقَالَ ٱلثَّانِي : إِنَّ مِنْ أَنْفَعِ ٱلْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ . وَقَالَ ٱلثَّالِثُ : أَنْفَعُ ٱلْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ . وَقَالَ ٱلرَّابِعُ : أَرْوَحُ(٨) ٱلْأُمُورِ لِلْإِنْسَانِ ٱلتَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ * وَٱجْتَمَعَ فِي بَعْضِ ٱلزَّمَانِ مُلُوكُ ٱلْأَقَالِيمِ مِنَ ٱلصِّينِ وَٱلْهِنْدِ وَفَارِسَ وَٱلرُّومِ وَقَالُوا : يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ كُلٌّ مِنَّا بِكَلِمَةٍ تُدَوَّنُ عَنْهُ عَلَى غَابِرِ(٩) ٱلدَّهْرِ * قَالَ مَلِكُ ٱلصِّينِ : أَنَا عَلَى مَا لَمْ أَقُلْ أَقْدَرُ مِنِّي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ . قَالَ مَلِكُ ٱلْهِنْدِ : عَجِبْتُ لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِٱلْكَلِمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ أَوْبَقَتْهُ(١٠) . قَالَ مَلِكُ فَارِسَ : أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِٱلْكَلِمَةِ مَلَكَتْنِي وَإِذَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهَا مَلَكْتُهَا . قَالَ مَلِكُ

(١) احكام الزمان (٢) يتحير (٣) الفقر اي لا يفتقر صاحبها (٤) لا تبلى (٥) لا تنقطع (٦) امتنعت (٧) خصلة (٨) تفضيل من الراحة (٩) باقي (١٠) اهلكته

ٱلرُّوم : مَا نَدِمْتُ عَلى مَا لَمْ أَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا * وَٱلسُّكُوتُ عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ ٱلْهَذَرِ (١) ٱلَّذِي لَا يُرْجَعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ وَأَعْضَلُ (٢) مَا ٱسْتُضِلَّ (٣) بِهِ ٱلْإِنْسَانُ لِسَانُهُ . غَيْرَ أَنَّ ٱلْمَلِكَ أَطَالَ ٱللهُ مُدَّتَهُ لَمَّا فَسَحَ لِي فِي ٱلْكَلَامِ وَأَوْسَعَ لِي فِيهِ كَانَ أَوْلَى مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ تَكُونَ ثَمَرَةُ ذٰلِكَ لَهُ دُونِي وَأَنْ أَخْتَصَّهُ بِٱلْفَائِدَةِ قَبْلِي . عَلَى أَنَّ ٱلْعُقْبَى (٤) هِيَ مَا أَقْصِدُ فِي كَلَامِي لَهُ . وَإِنَّمَا نَفْعُهُ وَشَرَفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَأَكُونُ قَدْ قَضَيْتُ فَرْضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ :

أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ ٱلْجَبَابِرَةِ ٱلَّذِينَ أَسَّسُوا ٱلْمُلْكَ قَبْلَكَ وَشَيَّدُوهُ دُونَكَ . وَبَنَوُا ٱلْقِلَاعَ وَٱلْحُصُونَ وَمَهَّدُوا (٥) ٱلْبِلَادَ وَقَادُوا ٱلْجُيُوشَ وَٱسْتَجَاشُوا (٦) ٱلْعُدَّةَ . وَطَالَتْ لَهُمُ ٱلْمُدَّةُ . وَٱسْتَكْثَرُوا مِنَ ٱلسِّلَاحِ وَٱلْكُرَاعِ (٧) وَعَاشُوا ٱلدُّهُورَ فِي ٱلْغِبْطَةِ (٨) وَٱلسُّرُورِ . فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذٰلِكَ مِنِ ٱكْتِسَابِ جَمِيلِ ٱلذِّكْرِ . وَلَا قَطَعَهُمْ عَنِ ٱغْتِنَامِ ٱلشُّكْرِ وَٱسْتِعْمَالِ ٱلْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ خَوَّلُوهُ (٩) وَٱلرِّفْقِ بِمَنْ وَلُوهُ (١٠) وَحُسْنِ ٱلسِّيرَةِ فِيمَا تَقَلَّدُوهُ . مَعَ عِظَمِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غِرَّةِ ٱلْمُلْكِ (١١) وَسَكْرَةِ ٱلِٱقْتِدَارِ . وَإِنَّكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ جَدُّهُ ٱلطَّالِعُ كَوْكَبُ سَعْدِهِ قَدْ وَرِثْتَ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ ٱلَّتِي كَانَتْ عُدَّتَهُمْ فَأَقَمْتَ فِيمَا خُوِّلْتَ مِنَ ٱلْمُلْكِ وَوَرِثْتَ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْجُنُودِ . وَلَمْ تَقُمْ فِي ذٰلِكَ بِحَقِّ مَا يَجِبُ عَلَيْكَ . بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَتَوْتَ (١٢) وَعَلَوْتَ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَأَسَأْتَ

(١) سقط الكلام (٢) اقبح (٣) حُمِل على الضلال (٤) العاقبة (٥) اصلحوا (٦) جمعوا (٧) الدواب (٨) حسن الحال (٩) ملكوه (١٠) تولوا عليه (١١) الاسم من الاغترار بمعناه (١٢) استكبرت

ٱلسِّيرَةَ وَعَظُمَتْ مِنكَ ٱلْبَلِيَّةُ . وَكانَ ٱلْأَوْلَى وَٱلْأَشْبَهُ(١) بِكَ أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ أَسْلَافِكَ وَتَتَّبِعَ آثَارَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَكَ وَتَقْفُوَ(٢) مَحَاسِنَ مَا أَبْقَوْهُ لَكَ وَتُقْلِعَ(٣) عَمَّا عَارُهُ لَازِمٌ لَكَ وَشَيْنُهُ(٤) وَاقِعٌ بِكَ . وَتُحْسِنَ ٱلنَّظَرَ بِرَعِيَّتِكَ وَتَسُنَّ لَهُمْ سُنَنَ ٱلْخَيْرِ ٱلَّذِي يَبْقَى بَعْدَكَ ذِكْرُهُ . وَيُعْقِبُكَ(٥) ٱلْجَمِيلَ فَخْرُهُ . وَيَكُونُ ذٰلِكَ أَبْقَى عَلَى ٱلسَّلَامَةِ . وَأَدْوَمَ عَلَى ٱلِاسْتِقَامَةِ . فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ ٱلْمُغْتَرَّ مَنِ ٱسْتَعْمَلَ فِي أُمُورِهِ ٱلْبَطَرَ(٦) وَٱلْأُمْنِيَّةَ(٧) وَٱلْحَازِمَ(٨) ٱللَّبِيبَ مَنْ سَاسَ ٱلْمُلْكَ بِٱلْمُدَارَاةِ وَٱلرِّفْقِ * فَٱنْظُرْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فِيمَا أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ . وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ . فَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِهٰذَا ٱبْتِغَاءَ عَرَضٍ تُجَازِينِي بِهِ وَلَا ٱلْتِمَاسَ مَعْرُوفٍ تَسُوقُهُ إِلَيَّ وَلٰكِنِّي أَتَيْتُكَ نَاصِحًا مُشْفِقًا عَلَيْكَ

فَلَمَّا فَرَغَ بَيْدَبَا مِنْ مَقَالَتِهِ وَقَضَى مُنَاصَحَتَهُ أَوْغَرَ(٩) قَلْبَ ٱلْمَلِكِ فَأَغْلَظَ لَهُ فِي ٱلْجَوَابِ ٱسْتِصْغَارًا لِأَمْرِهِ وَقَالَ : لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلَامٍ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي يَسْتَقْبِلُنِي بِمِثْلِهِ وَلَا يُقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمْتَ عَلَيْهِ فَكَيْفَ أَنْتَ مَعَ صِغَرِ شَأْنِكَ وَضَعْفِ مُنَّتِكَ(١٠) وَعَجْزِ قُوَّتِكَ . وَلَقَدْ أَكْثَرْتَ إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ وَتَسَلُّطِكَ بِلِسَانِكَ فِيمَا جَاوَزْتَ فِيهِ حَدَّكَ . وَمَا أَجِدُ فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنَ ٱلتَّنْكِيلِ بِكَ(١١) فَذٰلِكَ عِبْرَةٌ وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَبْلُغَ وَيَرُومَ مَا رُمْتَ أَنْتَ مِنَ ٱلْمُلُوكِ إِذَا أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فَكَّرَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ فَأَحْجَمَ(١٢) عَنْهُ ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ وَتَقْيِيدِهِ . فَلَمَّا حُبِسَ أَنْفَذَ ٱلْمَلِكُ فِي طَلَبِ

---

(١) اي الاليق (٢) تتبع (٣) تكف (٤) عيبه (٥) اي يورثك (٦) عدم القيام بحق النعمة (٧) اي التعلل بالامال (٨) من يضبط امره ويحكمه ويأخذ فيه بالثقة (٩) ملاه غيظاً (١٠) احسانك (١١) معاقبتك بما يجعلك عبرة لغيرك (١٢) تأخر

تَلامِذَتِهِ وَمَنْ كانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي ٱلْبِلَادِ وَٱعْتَصَمُوا[١] بِجَزائِرِ ٱلْبِحارِ . فَمَكَثَ بَيْدَبَا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ ٱلْمَلِكُ عَنْهُ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا يَجْسُرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرَهُ عِنْدَهُ * حَتَّى إِذَا كانَ لَيْلَةٌ مِنَ ٱللَّيالِي سَهِدَ[٢] ٱلْمَلِكُ سُهْدًا شَدِيدًا وَطالَ سُهْدُهُ . فَمَدَّ إِلَى ٱلْفَلَكِ بَصَرَهُ وَتَفَكَّرَ فِي تَفَلُّكِ[٣] ٱلْفَلَكِ[٤] وَحَرَكاتِ ٱلْكَواكِبِ . فَأَغْرَقَ[٥] ٱلْفِكْرَ فِيهِ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى ٱسْتِنْباطِ شَيْءٍ عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ ٱلْفَلَكِ وَٱلْمَسْأَلَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذٰلِكَ بَيْدَبَا وَتَفَكَّرَ فِيما كَلَّمَهُ فِيهِ فَٱرْعَوَى[٦] لِذٰلِكَ وَقالَ فِي نَفْسِهِ لَقَدْ أَسَأْتُ فِيما صَنَعْتُ بِهٰذَا ٱلْفَيْلَسُوفِ وَضَيَّعْتُ واجِبَ حَقِّهِ وَما حَمَلَنِي عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا سُرْعَةُ ٱلْغَضَبِ . وَقَدْ قالَتِ ٱلْعُلَماءُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي ٱلْمُلُوكِ : ٱلْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ ٱلْأَشْياءِ مَقْتًا[٧] . وَٱلْبُخْلُ فَإِنَّ صاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ مَعَ ذاتِ يَدِهِ[٨] وَٱلْكَذِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يُجاوِرَهُ . وَٱلْعُنْفُ[٩] فِي ٱلْمُحاوَرَةِ فَإِنَّ ٱلسَّفَهَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِها . وَإِنِّي أَتَى إِلَيَّ رَجُلٌ نَصَحَ لِي وَلَمْ يَكُنْ مُبَلِّغًا فَعامَلْتُهُ بِضِدِّ ما يَسْتَحِقُّ وَكافَأْتُهُ بِخِلافِ ما يَسْتَوْجِبُ . وَما كانَ هٰذا جَزاؤُهُ مِنِّي . بَلْ كانَ ٱلْواجِبُ أَنْ أَسْمَعَ كَلامَهُ وَأَنْقادَ لِما يُشِيرُ بِهِ ثُمَّ أُنْفِذَ لِساعَتِهِ مَنْ يَأْتِيهِ بِهِ

فَلَمَّا مَثَلَ[١٠] بَيْنَ يَدَيْهِ قالَ لَهُ : يا بَيْدَبا أَلَسْتَ ٱلَّذِي قَصَدْتَ إِلَى تَقْصِيرِ هِمَّتِي وَعَجَّزْتَ رَأْيِي[١١] فِي سِيرَتِي بِما تَكَلَّمْتَ بِهِ آنِفًا . قالَ لَهُ بَيْدَبا : أَيُّها ٱلْمَلِكُ ٱلنَّاصِحُ ٱلشَّفِيقُ وَٱلصَّادِقُ ٱلرَّفِيقُ[١٢] إِنَّما نَبَّأْتُكَ[١٣] بِما فِيهِ صَلاحُ

---

(١) التجأوا وامتنعوا (٢) طار نومه (٣) استدارة (٤) مدار النجوم (٥) بالغ وتعمق (٦) رجع عن رأيه (٧) بغضاً (٨) ميسرته (٩) القسوة والخشونة (١٠) وقف (١١) نسبته الى العجز (١٢) من الرفق (١٣) اعلمتك

لَكَ وَلِرَعِيَّتِكَ وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ. قَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: يَا بَيْدَبَا أَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدَعْ مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا جِئْتَ بِهِ. فَجَعَلَ بَيْدَبَا يَنْثُرُ كَلَامَهُ وَٱلْمَلِكُ مُصْغٍ إِلَيْهِ. وَجَعَلَ دَبْشَلِيم كُلَّمَا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا يَنْكُتُ (١) ٱلْأَرْضَ بِشَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ. ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ (٢) إِلَى بَيْدَبَا وَأَمَرَهُ بِٱلْجُلُوسِ وَقَالَ لَهُ: يَا بَيْدَبَا إِنِّي قَدِ ٱسْتَعْذَبْتُ كَلَامَكَ وَحَسُنَ مَوْقِعُهُ فِي قَلْبِي وَأَنَا نَاظِرٌ فِي ٱلَّذِي أَشَرْتَ بِهِ وَعَامِلٌ بِمَا أَمَرْتَ. ثُمَّ أَمَرَ بِقُيُودِهِ فَحُلَّتْ وَأَلْقَى عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِهِ وَتَلَقَّاهُ بِٱلْقَبُولِ. فَقَالَ بَيْدَبَا: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّ فِي دُونِ مَا كَلَّمْتُكَ بِهِ نُهْيَةً (٣) لِمِثْلِكَ. قَالَ: صَدَقْتَ أَيُّهَا ٱلْحَكِيمُ ٱلْفَاضِلُ وَقَدْ وَلَّيْتُكَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي مَمْلَكَتِي. فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَعْفِنِي مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ فَإِنِّي غَيْرُ مُضْطَلِعٍ بِتَقْوِيمِهِ (٤) إِلَّا بِكَ فَأَعْفَاهُ مِنْ ذٰلِكَ. فَلَمَّا ٱنْصَرَفَ عَلِمَ أَنَّ ٱلَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ. فَبَعَثَ فَرَدَّهُ وَقَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِي إِعْفَائِكَ مِمَّا عَرَضْتُهُ عَلَيْكَ فَوَجَدْتُهُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِكَ وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ وَلَا يَضْطَلِعُ بِهِ سِوَاكَ فَلَا تُخَالِفْنِي فِيهِ. فَأَجَابَهُ بَيْدَبَا إِلَى ذٰلِكَ

وَكَانَ عَادَةُ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ إِذَا ٱسْتَوْزَرُوا وَزِيرًا أَنْ يَعْقِدُوا عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا وَيَرْكَبَ فِي أَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَيُطَافَ بِهِ فِي ٱلْمَدِينَةِ. فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُفْعَلَ بِبَيْدَبَا ذٰلِكَ. فَوُضِعَ ٱلتَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ وَرَكِبَ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَرَجَعَ فَجَلَسَ بِمَجْلِسِ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِنْصَافِ يَأْخُذُ لِلدَّنِيءِ مِنَ ٱلشَّرِيفِ. وَيُسَاوِي بَيْنَ ٱلْقَوِيِّ وَٱلضَّعِيفِ. وَرَدَّ ٱلْمَظَالِمَ وَوَضَعَ سُنَنَ ٱلْعَدْلِ (٥). وَأَكْثَرَ مِنَ ٱلْعَطَاءِ

---

(١) يضربها بقضيب او نحوه حال التفكر (٢) نظره (٣) الاسم من النهي وهو ضد الامر (٤) اي غير خبير بتعديله (٥) جمع سنّة وهي الشريعة

وَٱلبَذلِ[١] . وَٱتَّصَلَ ٱلخَبَرُ بِتَلَامِذَتِهِ فَجَاؤُوا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرِحِينَ بِمَا جَدَّدَ ٱللهُ لَهُ مِنْ جَدِيدِ رَأْيِ ٱلمَلِكِ فِيهِ . وَشَكَرُوا ٱللهَ تَعَالَى عَلَى تَوفِيقِ بَيْدَبَا فِي إِزَالَةِ دَبْشَلِيمَ عَمَّا كَانَ عَلَيهِ مِنْ سُوءِ ٱلسِّيرَةِ وَٱتَّخَذُوا ذَلِكَ ٱليَومَ عِيدًا يُعَيِّدُونَ فِيهِ فَهُوَ إِلَى ٱليَومِ عِيدٌ يُعَيِّدُونَهُ فِي بِلَادِ ٱلهِندِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا لَمَّا أَخلَى فِكرَهُ مِنَ ٱشتِغَالِهِ بِدَبْشَلِيمَ تَفَرَّغَ لِوَضعِ كُتُبِ ٱلسِّيَاسَةِ وَنَشِطَ[٢] لَهَا . فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيهَا دَقَائِقُ ٱلحِيَلِ، وَمَضَى ٱلمَلِكُ عَلَى مَا رَسَمَ لَهُ بَيْدَبَا مِنْ حُسْنِ ٱلسِّيرَةِ وَٱلعَدلِ فِي ٱلرَّعِيَّةِ . فَرَغِبَتْ[٣] إِلَيهِ ٱلمُلُوكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا فِي نَوَاحِيهِ وَٱنقَادَتْ لَهُ ٱلأُمُورُ عَلَى ٱستِوَائِهَا وَفَرِحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَأَهلُ مَملَكَتِهِ . ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ تَلَامِذَتَهُ فَأَحسَنَ صِلَتَهُم وَوَعَدَهُم وَعدًا جَمِيلًا وَقَالَ لَهُم : لَستُ أَشُكُّ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نُفُوسِكُم وَقتَ دُخُولِي عَلَى ٱلمَلِكِ أَنْ قُلتُم إِنَّ بَيْدَبَا قَدْ ضَاعَتْ حِكمَتُهُ وَبَطَلَتْ فِكرَتُهُ إِذْ عَزَمَ عَلَى ٱلدُّخُولِ عَلَى هٰذَا ٱلجَبَّارِ ٱلطَّاغِي . فَقَدْ عَلِمتُم نَتِيجَةَ رَأْيِي وَصِحَّةَ فِكرِي وَأَنِّي لَم آتِهِ جَهلًا بِهِ . لِأَنِّي كُنتُ أَسمَعُ مِنَ ٱلحُكَمَاءِ قَبلِي تَقُولُ : إِنَّ ٱلمُلُوكَ لَهَا سَكرَةٌ كَسَكرَةِ ٱلشَّرَابِ . فَٱلمُلُوكُ لَا تُفِيقُ مِنَ ٱلسَّكرَةِ إِلَّا بِمَوَاعِظِ ٱلعُلَمَاءِ وَأَدَبِ ٱلحُكَمَاءِ . وَٱلوَاجِبُ عَلَى ٱلمُلُوكِ أَنْ يَتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ ٱلعُلَمَاءِ وَٱلوَاجِبُ عَلَى ٱلعُلَمَاءِ تَقوِيمُ ٱلمُلُوكِ بِأَلسِنَتِهَا وَتَأدِيبُهَا بِحِكمَتِهَا . وَإِظهَارُ ٱلحُجَّةِ ٱلبَيِّنَةِ ٱللَّازِمَةِ لَهُم لِيَرتَدِعُوا عَمَّا هُم عَلَيهِ مِنَ ٱلِاعوِجَاجِ وَٱلخُرُوجِ عَنِ ٱلعَدلِ . فَوَجَدتُ مَا قَالَتِ ٱلعُلَمَاءُ فَرضًا وَاجِبًا عَلَى ٱلحُكَمَاءِ لِمُلُوكِهِم لِيُوقِظُوهُم مِنْ سِنَةِ[٤] سَكرَتِهِم . كَٱلطَّبِيبِ ٱلَّذِي يَجِبُ عَلَيهِ

---

(١) يعني العطاء (٢) خف وأسرع (٣) اي مالت (٤) نوم

فِي صِنَاعَتِهِ حِفْظُ ٱلْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدُّهَا إِلَى ٱلصِّحَّةِ . فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ أَوْ أَنْ أَمُوتَ وَمَا يَبْقَى عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ كَانَ بَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفُ فِي زَمَانِ دَبْشَلِيمَ ٱلطَّاغِي فَلَمْ يَرُدَّهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْ يُكَلِّمَهُ خَوْفاً عَلَى نَفْسِهِ قَالُوا : كَانَ ٱلْهَرَبُ مِنْهُ وَمِنْ جِوَارِهِ أَوْلَى بِهِ . وَٱلِٱنْزِعَاجُ[1] عَنِ ٱلْوَطَنِ شَدِيدٌ . فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحَيَاتِي فَأَكُونَ قَدْ أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْحُكَمَاءِ بَعْدِي عُذْراً . فَحَمَلْتُهَا عَلَى ٱلتَّغْرِيرِ أَوِ ٱلظَّفَرِ بِمَا أُرِيدُهُ وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْتُمْ مُعَايِنُوهُ . فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْثَالِ : إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ أَحَدٌ مَرْتَبَةً إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا بِمَشَقَّةٍ تَنَالُهُ فِي نَفْسِهِ . وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ[2] فِي مَالِهِ . أَوْ وَكْسٍ[3] فِي دِينِهِ . وَمَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ[4] * وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ قَدْ بَسَطَ[5] لِسَانِي فِي أَنْ أَضَعَ كِتَاباً فِيهِ ضُرُوبُ[6] ٱلْحِكْمَةِ . فَلْيَضَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئاً فِي أَيِّ فَنٍّ شَاءَ وَلْيَعْرِضْهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ عَقْلِهِ وَأَيْنَ بَلَغَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ فَهْمُهُ . قَالُوا أَيُّهَا ٱلْحَكِيمُ ٱلْفَاضِلُ وَٱللَّبِيبُ ٱلْعَاقِلُ . وَٱلَّذِي وَهَبَ لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلْفَضِيلَةِ . مَا خَطَرَ هٰذَا بِقُلُوبِنَا سَاعَةً قَطُّ . وَأَنْتَ رَئِيسُنَا وَفَاضِلُنَا وَبِكَ شَرَفُنَا وَعَلَى يَدِكَ ٱنْتِعَاشُنَا . وَلَكِنْ سَنَجْهَدُ أَنْفُسَنَا فِيمَا أَمَرْتَ . وَمَكَثَ ٱلْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ ٱلسِّيرَةِ زَمَاناً يَتَوَلَّى لَهُ ذَلِكَ بَيْدَبَا وَيَقُومُ بِهِ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ دَبْشَلِيمَ لَمَّا ٱسْتَقَرَّ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَسَقَطَ عَنْهُ ٱلنَّظَرُ فِي أُمُورِ

---

(١) التحول والانتقال (٢) خسارة (٣) نقصان (٤) ما يرغب فيه (٥) اي أطلق (٦) اصناف

ٱلْأَعْدَاءِ بِمَا قَدْ كَفَاهُ(١) ذٰلِكَ بَيْدَبَا، صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ ٱلْهِنْدِ لِآبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ. فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ(٢) أَنْ يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَتُذْكَرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذُكِرَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ. فَلَمَّا عَزَمَ(٣) عَلَى ذٰلِكَ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ(٤) إِلَّا بِبَيْدَبَا. فَدَعَاهُ وَخَلَا بِهِ وَقَالَ لَهُ: يَا بَيْدَبَا إِنَّكَ حَكِيمُ ٱلْهِنْدِ وَفَيْلَسُوفُهَا. وَإِنِّي فَكَّرْتُ وَنَظَرْتُ فِي خَزَائِنِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ وَيُنْبِئُ عَنْ أَدَبِهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. فَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ ٱلْمُلُوكُ لِأَنْفُسِهَا وَذٰلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةٍ فِيهَا. وَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ حُكَمَاؤُهَا. وَأَخَافُ أَنْ يَلْحَقَنِي مَا لَحِقَ أُولٰئِكَ مِمَّا لَا حِيلَةَ لِي فِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي خَزَائِنِي كِتَابٌ أُذْكَرُ بِهِ بَعْدِي وَيُنْسَبُ إِلَيَّ كَمَا ذُكِرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي بِكُتُبِهِمْ. وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا بَلِيغًا تَسْتَفْرِغُ فِيهِ عَقْلَكَ يَكُونُ ظَاهِرُهُ سِيَاسَةَ ٱلْعَامَّةِ وَتَأْدِيبَهَا عَلَى طَاعَةِ ٱلْمَلِكِ وَبَاطِنُهُ أَخْلَاقَ ٱلْمُلُوكِ وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعِيَّةِ. فَيَسْقُطُ بِذٰلِكَ عَنِّي وَعَنْهُمْ كَثِيرٌ مِمَّا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَاةِ(٥) ٱلْمُلْكِ. وَأُرِيدُ أَنْ يُبْقِيَ لِي هٰذَا ٱلْكِتَابُ ذِكْرًا عَلَى غَابِرِ ٱلدُّهُورِ * فَلَمَّا سَمِعَ بَيْدَبَا كَلَامَهُ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّعِيدُ جَدُّهُ. عَلَا نَجْمُكَ وَغَابَ نَحْسُكَ وَدَامَتْ أَيَّامُكَ. إِنَّ ٱلَّذِي قَدْ طُبِعَ عَلَيْهِ ٱلْمَلِكُ مِنْ جُودَةِ ٱلْقَرِيحَةِ وَوُفُورِ ٱلْعَقْلِ حَرَّكَهُ إِلَى عَالِي ٱلْأُمُورِ وَسَمَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَهِمَّتُهُ إِلَى أَشْرَفِ ٱلْمَرَاتِبِ مَنْزِلَةً وَأَبْعَدِهَا غَايَةً. وَأَدَامَ ٱللهُ سَعَادَةَ ٱلْمَلِكِ وَأَعَانَهُ عَلَى مَا عَزَمَ مِنْ ذٰلِكَ وَأَعَانَنِي عَلَى بُلُوغِ مُرَادِهِ. فَلْيَأْمُرِ ٱلْمَلِكُ بِمَا شَاءَ

---

(١) أغناه عنه (٢) اي خطر بباله (٣) صمم (٤) لا يكون (٥) معالجة

مِنْ ذٰلِكَ فَإِنَّنِي صَائِرٌ(١) إِلَى غَرَضِهِ مُجْتَهِدٌ فِيهِ بِرَأْيِي * قَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: يَا بَيْدَبَا لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفاً بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ وَطَاعَةِ ٱلْمُلُوكِ فِي أُمُورِهِمْ . وَقَدِ ٱخْتَبَرْتُ مِنْكَ ذٰلِكَ وَٱخْتَرْتُ أَنْ تَضَعَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ وَتُعْمِلَ فِيهِ فِكْرَكَ وَتَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَكَ بِغَايَةِ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ ٱلسَّبِيلَ . وَلْيَكُنْ مُشْتَمِلاً عَلَى ٱلْجِدِّ وَٱلْهَزْلِ وَٱللَّهْوِ وَٱلْحِكْمَةِ وَٱلْفَلْسَفَةِ . فَكَفَّرَ لَهُ بَيْدَبَا وَسَجَدَ وَقَالَ: قَدْ أَجَبْتُ ٱلْمَلِكَ أَدَامَ ٱللّٰهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمَرَنِي بِهِ وَجَعَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَجَلاً(٢) . قَالَ وَكَمِ ٱلْأَجَلُ قَالَ سَنَةٌ . قَالَ قَدْ أَجَّلْتُكَ . وَأَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ(٣) تُعِينُهُ عَلَى عَمَلِ ٱلْكِتَابِ * فَبَقِيَ بَيْدَبَا مُفَكِّراً فِي ٱلْأَخْذِ فِيهِ وَفِي أَيِّ صُورَةٍ يَبْتَدِئُ بِهَا فِيهِ وَفِي وَضْعِهِ

ثُمَّ إِنَّ بَيْدَبَا جَمَعَ إِلَيْهِ تَلَامِذَتَهُ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ ٱلْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي(٤) إِلَى أَمْرٍ فِيهِ فَخْرِي وَفَخْرُكُمْ وَفَخْرُ بِلَادِكُمْ وَقَدْ جَمَعْتُكُمْ لِهٰذَا ٱلْأَمْرِ . ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ ٱلْمَلِكُ مِنْ أَمْرِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْغَرَضِ ٱلَّذِي قَصَدَ فِيهِ فَلَمْ يَقَعْ لَهُمُ ٱلْفِكْرُ فِيهِ * فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ فَكَّرَ بِفَضْلِ حِكْمَتِهِ أَنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ إِنَّمَا يَتِمُّ بِٱسْتِفْرَاغِ ٱلْعَقْلِ وَإِعْمَالِ ٱلْفِكْرِ . وَقَالَ: أَرَى ٱلسَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ إِلَّا بِٱلْمَلَّاحِينَ(٥) لِأَنَّهُمْ يُعَدِّلُونَهَا . وَإِنَّمَا تَسْلُكُ ٱللُّجَّةَ(٦) بِمُدَبِّرِهَا ٱلَّذِي تَفَرَّدَ بِإِمْرَتِهَا(٧) . وَمَتَى شُحِنَتْ بِٱلرُّكَّابِ ٱلْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ مَلَّاحُوهَا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ ٱلْغَرَقِ * وَلَمْ يَزَلْ يُفَكِّرُ فِيمَا يَعْمَلُهُ فِي بَابِ ٱلْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى ٱلْاِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ

---

(١) منتهٍ وواصل (٢) موعداً (٣) رفيعة (٤) دعاني (٥) النواتي (٦) معظم الماء (٧) ولايتها

تَلَامِيذِهِ كَانَ يَثِقُ بِهِ . فَخَلَا بِهِ مُنْفَرِدًا مَعَهُ بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ(١) مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلَّذِي كَانَتْ تَكْتُبُ فِيهِ ٱلْهِنْدُ شَيْئًا وَمِنَ ٱلْقُوتِ مَا يَقُومُ بِهِ وَبِتِلْمِيذِهِ تِلْكَ ٱلْمُدَّةَ وَجَلَسَا فِي مَقْصُورَةٍ(٢) وَرَدَّا عَلَيْهِمَا ٱلْبَابَ . ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظْمِ ٱلْكِتَابِ وَتَصْنِيفِهِ وَلَمْ يَزَلْ هُوَ يُمْلِي وَتِلْمِيذُهُ يَكْتُبُ وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ حَتَّى ٱسْتَقَرَّ ٱلْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ ٱلْإِتْقَانِ وَٱلْإِحْكَامِ . وَرَتَّبَ فِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ بَابًا . كُلُّ بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ . وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْئَلَةٌ وَٱلْجَوَابُ عَنْهَا . لِيَكُونَ لِمَنْ نَظَرَ فِيهِ حَظٌّ(٣) مِنَ ٱلتَّبْصِرَةِ وَٱلْهِدَايَةِ . وَضَمَّ تِلْكَ ٱلْأَبْوَابَ كِتَابًا وَاحِدًا وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ . ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى أَلْسُنِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلسِّبَاعِ وَٱلطَّيْرِ لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ لَهْوًا لِلْخَوَاصِّ وَٱلْعَوَامِّ وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةً(٤) لِعُقُولِ ٱلْخَاصَّةِ . وَضَمَّنَهُ أَيْضًا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ . وَجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ وَأُولَاهُ(٥) وَيَحُضُّهُ(٦) عَلَى حُسْنِ طَاعَتِهِ لِلْمُلُوكِ وَيُجَنِّبُهُ مَا تَكُونُ مُجَانَبَتُهُ خَيْرًا لَهُ * ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا كَرَسْمِ سَائِرِ ٱلْكُتُبِ ٱلَّتِي بِرَسْمِ ٱلْحِكْمَةِ فَصَارَ ٱلْحَيَوَانُ لَهْوًا وَمَا يَنْطِقُ بِهِ حِكَمًا وَأَدَبًا * فَلَمَّا ٱبْتَدَأَ بَيْدَبَا بِذَلِكَ جَعَلَ أَوَّلَ ٱلْكِتَابِ وَصْفَ ٱلصَّدِيقِ . كَيْفَ يَكُونُ ٱلصَّدِيقَانِ وَكَيْفَ تُقْطَعُ ٱلْمَوَدَّةُ ٱلثَّابِتَةُ بَيْنَهُمَا بِحِيلَةِ ذِي ٱلنَّمِيمَةِ(٧) . وَأَمَرَ تِلْمِيذَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى لِسَانِ بَيْدَبَا مِثْلَ مَا كَانَ ٱلْمَلِكُ شَرَطَهُ(٨) فِي أَنْ يَجْعَلَهُ لَهْوًا وَحِكْمَةً فَذَكَرَ بَيْدَبَا أَنَّ ٱلْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ ٱلنَّقَلَةِ أَفْسَدَهَا وَٱسْتَجْهَلَ حِكْمَتَهَا

---

(١) هيأ (٢) حجرة (٣) نصيب (٤) اي تمريناً (٥) اي حياته (٦) يحثه ويدعوه (٧) نقل الاحاديث بقصد الافساد (٨) اشترطه

فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتِلْمِيذُهُ يُعْمِلَانِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا سَأَلَهُ ٱلْمَلِكُ حَتَّى فَتَقَ[١] لَهُمَا ٱلْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ بَهِيمَتَيْنِ . فَوَقَعَ لَهُمَا مَوْضِعُ ٱللَّهْوِ وَٱلْهَزْلِ بِكَلَامِ ٱلْبَهَائِمِ وَكَانَتِ ٱلْحِكْمَةُ مَا نَطَقَا بِهِ . فَأَصْغَتِ ٱلْحُكَمَاءُ إِلَى حِكَمِهِ وَتَرَكُوا ٱلْبَهَائِمَ وَٱللَّهْوَ وَعَلِمُوا أَنَّهَا ٱلسَّبَبُ فِي ٱلَّذِي وُضِعَ لَهُمْ . وَمَالَتْ إِلَيْهِ ٱلْجُهَّالُ عَجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتَيْنِ وَلَمْ يَشُكُّوا فِي ذٰلِكَ وَٱتَّخَذُوهُ لَهْوًا وَتَرَكُوا مَعْنَى ٱلْكَلَامِ أَنْ يَفْهَمُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا ٱلْغَرَضَ ٱلَّذِي وُضِعَ لَهُ . لِأَنَّ ٱلْفَيْلَسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي ٱلْبَابِ ٱلْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ تَوَاصُلِ ٱلْإِخْوَانِ كَيْفَ تَتَأَكَّدُ ٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمْ عَلَى ٱلتَّحَفُّظِ مِنْ أَهْلِ ٱلسِّعَايَةِ[٢] وَٱلتَّحَرُّزِ مِمَّنْ يُوقِعُ ٱلْعَدَاوَةَ بَيْنَ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ لِيَجُرَّ بِذٰلِكَ نَفْعًا إِلَى نَفْسِهِ * فَلَمْ يَزَلْ بَيْدَبَا وَتِلْمِيذُهُ فِي ٱلْمَقْصُورَةِ حَتَّى ٱسْتَتَمَّ عَمَلَ ٱلْكِتَابِ فِي مُدَّةِ سَنَةٍ

فَلَمَّا تَمَّ ٱلْحَوْلُ[٣] أَنْفَذَ إِلَيْهِ ٱلْمَلِكُ أَنْ قَدْ جَاءَ ٱلْوَعْدُ فَمَاذَا صَنَعْتَ . فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ بَيْدَبَا إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ ٱلْمَلِكَ فَلْيَأْمُرْنِي بِحَمْلِهِ بَعْدَ أَنْ يَجْمَعَ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هٰذَا ٱلْكِتَابَ بِحَضْرَتِهِمْ[٤] . فَلَمَّا رَجَعَ ٱلرَّسُولُ إِلَى ٱلْمَلِكِ سُرَّ بِذٰلِكَ وَوَعَدَهُ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ * ثُمَّ نَادَى فِي أَقَاصِي بِلَادِ ٱلْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَةَ ٱلْكِتَابِ . فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُنْصَبَ لِبَيْدَبَا سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ وَكَرَاسِيُّ لِأَبْنَاءِ ٱلْمُلُوكِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُ . فَلَمَّا جَاءَهُ ٱلرَّسُولُ قَامَ فَلَبِسَ ٱلثِّيَابَ ٱلَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلَى ٱلْمُلُوكِ وَهِيَ ٱلْمُسُوحُ ٱلسُّودُ وَحَمَلَ ٱلْكِتَابَ تِلْمِيذُهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ وَثَبَ ٱلْخَلَائِقُ بِأَجْمَعِهِمْ وَقَامَ ٱلْمَلِكُ شَاكِرًا .

---

(١) اي كشف (٢) النميمة (٣) السنة (٤) حضورهم

فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ ٱلْمَلِكِ كَفَّرَ لَهُ وَسَجَدَ وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ: يَا بَيْدَبَا ٱرْفَعْ رَأْسَكَ فَإِنَّ هٰذَا يَوْمُ هَنَاءٍ وَفَرَحٍ وَسُرُورٍ وَأَمَرَهُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يَجْلِسَ. فَحِينَ جَلَسَ لِقِرَاءَةِ ٱلْكِتَابِ سَأَلَهُ ٱلْمَلِكُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْكِتَابِ وَإِلَى أَيِّ شَيْءٍ قَصَدَ فِيهِ. فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ فَٱزْدَادَ ٱلْمَلِكُ مِنْهُ تَعَجُّباً وَسُرُوراً. فَقَالَ لَهُ: يَا بَيْدَبَا مَا عَدَوْتَ[1] ٱلَّذِي فِي نَفْسِي وَهٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ فَٱطْلُبْ مَا شِئْتَ وَتَحَكَّمْ. فَدَعَا لَهُ بَيْدَبَا بِٱلسَّعَادَةِ وَطُولِ ٱلْجَدِّ[2] وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَمَّا ٱلْمَالُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. وَأَمَّا ٱلْكُسْوَةُ فَلَا أَخْتَارُ عَلَى لِبَاسِي هٰذَا شَيْئاً. وَلَسْتُ أُخْلِي[3] ٱلْمَلِكَ مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ ٱلْمَلِكُ يَا بَيْدَبَا مَا حَاجَتُكَ فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا[4] مَقْضِيَّةٌ. قَالَ يَأْمُرُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يُدَوَّنَ كِتَابِي هٰذَا كَمَا دَوَّنَ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ كُتُبَهُمْ. وَيَأْمُرُ بِٱلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فَيَتَنَاوَلَهُ أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ. فَٱلْمَلِكُ يَأْمُرُ أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِ ٱلْحِكْمَةِ. ثُمَّ دَعَا ٱلْمَلِكُ بِتَلَامِيذِهِ وَأَحْسَنَ لَهُمُ ٱلْجَوَائِزَ

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا مَلَكَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ وَكَانَ مُسْتَأْثِراً[5] بِٱلْكُتُبِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ ٱلْأَوَائِلِ وَقَعَ إِلَيْهِ[6] خَبَرُ ٱلْكِتَابِ. فَلَمْ يَقِرَّ قَرَارُهُ حَتَّى بَعَثَ بَرْزَوَيْهِ ٱلطَّبِيبَ وَتَلَطَّفَ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فَأَقَرَّهُ[7] فِي خَزَائِنِ فَارِسَ

---

(١) جاوزت (٢) بمعنى السعادة (٣) اي اعفيه (٤) عندنا (٥) منفرداً
(٦) اي بلغهُ (٧) اثبتهُ

# باب

## بعثة الملك كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز
## برزويه بن أزهر الطبيب إلى الهند
## في تحصيل هذا الكتاب

الحمد لله الذي بيده مفاتيح غيبه وإليه منتهى كل علم وغاية. الدال على الخير المسبب كل فضيلة. ألهم عباده كل ما يقربهم إليه من نوافل [1] الخيرات. ونوامي البركات. لما أمر الله تعالى عباده من العلم والحكمة إذ أمرهم بالشكر له ليستوجبوا بذلك المزيد منه ويسارعوا فيما يرضيه عنهم تبارك الله رب العالمين

وقد جعل الله لكل مسبب علة ولكل علة مجرى يجريها الله تعالى به على يد عبد من عبيده ويقدرها له على أيام دولته وأيام عمره. وذلك أن ما كان من علم انتساخ هذا الكتاب ونقله من أرض الهند إلى مملكة فارس إلهام ألهمه الله تعالى كسرى أنوشروان للبعث في نقله ونسخه. لأنه كان أكبر ملوك الفرس. وأكثرهم حكمة وأسدهم رأيا. وأرشدهم تدبيرا. وأحبهم للعلوم وأبحثهم عن مكامن [2] العلم والأدب وأحرصهم على الخير وتقربه إلى الله تعالى وإلى اقتناء ما يزينه بزينة

---

(١) جمع نافلة وهي ما يستحسن عمله ولا يجب (٢) مخابئ

ٱلحِكْمَةِ مِنْ طَالِبِي ٱلأَدَبِ وَٱلعِلْمِ فِي مَعْرِفَةِ ٱلخَيْرِ وَٱلشَّرِّ وَٱلنَّفْعِ وَٱلضَّرِّ وَٱلصَّدِيقِ وَٱلعَدُوِّ . وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِنُورِ ٱللهِ تَعَالَى فِي سِيَاسَتِهِ عَبِيدَهُ وَبِلَادَهُ لِإِقَامَةِ رَعِيَّتِهِ وَأُمُورِهِ * وَهُوَ ٱلمَلِكُ ٱلمُعَظَّمُ فِي قَوْمِهِ كِسْرَى ٱلمُتَزَيِّنُ بِزِينَةِ ٱلبَهَاءِ ٱلفَاضِلُ ٱلمَاجِدُ ٱلرَّشِيدُ ٱلسَّعِيدُ . ٱلَّذِي لَمْ يَعْدِلْهُ أَحَدٌ مِمَّنْ مَضَى قَبْلَهُ مِنْ مُلُوكِ ٱلفُرْسِ . ٱلنَّاقِدُ [١] ٱلبَصِيرُ ٱلكَامِلُ ٱلأَدَبِ ٱلمُعِينَةُ لَهُ نَفْسُهُ عَلَى ٱلنَّاسِ فُرُوعِ ٱلحِكَمِ . ٱلمُسْتَعِينُ بِنُورِ ٱلعَقْلِ وَجُودَةِ ٱلفِكْرِ . ٱلَّذِي ٱخْتَصَّهُ ٱللهُ تَعَالَى بِهَذِهِ ٱلنِّعْمَةِ ٱلسَّابِغَةِ [٢] حَتَّى أَذْعَنَتْ لَهُ ٱلرَّعِيَّةُ وَطَاعَتْ لِسُلْطَانِهِ ٱلبَرِيَّةُ . وَصَفَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَدَانَتْ [٣] لَهُ ٱلبِلَادُ وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلمُلُوكُ وَرَكَنَتْ إِلَى طَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ وَمُنَاصَحَتِهِ . وَذَٰلِكَ مِنْحَةٌ [٤] مِنَ ٱلخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا قَسَمَهَا لَهُ فِي دَوْلَتِهِ وَجَمَّلَهُ بِهَا فِي أَقْطَارِ مَمْلَكَتِهِ

فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي عُنْفُوَانِ [٥] دَوْلَتِهِ وَشَمْخِهَا [٦] وَعِزَّةِ مَمْلَكَتِهِ وَقَعْسِهَا [٧] إِذْ أَخْبَرَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ أَنَّ عِنْدَ بَعْضِ مُلُوكِ ٱلهِنْدِ فِي خَزَائِنِهِ كِتَابًا مِنْ تَآلِيفِ ٱلحُكَمَاءِ وَتَصَانِيفِ ٱلعُلَمَاءِ وَٱسْتِنْبَاطِ ٱلفُضَلَاءِ . وَقَدْ فُصِّلَتْ لَهُ غَرَائِبُ مِنْ عَجَائِبِهِ ٱلمَوْضُوعَةِ عَلَى أَفْوَاهِ ٱلبَهَائِمِ وَٱلطَّيْرِ وَٱلوَحْشِ وَٱلهَوَامِّ [٨] وَخَشَاشِ [٩] ٱلأَرْضِ . مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ٱلمُلُوكُ لِسِيَاسَةِ رَعِيَّتِهَا وَنِظَامِ أُمُورِ مَمَالِكِهَا وَتَدْبِيرِهَا . فَدَعَتْهُ ٱلحَاجَةُ إِلَى ٱقْتِنَاءِ هَٰذَا ٱلكِتَابِ لِكَمَالِ مُلْكِهِ وَأَنَّهُ بِعَدَمِهِ نَاقِصٌ وَبِتَحْصِيلِهِ كَامِلٌ وَبِٱتِّبَاعِهِ يَحْصُلُ عَلَى رِضَى ٱلخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا وَٱنْقِيَادِ ٱلمَخْلُوقِ لَهُ وَزَجْرِهِ [١٠] عَنِ ٱلمَعَاصِي ٱلَّتِي

---

(١) المميز (٢) اي الشاملة (٣) خضعت (٤) عطية (٥) معظم (٦) عظمتها (٧) منعتها وعزها (٨) ما يقتل من الحشرات (٩) الحشرات مطلقاً (١٠) نهيه

يَتَّبِعُهَا شِرَارُ[١] ٱلْخَلْقِ وَيَتَجَنَّبُهَا أَصْفَاهُمْ جَوْهَرًا وَأَجْوَدُهُمْ طَبْعًا وَأَنْبَغُهُمْ[٢] حَسَبًا[٣] * وَإِنَّهُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِ وَهَمَّ بِٱقْتِنَائِهِ وَنَسْخِهِ قَالَ فِي نَفْسِهِ: مَنْ لِهٰذَا ٱلْأَمْرِ ٱلْعَظِيمِ وَٱلْخَطْبِ[٤] ٱلْجَسِيمِ[٥] وَٱلْأَدَبِ ٱلنَّفِيسِ ٱلَّذِي بِهِ تَتَكَمَّلُ ٱلْفَضَائِلُ. وَلَمْ تَتَزَيَّنْ بِهِ مُلُوكُ ٱلْهِنْدِ دُونَ مُلُوكِ فَارِسَ. وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ مَشَقَّةً وَلَا صُعُوبَةً وَلَا مُخَاطَرَةً حَتَّى أَبْذُلَهَا فِي طَلَبِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ حَتَّى أَصِلَ إِلَى نَسْخِهِ وَٱقْتِنَائِهِ عَلَى تَرْتِيبِ مَنَافِعِهِ وَعَجَائِبِهِ مِنْ أَقْوَالِ ٱلْحُكَمَاءِ وَوَضْعِ ٱلْعُلَمَاءِ. لِيَقَعَ[٦] لَنَا ٱسْتِنْبَاطُهُ[٧] دُونَ سَائِرِ ٱلْمُلُوكِ مِنْ أَحَادِيثَ مُعْجِبَةٍ وَفَضَائِلَ مُحْكَمَةٍ[٨] يَكَادُ ٱلْعَقْلُ يَمُدُّ يَدًا إِلَى ٱجْتِنَاءِ ثَمَرِهَا وَيَفْتَحُ فَمًا لِلَذِيذِ مَذَاقِهَا وَيَتَعَلَّقُ بِوَثِيقِ[٩] حَبْلِهَا. إِذْ يَرُوضُ[١٠] ٱلنَّفْسَ بِٱلْعُدُولِ عَنْ مَسَاوِئِهَا وَيَعْدِلُ بِهَا عَنْ تَتَبُّعِ أَهْوَائِهَا

فَلَمَّا فَحَصَ كِسْرَى رَأْيَهُ ٱلسَّدِيدَ[١١] وَعَزْمَهُ ٱلرَّشِيدَ فِيمَا صَمَّمَ عَلَيْهِ وَهَمَّ بِهِ قَالَ: ٱلْأَمْرُ فِي ذٰلِكَ جَلِيلٌ وَٱلْخَطْبُ عَظِيمٌ وَٱلشُّقَّةُ[١٢] بَعِيدَةٌ وَٱلْمَسَافَةُ طَوِيلَةٌ شَاقَّةٌ[١٣]. وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ نَنْتَخِلَ[١٤] مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابَةِ أَصْلَبَهُمْ عُودًا[١٥] وَأَجْوَدَهُمْ عَزْمًا وَحَزْمًا[١٦]. وَهٰذَا يُوجَدُ إِمَّا فِي كُتَّابِ ٱلدِّيوَانِ وَإِمَّا فِي ٱلطِّبِّ ٱلْخَاصِّ. لِأَنَّ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَامَّ تَجْمَعُ مَسَالِكُهُمَا جَمِيعَ ٱلْفَضَائِلِ وَٱلْأَدَبِ وَفُنُونَ ٱلْعِلْمِ وَمَحْضَ[١٧] ٱلْحِكَمِ فِي أَنَاةٍ[١٨] وَتُؤَدَةٍ[١٩] وَبُلُوغَ ٱلْأَغْرَاضِ لِمُلُوكِهَا بِحُسْنِ ٱلْحِيَلِ وَجُودَةِ ٱلذِّهْنِ وَكَمَالِ ٱلْمُرُوءَةِ

---

(١) اشرار (٢) اظهرهم (٣) الحسب ما ينشئهُ الرجل لنفسهِ وما يرثه عن آبائهِ من المفاخر (٤) بمعنى الامر (٥) بمعنى العظيم (٦) يثبت (٧) استخراجه (٨) متقنة (٩) محكم متين (١٠) اي يثقف وجذب (١١) المصيب (١٢) السفر (١٣) صعبة (١٤) اي نختار (١٥) احذقهم طبعاً (١٦) ضبطاً لامره (١٧) خالص (١٨) حلم (١٩) تأنٍ

وَكِتْمَانِ ٱلسِّرِّ وَإِظْهَارِ أَضْدَادِهَا

فَلَمَّا تَمَّ عَزْمُهُ وَٱنْتَظَمَ سَأَلَ وُزَرَاءَهُ أَنْ يَتَقَدَّمُوا وَيَجْتَهِدُوا فِي تَطَلُّبِ رَجُلٍ كَامِلٍ عَالِمٍ أَدِيبٍ، قَدْ جَمَعَ ٱلْفَضَائِلَ بِحَذَافِيرِهَا [١] وَنُسِبَ إِلَى ٱلْكَمَالِ مِنْ أَهْلِ ٱلصِّنْفَيْنِ ٱلْمَذْكُورَيْنِ، إِمَامًا كَاتِبًا نِحْرِيرًا [٢] أَوْ طَبِيبًا فَيْلَسُوفًا مَاهِرًا قَدْ أَدَّبَتْهُ ٱلتَّجَارِبُ، عَارِفًا بِلِسَانِ ٱلْفَارِسِيَّةِ خَبِيرًا بِٱللُّغَةِ ٱلْهِنْدِيَّةِ، يَكْتُبُهُمَا جَمِيعًا، حَرِيصًا عَلَى ٱلْعِلْمِ مُجْتَهِدًا فِي ٱلْأَدَبِ مُوَاظِبًا عَلَى ٱلطِّبِّ أَوِ ٱلْفَلْسَفَةِ فَيَأْتُوهُ بِهِ * فَخَرَجَ أَهْلُ مَشُورَتِهِ وَوُزَرَاؤُهُ مُسْرِعِينَ. فَبَحَثُوا عَمَّنْ هٰذِهِ صِفَتُهُ فَوَجَدُوهُ وَظَفِرُوا بِهِ. فَإِذَا هُوَ شَابٌّ جَمِيلُ ٱلْوَجْهِ كَامِلُ ٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ ذُو حَسَبٍ وَصِنَاعَةٍ شَرِيفَةٍ يُعْرَفُ بِهَا وَهِيَ ٱلطِّبُّ. وَكَانَ مَاهِرًا فِي ٱلْفَارِسِيَّةِ وَٱلْهِنْدِيَّةِ. وَهُوَ بَرْزَوَيْهِ بْنُ أَزْهَرَ ٱلْفَيْلَسُوفُ وَكَانَ مِنْ فُضَلَاءِ أَطِبَّاءِ فَارِسَ. فَأُحْضِرَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ كِسْرَى فَخَرَّ سَاجِدًا وَعَفَّرَ [٣] وَجْهَهُ طَاعَةً لِلْمَلِكِ

فَشَرَحَ لَهُ ٱلْأَمْرَ بِحَضْرٍ مِنْ وُزَرَائِهِ وَخَوَاصِّهِ وَأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْحَكِيمُ ٱلْفَاضِلُ إِنِّي تَقَدَّمْتُ إِلَى وُزَرَاءِ دَوْلَتِي وَأَهْلِ نَصِيحَتِي أَنْ يَنْظُرُوا لِي رَجُلًا كَامِلَ ٱلْفَضْلِ قَدْ جَهَدَ نَفْسَهُ فِي طَلَبِ ٱلْعُلُومِ وَٱقْتِنَاءِ ٱلْفَضَائِلِ. كَاتِمًا لِأَسْرَارِ ٱلْمُلُوكِ أُطْلِعُهُ عَلَى مَا ٱنْطَوَى عَلَيْهِ ضَمِيرِي وَأُوصِلُهُ إِلَى مَكْنُونِ [٤] سِرِّي. فَيَأْخُذُ ذٰلِكَ بِقَبُولٍ وَإِقْبَالٍ وَسِيَاسَةٍ وَإِذْعَانٍ. وَيُظْهِرُ ٱلْخِدْمَةَ وَيَمْحَضُ [٥] ٱلْمِهْنَةَ [٦] وَيَبْذُلُ ٱلِٱجْتِهَادَ فِي بُلُوغِ ٱلْمَلِكِ مُنَاهُ وَأَمَلَهُ.

---

(١) بِأَسْرِهَا (٢) عَالِمًا مُتْقِنًا (٣) مَرَّغَ (٤) مَسْتُور (٥) يُخْلِص (٦) بِمَعْنَى الْخِدْمَة

وَيُمَيِّزُهُ عَلَى سَائِرِ مُلُوكِ ٱلدُّوَلِ لِيَصِلَ إِلَى مَطْلُوبِهِ . وَيُكَافَأُ عَلَى ذٰلِكَ بِمَا يَبْقَى فِي عَقِبِهِ (١) بَاذِلاً نَفْسَهُ فِيمَا لِسُلْطَانِهِ * وَقَدْ ذُكِرَ عَنْكَ فَضَائِلُ كَثِيرَةٌ وَحِكَمٌ شَرِيفَةٌ أَنْتَ بِفِرَاسَتِكَ (٢) أَهْلٌ لَهَا وَيَنْبُوعٌ تَصْدُرُ عَنْكَ . فَكُنْ عِنْدَ رَجَاءِ ٱلْوُزَرَاءِ وَٱلْأَصْفِيَاءِ فِيكَ (٣) وَأَنْزِلْ نَفْسَكَ هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ ٱلَّتِي تَخَيَّرْتَ (٤) لَهَا . وَأَنْفِقْ مِنْ سَعَةٍ (٥) وَتَسَبَّبْ بِأَسْبَابِ (٦) مَنْ صَفَا جَوْهَرُهُ وَطَابَ عُنْصُرُهُ (٧) وَٱرْتَفَعَ بِعِلْمِهِ وَحِلْمِهِ وَطَاعَةِ بَارِئِهِ بِطَاعَةِ سُلْطَانِهِ ٱلَّتِي أَمَرَ بِٱتِّبَاعِهَا وَنُهِيَ وَزُجِرَ عَنِ ٱلْخُرُوجِ عَنْهَا . فَإِنِّي قَدِ ٱخْتَرْتُكَ لِمَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلَى طَلَبِ ٱلْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ *وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابٍ بِٱلْهِنْدِ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُ . وَقَالَ لَهُ : تَجَهَّزْ فَإِنِّي مُرَحِّلُكَ إِلَى أَرْضِ ٱلْهِنْدِ . فَتَلَطَّفْ فِي ذٰلِكَ بِعَقْلِكَ وَحُسْنِ أَدَبِكَ وَنَافِذِ رَأْيِكَ لِٱسْتِخْرَاجِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ وَمِنْ قِبَلِ (٨) عُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ تَامًّا كَامِلاً مَكْتُوبًا بِٱلْفَارِسِيَّةِ فَتَسْتَفِيدُهُ أَنْتَ وَتُفِيدُنَا إِيَّاهُ . وَمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبِ ٱلْهِنْدِ مِمَّا لَيْسَ فِي خَزَائِنِنَا مِنْهُ شَيْءٌ فَٱحْمِلْهُ مَعَكَ . وَقَدْ أَمَرْنَا أَنْ يُطْلَقَ لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا تَخْتَارُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ . فَإِذَا نَفِدَ (٩) مَا تَسْتَصْحِبُهُ فَٱكْتُبْ إِلَيْنَا نُمِدَّكَ (١٠) بِٱلْمَالِ وَإِنْ كَثُرَتْ فِيهِ ٱلنَّفَقَةُ . فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي خَزَائِنِنَا مَبْذُولٌ لَكَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلُومِ وَهٰذَا ٱلْكِتَابِ . فَطِبْ نَفْسًا وَقَرَّ (١١) عَيْنًا وَعَجِّلْ فِي ذٰلِكَ وَلَا تُقَصِّرْ فِي طَلَبِ ٱلْعُلُومِ وَٱعْمَلْ عَلَى مَسِيرِكَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى

---

(١) ولده من بعده (٢) بصدق نظرك (٣) اي حقق املهم فيك (٤) اصطُفيت
(٥) اي توسع في انفاق المال (٦) اي توسل بوسائل (٧) اصله (٨) جهة
(٩) فرغ (١٠) نساعدك (١١) يكنى بقرة العين عن السرور والغبطة

قَالَ بَرْزَوَيْهِ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِشْتَ دَهْراً طَوِيلاً سَعِيداً . وَمَلَكْتَ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ فِي خَفْضٍ (١) وَدَعَةٍ (٢) مُؤَيَّداً مَنْصُوراً . إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِكَ وَسَهْمٌ مِنْ سِهَامِكَ فَلْيَرْمِ بِي ٱلْمَلِكُ حَيْثُ شَاءَ مِنَ ٱلْأَرْضِ . مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ ٱلْمَلِكُ أَدَامَ ٱللهُ أَيَّامَهُ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ أَنْ يَعْقِدَ لِي مَجْلِساً قَبْلَ سَفَرِي يَحْضُرُهُ ٱلْخَوَاصُّ لِيَعْلَمَ أَهْلُ ٱلطَّاعَةِ وَٱلْمَمْلَكَةِ مَا ٱسْتَخَصَّنِي بِهِ ٱلْمَلِكُ وَرَآنِي أَهْلاً لَهُ وَنَوَّهَ بِٱسْمِي (٣) . فَلْيَفْعَلْ ذٰلِكَ مُنْعِماً عَلَى ٱلْعَبْدِ ٱلطَّائِعِ *فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : يَا بَرْزَوَيْهِ قَدْ رَأَيْتُكَ لِذٰلِكَ أَهْلاً وَأَجَبْتُكَ إِلَى مَا طَلَبْتَ وَأَذِنْتُ لَكَ فِيمَا سَأَلْتَ . فَأَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكَ حَسَبَ مَا تَرَاهُ مُوَافِقاً لَكَ مُنَوِّهاً بِٱسْمِكَ . ثُمَّ خَرَجَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ فَرِحاً مَسْرُوراً . وَأَعَدَّ لَهُ ٱلْمَلِكُ يَوْماً أَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ لَهُ فِيهِ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ وَخَوَاصُّ أُمَرَاءِ دَوْلَتِهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُنْصَبَ لَهُ مِنْبَرٌ فَنُصِبَ وَرَقِيَ عَلَيْهِ بَرْزَوَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ بِرَحْمَتِهِ وَمَنَّ عَلَى عِبَادِهِ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ . وَرَزَقَهُمْ مِنَ ٱلْعَقْلِ مَا يَقْدِرُونَ بِهِ عَلَى إِصْلَاحِ مَعَايِشِهِمْ (٤) فِي ٱلدُّنْيَا وَيُدْرِكُونَ بِهِ ٱسْتِنْقَاذَ (٥) أَرْوَاحِهِمْ مِنَ ٱلْعَذَابِ فِي ٱلْآخِرَةِ . وَأَفْضَلُ مَا رَزَقَهُمُ ٱللهُ تَعَالَى وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِمِ ٱلْعَقْلُ ٱلَّذِي هُوَ ٱلدِّعَامَةُ لِجَمِيعِ ٱلْأَشْيَاءِ . وَٱلَّذِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى إِصْلَاحِ مَعِيشَتِهِ وَلَا إِحْرَازِ (٦) نَفْعٍ وَلَا دَفْعِ ضَرَرٍ إِلَّا بِفَيْضِهِ مِنَ ٱلْخَالِقِ ٱلْمُبْدِعِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْأَحَدِ . وَكَذٰلِكَ طَالِبُ ٱلْآخِرَةِ ٱلزَّاهِدُ ٱلْمُجْتَهِدُ فِي ٱلْعَمَلِ ٱلْمُنْجِي بِهِ نَفْسَهُ

---

(١) سعة عيش (٢) سكينة (٣) رفعه (٤) جمع معيشة (٥) انجاء
(٦) امتلاك

مِنْ عَمَايَةِ[١] ٱلضَّلَالِ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِتْمَامِ عَمَلِهِ وَإِكْمَالِهِ وَلَا يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا بِٱلْعَقْلِ ٱلَّذِي هُوَ ٱلسَّبَبُ ٱلْمُوصِلُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَٱلْمِفْتَاحُ لِكُلِّ سَعَادَةٍ وَٱلْمُبَلِّغُ إِلَى دَارِ ٱلْخُلُودِ. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى وَلَا بِغَيْرِهِ ٱكْتِفَاءٌ. وَٱلْعَقْلُ غَرِيزِيٌّ[٢] مَطْبُوعٌ وَيَتَزَايَدُ بِٱلتَّجَارِبِ وَٱلْأَدَبِ. وَغَرِيزَتُهُ مَكْنُونَةٌ فِي ٱلْإِنْسَانِ كَامِنَةٌ فِيهِ كُمُونَ ٱلنَّارِ فِي ٱلْحَجَرِ. فَإِنَّ ٱلنَّارَ طَبِيعَتُهَا فِيهِ كَامِنَةٌ لَا تَظْهَرُ وَلَا يُرَى ضَوْءُهَا حَتَّى يُظْهِرَهَا قَادِحٌ مِنْ غَيْرِهَا. فَإِذَا قَدَحَهَا ظَهَرَتْ طَبِيعَتُهَا بِضَوْئِهَا وَحَرِيقِهَا. وَكَذَلِكَ ٱلْعَقْلُ كَامِنٌ فِي ٱلْإِنْسَانِ لَا يَظْهَرُ حَتَّى يُظْهِرَهُ ٱلْأَدَبُ وَتَعْضُدَهُ[٣] ٱلتَّجَارِبُ. فَإِذَا ٱسْتَحْكَمَ[٤] كَانَ أَوْلَى بِٱلتَّجَارِبِ. لِأَنَّهُ هُوَ ٱلْمُقَوِّي لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَٱلْمُعِينُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ رَذِيلَةٍ[٥]. فَلَا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْعَقْلِ إِذَا مَنَّ ٱللهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِٱلْمُوَاظَبَةِ عَلَى طُرُقِ ٱلْأَدَبِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ. وَمَنْ رُزِقَ ٱلْعَقْلَ وَمُنَّ بِهِ عَلَيْهِ وَأُعِينَ عَلَى صِدْقِ قَرِيحَتِهِ بِٱلْأَدَبِ حَرَصَ عَلَى طَلَبِ سَعْدِ جَدِّهِ[٦] وَأَدْرَكَ فِي ٱلدُّنْيَا أَمَلَهُ وَحَازَ[٧] فِي ٱلْآخِرَةِ ثَوَابَ[٨] ٱلصَّالِحِينَ. فَٱلْعَقْلُ هُوَ ٱلْمُقَوِّي لِلْمَلِكِ عَلَى مُلْكِهِ فَإِنَّ ٱلسُّوقَةَ[٩] وَٱلْعَوَامَّ لَا يَصْلُحُونَ إِلَّا بِإِفَاضَةِ يَنْبُوعِ ٱلْعَدْلِ ٱلْفَائِضِ عَنِ ٱلْعَقْلِ لِأَنَّهُ سِيَاجُ ٱلدَّوْلَةِ

وَقَدْ رَزَقَ ٱللهُ مَلِكَنَا ٱلسَّعِيدَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانَ مِنَ ٱلْعَقْلِ أَفْضَلَ ٱلْحَظِّ وَأَجْزَلَهُ[١٠] وَمِنَ ٱلْعِلْمِ أَجْمَلَهُ وَأَكْمَلَهُ وَمِنَ ٱلْمَعْرِفَةِ بِٱلْأُمُورِ أَصْوَبَهَا. وَسَدَّدَهُ[١١] مِنَ ٱلْأَفْعَالِ إِلَى أَسَدِّهَا[١٢] وَمِنَ ٱلْبَحْثِ عَنِ ٱلْأُصُولِ وَٱلْفُرُوعِ

---

(١) ضد الهداية (٢) طبيعي (٣) تعينه (٤) تمكن (٥) ضد الفضيلة
(٦) عظمته (٧) نال (٨) اجر (٩) الرعية (١٠) اعظمه (١١) ارشده
(١٢) اصوبها

إِلَى أَنْفَعِهِ. وَبَلَغَهُ مِنْ فُنُونِ ٱخْتِلَافِ ٱلْعِلْمِ وَبُلُوغِ مَنْزِلَةِ ٱلْفَلْسَفَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكٌ قَطُّ مِنَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَهُ وَكَانَ هُوَ ٱلْقَابِلَ لِذَٰلِكَ بِجُودَةِ ٱلْمَادَّةِ ٱلْقَابِلَةِ لِٱنْطِبَاعِ ٱلصُّوَرِ. فَبَلَغَ بِذَٰلِكَ ٱلرُّتْبَةَ ٱلْقُصْوَى (١) فِي ٱلْفَضْلِ عَلَى مَنْ مَضَى مِنَ ٱلْمُلُوكِ قَبْلَهُ. حَتَّى كَانَ فِيمَا طَلَبَ وَبَحَثَ عَنْهُ وَسَمَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنَ ٱلْعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابٍ بِٱلْهِنْدِ مِنْ كُتُبِ فَلَاسِفَتِهَا وَعُلَمَائِهَا مَخْزُونٍ عِنْدَ مُلُوكِهِمْ. عِلْمَ أَنَّهُ أَصْلُ كُلِّ أَدَبٍ وَرَأْسُ كُلِّ عِلْمٍ وَٱلدَّلِيلُ عَلَى كُلِّ مَنْفَعَةٍ وَمِفْتَاحُ عَمَلِ ٱلْآخِرَةِ وَعِلْمِهَا وَمَعْرِفَةِ ٱلنَّجَاةِ مِنْ أَهْوَالِهَا. وَٱلْمُقَوِّي عَلَى جَمِيعِ ٱلْأُمُورِ وَٱلْمُعِينُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ فِي تَدْبِيرِهِمْ لِأُمُورِ مَمَالِكِهِمْ وَآدَابِ ٱلسُّوقَةِ فِيمَا يُرْضُونَ بِهِ مُلُوكَهُمْ وَيُصْلِحُونَ بِهِ مَعَايِشَهُمْ وَهُوَ كِتَابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ * فَلَمَّا تَيَقَّنَ مَا بَلَغَهُ عَنْ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَابِ وَكَشَفَ عَمَّا فِيهِ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ مِنْ تَقْوِيَةِ ٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ رَآنِي أَهْلًا لِذَٰلِكَ وَنَدَبَنِي إِلَى ٱسْتِخْرَاجِهِ وَٱللّٰهُ ٱلْمُوَفِّقُ وَٱلسَّلَامُ

فَعِنْدَ ذَٰلِكَ ظَهَرَ لِلْمَلِكِ عِلْمُهُ وَنَجَابَتُهُ (٢) وَشَهَامَتُهُ (٣) فَسُرَّ بِذَٰلِكَ سُرُورًا شَدِيدًا. ثُمَّ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذَٰلِكَ بِإِحْضَارِ ٱلْمُنَجِّمِينَ (٤) وَأَنْ يَتَخَيَّرُوا لَهُ يَوْمًا سَعِيدًا وَطَالِعًا (٥) صَالِحًا وَسَاعَةً مُبَارَكَةً لِيَتَوَجَّهَ فِيهَا. فَٱخْتَارُوا لَهُ يَوْمًا يَسِيرُ فِيهِ وَسَاعَةً صَالِحَةً يَخْرُجُ فِيهَا * فَسَارَ بَرْزَوَيْهِ بِطَالِعِ سَعْدٍ وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ ٱلْمَالِ عِشْرِينَ جِرَابًا. كُلُّ جِرَابٍ فِيهِ عَشَرَةُ آلَافِ دِينَارٍ وَتَوَجَّهَ جَادًّا

---

(١) مؤنث الاقصى بمعنى الأبعد (٢) النجابة الحذق وحسن القول والفعل
(٣) ذكاء فؤاده (٤) الذين ينظرون في النجوم بحسب مواقعها وسيرها (٥) اي ما يتفاءل به من السعد والنحس بطلوع الكواكب. والطالع عندهم جزء من منطقة البروج يكون على الافق الشرقي في وقت مخصوص

فِي طَلَبِ حَاجَتِهِ نَهَارًا وَلَيْلًا حَتَّى قَدِمَ بِلَادَ ٱلْهِنْدِ . فَجَعَلَ يَطُوفُ[١] بِبَابِ ٱلْمَلِكِ وَمَجَالِسِ ٱلسُّوقَةِ وَيُجَالِسُ ٱلْحُكَمَاءَ وَيَسْأَلُ عَنْ خَوَاصِّ ٱلْمَلِكِ وَٱلْأَشْرَافِ مِنْ جُلَسَائِهِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْفَلَاسِفَةِ . وَجَعَلَ يَغْشَاهُمْ[٢] فِي مَجَالِسِهِمْ وَيَتَلَقَّاهُمْ بِٱلتَّحِيَّةِ وَٱلسَّلَامِ ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِمَ بِلَادَهُمْ لِطَلَبِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلْبَحْثِ عَنْهُ وَرِيَاضَتِهِ[٣] بِهِ ، وَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فِيمَا يَطْلُبُ مِنْ ذٰلِكَ ، وَيَسْأَلُهُمْ بَذْلَ ٱلدُّعَاءِ لَهُ بِبُلُوغِ آمَالِهِ مَعَ شِدَّةِ كِتْمَانِهِ لِمَا قَدِمَ بِسَبَبِهِ وَدَفْنِهِ لِسِرِّهِ . فَلَمْ يَزَلْ كَذٰلِكَ زَمَانًا طَوِيلًا يَتَأَدَّبُ عَلَى عُلَمَاءِ ٱلْهِنْدِ بِمَا هُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِهِ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنْهُ شَيْئًا . وَهُوَ فِيمَا بَيْنَ ذٰلِكَ يَسْتُرُ بُغْيَتَهُ[٤] وَحَاجَتَهُ . وَفِي أَثْنَاءِ ذٰلِكَ يَبْحَثُ فِي مَطْلُوبِهِ بِحُنْكَةٍ[٥] وَسِيَاسَةٍ وَعِفَّةٍ وَنَزَاهَةٍ[٦] . وَٱتَّخَذَ فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ لِطُولِ مُقَامِهِ أَصْدِقَاءَ أَصْفِيَاءَ[٧] كَثِيرِينَ كُلُّهُمْ مِنْ أَهْلِ ٱلْهِنْدِ مِنَ ٱلْأَشْرَافِ وَٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْفَلَاسِفَةِ وَٱلسُّوقَةِ وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةٍ وَصِنَاعَةٍ

وَكَانَ قَدِ ٱتَّخَذَ مِنْ بَيْنِ أَصْدِقَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ رَجُلًا وَاحِدًا ٱصْطَفَاهُ لِسِرِّهِ وَٱخْتَصَّهُ لِمَشُورَتِهِ لِلَّذِي ظَهَرَ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَدَبِهِ وَحِكْمَتِهِ وَفَهْمِهِ وَكِتْمَانِهِ لِسِرِّ نَفْسِهِ وَلِمَا ٱسْتَبَانَ لَهُ مِنْ صِحَّةِ إِخَائِهِ[٨] . وَكَانَ يُشَاوِرُهُ فِي ٱلْأُمُورِ وَيَرْتَاحُ إِلَيْهِ[٩] فِي جَمِيعِ مَا أَهَمَّهُ . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكْتُمُ عَنْهُ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ حَتَّى يَبْلُوَهُ[١٠] وَيَخْتَبِرَهُ وَيَنْظُرَ هَلْ هُوَ أَهْلٌ أَنْ يُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّهِ . وَلَمْ يَزَلْ يَبْحَثُ عَنْهُ وَيَجْتَهِدُ فِي أَمْرِهِ حَتَّى وَثِقَ بِهِ

---

(١) يجول (٢) يأتيهم (٣) تهذيب اخلاقه (٤) مطلوبه (٥) اسم من حنكت السن الرجل اي جعلته حكيماً (٦) اي طهارة (٧) مخلصين (٨) اخوته (٩) تنبسط اليه نفسه (١٠) يجربهُ

وُثُوقَ ٱلْأَكْفَاءِ (١) بِٱلْأَكْفَاءِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ مَحَلٌّ لِكَشْفِ ٱلْأَسْرَارِ ٱلْجَلِيلَةِ ٱلْخَطِيرَةِ (٢)، وَأَنَّهُ مَأْمُونٌ عَلَى مَا يُسْتَوْدَعُ مِنْ ذٰلِكَ غَيْرُ خَائِنٍ صَدِيقٌ صَدْقٌ (٣) . ثُمَّ زَادَ لَهُ إِلْطَافًا (٤) وَبِهِ ٱحْتِفَاءً (٥) وَعَلَيْهِ حُنُوًّا إِلَى أَنْ حَضَرَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي رَجَا فِيهِ بُلُوغَ أُمْنِيَّتِهِ (٦) وَٱلظَّفَرَ بِحَاجَتِهِ . مَعَ طُولِ ٱلْغَيْبَةِ وَعِظَمِ ٱلنَّفَقَةِ فِي ٱسْتِلْطَافِ ٱلْإِخْوَانِ وَمُجَالَسَتِهِمْ عَلَى ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ

وَإِنَّهُ لَمَّا وَثِقَ بِصَدِيقِهِ ٱلْهِنْدِيِّ ٱلَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَأَنِسَ بِهِ وَسَبَرَ (٧) عَقْلَهُ وَٱطْمَأَنَّ إِلَيْهِ فِي سِرِّهِ قَالَ لَهُ يَوْمًا وَهُمَا خَالِيَانِ : يَا أَخِي مَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرِي فَوْقَ ٱلَّذِي كَتَمْتُكَ لِأَنَّكَ أَهْلٌ لِذٰلِكَ . فَٱعْلَمْ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ بِلَادَكُمْ . وَهُوَ غَيْرُ ٱلَّذِي يَظْهَرُ مِنِّي . وَٱلْعَاقِلُ يَكْتَفِي مِنَ ٱلرَّجُلِ بِٱلْعَلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ وَإِشَارَتِهِ . فَيَعْلَمُ بِذٰلِكَ سِرَّ نَفْسِهِ وَمَا يُضْمِرُهُ قَلْبُهُ . فَقَالَ لَهُ صَدِيقُهُ ٱلْهِنْدِيُّ : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بَدَأْتُكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا لَهُ جِئْتَ وَإِيَّاهُ تُرِيدُ وَإِلَيْهِ قَصَدْتَ وَأَنَّكَ تَكْتُمُ مَا تَطْلُبُهُ وَتُظْهِرُ غَيْرَهُ فَمَا خَفِيَ عَلَيَّ ذٰلِكَ مِنْكَ وَلَا ذَهَبَ عَنِّي مَا كَتَمْتَهُ . وَلٰكِنِّي لِرَغْبَتِي فِيكَ وَفِي إِخَائِكَ كَرِهْتُ أَنْ أُوَاجِهَكَ بِذٰلِكَ وَأُفَاجِئَكَ (٨) بِهِ . لِأَنِّي قَدْ ظَهَرَ لِي مَا تَكْتُمُ وَبَانَ لِي مَا أَنْتَ لَهُ مُخْفٍ . فَأَمَّا إِذْ قَدْ أَظْهَرْتَ ذٰلِكَ وَأَفْصَحْتَ (٩) بِهِ مِنْ نَفْسِكَ فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ سِرِّ حَاجَتِكَ ٱلَّتِي قَدِمْتَ بِسَبَبِهَا وَأَطَلْتَ مُقَامَكَ فِي طَلَبِهَا

وَذٰلِكَ أَنَّكَ إِنَّمَا وَطِئْتَ أَرْضَنَا وَقَدِمْتَ إِلَى بِلَادِنَا لِتَسْلُبَنَا كُنُوزَنَا ٱلنَّفِيسَةَ

---

(١) الامثال والنظراء (٢) الرفيعة (٣) كامل (٤) اكراماً (٥) مبالغة في الاكرام (٦) ما يتمناه (٧) اي امتحن (٨) اعاجلك (٩) اي بينت مرادك

فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ وَتُسَرَّ بِهَا مَلِكَكَ . وَكَانَ قُدُومُكَ إِلَيْنَا بِالْمَكْرِ وَمُصَادَقَتُكَ لَنَا بِالْخَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ وَمُوَاظَبَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ وَالتَّحَفُّظِ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ فِي الْكَلَامِ مَعَ طُولِ مُكْثِكَ (١) عِنْدَنَا عَلَى كَتْمِ أَمْرِكَ بِشَيْءٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى سَرِيرَتِكَ وَأُمُورِكَ ازْدَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ وَثِقَةً بِعَقْلِكَ وَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرَ فِي الرِّجَالِ رَجُلًا هُوَ أَرْصَنُ (٢) مِنْكَ عَقْلًا وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا وَلَا أَصْبَرُ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ . وَلَا أَكْتَمُ لِسِرِّهِ وَلَا سِيَّمَا فِي بِلَادٍ غُرْبَةٍ وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ وَعِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَنَهُمْ وَلَا شِيَمَهُمْ * وَإِنَّ عَقْلَ الرَّجُلِ لَيَبِينُ فِي خِصَالٍ ثَمَانٍ : الْأُولَى مِنْهَا الرِّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فَيَحْفَظَهَا . وَالثَّالِثَةُ طَاعَةُ الْمُلُوكِ وَالتَّحَرِّي (٣) لِمَا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سِرِّهِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلِعَ عَلَيْهِ صَدِيقَهُ . وَالْخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلِقَ (٤) اللِّسَانِ . وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسِرِّهِ وَلِسِرِّ غَيْرِهِ حَافِظًا . وَالسَّابِعَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِهِ قَادِرًا فَلَا يَتَكَلَّمَ إِلَّا بِمَا يَأْمَنُ تَبِعَتَهُ (٥) وَلَا يُطْلِعَ عَلَى سِرِّهِ إِلَّا الثِّقَاتِ . وَالثَّامِنَةُ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي الْمَحَافِلِ (٦) بِمَا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ

فَمَنِ اجْتَمَعَتْ فِيهِ هٰذِهِ الْخِصَالُ كَانَ هُوَ الدَّاعِيَ الْخَيْرَ إِلَى نَفْسِهِ . وَهٰذِهِ الْخِصَالُ كُلُّهَا قَدِ اجْتَمَعَتْ فِيكَ وَبَانَتْ لِي مِنْكَ . فَاللّٰهُ تَعَالَى يَحْفَظُكَ وَيُعِينُكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ وَيُظْفِرُكَ (٧) بِحَاجَتِكَ . لِأَنَّكَ إِنَّمَا صَادَقْتَنِي لِتَسْلُبَنِي عِلْمِي

---

(١) اقامتك (٢) اثبت واحكم (٣) تحرّي الامر توخّيه وتطلّبه
(٤) من الملق وهو الود واللطف (٥) عاقبته (٦) جمع محفل وهو مجتمع القوم
(٧) يجعلك ظافرًا

وَفَخْرِي . وَإِنَّكَ أَهلٌ لِأَنْ تُسْعِفَ بِحَاجَتِكَ وَتُشَفَّعَ [١] بِطَلِبَتِكَ وَتُعْطَى سُؤْلَكَ [٢] . وَلٰكِنَّ حَاجَتَكَ ٱلَّتِي تَطْلُبُ قَدْ أَرْهَبَتْ نَفْسِي وَأَدْخَلَتْ عَلَيَّ ٱلْفَرَقَ [٣] وَٱلْخَشْيَةَ * فَلَمَّا عَرَفَ بَرْزَوَيْهِ أَنَّ ٱلْهِنْدِيَّ قَدْ عَرَفَ أَنَّ مُصَادَقَتَهُ إِنَّمَا كَانَتْ مَكْرًا وَخَدِيعَةً . وَطَلَبَ حَاجَتَهُ فَلَمْ يَزْجُرْهُ وَلَمْ يَنْتَهِرْهُ بَلْ رَدَّ عَلَيْهِ رَدًّا لَيِّنًا كَرَدِّ ٱلْأَخِ عَلَى أَخِيهِ بِٱلتَّعَطُّفِ وَٱلرِّفْقِ وَثِقَ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ : إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّأْتُ كَلَامًا كَثِيرًا وَشَعَّبْتُ لَهُ شِعَابًا [٤] وَأَنْشَأْتُ لَهُ أُصُولًا وَطُرُقًا . فَلَمَّا ٱنْتَهَيْتُ فِيهِ إِلَى مَا بَادَهْتَنِي [٥] بِهِ مِنِ ٱطِّلَاعِكَ عَلَى أَمْرِي وَٱلَّذِي قَدِمْتُ لَهُ وَأَلْقَيْتَهُ إِلَيَّ مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ وَرَغْبَتِكَ فِيمَا أَلْقَيْتَ مِنَ ٱلْقَوْلِ ٱكْتَفَيْتُ بِٱلْيَسِيرِ مِنَ ٱلْخِطَابِ مَعَكَ عَمَّا كُنْتُ أَخْتَلِفُ فِيهِ . إِذْ عَرَفْتَ ٱلْكَثِيرَ مِنْ أُمُورِي بِٱلْقَلِيلِ مِنَ ٱلْكَلَامِ لِمَا قَسَمَ ٱللّٰهُ لَكَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ . فَكَفَيْتَنِي مَؤُونَةَ ٱلْكَلَامِ [٦] فَٱقْتَصَرْتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى ٱلْإِيجَازِ . وَرَأَيْتُ مِنْ إِسْعَافِكَ إِيَّايَ بِحَاجَتِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرَمِكَ وَحُسْنِ وَفَائِكَ . فَإِنَّ ٱلْكَلَامَ إِذَا أُلْقِيَ إِلَى ٱلْفَيْلَسُوفِ وَٱلسِّرَّ إِذَا ٱسْتُودِعَ ٱللَّبِيبَ ٱلْحَافِظَ فَقَدْ حُصِّنَ وَبَلَغَ بِهِ نِهَايَةَ أَمَلِ صَاحِبِهِ كَمَا يُحَصَّنُ ٱلشَّيْءُ ٱلنَّفِيسُ فِي ٱلْقِلَاعِ ٱلْحَصِينَةِ * فَقَالَ لَهُ ٱلْهِنْدِيُّ : لَا شَيْءَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْمَوَدَّةِ . وَمَنْ خَلَصَتْ مَوَدَّتُهُ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَخْلِطَهُ ٱلرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَذْخَرَ [٧] عَنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْتُمَهُ سِرًّا وَلَا يَمْنَعَهُ حَاجَتَهُ وَمُرَادَهُ إِنْ قَدَرَ عَلَى ذٰلِكَ . وَرَأْسُ ٱلْأَدَبِ حِفْظُ ٱلسِّرِّ . فَإِذَا كَانَ ٱلسِّرُّ عِنْدَ ٱلْأَمِينِ ٱلْكَتُومِ فَقَدِ ٱحْتُرِزَ [٨]

---

(١) تعان (٢) مسئولك (٣) الخوف (٤) اي فصلت له طرقاً (٥) فاجأتني (٦) اي اغنيتني عنه (٧) يخبأ (٨) حفظ

مِنَ ٱلتَّضْيِيعِ لِأَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ لَا يُتَكَلَّمَ بِهِ . وَلَا يُكْتَمُ سِرٌّ بَيْنَ ٱثْنَيْنِ قَدْ عَلِمَاهُ وَتَفَاوَضَا (١) فِيهِ وَلَا يَكُونُ سِرًّا لِأَنَّ ٱللِّسَانَيْنِ قَدْ تَكَلَّمَا بِهِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِٱلسِّرِّ ٱثْنَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةِ ٱلْوَاحِدِ أَوْ مِنْ جِهَةِ ٱلْآخَرِ . فَإِذَا صَارَ إِلَى ٱلثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ صَاحِبُهُ أَنْ يَجْحَدَهُ (٢) وَيُكَابِرَ (٣) فِيهِ . كَالْغَيْمِ إِذَا كَانَ مُتَقَطِّعًا فِي ٱلسَّمَاءِ فَقَالَ قَائِلٌ إِنَّ هٰذَا ٱلْغَيْمَ مُتَقَطِّعٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ

وَأَنَا فَقَدْ يُدَاخِلُنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ وَمُخَالَطَتِكَ مَعَ أُنْسِي بِقُرْبِكَ سُرُورٌ لَا يَعْدِلُهُ (٤) شَيْءٌ . وَهٰذَا ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي تَطْلُبُهُ مِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ ٱلَّتِي لَا تُكْتَمُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشُوَ (٥) وَيَظْهَرَ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ ٱلنَّاسُ . فَإِذَا فَشَا فَقَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَاكِي هَلَاكًا لَا أَقْدِرُ عَلَى ٱلْفِدَاءِ مِنْهُ بِٱلْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ . لِأَنَّ مَلِكَنَا فَظٌّ (٦) غَلِيظٌ يُعَاقِبُ عَلَى ٱلذَّنْبِ ٱلصَّغِيرِ أَشَدَّ ٱلْعِقَابِ فَكَيْفَ مِثْلُ هٰذَا ٱلذَّنْبِ ٱلْعَظِيمِ . وَإِذَا حَمَلَتْنِي ٱلْمَوَدَّةُ ٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَأَسْعَفْتُكَ بِحَاجَتِكَ لَمْ يَرُدَّ عِقَابَهُ عَنِّي شَيْءٌ * قَالَ بَرْزَوَيْهِ : إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتِ ٱلصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ وَأَعَانَهُ عَلَى ٱلْفَوْزِ (٧) . وَهٰذَا ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي قَدِمْتُ لَهُ لِمِثْلِكَ ذَخَرْتُهُ (٨) وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ . وَأَنَا وَاثِقٌ بِكَرَمِ طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ فِيهِ . وَإِنْ كُنْتَ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ مِنِّي مَا وَصَلَ مِنَ ٱلْمَشَقَّةِ فَأَنْعِمْ بِتَحَمُّلِ ذٰلِكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنِّي وَلَا تَخَافُ أَنْ أُبْدِيَهُ بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَلَدِكَ ٱلْمُطِيفِينَ بِكَ (٩) وَبِٱلْمَلِكِ أَنْ يَسْعَوْا بِكَ (١٠) إِلَيْهِ

---

(١) تشاركا (٢) ينكره (٣) ينازع ويعاند (٤) يساويه (٥) يشيع (٦) قاسٍ (٧) الظفر بالخير (٨) خبأتُهُ (٩) اي المحيطين بك (١٠) ينموا عليك

وَيُبَلِّغُوهُ ذٰلِكَ عَنْكَ. وَأَنَا أَرْجُو(١) أَنْ لَا يَشِيعَ شَيْءٌ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ لِأَنِّي أَنَا ظَاعِنٌ(٢) وَأَنْتَ مُقِيمٌ وَمَا أَقَمْتُ(٣) فَلَا ثَالِثَ بَيْنَنَا . فَتَعَاهَدَا عَلَى هٰذَا جَمِيعًا .

وَكَانَ ٱلْهِنْدِيُّ خَازِنُ ٱلْمَلِكِ . وَبِيَدِهِ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ فَأَجَابَهُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ ٱلْكُتُبِ وَسَلَّمَهَا إِلَيْهِ . فَأَكَبَّ(٤) عَلَى تَفْسِيرِهِ وَنَقْلِهِ مِنَ ٱللِّسَانِ ٱلْهِنْدِيِّ إِلَى ٱللِّسَانِ ٱلْفَارِسِيِّ وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ وَأَنْصَبَ(٥) بَدَنَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ وَجِلٌ(٦) فَزِعٌ مِنْ مَلِكِ ٱلْهِنْدِ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ أَنْ يَذْكُرَ ٱلْمَلِكُ ٱلْكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِفَهُ فِي خِزَانَتِهِ * فَلَمَّا فَرَغَ مِنِ ٱنْتِسَاخِ ٱلْكِتَابِ وَغَيْرِهِ مِمَّا أَرَادَ مِنْ سَائِرِ ٱلْكُتُبِ كَتَبَ إِلَى أَنُوشِرْوَانَ يُعْلِمُهُ بِذٰلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ ٱلْكِتَابُ سُرَّ سُرُورًا شَدِيدًا ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ ٱلْمَقَادِيرِ أَنْ تُنَغِّصَ(٧) عَلَيْهِ فَرَحَهُ وَيَنْتَقِضَ سُرُورُهُ . فَكَتَبَ إِلَى بَرْزَوَيْهِ يَأْمُرُهُ بِتَعْجِيلِ ٱلْقُدُومِ . فَسَارَ بَرْزَوَيْهِ مُتَوَجِّهًا نَحْوَ كِسْرَى

فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكُ مَا قَدْ مَسَّهُ مِنَ ٱلشُّحُوبِ(٨) وَٱلْإِعْيَاءِ(٩) قَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلنَّاصِحُ(١٠) ٱلَّذِي يَأْكُلُ ثَمَرَةَ مَا قَدْ غَرَسَ . أَبْشِرْ(١١) وَقَرَّ عَيْنًا فَإِنِّي مُشَرِّفُكَ وَبَالِغٌ بِكَ أَفْضَلَ دَرَجَةٍ . وَأَمَرَهُ أَنْ يُرِيحَ بَدَنَهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّامِنُ أَمَرَ ٱلْمَلِكُ بِإِحْضَارِ أَشْرَافِ مَمْلَكَتِهِ وَجَمِيعِ عُلَمَاءِ مِصْرِهِ(١٢) وَشُعَرَائِهِ وَٱلْخُطَبَاءِ . فَلَمَّا ٱجْتَمَعُوا أَحْضَرَ بَرْزَوَيْهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ

---

(١) آمل (٢) راحل (٣) اي مدة اقامتي (٤) اقبل (٥) اعيا (٦) خائف
(٧) تكدر (٨) تغير الهيئة (٩) شدة التعب (١٠) الخالص المودة
(١١) افرح (١٢) كورته وناحيته

وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْمَلِكِ وَجَلَسَ عَلَى مَرْتَبَةٍ أُعِدَّتْ لَهُ. ثُمَّ وَقَعَ(١) ٱلْكَلَامُ فِيمَا شَاهَدَهُ وَرَآهُ وَشَرَحَ قِصَّتَهُ وَحَالَهُ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا. فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ رِجَالِ ٱلدَّوْلَةِ وَقُوَّادِهَا وَأَهْلِ عُلُومِهَا عَلَى طَبَقَاتِهِمْ إِلَّا تَعَجَّبَ مِنْهُ وَمِنْ طُولِ طَرِيقِهِ وَحُسْنِ سِيرَتِهِ مَعَ صَدِيقِهِ. وَمَا وَفَى لَهُ بِهِ بِلَا عَهْدٍ(٢) مِنْهُ لَهُ وَلَا مُقَدِّمَةٍ(٣) تَقَدَّمَتْ بَيْنَهُمَا مِنْ إِفْشَاءِ سِرِّهِ لَهُ مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنِ ٱفْتِرَاقِ ٱلْأَدْيَانِ وَتَبَايُنِ(٤) ٱلْأَشْكَالِ وَمُنَافَرَةِ ٱلْمَذْهَبِ. وَٱسْتَعْظَمُوا مَا أَنْفَقَ عَلَى تَحْصِيلِ ذٰلِكَ وَعَظُمَ بَرْزَوَيْهِ فِي أَعْيُنِ ٱلْحَاضِرِينَ وَكَبُرَ قَدْرُهُ عِنْدَ مَلِكِهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ صَرَفَ مَنْ حَضَرَ وَٱنْصَرَفَ بَرْزَوَيْهِ. وَعَمَدَ ٱلْخُطَبَاءُ(٥) يَصْنَعُونَ مُقَدِّمَاتٍ تَصْلُحُ لِحُضُورِ ٱلْمَجْلِسِ وَتَأَهَّبُوا لِذٰلِكَ. وَعَقَدَ لَهُمُ ٱلْمَلِكُ مَجْلِساً وَحَضَرَ بَرْزَوَيْهِ وَخُطَبَاءُ ٱلدَّوْلَةِ وَٱلْوُزَرَاءُ وَفُصَحَاءُ ٱلْمَمْلَكَةِ وَأُحْضِرَ ٱلْكِتَابُ وَسَائِرُ(٦) ٱلْكُتُبِ. فَلَمَّا قُرِئَتِ ٱلْكُتُبُ وَسَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُلُومِ وَٱلْحِكَمِ وَسَائِرِ ٱلطَّرَائِفِ وَغَرَائِبِ ٱلْآدَابِ ٱسْتَبْشَرَ مَنْ حَضَرَ وَبَلَغَ ٱلْمَلِكُ أُمْنِيَّتَهُ. وَمَدَحُوا بَرْزَوَيْهِ وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ وَشَكَرُوهُ عَلَى مَا نَالَهُ مِنَ ٱلتَّعَبِ. فَأَمَرَ ٱلْمَلِكُ عِنْدَ ذٰلِكَ بِٱلدُّرِّ وَٱلْجَوْهَرِ وَٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَفُتِحَتْ خَزَائِنُ ٱلْكُسْوَةِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ جَمِيعَ ذٰلِكَ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَلِكَ أَلْبَسَهُ ٱلتَّاجَ وَأَجْلَسَهُ عَلَى سَرِيرِهِ تَشْرِيفاً لَهُ وَزِيَادَةً فِي إِجْلَالِهِ. وَلَمَّا تَمَّ لِبَرْزَوَيْهِ ذٰلِكَ خَرَّ سَاجِداً لِلْمَلِكِ وَقَالَ:

أَكْرَمَ ٱللّٰهُ ٱلْمَلِكَ بِأَفْضَلِ ٱلْكَرَامَاتِ بِزِيَادَتِهِ فِي دُنْيَاهُ وَأُخْرَاهُ.

---

(١) اي القى (٢) اي معرفة (٣) اي امر سابق (٤) تباعد (٥) أي قصدوا وشرعوا (٦) باقي

وَخَلَّدَ مُلْكَهُ وَثَبَّتَ وَطْأَتَهُ (١) وَشَيَّدَ (٢) مَبَانِيَ مَجْدِهِ . إِنَّ ٱللهَ وَلِيُّ ٱلْحَمْدِ (٣) قَدْ أَغْنَانِي عَنِ ٱلْمَالِ بِمَا بَلَغْتُ مِنَ ٱلرُّتْبَةِ ٱلْعَلِيَّةِ ٱلسَّنِيَّةِ وَٱلْبُغْيَةِ وَٱلْأُمْنِيَّةِ بِمَا رَزَقَنِي مِنْ تَشْرِيفِ مَلِكِ ٱلْمُلُوكِ لِلْعَبْدِ ٱلذَّلِيلِ . لٰكِنْ إِذْ كَلَّفَنِي ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسُرُّهُ فَأَنَا آخُذُ مِمَّا أَمَرَ لِي بِهِ ٱمْتِثَالًا لِأَمْرِهِ وَطَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ وَقَامَ فَأَخَذَ مِنْهَا تَخْتًا (٤) مِنْ طَرَائِفِ (٥) خُرَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ ٱلْمُلُوكِ * ثُمَّ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا مَنَحَهُ ٱللهُ تَعَالَى عَقْلًا وَافِرًا وَعِلْمًا رَاجِحًا وَخُلُقًا (٦) رَحْبًا (٧) وَدِينًا صُلْبًا (٨) وَنِيَّةً سَالِمَةً مِنَ ٱلْعَاهَاتِ (٩) فَلْيَشْكُرِ ٱلصَّانِعَ ٱلْأَزَلِيَّ سَرْمَدًا (١٠) عَلَى مَا وَهَبَهُ مِنْ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ ٱسْتِحْقَاقٍ يَسْتَحِقُّهُ وَلَا مُقَدِّمَةٍ سَبَقَتْ لَهُ . وَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا أُكْرِمَ وَجَبَ عَلَيْهِ ٱلشُّكْرُ وَإِنْ كَانَ قَدِ ٱسْتَوْجَبَهُ تَعَبًا وَمَشَقَّةً . وَأَمَّا أَنَا فَمَهْمَا لَقِيتُهُ مِنْ عَنَاءٍ (١١) وَتَعَبٍ لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ ٱلشَّرَفَ يَا أَهْلَ هٰذَا ٱلْبَيْتِ فَإِنِّي لَا أَزَالُ إِلَى هٰذَا ٱلْيَوْمِ تَابِعًا رِضَاكُمْ . أَرَى ٱلْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا وَٱلشَّاقَّ هَيِّنًا وَٱلنَّصَبَ (١٢) وَٱلْأَذَى سُرُورًا وَلَذَّةً . لِمَا أَعْلَمُ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضًى وَعِنْدَكُمْ قُرْبَةً (١٣) * وَلٰكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ حَاجَةً تُسْعِفُنِي بِهَا وَتُعْطِينِي فِيهَا سُؤْلِي . فَإِنَّ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ . قَالَ أَنُوشِرْوَانُ : قُلْ فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا مَقْضِيَّةٌ . فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ . وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارَكَتَنَا فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا وَلَمْ نَرْدُدْ طَلِبَتَكَ فَكَيْفَ مَا سِوَى ذٰلِكَ . فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمْ (١٤) . فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْذُولَةٌ

---

(١) اي مكن سلطته (٢) قوّى ورفع (٣) اي ربه (٤) وعاء تصان فيهِ الثياب (٥) جمع طريفة وهي الشيء المستحسن المعجب (٦) سجية وطبعاً (٧) واسعاً (٨) اي متيناً (٩) الآفات والعوارض (١٠) دائماً (١١) كد وجهد (١٢) التعب (١٣) قرباً في المنزلة (١٤) تتهيب

لَكَ * قَالَ بَرْزَوَيْهِ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ وَٱنْكِمَاشِي (١) فِي طَاعَتِكَ . فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي بَذْلُ مُهْجَتِي فِي رِضَاكَ . وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا وَاجِبًا عَلَى ٱلْمَلِكِ . وَلٰكِنْ لِكَرَمِهِ وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَدَ (٢) إِلَى مُجَازَاتِي وَخَصَّنِي وَأَهْلَ بَيْتِي بِعُلُوِّ ٱلْمَرْتَبَةِ وَرَفْعِ ٱلدَّرَجَةِ حَتَّى لَوْ قَدَرَ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَفَعَلَ . فَجَزَاهُ ٱللّٰهُ عَنَّا أَفْضَلَ ٱلْجَزَاءِ . قَالَ أَنُوشِرْوَانُ : أُذْكُرْ حَاجَتَكَ فَعَلَيَّ مَا يَسُرُّكَ . فَقَالَ بَرْزَوَيْهِ : حَاجَتِي أَنْ يَخْرُجَ أَمْرُ ٱلْمَلِكِ أَنْفَذَهُ (٣) ٱللّٰهُ تَعَالَى إِلَى ٱلْحَكِيمِ ٱلْفَاضِلِ ٱلرَّفِيعِ ٱلْمَقَامِ وَزِيرِهِ بُزُرْجُمْهَرَ بْنِ ٱلْبَخْتَكَانِ أَنْ يَنْظِمَ أَمْرِي فِي نُسْخَةِ وَيُبَوِّبَ ٱلْكِتَابَ (٤) وَيَجْعَلَ تِلْكَ ٱلنُّسْخَةَ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ أَمْرِي وَيَصِفُ حَالِي وَلَا يَدَعُ مِنَ ٱلْمُبَالَغَةِ فِي ذٰلِكَ أَقْصَى (٥) مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَيَأْمُرُهُ إِذَا فَرَغَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهُ أَوَّلَ ٱلْأَبْوَابِ ٱلَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ . فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا فَعَلَ ذٰلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ ٱلشَّرَفِ وَأَعْلَى ٱلْمَرَاتِبِ وَأَبْقَى لَنَا مَا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًا عَلَى ٱلْأَبَدِ حَيْثُمَا قُرِئَ هٰذَا ٱلْكِتَابُ

فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ وَٱلْعُظَمَاءُ مَقَالَتَهُ وَمَا سَمَتْ (٦) إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ مَحَبَّةِ إِبْقَاءِ ٱلذِّكْرِ عَجِبُوا مِنْ أَدَبِهِ وَحُسْنِ عَقْلِهِ وَكِبَرِ نَفْسِهِ وَٱسْتَحْسَنُوا طَلِبَتَهُ وَٱخْتِيَارَهُ . فَقَالَ كِسْرَى : حُبًّا وَكَرَامَةً يَا بَرْزَوَيْهِ . إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ تُسْعَفَ بِحَاجَتِكَ فَمَا أَقَلَّ مَا قَنِعْتَ بِهِ وَأَيْسَرَهُ عِنْدَنَا وَإِنْ كَانَ خَطَرُهُ (٧) عِنْدَكَ عَظِيمًا * ثُمَّ أَقْبَلَ أَنُوشِرْوَانُ عَلَى وَزِيرِهِ بُزُرْجُمْهَرَ فَقَالَ لَهُ : قَدْ عَرَفْتَ

---

(١) اسراعي (٢) قصد (٣) جعله نافذاً اي مطاعاً (٤) يقسمه الى ابواب
(٥) ابعد (٦) ارتفعت (٧) شرفه

مُنَاصَحَةَ بُرْزَوَيْهِ (١) لَنَا وَتَجَشُّمَهُ (٢) ٱلْمَخَاوِفَ وَٱلْمَهَالِكَ فِيمَا يُقَرِّبُهُ مِنَّا وَإِتْعَابَهُ بَدَنَهُ فِيمَا يَسُرُّنَا، وَمَا أَتَى إِلَيْنَا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ وَمَا أَفَادَنَا ٱللهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْأَدَبِ ٱلْبَاقِي لَنَا فَخْرُهُ، وَمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَزَائِنِنَا لِنَجْزِيَهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ فَلَمْ تَمِلْ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ. وَكَانَتْ بُغْيَتُهُ وَطَلِبَتُهُ مِنَّا أَمْرًا يَسِيرًا رَآهُ هُوَ ٱلثَّوَابَ مِنَّا لَهُ وَٱلْكَرَامَةَ ٱلْجَلِيلَةَ عِنْدَهُ. فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي ذٰلِكَ وَتُسْعِفَهُ بِحَاجَتِهِ وَطَلِبَتِهِ. وَٱعْلَمْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يَسُرُّنِي. وَلَا تَدَعْ شَيْئًا مِنَ ٱلِٱجْتِهَادِ وَٱلْمُبَالَغَةِ إِلَّا بَلَغْتَهُ وَإِنْ نَالَتْكَ (٣) فِيهِ مَشَقَّةٌ. وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا (٤) لِتِلْكَ ٱلْأَبْوَابِ ٱلَّتِي فِي ٱلْكِتَابِ وَتَذْكُرَ فِيهِ فَضْلَ بُرْزَوَيْهِ وَنَسَبَهُ وَحَسَبَهُ وَصِنَاعَتَهُ وَأَدَبَهُ. وَكَيْفَ كَانَ ٱبْتِدَاءُ أَمْرِهِ وَشَأْنِهِ وَتَنْسُبُهُ إِلَيْهِ. وَتَذْكُرَ فِيهِ بَعْثَتَهُ إِلَى بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فِي حَاجَتِنَا وَمَا أَفَدْنَا مِنَ ٱلْحِكَمِ عَلَى يَدِهِ مِنْ هُنَالِكَ وَشَرُفْنَا بِهِ وَفُضِّلْنَا عَلَى غَيْرِنَا. وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُ بَعْدَ قُدُومِهِ وَمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ فَلَمْ يَقْبَلْهُ. فَقُلْ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّقْرِيظِ (٥) وَٱلْإِطْنَابِ (٦) فِي مَدْحِهِ وَبَالِغْ فِي ذٰلِكَ أَفْضَلَ ٱلْمُبَالَغَةِ. وَٱجْتَهِدْ فِي ذٰلِكَ ٱجْتِهَادًا يَسُرُّ بُرْزَوَيْهِ وَأَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ. وَإِنَّهُ لَأَهْلٌ لِذٰلِكَ مِنْ قِبَلِي وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ وَمِنْ قِبَلِكَ أَيْضًا لِمَحَبَّتِكَ لِلْعُلُومِ. وَٱجْهَدْ أَنْ يَكُونَ غَرَضُ هٰذَا ٱلْكِتَابِ ٱلَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَفْضَلَ مِنْ أَغْرَاضِ تِلْكَ ٱلْأَبْوَابِ عِنْدَ ٱلْخَاصِّ وَٱلْعَامِّ وَأَشَدَّ مُشَاكَلَةً (٧) لِحَالِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ. فَإِنَّكَ أَسْعَدُ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ بِذٰلِكَ لِٱنْفِرَادِكَ

---

(١) معاملته ايانا بالنصح (٢) تكلّفه (٣) لحقتك (٤) مشابهاً (٥) المدح
(٦) المبالغة (٧) موافقة ومشابهة

بِهِ وَٱجْعَلْهُ أَوَّلَ ٱلْأَبْوَابِ . فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ وَوَضَعْتَهُ بِحَيْثُ رَسَمْتُ لَكَ[١] فَأَعْلِمْنِي لِأَجْمَعَ أَهْلَ ٱلْمَمْلَكَةِ وَتَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ فَيَظْهَرَ فَضْلُكَ وَٱجْتِهَادُكَ فِي مَحَبَّتِنَا فَيَكُونَ لَكَ بِذٰلِكَ فَخْرٌ

فَلَمَّا سَمِعَ بُزُرْجُمْهِرُ مَقَالَةَ ٱلْمَلِكِ خَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ : أَدَامَ ٱللّٰهُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْبَقَاءَ وَبَلَّغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ ٱلصَّالِحِينَ فِي ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَى . لَقَدْ شَرَّفْتَنِي فِي ذٰلِكَ شَرَفًا بَاقِيًا إِلَى ٱلْأَبَدِ . ثُمَّ خَرَجَ بُزُرْجُمْهِرُ مِنْ عِنْدِ ٱلْمَلِكِ فَوَصَفَ بَرْزَوَيْهِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَفَعَهُ[٢] أَبَوَاهُ إِلَى ٱلْمُؤَدِّبِ[٣] وَمُضِيِّهِ إِلَى بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْعَقَاقِيرِ[٤] وَٱلْأَدْوِيَةِ . وَكَيْفَ تَعَلَّمَ خُطُوطَهُمْ وَلُغَتَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُ أَنُوشِرْوَانُ إِلَى ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْكِتَابِ . وَلَمْ يَدَعْ مِنْ فَضَائِلِ بَرْزَوَيْهِ وَحِكْمَتِهِ وَخَلَائِقِهِ وَمَذْهَبِهِ أَمْرًا إِلَّا نَسَقَهُ[٥] وَأَتَى بِهِ بِأَجْوَدِ مَا يَكُونُ مِنَ ٱلشَّرْحِ . ثُمَّ أَعْلَمَ ٱلْمَلِكَ بِفَرَاغِهِ مِنْهُ . فَجَمَعَ أَنُوشِرْوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَأَدْخَلَهُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَ بُزُرْجُمْهِرَ بِقِرَاءَةِ ٱلْكِتَابِ وَبَرْزَوَيْهِ قَائِمٌ إِلَى جَانِبِ بُزُرْجُمْهِرَ . وَٱبْتَدَأَ بِوَصْفِ بَرْزَوَيْهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى آخِرِهِ . فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِمَا أَتَى بِهِ بُزُرْجُمْهِرُ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْعِلْمِ . ثُمَّ أَثْنَى ٱلْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ عَلَى بُزُرْجُمْهِرَ وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ وَأَمَرَ لَهُ ٱلْمَلِكُ بِمَالٍ جَزِيلٍ وَكُسْوَةٍ وَحُلًى[٦] وَأَوَانٍ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسْوَةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ ٱلْمُلُوكِ . ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ بَرْزَوَيْهِ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَأَقْبَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ وَقَالَ : أَدَامَ ٱللّٰهُ لَكَ ٱلْمُلْكَ وَٱلسَّعَادَةَ . فَقَدْ بَلَغْتَ بِي وَبِأَهْلِي غَايَةَ

---

(١) اي كما رسمت لك (٢) سلمهُ (٣) المعلم (٤) النباتات التي يداوى بها
(٥) نظمهُ (٦) جمع حلية وهي ما يتزين بهِ من المعادن المصوغة

اَلشَّرَفِ بِمَا أَمَرَتْ بِهِ بُزُرْجُمْهَرَ مِنْ صَنْعَةِ ٱلْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَإِبْقَاءِ ذِكْرِي ثُمَّ ٱنْصَرَفَ ٱلْجَمْعُ مَسْرُورِينَ مُبْتَهِجِينَ وَكَانَ يَوْماً لَا مِثَالَ لَهُ

# باب

## عَرْضِ ٱلْكِتَابِ

### لعبد الله بن المقفع معرب هذا الكتاب

هٰذَا كِتَابُ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ وَهُوَ مِمَّا وَضَعَتْهُ عُلَمَاءُ ٱلْهِنْدِ مِنَ ٱلْأَمْثَالِ وَٱلْأَحَادِيثِ ٱلَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا مِنَ ٱلْقَوْلِ فِي ٱلنَّحْوِ (١) ٱلَّذِي أَرَادُوا * وَلَمْ تَزَلِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَلْتَمِسُونَ أَنْ يُعْقَلَ (٢) عَنْهُمْ وَيَحْتَالُونَ لِذٰلِكَ بِصُنُوفِ ٱلْحِيَلِ وَيَبْتَغُونَ إِخْرَاجَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ ٱلْعِلَلِ (٣) فِي إِظْهَارِ مَا لَدَيْهِمْ مِنَ ٱلْعُلُومِ وَٱلْحِكَمِ حَتَّى كَانَ مِنْ تِلْكَ ٱلْعِلَلِ وَضْعُ هٰذَا ٱلْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلطَّيْرِ فَٱجْتَمَعَ لَهُمْ بِذٰلِكَ خِلَالٌ (٤) * أَمَّا هُمْ فَوَجَدُوا مُنْصَرَفاً (٥) فِي ٱلْقَوْلِ وَشِعَاباً (٦) يَأْخُذُونَ مِنْهَا وُجُوهاً يَسْلُكُونَ فِيهَا . وَأَمَّا ٱلْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْواً فَٱخْتَارَهُ ٱلْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ وَٱلْأَغْرَارُ (٧) لِلَهْوِهِ . وَٱلْمُتَعَلِّمُ مِنَ ٱلْأَحْدَاثِ (٨) نَاشِطٌ (٩) فِي حِفْظِ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ يُرْبَطُ فِي صَدْرِهِ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ

(١) القصد (٢) اي يؤخذ ويفهم (٣) الاسباب (٤) اي فضائل
(٥) مذهباً ينصرفون اليه (٦) اي طرقاً (٧) من لا تجربة لهم (٨) الصغار
(٩) مجتهد

ظَفِرَ مِنْ ذٰلِكَ بِمَكْتُوبٍ مَرْقُومٍ . وَكَانَ كَالرَّجُلِ ٱلَّذِي لَمَّا ٱسْتَكْمَلَ ٱلرُّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبَوَيْهِ قَدْ كَنَزَا لَهُ كُنُوزاً وَعَقَدَا لَهُ عُقَداً[١] ٱسْتَغْنَى بِهَا عَنِ ٱلْكَدْحِ[٢] فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ . فَأَغْنَاهُ[٣] مَا أَشْرَفَ[٤] عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ عَنِ ٱلْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ ٱلْأَدَبِ * فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ ٱلْوُجُوهَ ٱلَّتِي وُضِعَتْ لَهُ وَٱلرُّمُوزَ[٥] ٱلَّتِي رُمِزَتْ فِيهِ وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مُؤَلِّفُهُ فِيهِ عِنْدَ مَا نَسَبَهُ إِلَى ٱلْبَهَائِمِ وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ[٦] وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْأَوْضَاعِ ٱلَّتِي جَعَلَهَا أَمْثَالاً * فَإِنَّ قَارِئَهُ مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ لَمْ يَدْرِ مَا أُرِيدَ بِتِلْكَ ٱلْمَعَانِي وَلَا أَيَّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا وَلَا أَيَّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ مَا تَضَمَّنَهُ هٰذَا ٱلْكِتَابُ . وَإِنَّهُ إِنْ كَانَتْ غَايَتُهُ مِنْهُ ٱسْتِتْمَامَ قِرَاءَتِهِ وَٱلْبُلُوغَ إِلَى آخِرِهِ دُونَ تَفَهُّمِ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ

وَمَنِ ٱسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ ٱلْكُتُبِ وَقِرَاءَةِ ٱلْعُلُومِ مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ ٱلرَّوِيَّةِ فِيمَا يَقْرَؤُهُ كَانَ خَلِيقاً أَنْ لَا يُصِيبَهُ إِلَّا مَا أَصَابَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي زَعَمَتِ ٱلْعُلَمَاءُ أَنَّهُ ٱجْتَازَ بِبَعْضِ ٱلْمَفَاوِزِ[٧] فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثَارِ كَنْزٍ . فَجَعَلَ يَحْفِرُ وَيَطْلُبُ فَوَقَعَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَيْنٍ[٨] وَوَرِقٍ[٩] فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هٰذَا ٱلْمَالِ قَلِيلاً قَلِيلاً طَالَ عَلَيَّ وَقَطَعَنِي[١٠] ٱلْاِشْتِغَالُ بِنَقْلِهِ وَإِحْرَازِهِ[١١] عَنِ ٱللَّذَّةِ بِمَا أَصَبْتُ مِنْهُ . وَلٰكِنْ سَأَسْتَأْجِرُ أَقْوَاماً يَحْمِلُونَهُ إِلَى مَنْزِلِي

---

(١) ما يعتقده الانسان ملكاً له (٢) الكد والسعي (٣) الضمير للمتعلم
(٤) اي وصل (٥) الاشارات الخفية (٦) اي غير ناطق (٧) الفلوات لا ماء فيها (٨) نقود ذهبية (٩) نقود فضية (١٠) منعني (١١) حفظه

وَأَكُونُ أَنَا آخِرَهُمْ . وَلَا يَكُونُ بَقِيَ وَرَائِي شَيْءٌ يُشْغَلُ فِكْرِي بِنَقْلِهِ . وَأَكُونُ قَدِ ٱسْتَظْهَرْتُ (١) لِنَفْسِي فِي إِرَاحَةِ بَدَنِي عَنِ ٱلْكَدِّ بِيَسِيرِ أُجْرَةٍ أُعْطِيهَا لَهُمْ . ثُمَّ جَاءَ بِٱلْحَمَّالِينَ فَجَعَلَ يُحَمِّلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا يُطِيقُ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ هُوَ فَيَفُوزُ بِهِ (٢) حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْكَنْزِ شَيْءٌ ٱنْطَلَقَ خَلْفَهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنَ ٱلْمَالِ شَيْئًا لَا كَثِيرًا وَلَا قَلِيلًا . وَإِذَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ ٱلْحَمَّالِينَ قَدْ فَازَ بِمَا حَمَلَهُ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا ٱلْعَنَاءُ (٣) وَٱلتَّعَبُ لِأَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي آخِرِ أَمْرِهِ .

وَكَذٰلِكَ مَنْ قَرَأَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ وَلَمْ يَفْهَمْ مَا فِيهِ وَلَمْ يَعْلَمْ غَرَضَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا يَبْدُو لَهُ مِنْ خَطِّهِ وَنَقْشِهِ . كَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلًا قُدِّمَ لَهُ جَوْزٌ صَحِيحٌ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا أَنْ يَكْسِرَهُ وَيَسْتَخْرِجَ مَا فِيهِ * وَكَانَ أَيْضًا كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي طَلَبَ عِلْمَ ٱلْفَصِيحِ مِنْ كَلَامِ ٱلنَّاسِ . فَأَتَى صَدِيقًا لَهُ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ لَهُ عِلْمٌ بِٱلْفَصَاحَةِ فَأَعْلَمَهُ حَاجَتَهُ إِلَى عِلْمِ ٱلْفَصِيحِ . فَرَسَمَ لَهُ صَدِيقُهُ فِي صَحِيفَةٍ صَفْرَاءَ فَصِيحَ ٱلْكَلَامِ وَتَصَارِيفَهُ وَوُجُوهَهُ . فَٱنْصَرَفَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ فَجَعَلَ يُكْثِرُ قِرَاءَتَهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى مَعَانِيهَا وَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ مَا فِيهَا حَتَّى ٱسْتَظْهَرَهَا (٤) كُلَّهَا ، فَٱعْتَقَدَ أَنَّهُ قَدْ أَحَاطَ بِعِلْمِ مَا فِيهَا . ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَحْفِلٍ مِنْ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ وَٱلْأَدَبِ فَأَخَذَ فِي مُحَاوَرَتِهِمْ فَجَرَتْ لَهُ كَلِمَةٌ أَخْطَأَ فِيهَا . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ ٱلْجَمَاعَةِ : إِنَّكَ قَدْ أَخْطَأْتَ وَٱلْوَجْهُ غَيْرُ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ . فَقَالَ : كَيْفَ أُخْطِئُ وَقَدْ قَرَأْتُ ٱلصَّحِيفَةَ ٱلصَّفْرَاءَ وَهِيَ فِي مَنْزِلِي . فَكَانَتْ مَقَالَتُهُ هٰذِهِ أَوْجَبَ لِلْحُجَّةِ (٥) عَلَيْهِ وَزَادَهُ

---

(١) استعنت (٢) يستولي عليه (٣) المشقة (٤) حفظها غيباً (٥) الاحتجاج

ذٰلِكَ قُرْبًا مِنَ ٱلْجَهْلِ وَبُعْدًا مِنَ ٱلْأَدَبِ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْعَاقِلَ إِذَا فَهِمَ هٰذَا ٱلْكِتَابَ وَبَلَغَ نِهَايَةَ عِلْمِهِ فِيهِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا عَلِمَ مِنْهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَيَجْعَلَهُ مِثَالًا لَا يَحِيدُ عَنْهُ . فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ كَانَ مَثَلُهُ كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي زَعَمُوا أَنَّ سَارِقًا تَسَوَّرَ عَلَيْهِ [١] وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَنْزِلِهِ فَعَلِمَ بِهِ فَقَالَ : وَٱللّٰهِ لَأَسْكُتَنَّ حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ وَلَا أُذْعِرُهُ [٢] وَلَا أُعْلِمُهُ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ بِهِ . فَإِذَا بَلَغَ مُرَادَهُ قُمْتُ إِلَيْهِ فَنَغَّصْتُ [٣] ذٰلِكَ عَلَيْهِ . ثُمَّ إِنَّهُ أَمْسَكَ عَنْهُ وَجَعَلَ ٱلسَّارِقُ يَتَرَدَّدُ وَطَالَ تَرَدُّدُهُ فِي جَمْعِهِ مَا يَجِدُهُ . فَغَلَبَ ٱلرَّجُلَ ٱلنُّعَاسُ فَنَامَ وَفَرَغَ ٱللِّصُّ مِمَّا أَرَادَ وَأَمْكَنَهُ ٱلذَّهَابُ . وَٱسْتَيْقَظَ ٱلرَّجُلُ فَوَجَدَ ٱللِّصَّ قَدْ أَخَذَ ٱلْمَتَاعَ [٤] وَفَازَ بِهِ . فَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يَلُومُهَا وَعَرَفَ أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ بِٱللِّصِّ إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ فِي أَمْرِهِ مَا يَجِبُ

وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ٱلْعِلْمَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِٱلْعَمَلِ وَإِنَّ ٱلْعِلْمَ كَٱلشَّجَرَةِ وَٱلْعَمَلَ بِهِ كَٱلثَّمَرَةِ . وَإِنَّمَا صَاحِبُ ٱلْعِلْمِ يَقُومُ بِٱلْعَمَلِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَعْمِلْ مَا يَعْلَمُ فَلَيْسَ يُسَمَّى عَالِمًا . وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَالِمًا بِطَرِيقٍ مَخُوفٍ ثُمَّ سَلَكَهُ عَلَى عِلْمٍ بِهِ سُمِّيَ جَاهِلًا . وَلَعَلَّهُ إِنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ وَجَدَهَا قَدْ رَكِبَتْ أَهْوَاءً [٥] هَجَمَتْ بِهَا فِيمَا هُوَ أَعْرَفُ بِضَرَرِهَا فِيهِ وَأَذَاهَا . وَمَنْ رَكِبَ [٦] هَوَاهُ وَرَفَضَ أَنْ يَعْمَلَ بِمَا جَرَّبَهُ هُوَ أَوْ أَعْلَمَهُ بِهِ غَيْرُهُ كَانَ كَٱلْمَرِيضِ ٱلْعَالِمِ بِرَدِيءِ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَجَيِّدِهِ وَخَفِيفِهِ وَثَقِيلِهِ . ثُمَّ

---

(١) اي دخل عليه واثباً من سور بيته (٢) أخيفهُ (٣) كدرت (٤) كل ما ينتفع به من عروض الدنيا سوى الفضة والذهب (٥) جمع هوى وهو ميل النفس (٦) اي اتبع

يَحْمِلُهُ ٱلشَّرَهُ[1] عَلَى أَكْلِ رَدِيئِهِ وَتَرْكِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى ٱلنَّجَاةِ وَٱلتَّخَلُّصِ مِنْ عِلَّتِهِ . وَأَقَلُّ ٱلنَّاسِ عُذْرًا فِي ٱجْتِنَابِ مَحْمُودِ ٱلْأَفْعَالِ وَٱرْتِكَابِ مَذْمُومِهَا مَنْ أَبْصَرَ ذٰلِكَ وَمَيَّزَهُ وَعَرَفَ فَضْلَ بَعْضِهِ عَلَى بَعْضٍ . كَمَا أَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا بَصِيرٌ وَٱلْآخَرُ أَعْمَى سَاقَهُمَا ٱلْأَجَلُ[2] إِلَى حُفْرَةٍ فَوَقَعَا فِيهَا كَانَا إِذَا صَارَا فِي قَعْرِهَا بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ . غَيْرَ أَنَّ ٱلْبَصِيرَ أَقَلُّ عُذْرًا عِنْدَ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلضَّرِيرِ إِذْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَذَاكَ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ جَاهِلٌ غَيْرُ عَارِفٍ * وَعَلَى ٱلْعَالِمِ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ وَيُؤَدِّبَهَا بِعِلْمِهِ وَلَا تَكُونَ غَايَتُهُ ٱقْتِنَاءَهُ ٱلْعِلْمَ لِمُعَاوَنَةِ غَيْرِهِ وَنَفْعِهِ بِهِ وَحِرْمَانِ نَفْسِهِ مِنْهُ ، وَيَكُونَ كَٱلْعَيْنِ ٱلَّتِي يَشْرَبُ ٱلنَّاسُ مَاءَهَا وَلَيْسَ لَهَا فِي ذٰلِكَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْمَنْفَعَةِ ، وَكَدُودَةِ ٱلْقَزِّ ٱلَّتِي تُحْكِمُ صَنْعَتَهُ وَلَا تَنْتَفِعُ بِهِ . فَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ ٱلْعِلْمَ أَنْ يَبْدَأَ بِعِظَةِ[3] نَفْسِهِ وَيَتَعَهَّدَهَا[4] بِرِيَاضَتِهَا ثُمَّ عَلَيْهِ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنْ يَقْبِسَهُ[5] . فَإِنَّ خِلَالًا[6] يَنْبَغِي لِصَاحِبِ ٱلدُّنْيَا أَنْ يَقْتَنِيَهَا وَيَقْبِسَهَا . مِنْهَا ٱلْعِلْمُ وَٱلْمَالُ وَمِنْهَا ٱتِّخَاذُ ٱلْمَعْرُوفِ[7] . وَلَيْسَ لِلْعَالِمِ أَنْ يَعِيبَ ٱمْرَءًا بِشَيْءٍ فِيهِ مِثْلُهُ وَيَكُونَ كَٱلْأَعْمَى ٱلَّذِي يُعَيِّرُ ٱلْأَعْمَى بِعَمَاهُ . وَيَنْبَغِي لِمَنْ طَلَبَ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُ فِيهِ غَايَةٌ[8] وَنِهَايَةٌ يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَيَقِفُ عِنْدَهَا وَلَا يَتَمَادَى[9] فِي ٱلطَّلَبِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ مَنْ سَارَ إِلَى غَيْرِ غَايَةٍ فَيُوشِكُ أَنْ تَنْقَطِعَ[10] بِهِ مَطِيَّتُهُ[11] ، وَإِنَّهُ كَانَ حَقِيقًا أَلَّا[12] يُعَنِّيَ[13] نَفْسَهُ فِي طَلَبِ مَا لَا حَدَّ لَهُ وَمَا لَمْ يَنَلْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وَلَا يَتَأَسَّفَ عَلَيْهِ وَلَا يَكُونَ لِدُنْيَاهُ مُؤْثِرًا عَلَى

---

(١) شدة الحرص على الطعام (٢) اي انقضاء العمر (٣) وعظ (٤) يتفقدها (٥) يستفيده (٦) خصالًا (٧) اصطناعه مع الناس (٨) حدٌّ (٩) يلج ويداوم (١٠) تعجز عن السير (١١) دابته (١٢) ان لا (١٣) يتعب

آخِرَتِهِ . فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَعلق قَلْبُهُ بِٱلْغَايَاتِ[١] قَلَّتْ حَسْرَتُهُ عِنْدَ مُفَارَقَتِهَا * وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُمَا يَجْمُلَانِ[٢] بِكُلِّ أَحَدٍ : أَحَدُهُمَا ٱلنُّسْكُ وَٱلْآخَرُ ٱلْمَالُ ٱلْحَلَالُ . وَقَدْ يُقَالُ فِي أَمْرَيْنِ إِنَّهُمَا لَا يَجْمُلَانِ بِأَحَدٍ : ٱلْمَلِكُ أَنْ يُشَارَكَ فِي مُلْكِهِ وَٱلرَّجُلُ أَنْ يُشَارَكَ فِي خَاصَّتِهِ[٣] . وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَقْنَطَ[٤] وَيَيْأَسَ[٥] مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ وَفَضْلِهِ فِيمَا لَا يَنَالُهُ ، فَرُبَّمَا سَاقَ ٱلْقَدَرُ[٦] لَهُ رِزْقًا هَنِيئًا وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ لَا يَدْرِي بِهِ وَلَا يَعْلَمُ وَجْهَهُ

وَمِنْ أَمْثَالِ هٰذَا أَنَّ رَجُلًا كَانَ بِهِ فَاقَةٌ وَجُوعٌ وَعُرْيٌ . فَأَلْجَأَهُ[٧] ذٰلِكَ إِلَى أَنْ سَأَلَ بَعْضَ أَقَارِبِهِ وَأَصْدِقَائِهِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ[٨] يَعُودُ بِهِ عَلَيْهِ[٩] . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلِهِ إِذْ بَصُرَ بِسَارِقٍ[١٠] فِي ٱلْمَنْزِلِ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَٱللهِ مَا فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ أَخَافُ عَلَيْهِ فَلْيَجْهَدِ ٱلسَّارِقُ جُهْدَهُ[١١] . فَبَيْنَا ٱلسَّارِقُ يَجُولُ إِذْ وَقَعَتْ يَدُهُ عَلَى خَابِيَةٍ فِيهَا حِنْطَةٌ فَقَالَ ٱلسَّارِقُ : وَٱللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَكُونَ عَنَائِي ٱللَّيْلَةَ بَاطِلًا ، وَلَعَلِّي لَا أَصِلُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَلٰكِنْ سَأَحْمِلُ هٰذِهِ ٱلْحِنْطَةَ خَيْرٌ مِنَ ٱلرُّجُوعِ بِغَيْرِ شَيْءٍ . ثُمَّ بَسَطَ رِدَاءَهُ[١٢] لِيَصُبَّ عَلَيْهِ ٱلْحِنْطَةَ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ : يَذْهَبُ هٰذَا بِٱلْحِنْطَةِ وَلَيْسَ وَرَائِي سِوَاهَا ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيَّ مَعَ ٱلْعُرْيِ ذَهَابُ مَا كُنْتُ أَقْتَاتُ بِهِ . وَمَا تَجْتَمِعُ وَٱللهِ هَاتَانِ ٱلْخَلَّتَانِ[١٣] عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَهْلَكَتَاهُ . ثُمَّ صَاحَ بِٱلسَّارِقِ وَوَثَبَ إِلَيْهِ بِهِرَاوَةٍ[١٤] كَانَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلسَّارِقِ حِيلَةٌ

---

(١) المطالب (٢) يحسنان (٣) ما يختص به (٤) يقطع الامل (٥) بمعنى يقنط (٦) قضاء الله (٧) اضطره ودفعهُ (٨) زيادة عن حاجته (٩) اي يعده ويوسعهُ به (١٠) لمحه (١١) طاقته (١٢) ثوب يلبس فوق الثياب (١٣) الخلّة الفقر والحاجة (١٤) عصا ضخمة

إِلَّا ٱلْهَرَبَ مِنْهُ وَتَرَكَ رِدَاءَهُ وَنَجَا بِنَفْسِهِ وَغَدَا ٱلرَّجُلُ بِهِ كَاسِياً[١]

وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَرْكَنَ إِلَى مِثْلِ هٰذَا ٱلْمَثَلِ فَيَتَّكِلَ عَلَيْهِ وَيَدَعَ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلسَّعْيِ وَٱلْعَمَلِ لِصَلَاحِ مَعَاشِهِ، بَلْ أَنْ لَا يَأْلُوَ جُهْداً[٢] فِي ٱلطَّلَبِ عَلَى قَدْرِ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يَنْظُرَ إِلَى مَنْ تُوَاتِيهِ[٣] ٱلْمَقَادِيرُ وَتُسَاعِدُهُ عَلَى غَيْرِ ٱلْتِمَاسٍ مِنْهُ وَلَا حَرَكَةٍ. لِأَنَّ أُولٰئِكَ فِي ٱلنَّاسِ قَلِيلٌ. وَإِنَّمَا ٱلْجُمْهُورُ مِنْهُمْ مَنْ يَجْهَدُ نَفْسَهُ فِي ٱلْكَدِّ وَٱلسَّعْيِ فِيمَا يُصْلِحُ مِنْ أَمْرِهِ وَيَنَالُ بِهِ مَا يُرِيدُ * وَلْيَحْرِصْ أَنْ يَكُونَ مَكْسَبُهُ مِنْ أَطْيَبِ ٱلْمَكَاسِبِ وَأَفْضَلِهَا وَأَنْفَعِهَا لَهُ وَلِغَيْرِهِ مَعاً مَا أَمْكَنَ. وَلَا يَتَعَرَّضْ لِمَا يَجْلِبُ عَلَيْهِ ٱلْعَنَاءَ وَٱلشَّقَاءَ وَمَا يُعْقِبُهُ ٱلْهَمَّ وَٱلْغَمَّ. وَلْيَحْذَرْ أَنْ يُعَاوِدَ مَا أَصَابَهُ مِنْهُ ٱلضَّرَرُ. وَيَنْبَغِي لَهُ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يَحْذَرَ مِمَّا يُصِيبُ غَيْرَهُ مِنَ ٱلضَّرَرِ لِئَلَّا يُصِيبَهُ مِثْلُهُ فَيَكُونَ كَٱلْحَمَامَةِ ٱلَّتِي تُفْرِخُ ٱلْفِرَاخَ فَتُؤْخَذُ[٤] وَتُذْبَحُ ثُمَّ لَا يَمْنَعُهَا ذٰلِكَ مِنْ أَنْ تَعُودَ فَتُفْرِخَ مَوْضِعَهَا وَتُقِيمَ بِمَكَانِهَا، فَتُؤْخَذُ ٱلثَّانِيَةُ مِنْ فِرَاخِهَا فَتُذْبَحُ حَتَّى تُؤْخَذَ هِيَ أَيْضاً فَتُذْبَحَ

وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدّاً يُوقَفُ عَلَيْهِ. وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي ٱلْأَشْيَاءِ حَدَّهَا أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَهُ ٱلتَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِهَا. وَٱلْمُتَجَاوِزُ ٱلْحَدِّ وَٱلْمُقَصِّرُ عَنْهُ سِيَّانِ[٥] بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. لِأَنَّ كِلَيْهِمَا زَائِغٌ عَنْهُ فِي ٱلْحَالَيْنِ جَمِيعاً * وَيُقَالُ مَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ فَحَيَاتُهُ لَهُ وَعَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِدُنْيَاهُ خَاصَّةً فَحَيَاتُهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ لِآخِرَتِهِ فَحَيَاتُهُ لَهُ * وَيُقَالُ

---

(١) مكتسياً (٢) اي لا يقصر في الجهد وهو التعب والمشقة (٣) توافقه
(٤) اي الفراخ (٥) مثنى سي بمعنى مثل

فِي أَشْيَاءَ يَجِبُ عَلَى صَاحِبِ ٱلدُّنْيَا إِصْلَاحُهَا وَبَذْلُ جُهْدِهِ فِيهَا . مِنْهَا أَمْرُ دِينِهِ ، وَمِنْهَا أَمْرُ مَعِيشَتِهِ ، وَمِنْهَا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلنَّاسِ ، وَمِنْهَا مَا يُكْسِبُهُ ٱلذِّكْرَ ٱلْجَمِيلَ بَعْدَهُ * وَقَدْ قِيلَ فِي أُمُورٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ عَمَلٌ : مِنْهَا ٱلتَّوَانِي(١) وَمِنْهَا تَضْيِيعُ ٱلْفُرَصِ ، وَمِنْهَا ٱلتَّصْدِيقُ لِكُلِّ مُخْبِرٍ ، وَمِنْهَا ٱلتَّكْذِيبُ لِكُلِّ عَارِفٍ * وَرُبَّ مُخْبِرٍ بِشَيْءٍ عَقَلَهُ(٢) وَلَا يَعْرِفُ ٱسْتِقَامَتَهُ فَيُصَدِّقُهُ . وَٱلَّذِي يَفْعَلُ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ يُصَدِّقُ بِمَا جَرَّبَهُ غَيْرُهُ وَصَدَّقَهُ ، فَيُصَدِّقُهُ هُوَ وَيَتَمَادَى فِي ٱلتَّصْدِيقِ حَتَّى كَأَنَّمَا جَرَّبَهُ بِنَفْسِهِ ، وَرَجُلٌ يُصَدِّقُ بِٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي جَرَّبَهَا وَلٰكِنْ عَنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِحَقِيقَتِهَا ، وَرَجُلٌ تَلْتَبِسُ عَلَيْهِ ٱلْأُمُورُ فَيُصَدِّقُ بِهَا * وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ لِهَوَاهُ مُتَّهِمًا(٣) ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَدِيثًا ، وَلَا يَتَمَادَى فِي ٱلْخَطَاءِ إِذَا ٱلْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ ، وَلَا يَلِجَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ، وَلَا يُقْدِمَ عَلَيْهِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ ٱلصَّوَابُ فِيهِ وَتَسْتَوْضِحَ(٤) لَهُ ٱلْحَقِيقَةُ . وَلَا يَكُونَ كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَزِيغُ عَنِ ٱلطَّرِيقِ فَيَسْتَمِرُّ عَلَى ٱلضَّلَالِ فَلَا يَزْدَادُ فِي ٱلسَّيْرِ جُهْدًا إِلَّا ٱزْدَادَ عَنِ ٱلْقَصْدِ بُعْدًا . وَكَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي تَقْذَى عَيْنُهُ(٥) فَلَا يَزَالُ يَحُكُّهَا حَتَّى رُبَّمَا كَانَ ذٰلِكَ ٱلْحَكُّ سَبَبًا فِي ذَهَابِهَا * وَيَجِبُ عَلَى ٱلْعَاقِلِ أَنْ يُصَدِّقَ بِٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ وَيَعْلَمَ أَنَّ مَا كُتِبَ سَوْفَ يَكُونُ وَأَنَّ مَنْ أَتَى صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَقَدْ ظَلَمَ . وَيَأْخُذَ بِٱلْحَزْمِ فِي أُمُورِهِ وَيُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهَ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لَهَا ، فَلَا يَطْلُبَ أَمْرًا فِيهِ مَضَرَّةٌ لِغَيْرِهِ طَلَبًا لِصَلَاحِ نَفْسِهِ بِفَسَادِ غَيْرِهِ ، فَإِنَّ كُلَّ غَادِرٍ مَأْخُوذٌ

---

(١) التقصير في العمل (٢) ادركهُ بعقلهِ (٣) شاكًّا في صدقه (٤) تتضح

(٥) يصيبها قذى من غبار او نحوه

وَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ كَانَ خَلِيقاً أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ ٱلتَّاجِرَ مِنْ رَفِيقِهِ. فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَكَانَ لَهُ شَرِيكٌ، فَٱسْتَأْجَرَا حَانُوتاً[1] وَجَعَلَا مَتَاعَهُمَا[2] فِيهِ. وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَرِيبَ ٱلْمَنْزِلِ مِنَ ٱلْحَانُوتِ. فَأَضْمَرَ[3] فِي نَفْسِهِ أَنْ يَسْرِقَ عِدْلاً[4] مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَمَكَرَ ٱلْحِيلَةَ[5] فِي ذٰلِكَ وَقَالَ: إِنْ أَنَا أَتَيْتُ لَيْلاً لَمْ آمَنْ أَنْ أَحْمِلَ عِدْلاً مِنْ أَعْدَالِي أَوْ رِزْمَةً مِنْ رِزَمِي وَلَا أَعْرِفُهَا فَيَذْهَبَ عَنَائِي وَتَعَبِي بَاطِلاً. فَأَخَذَ رِدَاءَهُ[6] وَأَلْقَاهُ عَلَى ٱلْعِدْلِ ٱلَّذِي أَضْمَرَ أَخْذَهُ ثُمَّ ٱنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ. وَجَاءَ رَفِيقُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ لِيُصْلِحَ أَعْدَالَهُ فَقَالَ: وَٱللّٰهِ هٰذَا رِدَاءُ صَاحِبِي وَلَا أَحْسَبُهُ إِلَّا قَدْ نَسِيَهُ. وَمَا ٱلرَّأْيُ أَنْ أَدَعَهُ هٰهُنَا وَلٰكِنْ أَجْعَلُهُ عَلَى رِزَمِهِ فَلَعَلَّهُ يَسْتَبِقُنِي إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَيَجِدَهُ حَيْثُ يُحِبُّ. ثُمَّ أَخَذَ ٱلرِّدَاءَ فَأَلْقَاهُ عَلَى عِدْلٍ مِنْ أَعْدَالِ رَفِيقِهِ وَأَقْفَلَ ٱلْحَانُوتَ وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ. فَلَمَّا جَاءَ ٱللَّيْلُ أَتَى رَفِيقُهُ وَمَعَهُ رَجُلٌ قَدْ وَاطَأَهُ عَلَى مَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَضَمِنَ لَهُ جُعْلاً[7] عَلَى حَمْلِهِ. فَصَارَ إِلَى ٱلْحَانُوتِ فَتَحَسَّسَ[8] ٱلرِّدَاءَ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَتَلَمَّسَهُ[9] فَوَجَدَهُ عَلَى ٱلْعِدْلِ. فَٱحْتَمَلَ ذٰلِكَ ٱلْعِدْلَ وَأَخْرَجَهُ هُوَ وَٱلرَّجُلُ وَجَعَلَا يَتَرَاوَحَانِ فِي حَمْلِهِ[10] حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ وَرَمَى نَفْسَهُ تَعَباً. فَلَمَّا أَصْبَحَ ٱفْتَقَدَهُ فَإِذَا هُوَ بَعْضُ أَعْدَالِهِ فَنَدِمَ أَشَدَّ ٱلنَّدَامَةِ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ نَحْوَ ٱلْحَانُوتِ فَوَجَدَ شَرِيكَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ ٱلْحَانُوتَ وَفَقَدَ ٱلْعِدْلَ فَٱغْتَمَّ لِذٰلِكَ غَمّاً شَدِيداً وَقَالَ: وَاسَوْأَتَاهْ[11] مِنْ رَفِيقٍ صَالِحٍ قَدِ

---

(١) دكاناً (٢) اي بضاعتهما (٣) نوى (٤) الكيس الكبير فيه البضاعة (٥) اي اضمرها بالمكر (٦) ثوبه الـذي فوق ثيابه (٧) اجرة (٨) تطلبهُ بالحس (٩) تطلبهُ باللمس (١٠) يحمله هذا مرة وهـذا مرة (١١) السوءة الامر القبيح يريد واخجلتا

ٱئْتَمَنَنِي عَلَى مَالِهِ وَخَلَّفَنِي [١] فِيهِ . مَاذَا يَكُونُ حَالِي عِنْدَهُ . وَلَسْتُ أَشُكُّ فِي تُهْمَتِهِ إِيَّايَ وَلَكِنْ قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي [٢] عَلَى غَرَامَتِهِ . فَلَمَّا أَتَاهُ صَاحِبُهُ وَجَدَهُ مُغْتَمًّا فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : إِنِّي قَدِ ٱفْتَقَدْتُ ٱلْأَعْدَالَ وَفَقَدْتُ عِدْلًا مِنْ أَعْدَالِكَ وَلَا أَعْلَمُ بِسَبَبِهِ ، وَإِنِّي لَا أَشُكُّ فِي تُهْمَتِكَ إِيَّايَ . وَإِنِّي قَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى غَرَامَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : يَا أَخِي لَا تَغْتَمَّ فَإِنَّ ٱلْخِيَانَةَ شَرُّ مَا عَمِلَهُ ٱلْإِنْسَانُ ، وَٱلْمَكْرُ وَٱلْخَدِيعَةُ لَا يُؤَدِّيَانِ إِلَى خَيْرٍ ، وَصَاحِبُهُمَا مَغْرُورٌ أَبَدًا ، وَمَا عَادَ وَبَالُ [٣] ٱلْبَغْيِ [٤] إِلَّا عَلَى صَاحِبِهِ . وَأَنَا أَحَدُ مَنْ مَكَرَ وَخَدَعَ وَٱحْتَالَ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ رَفِيقُهُ : مَا مَثَلُكَ إِلَّا مَثَلُ ٱللِّصِّ وَٱلتَّاجِرِ . فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ : زَعَمُوا أَنَّ تَاجِرًا كَانَ لَهُ فِي مَنْزِلِهِ خَابِيَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَمْلُوءَةٌ حِنْطَةً وَٱلْأُخْرَى مَمْلُوءَةٌ ذَهَبًا . فَتَرَقَّبَهُ بَعْضُ ٱللُّصُوصِ زَمَانًا حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْضُ ٱلْأَيَّامِ تَشَاغَلَ ٱلتَّاجِرُ عَنِ ٱلْمَنْزِلِ ، فَتَغَفَّلَهُ [٥] ٱللِّصُّ وَدَخَلَ ٱلْمَنْزِلَ وَكَمَنَ فِي بَعْضِ نَوَاحِيهِ . فَلَمَّا هَمَّ بِأَخْذِ ٱلْخَابِيَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلدَّنَانِيرُ أَخَذَ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْحِنْطَةُ وَظَنَّهَا ٱلَّتِي فِيهَا ٱلذَّهَبُ . وَلَمْ يَزَلْ فِي كَدٍّ وَتَعَبٍ حَتَّى أَتَى بِهَا مَنْزِلَهُ ، فَلَمَّا فَتَحَهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ

قَالَ لَهُ ٱلْخَائِنُ : مَا أَبْعَدْتَ ٱلْمَثَلَ وَلَا تَجَاوَزْتَ ٱلْقِيَاسَ . وَقَدِ ٱعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطَإِي عَلَيْكَ . وَعَزِيزٌ [٦] عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هٰذَا كَهٰذَا . غَيْرَ أَنَّ

---

(١) استخلفني (٢) اي صممت (٣) اي سوء العاقبة (٤) الظلم
(٥) ترقب غفلته (٦) اي صعب

النفس الرديئة تأمر بالفحشاء [١] . فقبل الرجل معذرته وأضرب [٢] عن توبيخه وعن الثقة به، وندم هو عند ما عاين من سوء فعله وتقديم جهله [٣] .

وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا أن لا تكون غايته التصفح لتزاويقه [٤] ، بل يشرف على ما يتضمن من الأمثال حتى يأتي عليه [٥] إلى آخره، ويقف عند كل مثل وكلمة، ويعمل فيها رويته، ويكون مثل ثالث الإخوة الثلاثة الذين خلف لهم أبوهم المال الكثير فتنازعوه [٦] بينهم . فأما الاثنان الكبيران فإنهما أسرعا في إتلافه وإنفاقه في غير وجهه . وأما الصغير فإنه عند ما نظر ما صار إليه أخواه من إسرافهما [٧] وتخليهما [٨] من المال أقبل على نفسه يشاورها وقال : يا نفس إنما المال يطلبه صاحبه ويجمعه من كل وجه لبقاء حاله وصلاح معاشه ودنياه وشرف منزلته في أعين الناس، واستغنائه عما في أيديهم، وصرفه في وجهه من صلة الرحم [٩] ، والإنفاق على الولد والإفضال على الإخوان. فمن كان له مال ولا ينفقه في حقوقه كان كالذي يعد فقيراً وإن كان موسراً [١٠] . وإن هو أحسن إمساكه [١١] والقيام عليه لم يعدم الأمرين جميعاً من دنيا تبقى عليه وحمد يضاف إليه . ومتى قصد إنفاقه على غير الوجوه التي حدت [١٢] لم يلبث [١٣] أن يتلفه ويبقى على حسرة وندامة . ولكن الرأي أن أمسك هذا المال، فإني أرجو أن ينفعني الله به ويغني إخوتي على يدي، فإنما هو مال أبي ومال أبيهما . وإن أولى الإنفاق على صلة الرحم وإن بعدت، فكيف

---

(١) القبيح من الذنوب (٢) اعرض (٣) ما قدم منهُ (٤) اي النظر فيها
(٥) يتمهُ (٦) اي تقاسموه (٧) تبذيرهما (٨) تفرغهما (٩) القرابة
(١٠) غنياً (١١) ضبطهُ (١٢) اي رسمت وفرضت (١٣) يبطئ

بِإِخْوَتِي . فَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهُمَا وَشَاطَرَهُمَا مَالَهُ[١]

وَكَذٰلِكَ يَجِبُ عَلَى قَارِئِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ أَنْ يُدِيمَ ٱلنَّظَرَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ ضَجَرٍ ، وَيَلْتَمِسَ جَوَاهِرَ مَعَانِيهِ ، وَلَا يَظُنَّ أَنَّ نَتِيجَتَهُ إِنَّمَا هِيَ ٱلْإِخْبَارُ عَنْ حِيلَةِ بَهِيمَتَيْنِ أَوْ مُحَاوَرَةِ سَبُعٍ لِثَوْرٍ ، فَيَنْصَرِفَ بِذٰلِكَ عَنِ ٱلْغَرَضِ ٱلْمَقْصُودِ ، وَيَكُونَ مَثَلُهُ مَثَلَ ٱلصَّيَّادِ ٱلَّذِي كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْخُلُجِ[٢] يَصِيدُ فِيهِ ٱلسَّمَكَ فِي زَوْرَقٍ . فَرَأَى ذَاتَ يَوْمٍ فِي عَمِيقِ[٣] ٱلْمَاءِ صَدَفَةً تَتَلَأْلَأُ حُسْنًا فَتَوَهَّمَهَا جَوْهَرًا لَهُ قِيمَةٌ . وَكَانَ قَدْ أَلْقَى شَبَكَتَهُ فِي ٱلْبَحْرِ فَٱشْتَمَلَتْ عَلَى سَمَكَةٍ كَانَتْ قُوتَ يَوْمِهِ فَخَلَّاهَا وَقَذَفَ[٤] نَفْسَهُ فِي ٱلْمَاءِ لِيَأْخُذَ ٱلصَّدَفَةَ . فَلَمَّا أَخْرَجَهَا وَجَدَهَا فَارِغَةً لَا شَيْءَ فِيهَا مِمَّا ظَنَّ . فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ مَا فِي يَدِهِ لِلطَّمَعِ وَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَاتَهُ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلثَّانِي تَنَحَّى[٥] عَنْ ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ وَأَلْقَى شَبَكَتَهُ ، فَأَصَابَ حُوتًا صَغِيرًا وَرَأَى أَيْضًا صَدَفَةً سَنِيَّةً[٦] فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا وَسَاءَ ظَنُّهُ بِهَا فَتَرَكَهَا وَٱجْتَازَ[٧] بِهَا بَعْضُ ٱلصَّيَّادِينَ فَأَخَذَهَا فَوَجَدَ فِيهَا دُرَّةً تُسَاوِي أَمْوَالًا

وَكَذٰلِكَ ٱلْجُهَّالُ عَلَى إِغْفَالِ أَمْرِ ٱلتَّفَكُّرِ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ وَٱلِٱغْتِرَارِ بِهِ وَتَرْكِ ٱلْوُقُوفِ عَلَى أَسْرَارِ مَعَانِيهِ وَٱلْأَخْذِ بِظَاهِرِهِ[٨] دُونَ ٱلْأَخْذِ بِبَاطِنِهِ . وَمَنْ صَرَفَ هِمَّتَهُ إِلَى ٱلنَّظَرِ فِي أَبْوَابِ ٱلْهَزْلِ مِنْهُ فَهُوَ كَرَجُلٍ أَصَابَ أَرْضًا طَيِّبَةً حُرَّةً[٩] وَحَبًّا صَحِيحًا فَزَرَعَهَا وَسَقَاهَا ، حَتَّى إِذَا قَرُبَ خَيْرُهَا تَشَاغَلَ عَنْهَا بِجَمْعِ مَا فِيهَا مِنَ ٱلزَّهْرِ وَقَطْعِ ٱلشَّوْكِ ، فَأَهْلَكَ بِتَشَاغُلِهِ مَا كَانَ أَحْسَنَ

---

(١) اعطاهما شطره اي نصفهُ (٢) جمع خليج وهو النهر او جزء من البحر داخل في البرّ (٣) مسيل (٤) رمى (٥) اعتزل (٦) اي كريمة (٧) مرَّ (٨) اي الاعتماد عليه (٩) لا رمل فيها

فَائِدَةً وَأَجْمَلَ عَائِدَةً[١] * وَيَنْبَغِي لِلنَّاظِرِ فِي هٰذَا ٱلْكِتَابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْرَاضٍ : أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ ٱلْبَهَائِمِ غَيْرِ ٱلنَّاطِقَةِ مِنْ مُسَارَعَةِ أَهْلِ ٱلْهَزْلِ مِنَ ٱلشُّبَّانِ إِلَى قِرَاءَتِهِ فَتُسْتَمَالُ بِهِ قُلُوبُهُمْ . لِأَنَّ هٰذَا هُوَ ٱلْغَرَضُ بِٱلنَّوَادِرِ مِنْ حِيَلِ ٱلْحَيَوَانَاتِ . وَٱلثَّانِي إِظْهَارُ خَيَالَاتِ ٱلْحَيَوَانَاتِ بِصُنُوفِ ٱلْأَصْبَاغِ وَٱلْأَلْوَانِ لِيَكُونَ أُنْساً لِقُلُوبِ ٱلْمُلُوكِ وَيَكُونَ حِرْصُهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ لِلنُّزْهَةِ فِي تِلْكَ ٱلصُّوَرِ[٢] . وَٱلثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ فَيَتَّخِذَهُ ٱلْمُلُوكُ وَٱلسُّوقَةُ[٣] فَيَكْثُرَ بِذٰلِكَ ٱنْتِسَاخُهُ وَلَا يَبْطُلَ فَيَخْلَقَ[٤] عَلَى مُرُورِ ٱلْأَيَّامِ ، وَلِيَنْتَفِعَ بِذٰلِكَ ٱلْمُصَوِّرُ وَٱلنَّاسِخُ أَبَداً . وَٱلْغَرَضُ ٱلرَّابِعُ وَهُوَ ٱلْأَقْصَى مَخْصُوصٌ بِٱلْفَيْلَسُوفِ خَاصَّةً

قَالَ عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ ٱلْمُقَفَّعِ : لَمَّا رَأَيْتُ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ فَسَّرُوا هٰذَا ٱلْكِتَابَ مِنَ ٱلْهِنْدِيَّةِ إِلَى ٱلْفَارِسِيَّةِ ، وَأَلْحَقُوا بِهِ بَاباً وَهُوَ بَابُ بَرْزَوَيْهِ ٱلطَّبِيبِ ، وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ مَا ذَكَرْنَا فِي هٰذَا ٱلْبَابِ لِمَنْ أَرَادَ قِرَاءَتَهُ وَٱقْتِبَاسَ عُلُومِهِ وَفَوَائِدِهِ وَضَعْنَا لَهُ هٰذَا ٱلْبَابَ . فَتَأَمَّلْ ذٰلِكَ تُرْشَدْ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ تَعَالَى

(١) منفعة (٢) لانه كان ذا صور (٣) الرعية وقد مرّ (٤) اي فيبلى

# باب

## بَرْزَوَيهِ

### ٱبْزَرْجُمْهَرَ بْنِ ٱلْبَخْتَكَانِ

قَالَ بَرْزَوَيهِ بْنُ أَزْهَرَ رَأْسُ أَطِبَّاءِ فَارِسَ ، وَهُوَ ٱلَّذِي تَوَلَّى ٱنْتِسَاخَ هٰذَا ٱلْكِتَابِ وَتَرْجَمَهُ مِنْ كُتُبِ ٱلْهِنْدِ، وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ ذٰلِكَ مِنْ قَبْلُ : إِنَّ أَبِي كَانَ مِنَ ٱلْمُقَاتِلَةِ (١) وَكَانَتْ أُمِّي مِنْ عُظَمَاءِ بُيُوتِ ٱلزَّمَازِمَةِ (٢) ، وَكَانَ مَنْشَإِي فِي نِعْمَةٍ (٣) كَامِلَةٍ، وَكُنْتُ أَكْرَمَ وَلَدِ أَبَوَيَّ عَلَيْهِمَا ، وَكَانَا بِي أَشَدَّ ٱحْتِفَاظًا مِنْ دُونِ إِخْوَتِي، حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ سَبْعَ سِنِينَ أَسْلَمَانِي إِلَى ٱلْمُؤَدِّبِ . فَلَمَّا حَذَقْتُ ٱلْكِتَابَةَ (٤) شَكَرْتُ أَبَوَيَّ وَنَظَرْتُ فِي ٱلْعِلْمِ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا ٱبْتَدَأْتُ بِهِ وَحَرَصْتُ عَلَيْهِ عِلْمَ ٱلطِّبِّ، لِأَنِّي كُنْتُ عَرَفْتُ فَضْلَهُ . فَأَقَمْتُ فِي تَعَلُّمِهِ سَبْعَ سِنِينَ ، وَكُلَّمَا ٱزْدَدْتُ مِنْهُ عِلْمًا ٱزْدَدْتُ عَلَيْهِ حِرْصًا وَلَهُ ٱتِّبَاعًا حَتَّى أَحَطْتُ مِنْهُ بِعِلْمٍ وَافِرٍ وَقَدَرْتُ عَلَى غَوَامِضِهِ . فَلَمَّا هَمَّتْ نَفْسِي بِمُدَاوَاةِ ٱلْمَرْضَى وَعَزَمَتْ عَلَى ذٰلِكَ آمَرْتُهَا (٥) ثُمَّ خَيَّرْتُهَا بَيْنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْأَرْبَعَةِ ٱلَّتِي يَطْلُبُهَا ٱلنَّاسُ وَفِيهَا يَرْغَبُونَ وَلَهَا يَسْعَوْنَ . فَقُلْتُ : أَيَّ هٰذِهِ ٱلْخِلَالِ أَبْتَغِي فِي عِلْمِي وَأَيُّهَا أَحْرَى (٦) بِي فَأُدْرِكَ مِنْهُ حَاجَتِي . أَلْمَالُ أَمِ ٱلذِّكْرُ أَمِ ٱللَّذَّاتُ أَمِ ٱلْآخِرَةُ . وَكُنْتُ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ ٱلطِّبِّ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلْأَطِبَّاءِ مَنْ وَاظَبَ عَلَى طِبِّهِ لَا يَبْتَغِي إِلَّا أَجْرَ ٱلْآخِرَةِ . فَرَأَيْتُ أَنْ أَطْلُبَ ٱلْاشْتِغَالَ بِٱلطِّبِّ ٱبْتِغَاءَ

---

(١) اي المقاتلين (٢) طائفة معروفة عندهم (٣) اسم من التنعم وهو الترفه
(٤) تعلمتها ومهرت فيها (٥) شاورتها (٦) اولى

ٱلْآخِرَةِ وَرَجَاءَ أَجْرِ ٱلْمُنْقَلَبِ(١)، لَا أَبْتَغِي مُكَافَأَةَ ٱلدُّنْيَا وَلَا تَعْجِيلَهَا. لِئَلَّا أَكُونَ كَٱلتَّاجِرِ ٱلَّذِي بَاعَ يَاقُوتَةً ثَمِينَةً كَانَ يُصِيبُ بِثَمَنِهَا غِنَى ٱلدَّهْرِ بِخَرَزَةٍ لَا تُسَاوِي شَيْئًا. مَعَ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ فِي كُتُبِ ٱلْأَوَّلِينَ أَنَّ ٱلَّذِي يَبْتَغِي بِطِبِّهِ أَجْرَ ٱلْآخِرَةِ لَا يَنْقُصُهُ ذٰلِكَ حَظَّهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا، وَأَنَّ مَثَلَهُ مَثَلُ ٱلزَّارِعِ ٱلَّذِي يَبْذُرُ حَبَّهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَعْمُرُهَا(٢) ٱبْتِغَاءَ ٱلزَّرْعِ لَا ٱبْتِغَاءَ ٱلْعُشْبِ. ثُمَّ هِيَ لَا مَحَالَةَ(٣) نَابِتٌ فِيهَا أَلْوَانُ(٤) ٱلْعُشْبِ مَعَ نَاضِرِ(٥) ٱلزَّرْعِ. فَأَقْبَلْتُ عَلَى مُدَاوَاةِ ٱلْمَرْضَى ٱبْتِغَاءَ أَجْرِ ٱلْآخِرَةِ. فَلَمْ أَدَعْ مَرِيضًا أَرْجُو لَهُ ٱلْبُرْءَ وَآخَرَ لَا أَرْجُو لَهُ ذٰلِكَ، إِلَّا أَنِّي أَطْمَعُ أَنْ يَخِفَّ عَنْهُ بَعْضُ ٱلْمَرَضِ، إِلَّا بَالَغْتُ فِي مُدَاوَاتِهِ جُهْدِي. وَمَنْ قَدَرْتُ عَلَى ٱلْقِيَامِ عَلَيْهِ(٦) قُمْتُ عَلَيْهِ بِنَفْسِي، وَمَنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى ٱلْقِيَامِ عَلَيْهِ وَصَفْتُ لَهُ مَا يُصْلِحُ وَأَعْطَيْتُهُ مِنَ ٱلدَّوَاءِ مَا يَتَعَالَجُ بِهِ، وَأَمَرْتُهُ بِٱلَّذِي يَنْبَغِي وَلَمْ أُرِدْ مِمَّنْ فَعَلْتُ مَعَهُ ذٰلِكَ جَزَاءً وَلَا مُكَافَأَةً. وَلَمْ أَغْبِطْ أَحَدًا(٧) مِنْ نُظَرَائِي(٨) ٱلَّذِينَ هُمْ مِثْلِي فِي ٱلْعِلْمِ، وَلَا مَنْ هُمْ فَوْقِي فِي ٱلْجَاهِ وَٱلْمَالِ وَغَيْرِهِمَا، مِمَّا لَا يَعُودُ بِصَلَاحٍ وَلَا حُسْنِ سِيرَةٍ قَوْلًا وَلَا عَمَلًا

وَلَمَّا كَانَتْ نَفْسِي تَتُوقُ(٩) إِلَى ذٰلِكَ وَتُنَازِعُنِي(١٠) فِي أَنْ تَنَالَ مِثْلَ مَنَالِهِمْ كُنْتُ آبِي(١١) لَهَا إِلَّا ٱلْخُصُومَةَ وَأَقُولُ لَهَا: يَا نَفْسُ أَمَا تَعْرِفِينَ نَفْعَكِ مِنْ ضَرِّكِ. أَلَا تَنْتَهِينَ عَنْ طَلَبِ مَا لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ إِلَّا قَلَّ ٱنْتِفَاعُهُ بِهِ، وَكَثُرَ عَنَاؤُهُ فِيهِ، وَٱشْتَدَّتِ ٱلْمَؤُونَةُ(١٢) عَلَيْهِ، وَعَظُمَتِ ٱلْمَشَقَّةُ لَدَيْهِ بَعْدَ فِرَاقِهِ*

---

(١) العاقبة (٢) اي يصلحها (٣) لا بد (٤) انواع (٥) اي شديد الخضرة
(٦) ملازمته والقيام بشأنه (٧) اتمنى مثل حاله (٨) امثالي (٩) تشتاق
(١٠) تجاذبني (١١) لا اريد (١٢) الثقل والشدة

يا نفسِ أما تذكرينَ ما بعدَ هذهِ الدارِ فيُنسيكِ ما تشرهينَ إليهِ[١] منها. ألا تستحيينَ مِن مشاركةِ الفُجّارِ في حبِّ هذهِ العاجلةِ الفانيةِ التي مَن كانَ في يدِهِ منها شيءٌ فليسَ لَهُ وليسَ بباقٍ عليهِ، فلا يألفُها إلّا المغرورونَ الجاهلونَ * يا نفسِ انظري في أمرِكِ وانصرفي عن هذا السَّفَهِ[٢] وأقبلي بقوّتِكِ وسعيِكِ على تقديمِ الخيرِ وإيّاكِ والتسويفَ[٣]. واذكري أنَّ هذا الجسدَ موجودٌ لآفاتٍ وأنّهُ مملوءٌ أخلاطاً فاسدةً قذرةً متعاديةً متغالبةً تعقدُها الحياةُ والحياةُ إلى نفادٍ. كالصنمِ المفصّلةِ أعضاؤُهُ إذا رُكّبتْ ووُضعتْ جمعُها في مواضعِها مسمارٌ واحدٌ يُمسكُ بعضَها على بعضٍ. فإذا أخذَ ذلكَ المسمارُ تساقطتْ تلكَ الأوصالُ[٤] * يا نفسِ لا تغتري بصحبةِ أحبّائكِ وخلّانِكِ ولا تحرصي على ذلكَ كلَّ الحرصِ. فإنَّ صحبتَهم على ما فيها منَ البهجةِ والسرورِ كثيرةُ المؤونةِ والأذى وعاقبةُ ذلكَ الفراقُ. ومثلُها مثلُ المغرفةِ التي تُستعمَلُ في جدّتِها لسخونةِ المرقِ ولذعِهِ، فإذا قدمتْ صارتْ وقوداً في النارِ * يا نفسِ لا يحملنّكِ أهلُكِ وأقاربُكِ على جمعِ ما تهلكينَ فيهِ إرادةَ صلتِهم[٥]، فإذا أنتِ كالدخنةِ[٦] الأرجةِ[٧] التي تحترقُ ويذهبُ آخرونَ بريحِها * يا نفسِ لا تركني إلى هذهِ الدارِ الفانيةِ ولا تغتري بها طمعاً في البقاءِ والمنزلةِ التي ينظرُ إليها أهلُها. فكأيٍّ[٨] ممّن لا يُبصرُ صغرَ ما يستعظمُ وحقارتَهُ حتى يفارقَهُ. كشعرِ الرأسِ الذي يخدمُهُ صاحبُهُ ويكرمُهُ ما دامَ على رأسِهِ، فإذا فارقَ رأسَهُ

---

(١) اي تحرصين عليه حرصاً شديداً (٢) الجهل (٣) المطل (٤) الاعضاء
(٥) اي الاحسان اليهم (٦) نوع من الطيب (٧) ذات الارج وهو طيب الرائحة
(٨) فكم

ٱسْتَقْذَرَهُ(١) وَرَفَضَهُ * يَا نَفْسِ : لَا تَمَلِّي مِنْ عِيَادَةِ(٢) ٱلْمَرْضَى وَمُدَاوَاتِهِمْ وَٱعْتَبِرِي كَيْفَ يَجْهَدُ ٱلرَّجُلُ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْ مَضِيمٍ وَاجِدٍ(٣) كُرْبَةً(٤) وَاحِدَةً وَيَسْتَنْقِذَهُ مِنْهَا رَجَاءَ ٱلْأَجْرِ . فَكَيْفَ بِالطَّبِيبِ ٱلَّذِي يَفْعَلُ كَثِيرًا مِنْ ذٰلِكَ مَعَ كَثِيرِينَ . إِنَّ هٰذَا لَخَلِيقٌ أَنْ يَعْظُمَ رَجَاؤُهُ وَيُوثَقَ مِنْهُ بِحُسْنِ ٱلثَّوَابِ * يَا نَفْسِ : لَا يَبْعُدْ عَلَيْكِ أَمْرُ ٱلْآخِرَةِ فَتَمِيلِي إِلَى ٱلْعَاجِلَةِ فِي ٱسْتِعْجَالِ ٱلْقَلِيلِ(٥) وَبَيْعِ ٱلْكَثِيرِ بِالْيَسِيرِ . كَالتَّاجِرِ ٱلَّذِي كَانَ لَهُ مِلْءُ بَيْتٍ مِنَ ٱلصَّنْدَلِ(٦) فَقَالَ : إِنْ بِعْتُهُ وَزْنًا طَالَ عَلَيَّ فَبَاعَهُ جُزَافًا(٧) بِأَبْخَسِ ٱلثَّمَنِ . وَقَدْ وَجَدْتُ آرَاءَ ٱلنَّاسِ مُخْتَلِفَةً وَأَهْوَاءَهُمْ(٨) مُتَبَايِنَةً(٩) وَكُلٌّ عَلَى كُلٍّ عَادٍ(١٠) وَلَهُ عَدُوٌّ وَمُغْتَابٌ وَفِيهِ وَاقِعٌ(١١)

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ لَمْ أَجِدْ إِلَى مُتَابَعَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَبِيلًا وَعَرَفْتُ أَنِّي إِنْ صَدَّقْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ لَا عِلْمَ لِي بِحَالِهِ كُنْتُ فِي ذٰلِكَ كَالْمُصَدِّقِ ٱلْمَخْدُوعِ ٱلَّذِي زَعَمُوا فِيهِ أَنَّ سَارِقًا عَلَا ظَهْرَ بَيْتِ رَجُلٍ مِنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَٱسْتَيْقَظَ ٱلرَّجُلُ مِنْ وَطْئِهِمْ(١٢) فَأَيْقَظَ ٱمْرَأَتَهُ فَأَعْلَمَهَا بِذٰلِكَ وَقَالَ لَهَا : رُوَيْدًا(١٣) إِنِّي لَأَحْسَبُ ٱللُّصُوصَ عَلَوْا عَلَى ٱلْبَيْتِ . فَأَيْقِظِينِي بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ ٱللُّصُوصُ وَقُولِي : أَلَا تُخْبِرُنِي أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ عَنْ أَمْوَالِكَ هٰذِهِ ٱلْكَثِيرَةِ وَكُنُوزِكَ ٱلْعَظِيمَةِ مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهَا . فَإِذَا ٱمْتَنَعْتُ عَلَيْكِ فَأَلِحِّي عَلَيَّ فِي ٱلسُّؤَالِ وَٱسْتَحْلِفِينِي حَتَّى أَقُولَ لَكِ . فَفَعَلَتِ ٱلْمَرْأَةُ ذٰلِكَ وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا وَأَنْصَتَ(١٤) ٱللُّصُوصُ إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهِمَا . فَقَالَ لَهَا ٱلرَّجُلُ :

---

(١) وجده قذراً (٢) زيارة (٣) ذي ضيم أي ظلم وجهد (٤) حزناً (٥) طلب عجلته (٦) حب طيب الرائحة (٧) بلا وزن ولا كيل (٨) ميول نفوسهم (٩) متباعدة (١٠) ساطٍ وهاجم (١١) سابٌّ له (١٢) دوسهم (١٣) مهلاً (١٤) اصغت

أَيَّتُهَا ٱلْمَرْأَةُ قَدْ سَاقَكِ ٱلْقَدَرُ إِلَى رِزْقٍ وَاسِعٍ وَمَالٍ كَثِيرٍ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَلَا تَسْأَلِي عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكِ بِهِ لَمْ آمَنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ فَيَكُونَ فِي ذٰلِكَ مَا أَكْرَهُ وَتَكْرَهِينَ. فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ: أَخْبِرْنِي أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ فَلَعَمْرِي[1] مَا بِقُرْبِنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا. فَقَالَ لَهَا: فَإِنِّي مُخْبِرُكِ أَنِّي لَمْ أَجْمَعْ هٰذِهِ ٱلْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ ٱلسَّرِقَةِ. قَالَتْ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ وَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ وَأَنْتَ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْبَرَرَةِ[2] ٱلصَّلَاحِ. قَالَ ذٰلِكَ لِعِلْمٍ أَصَبْتُهُ فِي ٱلسَّرِقَةِ وَكَانَ ٱلْأَمْرُ عَلَيَّ يَسِيرًا وَأَنَا آمِنٌ مِنْ أَنْ يَتَّهِمَنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتَابَ بِي. قَالَتْ فَاذْكُرْ لِي ذٰلِكَ. قَالَ: كُنْتُ أَذْهَبُ فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلْمُقْمِرَةِ أَنَا وَأَصْحَابِي حَتَّى أَعْلُوَ دَارَ بَعْضِ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِثْلِنَا. فَأَنْتَهِي[3] إِلَى ٱلْكُوَّةِ[4] ٱلَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا ٱلضَّوْءُ. فَأَرْقِي[5] بِهٰذِهِ ٱلرُّقْيَةِ وَهِيَ شَوْلَمْ شَوْلَمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَأَعْتَنِقُ ٱلضَّوْءَ فَلَا يُحِسُّ بِوُقُوعِي أَحَدٌ. وَلَا يَبْقَى فِي ٱلْبَيْتِ شَيْءٌ إِلَّا أَتَانِي قَاصِدًا مُطِيعًا. فَلَا أَدَعُ مَالًا وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخَذْتُهُ. ثُمَّ أُعِيدُ ٱلْعَزِيمَةَ[6] أَيْضًا وَأَعْتَنِقُ ٱلضَّوْءَ فَيَجْذِبُنِي فَأَصْعَدُ إِلَى أَصْحَابِي فَنَمْضِي سَالِمِينَ آمِنِينَ * وَلَيْسَ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ جُرْأَةٌ[7] فَيُسَلِّمَ نَفْسَهُ إِلَى حِبَالِ ٱلضَّوْءِ وَيَتَعَلَّقَ بِهَا وَيَنْزِلَ عَلَيْهَا. فَٱكْتُمِي ذٰلِكَ وَإِيَّاكِ أَنْ تُعْلِمِيهِ لِأَحَدٍ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱللُّصُوصُ ذٰلِكَ قَالُوا قَدْ ظَفِرْنَا ٱللَّيْلَةَ بِمَا نُرِيدُ مِنَ ٱلْمَالِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ أَطَالُوا ٱلْمُكْثَ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ صَاحِبَ ٱلدَّارِ وَزَوْجَتَهُ قَدْ هَجَعَا[8]. وَكَانَتْ تِلْكَ ٱللَّيْلَةُ مُقْمِرَةً وَلِلْبَيْتِ كُوَّةٌ نَافِذٌ مِنْهَا ٱلضَّوْءُ. فَقَامَ قَائِدُهُمْ إِلَى مَدْخَلِ ٱلضَّوْءِ وَقَالَ:

---

(١) اي قسماً بعمري (٢) جمع بارّ (٣) اي فأصل (٤) خرقٌ في الحائط
(٥) من اعمال السحرة (٦) الرقية (٧) شجاعة واقدام (٨) ناما

شَوْلَمْ شَوْلَمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ ٱعْتَنَقَ ٱلضَّوْءَ لِيَنْزِلَ إِلَى أَرْضِ ٱلْمَنْزِلِ. فَوَقَعَ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ (١) مُنَكَّسًا (٢) فَوَثَبَ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ بِهِرَاوَتِهِ (٣) وَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ. قَالَ: أَنَا ٱلْمُصَدِّقُ ٱلْمَخْدُوعُ ٱلْمُغْتَرُّ بِمَا لَا يَكُونُ أَبَدًا وَهٰذِهِ ثَمَرَةُ رُقْيَتِكَ وَعَاقِبَةُ مَنْ يُصَدِّقُ كُلَّ مَا يَسْمَعُ

فَلَمَّا تَحَرَّزْتُ مِنْ تَصْدِيقِ مَا لَا يَكُونُ وَلَمْ آمَنْ إِنْ صَدَّقْتُهُ أَنْ يُوقِعَنِي فِي تَهْلُكَةٍ عُدْتُ إِلَى ٱلْبَحْثِ عَنِ ٱلْأَدْيَانِ وَٱلْتِمَاسِ ٱلْعَدْلِ (٤) مِنْهَا. فَلَمْ أَجِدْ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ كَلَّمْتُهُ جَوَابًا فِيمَا سَأَلْتُهُ عَنْهُ فِيهَا وَلَمْ أَرَ فِيمَا كَلَّمُونِي بِهِ شَيْئًا يَحِقُّ لِي فِي عَقْلِي أَنْ أُصَدِّقَ بِهِ وَلَا أَنْ أَتَّبِعَهُ. فَقُلْتُ لَمَّا لَمْ أَجِدْ ثِقَةً آخُذُ مِنْهُ فَالرَّأْيُ أَنْ أَلْزَمَ دِينَ آبَائِي وَأَجْدَادِي ٱلَّذِي وَجَدْتُهُمْ عَلَيْهِ وَهَمَمْتُ بِذٰلِكَ. ثُمَّ ٱلْتَمَسْتُ لِنَفْسِي مَخْرَجًا فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ مَنْ يَفْعَلُ هٰذَا مَعْذُورًا فَإِنَّ ٱلَّذِي يَجِدُ أَبَاهُ سَاحِرًا وَيَجْرِي عَلَى مِثَالِهِ يَكُونُ غَيْرَ مَلُومٍ مَعَ أَشْبَاهِ ذٰلِكَ مِمَّا لَا يَحْتَمِلُهُ ٱلْعَقْلُ. وَذَكَرْتُ فِي ذٰلِكَ قَوْلَ رَجُلٍ كَانَ فَاحِشَ ٱلْأَكْلِ فَعُوتِبَ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ: كَذٰلِكَ كَانَ أَكْلُ أَبِي وَجَدِّي * فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَلْتَمِسُ ٱلْعُذْرَ لِنَفْسِي فِي لُزُومِ دِينِ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ وَلَمْ أَجِدْ لَهَا عَلَى ٱلثُّبُوتِ عَلَى دِينِ ٱلْآبَاءِ طَاقَةً. بَلْ وَجَدْتُهَا تُرِيدُ أَنْ تَتَفَرَّغَ لِلْبَحْثِ عَنِ ٱلْأَدْيَانِ وَٱلْمَسْأَلَةِ عَنْهَا وَلِلنَّظَرِ فِيهَا. هَجَسَ (٥) فِي قَلْبِي وَخَطَرَ عَلَى بَالِي قُرْبُ ٱلْأَجَلِ وَسُرْعَةُ ٱنْقِطَاعِ ٱلدُّنْيَا وَٱعْتِبَاطُ (٦) أَهْلِهَا وَتَخَرُّمُ (٧) ٱلدَّهْرِ حَيَاتَهُمْ فَفَكَّرْتُ فِي ذٰلِكَ وَقُلْتُ: أَمَّا أَنَا فَلَعَلِّي قَدْ قَرُبَ أَجَلِي وَحَانَتْ نُقْلَتِي (٨) وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُ

---

(١) دماغه (٢) منقلباً (٣) عصاه الضخمة (٤) العادل (٥) بمعنى خطر (٦) يقال اعتبط الموت فلاناً اي أخذه بلا علة (٧) استئصال (٨) أي قرب انتقالي من هذه الدنيا

أُمورًا مَحْمُودَةً أَرْجو أَنْ تَكُونَ أَصلَحَ ٱلْأَعْمالِ . وَلَعَلَّ تَرَدُّدِي شَغَلَني عَنْ خَيْرٍ كُنْتُ أَعْمَلُهُ فَيَكُونَ أَجَلِي دُونَ مَا تَطْمَحُ (١) إِلَيْهِ نَفْسِي وَيَطْلُبُهُ أَمَلِي وَيُصِيبَنِي مَا أَصَابَ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ تَوَاطَأَ (٢) مَعَ خَادِمٍ فِي بَيْتٍ لِأَحَدِ ٱلْأَغْنِيَاءِ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ ٱلْبَيْتَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يَغِيبُ أَهْلُهُ . فَيَجْمَعَ لَهُ ٱلْخَادِمُ مِمَّا فِي ٱلْبَيْتِ فَيَذْهَبَ بِهِ وَيَبِيعَهُ وَيَتَشَاطَرَا ثَمَنَهُ . فَٱتَّفَقَ ذَاتَ لَيْلَةٍ أَنْ غَابَ أَهْلُ ٱلْبَيْتِ وَبَقِيَ ٱلْخَادِمُ وَحْدَهُ . فَأَنْفَذَ فَأَخْبَرَ صَاحِبَهُ فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ ٱلْبَيْتَ وَأَخَذَا فِي ٱلْجَمْعِ مِمَّا فِيهِ وَبَيْنَا (٣) هُمَا يَجْمَعَانِ إِذْ قُرِعَ ٱلْبَابُ وَكَانَ لِلْبَيْتِ بَابٌ آخَرُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ ٱلرَّجُلُ وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْبَابُ عِنْدَ جُبِّ (٤) ٱلْمَاءِ . فَقَالَ ٱلْخَادِمُ لِلرَّجُلِ عَلَى عَجَلٍ مِنْهُ وَخِيفَةٍ : بَادِرِ ٱخْرُجْ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلَّذِي عِنْدَ جُبِّ ٱلْمَاءِ وَأَشَارَ لَهُ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَٱنْطَلَقَ ٱلرَّجُلُ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ فَوَجَدَ ٱلْبَابَ وَلٰكِنْ لَمْ يَجِدْ جُبَّ ٱلْمَاءِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ . أَمَّا ٱلْبَابُ فَوَجَدْتُهُ وَأَمَّا ٱلْجُبُّ فَلَمْ أَجِدْهُ : فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْمَائِقُ (٥) وَمَا تَصْنَعُ بِٱلْجُبِّ أَنَا دَلَلْتُكَ بِهِ لِتَعْرِفَ ٱلْبَابَ فَإِذْ قَدْ عَرَفْتَهُ فَٱذْهَبْ عَاجِلًا . فَقَالَ لَهُ : لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ صِدْقًا فَلِمَ ذَكَرْتَ ٱلْجُبَّ وَلَيْسَ هُوَ هُنَاكَ . فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ أَيُّهَا ٱلْأَحْمَقُ ٱنْجُ بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ ٱلْحُمْقَ وَٱلتَّرَدُّدَ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَمْضِي وَقَدْ خَلَطْتَ (٦) عَلَيَّ وَذَكَرْتَ ٱلْجُبَّ وَلَيْسَ هُنَاكَ . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْحَالِ حَتَّى دَخَلَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ فَأَخَذَ بِتَلْبِيبِهِ (٧) وَأَوْجَعَهُ ضَرْبًا وَرَفَعَهُ (٨) إِلَى ٱلسُّلْطَانِ

---

(١) اي تميل (٢) اتفق (٣) بينا (٤) بئر (٥) الاحمق في غباوة
(٦) اي خلطت الحق بالباطل (٧) جمع ثيابه عند صدره وعنقه ساحباً اياه
(٨) قدمه

فَلَمَّا خِفْتُ مِنَ ٱلتَّرَدُّدِ رَأَيْتُ أَنْ لَا أَتَعَرَّضَ لَهُ وَلَا لِمَا أَتَخَوَّفُ مِنْهُ ٱلْمَكْرُوهَ. وَٱقْتَصَرْتُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ تَشْهَدُ بِهِ ٱلْعُقُولُ وَتَتَّفِقُ عَلَيْهِ أَهْلُ ٱلْأَدْيَانِ وَيُرَى أَنَّهُ صَوَابٌ وَحَقٌّ. فَكَفَفْتُ يَدِي عَنِ ٱلضَّرْبِ وَٱلْقَتْلِ وَٱلسَّرِقَةِ وَزَجَرْتُ نَفْسِي عَنِ ٱلْكِبْرِ[1] وَٱلْغَضَبِ. وَنَزَّهْتُ قَلْبِي عَنِ ٱلْحِقْدِ وَٱلْبُغْضِ وَٱلْخِيَانَةِ. وَصُنْتُ لِسَانِي عَنِ ٱلْكَذِبِ وَٱلْبُهْتَانِ[2] وَٱلْغِيبَةِ وَٱلنَّمِيمَةِ وَكُلِّ أَمْرٍ مَكْرُوهٍ. وَأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي أَنْ لَا أَبْغِيَ عَلَى أَحَدٍ وَلَا أُكَذِّبَ بِٱلْبَعْثِ[3] وَلَا ٱلْقِيَامَةِ وَلَا ٱلثَّوَابِ وَلَا ٱلْعِقَابِ. وَأَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ ٱلْفَرْدُ ٱلصَّمَدُ يُكَافِئُ عَلَى ٱلْخَيْرِ بِٱلْخَيْرِ وَعَلَى ٱلشَّرِّ بِٱلشَّرِّ: وَأَنْ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْمَسْأَلَةِ وَٱلْحِسَابِ. وَزَايَلْتُ[4] ٱلْأَشْرَارَ وَحَاوَلْتُ ٱلْجُلُوسَ مَعَ ٱلْأَخْيَارِ بِجُهْدِي. وَرَأَيْتُ كُلًّا مِنَ ٱلصَّلَاحِ وَٱلْعِلْمِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ صَاحِبٌ وَلَا قَرِينٌ[5] وَوَجَدْتُ مَكْسَبَهُ إِذَا وَفَّقَ ٱللهُ وَأَعَانَ يَسِيرًا. وَوَجَدْتُهُ يَدُلُّ عَلَى ٱلْخَيْرِ وَيُشِيرُ بِٱلنُّصْحِ فِعْلَ ٱلصَّدِيقِ بِٱلصَّدِيقِ. وَوَجَدْتُهُ لَا يَنْقُصُ عَلَى ٱلْإِنْفَاقِ مِنْهُ بَلْ يَزْدَادُ وَلَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ ٱلِٱسْتِعْمَالِ بَلْ يَجِدُّ وَيَزْهُو وَيَكْثُرُ. وَوَجَدْتُهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلسُّلْطَانِ أَنْ يَغْصِبَهُ[6] وَلَا مِنَ ٱلْآفَاتِ أَنْ تُفْسِدَهُ وَلَا مِنَ ٱلْمَاءِ أَنْ يُغْرِقَهُ. وَلَا مِنَ ٱلنَّارِ أَنْ تُحْرِقَهُ. وَلَا مِنَ ٱللُّصُوصِ أَنْ تَسْرِقَهُ. وَلَا مِنَ ٱلسِّبَاعِ وَجَوَارِحِ ٱلطَّيْرِ[7] أَنْ تُمَزِّقَهُ

وَوَجَدْتُ ٱلرَّجُلَ ٱلسَّاهِيَ ٱللَّاهِيَ ٱلْمُؤْثِرَ ٱلْيَسِيرَ يَنَالُهُ فِي يَوْمِهِ وَيَعْدَمُهُ فِي غَدِهِ عَلَى ٱلْكَثِيرِ ٱلْبَاقِي نَعِيمُهُ يُصِيبُهُ فِيمَا ذَهَبَتْ فِيهِ أَيَّامُهُ مَا أَصَابَ

---

(١) الكبرياء (٢) ان يقال عن الناس ما لم يفعلوه (٣) بعث القيامة (٤) فارقت
(٥) مصاحب وعشير (٦) يأخذه قهرًا وظلمًا (٧) ما يصيد منها

ٱلتَّاجِرَ ٱلَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لَهُ جَوْهَرٌ نَفِيسٌ فَٱسْتَأْجَرَ لِثَقْبِهِ رَجُلًا فِي ٱلْيَوْمِ عَلَى مِئَةِ دِرْهَمٍ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ وَٱنْطَلَقَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيَعْمَلَ وَإِذَا فِي نَاحِيَةِ ٱلْبَيْتِ صَنْجٌ[1] مَوْضُوعٌ فَقَالَ ٱلتَّاجِرُ لِلصَّانِعِ : هَلْ تُحْسِنُ ٱلضَّرْبَ بِٱلصَّنْجِ قَالَ : نَعَمْ، وَكَانَ بِضَرْبِهِ مَاهِرًا فَقَالَ ٱلرَّجُلُ دُونَكَ[2] ٱلصَّنْجَ فَأَسْمِعْنَا ضَرْبَكَ بِهِ . فَأَخَذَ ٱلرَّجُلُ ٱلصَّنْجَ وَلَمْ يَزَلْ يُسْمِعُ ٱلتَّاجِرَ ٱلضَّرْبَ ٱلصَّحِيحَ وَٱلصَّوْتَ ٱلرَّخِيمَ وَٱلتَّاجِرُ يُشِيرُ بِيَدِهِ وَرَأْسِهِ طَرَبًا حَتَّى أَمْسَى . فَلَمَّا حَانَ ٱلْغُرُوبُ قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلتَّاجِرِ مُرْ لِي بِٱلْأُجْرَةِ فَقَالَ لَهُ ٱلتَّاجِرُ : وَهَلْ عَمِلْتَ شَيْئًا تَسْتَحِقُّ بِهِ ٱلْأُجْرَةَ . فَقَالَ لَهُ : عَمِلْتُ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ وَأَنَا أَجِيرُكَ وَمَا ٱسْتَعْمَلْتَنِي[3] عَمِلْتُ . وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى ٱسْتَوْفَى مِنْهُ مِئَةَ ٱلدِّرْهَمِ وَبَقِيَ جَوْهَرُهُ غَيْرَ مَثْقُوبٍ

فَلَمْ أَزْدَدْ فِي ٱلدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا نَظَرًا إِلَّا ٱزْدَدْتُ فِيهَا زَهَادَةً وَمِنْهَا هَرَبًا . وَوَجَدْتُ ٱلنُّسْكَ هُوَ ٱلَّذِي يُمَهِّدُ[4] لِلْمَعَادِ[5] كَمَا يُمَهِّدُ ٱلْوَالِدُ لِوَلَدِهِ . وَوَجَدْتُهُ هُوَ ٱلْبَابَ ٱلْمَفْتُوحَ إِلَى ٱلنَّعِيمِ ٱلْمُقِيمِ . وَوَجَدْتُ ٱلنَّاسِكَ قَدْ تَدَبَّرَ فِعْلَتَهُ[6] بِٱلسَّكِينَةِ[7] وَٱلْوَقَارِ فَشَكَرَ وَتَوَاضَعَ . وَقَنِعَ فَٱسْتَغْنَى . وَرَضِيَ فَلَمْ يَهْتَمَّ . وَخَلَعَ ٱلدُّنْيَا فَنَجَا مِنَ ٱلشُّرُورِ . وَرَفَضَ ٱلشَّهَوَاتِ فَصَارَ طَاهِرًا وَطَرَحَ ٱلْحَسَدَ فَوَجَبَتْ لَهُ ٱلْمَحَبَّةُ . وَٱنْفَرَدَ بِنَفْسِهِ فَكُفِيَ ٱلْأَحْزَانَ وَسَخَتْ نَفْسُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ . وَٱسْتَعْمَلَ ٱلْعَقْلَ فَأَبْصَرَ ٱلْعَاقِبَةَ فَأَمِنَ ٱلنَّدَامَةَ . وَٱعْتَزَلَ ٱلنَّاسَ[8] فَسَلِمَ مِنْهُمْ وَلَمْ يَخَفْهُمْ

---

(١) من آلات الطرب (٢) اي خذ (٣) طلبت مني عمله (٤) يسهل ويوطئ (٥) للآخرة (٦) اي نظر في عواقبها (٧) الطمأنينة والهدوء (٨) اي تنحى عنهم

فَلَمْ أَزْدَدْ فِي أَمْرِ ٱلنُّسْكِ نَظَرًا إِلَّا ٱزْدَدْتُ فِيهِ رَغْبَةً حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهِ. ثُمَّ تَخَوَّفْتُ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَلَى عَيْشِ ٱلنَّاسِكِ وَلَا أَقْوَى عَلَى عُسْرِهِ وَمَشَقَّتِهِ لِمَا ٱعْتَدْتُهُ وَغُذِيتُ بِهِ مُنْذُ كُنْتُ وَلِيدًا. وَلَمْ آمَنْ إِنْ تَرَكْتُ ٱلدُّنْيَا وَأَخَذْتُ فِي ٱلنُّسْكِ أَنْ أَضْعُفَ عَنْ ذَٰلِكَ وَأَكُونَ قَدْ رَفَضْتُ أَعْمَالًا كُنْتُ أَرْجُو عَائِدَتَهَا [1] وَقَدْ كُنْتُ أَعْمَلُهَا فَأَنْتَفِعُ بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا فَيَكُونُ مَثَلِي فِي ذَٰلِكَ مَثَلَ ٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي مَرَّ بِنَهْرٍ وَفِي فِيهِ ضِلْعٌ فَرَأَى ظِلَّهَا فِي ٱلْمَاءِ فَأَهْوَى [2] لِيَأْخُذَهَا فَأَتْلَفَ مَا كَانَ مَعَهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي ٱلْمَاءِ شَيْئًا * فَهِبْتُ [3] ٱلنُّسْكَ مَهَابَةً شَدِيدَةً وَخِفْتُ مِنَ ٱلضَّجَرِ وَقِلَّةِ ٱلصَّبْرِ وَأَرَدْتُ ٱلثُّبُوتَ عَلَى حَالَتِي ٱلَّتِي كُنْتُ عَلَيْهَا. ثُمَّ بَدَا لِي أَنْ أَقِيسَ مَا أَخَافُ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلشَّظَفِ [4] وَٱلضِّيقِ وَٱلْخُشُونَةِ فِي ٱلنُّسْكِ وَمَا يُصِيبُ صَاحِبَ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْبَلَاءِ. وَكَانَ عِنْدِي أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ شَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا إِلَّا وَهُوَ مُتَحَوِّلٌ إِلَى ٱلْأَذَى وَمُوَلِّدٌ لِلْحُزْنِ. فَٱلدُّنْيَا كَٱلْمَاءِ ٱلْمِلْحِ ٱلَّذِي لَا يَزْدَادُ شَارِبُهُ شُرْبًا إِلَّا ٱزْدَادَ عَطَشًا. وَكَٱلْعَظْمِ ٱلَّذِي يُصِيبُهُ [5] ٱلْكَلْبُ فَيَجِدُ فِيهِ رِيحَ ٱللَّحْمِ فَلَا يَزَالُ يَطْلُبُ ذَٰلِكَ ٱللَّحْمَ حَتَّى يُدْمِيَ فَاهُ [6] وَلَا يَنَالُ شَيْئًا مِمَّا طَلَبَ. وَكَٱلْحِدَأَةِ [7] ٱلَّتِي تَظْفَرُ بِٱلْبَضْعَةِ [8] مِنَ ٱللَّحْمِ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهَا ٱلطَّيْرُ فَلَا تَزَالُ تَدُورُ وَتَدْأَبُ [9] حَتَّى تُعْيِيَ وَتَعْجِزَ فَإِذَا تَعِبَتْ أَلْقَتْ مَا مَعَهَا. وَكَٱلْكُوزِ مِنَ ٱلْعَسَلِ ٱلَّذِي فِي أَسْفَلِهِ ٱلسُّمُّ ٱلَّذِي يُذَاقُ مِنْهُ حَلَاوَةٌ عَاجِلَةٌ وَآخِرُهُ مَوْتٌ زُعَافٌ. وَكَأَحْلَامِ ٱلنَّائِمِ ٱلَّتِي يَفْرَحُ بِهَا

---

(١) نفعها (٢) مدَّ يده (٣) خفت (٤) سوء العيش (٥) يجده (٦) يسيل منهُ الدم (٧) طائر يعرف عند العامة بالشوحة (٨) القطعة (٩) تجتهد

ٱلإِنْسَانُ فِي نَوْمِهِ فَإِذَا ٱسْتَيْقَظَ ذَهَبَ ٱلْفَرَحُ. وَكَالْبَرْقِ ٱلَّذِي يُضِيءُ يَسِيرًا فَيَطْمَعُ بِالنُّورِ ثُمَّ يَذْهَبُ بَغْتَةً وَيَرْجِعُ ٱلظَّلَامُ . وَكَدُودَةِ ٱلْقَزِّ ٱلَّتِي تَنْسِجُ نَهَارًا وَلَيْلًا وَتَهْلِكُ وَسْطَ نَسِيجِهَا ٱلَّذِي كُلَّمَا زَادَتْ مِنْهُ نَسْجًا زَادَ ٱسْتِحْكَامًا وَمَنْعًا لَهَا عَنِ ٱلْخُرُوجِ

فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ رَجَعْتُ إِلَى طَلَبِ ٱلنُّسْكِ وَهَزَّنِي ٱلِٱشْتِيَاقُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَا يَلِيقُ بِي أَنْ أَقِيسَ ٱلدُّنْيَا بِالنُّسْكِ إِذَا تَفَكَّرْتُ فِيهَا وَفِي شُرُورِهَا وَأَحْزَانِهَا . ثُمَّ خَاصَمْتُ نَفْسِي إِذْ هِيَ فِي شُرُورِهَا سَارِحَةٌ وَقَدْ لَا تَثْبُتُ عَلَى أَمْرٍ تَعْزِمُ عَلَيْهِ كَقَاضٍ سَمِعَ مِنْ خَصْمٍ وَاحِدٍ فَحَكَمَ لَهُ . فَلَمَّا حَضَرَ ٱلْخَصْمُ ٱلثَّانِي عَادَ إِلَى ٱلْأَوَّلِ فَقَضَى عَلَيْهِ * ثُمَّ نَظَرْتُ فِي ٱلَّذِي أُكَابِدُهُ مِنِ ٱحْتِمَالِ ٱلنُّسْكِ وَضِيقِهِ فَقُلْتُ مَا أَصْغَرَ هٰذِهِ ٱلْمَشَقَّةَ فِي جَانِبِ رَوْحِ[(١)] ٱلْأَبَدِ وَرَاحَتِهِ . ثُمَّ نَظَرْتُ فِيمَا تَشْرَهُ إِلَيْهِ ٱلنَّفْسُ ٱلْبَهِيمِيَّةُ[(٢)] مِنْ لَذَّةِ ٱلدُّنْيَا فَقُلْتُ مَا أَمَرَّ هٰذَا وَأَوْجَعَهُ وَهُوَ يَدْفَعُ إِلَى عَذَابِ ٱلْأَبَدِ وَأَهْوَالِهِ . وَكَيْفَ لَا يَسْتَحْلِي ٱلرَّجُلُ مَرَارَةً قَلِيلَةً تَعْقُبُهَا[(٣)] حَلَاوَةٌ طَوِيلَةٌ وَكَيْفَ لَا تَمُرُّ[(٤)] عَلَيْهِ حَلَاوَةٌ قَلِيلَةٌ تَعْقُبُهَا مَرَارَةٌ دَائِمَةٌ . وَقُلْتُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ مِئَةَ سَنَةٍ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ يَوْمٌ وَاحِدٌ إِلَّا بُضِعَ مِنْهُ بَضْعَةٌ[(٥)] غَيْرَ أَنَّهُ يُشْرَطُ لَهُ أَنَّهُ إِذَا ٱسْتَوْفَى ٱلسِّنِينَ ٱلْمِئَةَ نَجَا مِنْ كُلِّ أَلَمٍ وَأَذًى وَصَارَ إِلَى ٱلْأَمْنِ وَٱلسُّرُورِ كَانَ حَقِيقًا أَنْ لَا يَرَى تِلْكَ ٱلسِّنِينَ شَيْئًا . فَكَيْفَ يَأْبَى ٱلصَّبْرَ عَلَى أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَعِيشُهَا فِي ٱلنُّسْكِ . وَأَذَى تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ قَلِيلٌ يُعْقِبُ خَيْرًا كَثِيرًا

---

(١) سرور (٢) اي فيما يشتد حرصها عليه (٣) تأتي بعدها (٤) من المرارة
(٥) قطع منه قطعة

أَوَ لَيْسَ أَنَّ ٱلدُّنْيَا كُلَّهَا بَلَاءٌ وَعَذَابٌ وَٱلْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَتَقَلَّبُ فِي عَذَابِهَا مِنْ حِينِ يُولَدُ إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ أَيَّامَ حَيَاتِهِ

فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ طِفْلًا ذَاقَ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَلْوَانًا. إِنْ جَاعَ فَلَيْسَ بِهِ ٱسْتِطْعَامٌ(١) أَوْ عَطِشَ فَلَيْسَ بِهِ ٱسْتِسْقَاءٌ(٢) أَوْ وَجِعَ فَلَيْسَ بِهِ ٱسْتِغَاثَةٌ(٣). مَعَ مَا يَلْقَى مِنَ ٱلْوَضْعِ وَٱلْحَمْلِ وَٱللَّفِّ وَٱلدَّهْنِ وَٱلْمَسْحِ. إِنْ أُنِيمَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَسْتَطِعْ قِيَامًا وَلَا تَقَلُّبًا ثُمَّ يَلْقَى أَصْنَافَ ٱلْعَذَابِ مَا دَامَ رَضِيعًا. فَإِذَا أَفْلَتَ مِنْ عَذَابِ ٱلرَّضَاعِ أَخَذَ فِي عَذَابِ ٱلْأَدَبِ فَأُذِيقَ مِنْهُ أَلْوَانًا مِنْ عُنْفِ ٱلْمُعَلِّمِ وَضَجَرِ ٱلدَّرْسِ وَسَآمَةِ(٤) ٱلْكِتَابَةِ. ثُمَّ لَهُ مِنَ ٱلدَّوَاءِ وَٱلْحِمْيَةِ(٥) وَٱلْأَسْقَامِ وَٱلْأَوْجَاعِ أَوْفَى نَصِيبٍ. فَإِذَا أَدْرَكَ لَحِقَهُ هَمُّ ٱلْأَهْلِ وَكَانَتْ هِمَّتُهُ فِي جَمْعِ ٱلْمَالِ وَتَرْبِيَةِ ٱلْوَلَدِ وَمُخَاطَرَةِ ٱلطَّلَبِ وَٱلسَّعْيِ وَٱلْكَدِّ وَٱلتَّعَبِ. وَهُوَ مَعَ كُلِّ ذٰلِكَ يَتَقَلَّبُ مَعَ أَعْدَائِهِ ٱلْبَاطِنِيِّينَ ٱللَّازِمِينَ لَهُ. وَهُمُ ٱلْمِرَّةُ ٱلصَّفْرَاءُ وَٱلْمِرَّةُ ٱلسَّوْدَاءُ وَٱلرِّيحُ وَٱلْبَلْغَمُ وَٱلدَّمُ مَعَ ٱلسُّمِّ ٱلْمُمِيتِ وَٱلْحَيَّةِ ٱللَّادِغَةِ وَٱلْخَوْفِ مِنَ ٱلسِّبَاعِ وَٱلْهَوَامِّ مَعَ تَقَلُّبِ ٱلْفُصُولِ مِنَ ٱلْحَرِّ وَٱلْبَرْدِ وَٱلْأَمْطَارِ وَٱلرِّيَاحِ وَٱلثُّلُوجِ وَٱلشَّيْطَانِ ٱلدَّائِمِ وَٱلْقَرِينِ ٱلسُّوءِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ ٱلطَّوَارِئِ(٦) ٱلرَّدِيئَةِ ثُمَّ أَنْوَاعِ عَذَابِ ٱلْهَرَمِ(٧) لِمَنْ يَبْلُغُهُ

فَلَوْ لَمْ يَخَفْ مِنْ هٰذِهِ ٱلْأُمُورِ شَيْئًا وَكَانَ قَدْ أَمِنَ وَوَثِقَ بِٱلسَّلَامَةِ مِنْهَا فَلَمْ يُفَكِّرْ بِهَا لَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُفَكِّرًا فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي يَحْضُرُهُ فِيهَا ٱلْمَوْتُ وَيُفَارِقُ ٱلدُّنْيَا فَيَذْكُرَ مَا هُوَ نَازِلٌ بِهِ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ مِمَّا هُوَ

---

(١) طلب الطعام (٢) طلب الشرب (٣) طلب معونة (٤) ملل (٥) منع المريض عما يضره (٦) الحوادث (٧) الشيخوخة

أَشَدُّ جِدًّا مِنْ ذٰلِكَ مِنْ فِرَاقِ ٱلْأَحِبَّةِ وَٱلْأَقَارِبِ وَٱلْمَالِ وَكُلِّ مَضْنُونٍ بِهِ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَعَ ٱلْإِشْرَافِ عَلَى ٱلْهَوْلِ ٱلْعَظِيمِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ . فَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ لَكَانَ حَقِيقًا أَنْ يُعَدَّ عَاجِزًا مُفَرِّطًا (١) مُحِبًّا لِلدَّنَاءَةِ مُسْتَحِقًّا لِلَّوْمِ * فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يَعْلَمُ هٰذَا وَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ وَيَحْتَالُ لِغَدٍ جُهْدَهُ فِي ٱلْحِيلَةِ وَيَرْفُضُ مَا يَشْغَلُهُ وَيُلْهِيهِ مِنْ شَهَوَاتِ ٱلدُّنْيَا وَغُرُورِهَا وَلَا سِيَّمَا فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ ٱلشَّبِيهِ بِٱلصَّافِي وَهُوَ كَدِرٌ . فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ ٱلْمَلِكُ حَازِمًا عَظِيمَ ٱلْمَقْدِرَةِ رَفِيعَ ٱلْهِمَّةِ بَلِيغَ ٱلْفَحْصِ عَدْلًا (٢) مَرْجُوًّا صَدُوقًا شَكُورًا رَحْبَ ٱلذِّرَاعِ (٣) مُوَاظِبًا عَلَى ٱلْحُسْنَى (٤) عَالِمًا بِٱلنَّاسِ مُهْتَمًّا بِأُمُورِ رَعِيَّتِهِ نَاظِرًا فِي أَحْوَالِهِمْ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَٱلْخَيْرِ وَٱلْأَخْيَارِ شَدِيدًا عَلَى ٱلظَّلَمَةِ (٥) غَيْرَ جَبَانٍ وَلَا خَفِيفِ ٱلْقِيَادِ (٦) رَفِيقًا بِٱلتَّوَسُّعِ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ فِيمَا يُحِبُّونَ وَٱلدَّفْعِ لِمَا يَكْرَهُونَ . فَإِنَّا قَدْ نَرَى ٱلزَّمَانَ مُدْبِرًا (٧) بِكُلِّ مَكَانٍ حَتَّى كَأَنَّ أُمُورَ ٱلصِّدْقِ قَدْ نُزِعَتْ مِنَ ٱلنَّاسِ فَأَصْبَحَ مَا كَانَ عَزِيزًا (٨) فَقْدُهُ مَفْقُودًا وَمَوْجُودًا مَا كَانَ ضَائِرًا (٩) وُجُودُهُ . وَكَأَنَّ ٱلْخَيْرَ أَصْبَحَ ذَابِلًا وَٱلشَّرَّ نَاضِرًا (١٠) وَكَأَنَّ ٱلْفَهْمَ أَصْبَحَ قَدْ زَالَتْ سُبُلُهُ وَكَأَنَّ ٱلْحَقَّ وَلَّى كَسِيرًا (١١) وَأَقْبَلَ ٱلْبَاطِلُ تَابِعَهُ . وَكَأَنَّ ٱتِّبَاعَ ٱلْهَوَى وَإِضَاعَةَ ٱلْحُكْمِ أَصْبَحَ بِٱلْحُكَّامِ مُوَكَّلًا (١٢) . وَأَصْبَحَ ٱلْمَظْلُومُ بِٱلْحَيْفِ (١٣) مُقِرًّا وَٱلظَّالِمُ بِنَفْسِهِ مُسْتَطِيلًا (١٤) وَكَأَنَّ ٱلْحِرْصَ أَصْبَحَ فَاغِرًا (١٥) فَاهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ يَتَلَقَّفُ (١٦) مَا قَرُبَ مِنْهُ وَمَا بَعُدَ . وَكَأَنَّ ٱلرِّضَى أَصْبَحَ

---

(١) مقصرًا (٢) عادلًا (٣) اي واسع الخلق (٤) الاعمال الحسنة (٥) جمع ظالم (٦) اي غير سهل الانقياد (٧) موليًا (٨) اي نادرًا (٩) مضرًا (١٠) زاهيًا (١١) اي مكسور الخاطر (١٢) اي لازمًا لهم (١٣) الظلم والجور (١٤) متكبرًا (١٥) فاتحًا (١٦) يتناول

مَجْهُولًا وَكَأَنَّ ٱلْأَشْرَارَ يَقْصِدُونَ ٱلسَّمَاءَ صُعُودًا وَكَأَنَّ ٱلْأَخْيَارَ يُرِيدُونَ بَطْنَ ٱلْأَرْضِ . وَأَصْبَحَتِ ٱلْمُرُوءَةُ مَقْذُوفًا بِهَا [١] مِنْ أَعْلَى شَرَفٍ [٢] إِلَى أَسْفَلِ دَرَكٍ [٣] . وَأَصْبَحَتِ ٱلدَّنَاءَةُ مُمَكَّنَةً وَأَصْبَحَ ٱلسُّلْطَانُ مُنْتَقِلًا عَنْ أَهْلِ ٱلْفَضْلِ إِلَى أَهْلِ ٱلنَّقْصِ . وَكَأَنَّ ٱلدُّنْيَا جَذِلَةٌ مَسْرُورَةٌ تَقُولُ قَدْ غُيِّبَتِ ٱلْخَيْرَاتُ وَأُظْهِرَتِ ٱلسَّيِّئَاتُ

فَلَمَّا فَكَّرْتُ فِي ٱلدُّنْيَا وَأُمُورِهَا وَأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ هُوَ أَشْرَفُ ٱلْخَلْقِ فِيهَا وَأَفْضَلُهُ ثُمَّ هُوَ لَا يَتَقَلَّبُ إِلَّا فِي ٱلشُّرُورِ وَٱلْهُمُومِ عَجِبْتُ مِنْ ذٰلِكَ كُلَّ ٱلْعَجَبِ وَتَحَقَّقْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ ذُو عَقْلٍ يَعْلَمُ ذٰلِكَ ثُمَّ لَا يَحْتَالُ لِنَفْسِهِ فِي ٱلنَّجَاةِ وَيَلْتَمِسُ ٱلْخَلَاصَ . وَإِنْ فَرَّطَ [٤] فِي ذٰلِكَ فَهُوَ عِنْدِي عَاجِزٌ قَلِيلُ ٱلرَّأْيِ نَاقِصُ ٱلْهِمَّةِ فِيمَا لَهُ وَعَلَيْهِ . ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا ٱلنَّاسُ كُلُّهُمْ مُفَرِّطُونَ فِي ذٰلِكَ مُغْفِلُونَ لَهُ فَقَضَيْتُ ٱلْعَجَبَ [٥] مِنْ ذٰلِكَ . وَٱلْتَمَسْتُ [٦] لَهُمْ عُذْرًا فِيهِ وَنَظَرْتُ فَإِذَا ٱلْإِنْسَانُ لَا يَمْنَعُهُ عَنِ ٱلْاحْتِيَالِ لِنَفْسِهِ إِلَّا لَذَّةٌ صَغِيرَةٌ حَقِيرَةٌ مِنَ ٱلنَّظَرِ وَٱلسَّمْعِ وَٱلشَّمِّ وَٱلذَّوْقِ وَٱللَّمْسِ لَعَلَّهُ أَنْ يُصِيبَ مِنْهَا ٱلطَّفِيفَ أَوْ يَقْتَنِيَ مِنْهَا ٱلْيَسِيرَ . فَإِذَا ذٰلِكَ يَشْغَلُهُ وَيَذْهَبُ بِهِ عَنِ ٱلْاهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ وَطَلَبِ ٱلنَّجَاةِ لَهَا

فَٱلْتَمَسْتُ لِلْإِنْسَانِ مَثَلًا فَإِذَا مَثَلُهُ مَثَلُ رَجُلٍ نَجَا مِنْ خَوْفِ فِيلٍ هَائِجٍ إِلَى بِئْرٍ فَتَدَلَّى فِيهَا وَتَعَلَّقَ بِغُصْنَيْنِ كَانَا عَلَى سَمَائِهَا [٧] فَوَقَعَتْ رِجْلَاهُ عَلَى شَيْءٍ فِي طَيِّ ٱلْبِئْرِ [٨] فَإِذَا حَيَّاتٌ أَرْبَعٌ قَدْ أَخْرَجْنَ رُؤُوسَهُنَّ مِنْ أَجْحَارِهِنَّ [٩]

---

(١) ملقاة (٢) مكان عال (٣) قعر الشيء (٤) قصّر (٥) عجبت جداً
(٦) طلبت (٧) اعلاها (٨) جانبها المبني بالحجارة (٩) الجحر بتقديم الجيم للهوام والسباع كالوكر للطير

ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا فِي قَعْرِ ٱلْبِئْرِ تِنِّينٌ فَاتِحٌ فَاهُ مُنْتَظِرٌ لَهُ لِيَقَعَ فَيَأْخُذَهُ . فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى ٱلْغُصْنَيْنِ فَإِذَا فِي أَصْلِهِمَا جُرَذَانِ أَسْوَدُ وَأَبْيَضُ وَهُمَا يَقْرِضَانِ ٱلْغُصْنَيْنِ دَائِبَيْنِ[1] لَا يَفْتُرَانِ * فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ٱلنَّظَرِ لِأَمْرِهِ وَٱلِٱهْتِمَامِ لِنَفْسِهِ إِذْ بَصُرَ قَرِيباً مِنْهُ بِخَلِيَّةٍ فِيهَا عَسَلٌ فَذَاقَ ٱلْعَسَلَ فَشَغَلَتْهُ حَلَاوَتُهُ وَأَلْهَتْهُ لَذَّتُهُ عَنِ ٱلْفِكْرَةِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَأَنْ يَلْتَمِسَ ٱلْخَلَاصَ لِنَفْسِهِ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ رِجْلَيْهِ عَلَى حَيَّاتٍ أَرْبَعٍ لَا يَدْرِي مَتَى يَقَعُ عَلَيْهِنَّ . وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّ ٱلْجُرَذَيْنِ دَائِبَانِ فِي قَطْعِ ٱلْغُصْنَيْنِ وَمَتَى ٱنْقَطَعَا وَقَعَ عَلَى ٱلتِّنِّينِ. فَلَمْ يَزَلْ لَاهِياً غَافِلاً مَشْغُولاً بِتِلْكَ ٱلْحَلَاوَةِ حَتَّى سَقَطَ فِي فَمِ ٱلتِّنِّينِ فَهَلَكَ

فَشَبَّهْتُ بِٱلْبِئْرِ ٱلدُّنْيَا ٱلْمَمْلُوءَةَ آفَاتٍ وَشُرُوراً وَمَخَافَاتٍ وَعَاهَاتٍ[2] وَشَبَّهْتُ بِٱلْحَيَّاتِ ٱلْأَرْبَعِ ٱلْأَخْلَاطَ ٱلْأَرْبَعَةَ ٱلَّتِي فِي ٱلْبَدَنِ . فَإِنَّهَا مَتَى هَاجَتْ أَوْ هَاجَ أَحَدُهَا كَانَتْ كَحُمَةِ[3] ٱلْأَفَاعِي[4] وَٱلسُّمِّ ٱلْمُمِيتِ. وَشَبَّهْتُ بِٱلْغُصْنَيْنِ ٱلْأَجَلَ ٱلَّذِي هُوَ إِلَى حِينٍ ثُمَّ لَا بُدَّ مِنْ فَنَائِهِ وَٱنْقِطَاعِهِ . وَشَبَّهْتُ بِٱلْجُرَذَيْنِ ٱلْأَسْوَدِ وَٱلْأَبْيَضِ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ٱللَّذَيْنِ هُمَا دَائِبَانِ فِي إِفْنَاءِ ٱلْأَجَلِ. وَشَبَّهْتُ بِٱلتِّنِّينِ ٱلْمَصِيرَ[5] ٱلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ . وَشَبَّهْتُ بِٱلْعَسَلِ هٰذِهِ ٱلْحَلَاوَةَ ٱلْقَلِيلَةَ ٱلَّتِي يَنَالُ مِنْهَا ٱلْإِنْسَانُ فَيَرَى وَيَطْعَمُ[6] وَيَسْمَعُ وَيَشَمُّ وَيَلْمُسُ وَيَتَشَاغَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَيَلْهُو عَنْ شَأْنِهِ فَيَنْسَى أَمْرَ ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ قَصْدِهِ

فَحِينَئِذٍ صَارَ أَمْرِي إِلَى ٱلرِّضَى بِحَالِي وَإِصْلَاحِ مَا ٱسْتَطَعْتُ إِصْلَاحَهُ مِنْ عَمَلِي لَعَلِّي أَنْ أُصَادِفَ بَاقِيَ أَيَّامِي زَمَاناً أُصِيبُ فِيهِ دَلِيلاً عَلَى هُدَايَ

---

(١) مستمرين (٢) اعراضاً مفسدة (٣) الابرة التي تلسع بها (٤) الحيات
(٥) المنتهى (٦) يأكل

وَسُلْطَانًا عَلَى نَفْسِي وَقِوَامًا عَلَى أَمْرِي . فَأَقَمْتُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ وَٱتَّجَهْتُ إِلَى بِلَادِ ٱلْهِنْدِ فِي طَلَبِ ٱلْعَقَاقِيرِ (١) وَٱلْأَدْوِيَةِ . ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهَا فِي ٱنْتِسَاخِ هٰذَا ٱلْكِتَابِ وَٱنْصَرَفْتُ مِنْهَا إِلَى بِلَادِي وَقَدِ ٱنْتَسَخْتُ مِنْ كُتُبِهِمْ كُتُبًا كَثِيرَةً مِنْهَا هٰذَا ٱلْكِتَابُ

# باب

## ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ

### وَهُوَ أَوَّلُ ٱلْكِتَابِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ وَهُوَ رَأْسُ ٱلْبَرَاهِمَةِ ٱضْرِبْ لِي مَثَلًا لِلْمُتَحَابَّيْنِ يَقْطَعُ بَيْنَهُمَا ٱلْكَذُوبُ ٱلْمُحْتَالُ حَتَّى يَحْمِلَهُمَا عَلَى ٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْبَغْضَاءِ

قَالَ بَيْدَبَا إِذَا ٱبْتُلِيَ ٱلْمُتَحَابَّانِ بِأَنْ يَدْخُلَ بَيْنَهُمَا ٱلْكَذُوبُ ٱلْمُحْتَالُ لَمْ يَلْبَثَا (٢) أَنْ يَتَقَاطَعَا (٣) وَيَتَدَابَرَا (٤) وَآفَةُ (٥) ٱلْمَوَدَّةِ ٱلنَّمِيمَةُ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ دَسْتَاوَنْدَ رَجُلٌ شَيْخٌ لَهُ ثَلَاثَةُ بَنِينَ . فَلَمَّا بَلَغُوا أَشُدَّهُمْ (٦) أَسْرَفُوا فِي مَالِ أَبِيهِمْ (٧) وَلَمْ يَكُونُوا ٱحْتَرَفُوا (٨) حِرْفَةً يَكْسِبُونَ بِهَا لِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا . فَلَامَهُمْ أَبُوهُمْ وَوَعَظَهُمْ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِمْ . وَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ لَهُمْ يَا بَنِيَّ إِنَّ صَاحِبَ ٱلدُّنْيَا يَطْلُبُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ لَنْ يُدْرِكَهَا

---

(١) النباتات التي يتدواى بها وقد مرَّ (٢) يبطئا (٣) يهجر احدهما الآخر (٤) يولي بعضها عن بعض (٥) الآفة عرضٌ مفسدٌ لما اصابهُ وقد مرَّ (٦) قوتهم اي خرجوا من سن الصبوة (٧) بالغوا في انفاقهِ (٨) اي اتخذوا

إِلَّا بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ . أَمَّا ٱلثَّلَاثَةُ ٱلَّتِي يَطْلُبُ فَٱلسَّعَةُ فِي ٱلرِّزْقِ وَٱلْمَنْزِلَةُ فِي ٱلنَّاسِ وَٱلزَّادُ لِلْآخِرَةِ . وَأَمَّا ٱلْأَرْبَعَةُ ٱلَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي دَرَكِ(١) هٰذِهِ ٱلثَّلَاثَةِ فَٱكْتِسَابُ ٱلْمَالِ مِنْ أَحْسَنِ وَجْهٍ يَكُونُ ثُمَّ حُسْنُ ٱلْقِيَامِ (٢) عَلَى مَا ٱكْتَسَبَ مِنْهُ . ثُمَّ ٱسْتِثْمَارُهُ(٣) ثُمَّ إِنْفَاقُهُ فِيمَا يُصْلِحُ ٱلْمَعِيشَةَ وَيُرْضِي ٱلْأَهْلَ وَٱلْإِخْوَانَ فَيَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ فِي ٱلْآخِرَةِ * فَمَنْ ضَيَّعَ شَيْئًا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَحْوَالِ لَمْ يُدْرِكْ مَا أَرَادَ مِنْ حَاجَتِهِ . لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَكْتَسِبْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ بِهِ . وَإِنْ هُوَ كَانَ ذَا مَالٍ وَٱكْتِسَابٍ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ ٱلْقِيَامَ عَلَيْهِ أَوْشَكَ ٱلْمَالُ أَنْ يَفْنَى وَيَبْقَى مُعْدِمًا(٤) . وَإِنْ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ يَسْتَثْمِرْهُ لَمْ تَمْنَعْهُ قِلَّةُ ٱلْإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ ٱلذَّهَابِ . كَٱلْكُحْلِ ٱلَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ ٱلْمِيلِ ثُمَّ هُوَ مَعَ ذٰلِكَ سَرِيعٌ فَنَاؤُهُ . وَإِنْ هُوَ أَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَأَخْطَأَ بِهِ مَوَاضِعَ ٱسْتِحْقَاقِهِ صَارَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْفَقِيرِ ٱلَّذِي لَا مَالَ لَهُ . ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْ ذٰلِكَ أَيْضًا مَالَهُ مِنَ ٱلتَّلَفِ بِٱلْحَوَادِثِ وَٱلْعِلَلِ ٱلَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ كَمَحْبِسِ ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي لَا تَزَالُ ٱلْمِيَاهُ تَنْصَبُّ فِيهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ وَمَفَاضٌ(٥) وَمُتَنَفَّسٌ(٦) يَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَاءُ بِقَدَرِ مَا يَنْبَغِي خَرِبَ وَسَالَ وَنَزَّ مِنْ نَوَاحٍ كَثِيرَةٍ وَرُبَّمَا ٱنْبَثَقَ(٧) ٱلْبَثْقَ ٱلْعَظِيمَ فَذَهَبَ ٱلْمَاءُ ضَيَاعًا * وَإِنَّ بَنِي ٱلشَّيْخِ ٱتَّعَظُوا بِقَوْلِ أَبِيهِمْ وَأَخَذُوا بِهِ(٨) وَعَلِمُوا أَنَّ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ * فَٱنْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ نَحْوَ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا مَيُونُ . فَأَتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحَلٌ كَثِيرٌ . وَكَانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ يَجُرُّهَا ثَوْرَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا شَتْرَبَةُ وَلِلْآخَرِ

(١) ادراك (٢) التدبير والسياسة (٣) استخراج ثمره منهُ أي فائدتهُ
(٤) فقيرًا (٥) مكان يفيض منهُ (٦) مكان يتنفس منهُ اي يطفح (٧) انثغر وانفجر (٨) عملوا بموجبه

بِنَدْبَةٍ . فَوَحِلَ شَتْرَبَةُ فِي ذَلِكَ ٱلْمَكَانِ فَعَالَجَهُ[١] ٱلرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمُ ٱلْجَهْدُ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ . فَذَهَبَ ٱلرَّجُلُ وَخَلَّفَ عِنْدَهُ رَجُلًا يُشَارِفُهُ[٢] لَعَلَّ ٱلْوَحَلَ يَنْشَفُ فَيَتْبَعُهُ بِهِ . فَلَمَّا بَاتَ ٱلرَّجُلُ بِذَلِكَ ٱلْمَكَانِ تَبَرَّمَ[٣] بِهِ وَٱسْتَوْحَشَ فَتَرَكَ ٱلثَّوْرَ وَٱلْتَحَقَ بِصَاحِبِهِ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ ٱلثَّوْرَ قَدْ مَاتَ . وَقَالَ لَهُ إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا ٱنْقَضَتْ مُدَّتُهُ وَحَانَتْ مَنِيَّتُهُ فَهُوَ وَإِنِ ٱجْتَهَدَ فِي ٱلتَّوَقِّي مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي يَخَافُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ ٱلْهَلَاكَ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئًا . وَرُبَّمَا عَادَ ٱجْتِهَادُهُ فِي تَوَقِّيهِ وَحَذَرِهِ وَبَالًا عَلَيْهِ

كَٱلَّذِي قِيلَ إِنَّ رَجُلًا سَلَكَ مَفَازَةً[٤] فِيهَا خَوْفٌ مِنَ ٱلسِّبَاعِ[٥] وَكَانَ ٱلرَّجُلُ خَبِيرًا بِوَعْثِ[٦] تِلْكَ ٱلْأَرْضِ وَخَوْفِهَا . فَلَمَّا سَارَ غَيْرَ بَعِيدٍ ٱعْتَرَضَ لَهُ ذِئْبٌ مِنْ أَحَدِ ٱلذِّئَابِ وَأَضْرَاهَا . فَلَمَّا رَأَى ٱلرَّجُلُ أَنَّ ٱلذِّئْبَ قَاصِدٌ نَحْوَهُ خَافَ مِنْهُ وَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا لِيَجِدَ مَوْضِعًا يَتَحَرَّزُ[٧] فِيهِ مِنَ ٱلذِّئْبِ فَلَمْ يَرَ إِلَّا قَرْيَةً خَلْفَ وَادٍ فَذَهَبَ مُسْرِعًا نَحْوَ ٱلْقَرْيَةِ . فَلَمَّا أَتَى ٱلْوَادِيَ لَمْ يَرَ عَلَيْهِ قَنْطَرَةً وَرَأَى ٱلذِّئْبَ قَدْ أَدْرَكَهُ فَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي ٱلْمَاءِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ ٱلسِّبَاحَةَ وَكَادَ يَغْرَقُ لَوْلَا أَنْ بَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْقَرْيَةِ فَتَوَاقَعُوا[٨] لِإِخْرَاجِهِ فَأَخْرَجُوهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْهَلَاكِ . فَلَمَّا حَصَلَ ٱلرَّجُلُ عِنْدَهُمْ وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ غَائِلَةِ[٩] ٱلذِّئْبِ رَأَى عَلَى عُدْوَةِ[١٠] ٱلْوَادِي بَيْتًا مُفْرَدًا فَقَالَ أَدْخُلُ هَذَا ٱلْبَيْتَ فَأَسْتَرِيحُ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ ٱللُّصُوصِ قَدْ قَطَعُوا ٱلطَّرِيقَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ ٱلتُّجَّارِ وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ

---

(١) اي حاول اخراجه (٢) يطلع عليه (٣) ملَّ (٤) فلاةً لا ماء فيها
(٥) الحيوانات المفترسة (٦) وعورة (٧) يتوقى (٨) اي رموا بانفسهم
(٩) شر (١٠) جانب

وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ . فَلَمَّا رَأَى ٱلرَّجُلُ ذٰلِكَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَضَى نَحْوَ ٱلْقَرْيَةِ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِهَا لِيَسْتَرِيحَ مِمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ ٱلْهَوْلِ (١) وَٱلْإِعْيَاءِ (٢) إِذْ سَقَطَ عَلَيْهِ ٱلْحَائِطُ فَمَاتَ

قَالَ ٱلرَّجُلُ صَدَقْتَ قَدْ بَلَغَنِي هٰذَا ٱلْحَدِيثُ * وَأَمَّا ٱلثَّوْرُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكَانِهِ وَٱنْبَعَثَ (٣) فَلَمْ يَزَلْ فِي مَرْجٍ مُخْصِبٍ كَثِيرِ ٱلْمَاءِ وَٱلْكَلَإِ (٤) فَلَمَّا سَمِنَ وَأَمِنَ جَعَلَ يَخُورُ (٥) وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِٱلْخُوَارِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَجَمَةٌ (٦) فِيهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ وَمَعَهُ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ وَذِئَابٌ وَبَنَاتُ آوَى (٧) وَثَعَالِبُ وَفُهُودٌ وَنُمُورٌ . وَكَانَ هٰذَا ٱلْأَسَدُ مُنْفَرِدًا بِرَأْيِهِ دُونَ أَخْذٍ بِرَأْيِ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ خُوَارَ ٱلثَّوْرِ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى ثَوْرًا قَطُّ وَلَا سَمِعَ خُوَارَهُ خَامَرَهُ (٨) مِنْهُ هَيْبَةٌ وَخَشْيَةٌ (٩) وَكَرِهَ أَنْ يُشْعِرَ بِذٰلِكَ (١٠) جُنْدَهُ . فَكَانَ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ (١١) بَلْ يُؤْتَى بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى يَدِ جُنْدِهِ . وَكَانَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ ٱلسِّبَاعِ ٱبْنَا آوَى يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا كَلِيلَةُ وَلِلْآخَرِ دِمْنَةُ وَكَانَا ذَوَيْ دَهَاءٍ وَعِلْمٍ وَأَدَبٍ

فَقَالَ دِمْنَةُ يَوْمًا لِأَخِيهِ كَلِيلَةَ : يَا أَخِي مَا شَأْنُ (١٢) ٱلْأَسَدِ مُقِيمًا مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ خِلَافًا لِعَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ كَلِيلَةُ مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَٱلْمَسْأَلَةَ عَنْ هٰذَا . نَحْنُ عَلَى بَابِ مَلِكِنَا آخِذَيْنِ بِمَا أَحَبَّ وَتَارِكَيْنِ مَا يَكْرَهُ وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ ٱلْمَرْتَبَةِ ٱلَّتِي يَتَنَاوَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلنَّظَرَ فِي أُمُورِهِمْ . فَأَمْسِكْ عَنْ هٰذَا وَٱعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْفِعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ شَكْلِهِ

---

(١) الخوف الشديد (٢) شدة التعب (٣) وسار مسرعاً (٤) العشب
(٥) من الخوار وهو صوت البقر (٦) شجر كثير ملتف (٧) جمع ابن آوى
(٨) داخله (٩) خوف (١٠) يعلم (١١) اي يخرج لشأنه (١٢) ما بال

أَصابَهُ مَا أَصابَ ٱلقِرْدَ مِنَ ٱلنَّجَارِ . قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا رَأَى نَجَارًا يَشُقُّ خَشَبَةً وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا وَكُلَّمَا شَقَّ مِنهَا ذِرَاعًا أَدْخَلَ فِيهَا وَتِدًا فَوَقَفَ يَنظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ أَعْجَبَهُ ذٰلِكَ . ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَارَ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِهِ فَقَامَ ٱلقِرْدُ وَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ[١] فَرَكِبَ ٱلخَشَبَةَ وَجَعَلَ وَجْهَهُ قِبَلَ ٱلوَتِدِ[٢] وَظَهْرَهُ قِبَلَ طَرَفِ ٱلخَشَبَةِ فَتَدَلَّى ذَنَبُهُ فِي ٱلشَّقِّ وَنَزَعَ ٱلوَتِدَ فَلَزِمَ ٱلشَّقُّ عَلَيْهِ فَكَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلأَلَمِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلنَّجَارَ وَافَاهُ[٣] فَأَصَابَهُ[٤] عَلَى تِلْكَ ٱلحَالَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ فَكَانَ مَا لَقِيَ مِنَ ٱلنَّجَارِ مِنَ ٱلضَّرْبِ أَشَدَّ مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ ٱلخَشَبَةِ * قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ . وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يَدْنُو مِنَ ٱلمُلُوكِ يَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِهِمْ وَيَفُوزُ بِقُرْبِهِمْ . وَلٰكِنِ ٱعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْنُو مِنْهُمْ لَيْسَ يَدْنُو مِنْهُمْ لِبَطْنِهِ فَإِنَّ ٱلبَطْنَ يُحْشَى بِكُلِّ شَيْءٍ . وَإِنَّمَا يَدْنُو مِنْهُمْ لِيَسُرَّ ٱلصَّدِيقَ وَيَكْبِتَ[٥] ٱلعَدُوَّ . وَإِنَّ مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ وَهُمُ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِٱلقَلِيلِ وَيَرْضَوْنَ بِٱلدُّونِ كَٱلكَلْبِ ٱلَّذِي يُصِيبُ عَظْمًا يَابِسًا فَيَفْرَحُ بِهِ . وَأَمَّا أَهْلُ ٱلفَضْلِ وَٱلمُرُوءَةِ فَلَا يُقْنِعُهُمُ ٱلقَلِيلُ وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ دُونَ أَنْ تَسْمُوَ[٦] بِهِمْ نُفُوسُهُمْ إِلَى مَا هُمْ أَهْلٌ لَهُ وَهُوَ أَيْضًا لَهُمْ أَهْلٌ . كَٱلأَسَدِ ٱلَّذِي يَفْتَرِسُ ٱلأَرْنَبَ فَإِذَا رَأَى ٱلبَعِيرَ تَرَكَهَا وَطَلَبَ ٱلبَعِيرَ . أَلَا تَرَى أَنَّ ٱلكَلْبَ يُبَصْبِصُ بِذَنَبِهِ[٧] حَتَّى تَرْمِيَ لَهُ ٱلكِسْرَةَ مِنَ ٱلخُبْزِ فَيَفْرَحُ بِهَا وَتُقْنِعُهُ مِنْكَ . وَأَنَّ ٱلفِيلَ ٱلمُعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ وَقُوَّتِهِ إِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ عَلَفُهُ لَا يَعْتَلِفُهُ

---

(١) مقتضى حاله (٢) الى جهته (٣) اتاه (٤) وجده (٥) يذل ويقهر
(٦) تعلو (٧) يحركه

حَتَّى يُمْسَحَ وَجْهُهُ وَيُتَمَلَّقَ لَهُ . فَمَنْ عَاشَ ذَا مَالٍ وَكَانَ ذَا فَضْلٍ وَإِفْضَالٍ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ غَيْرَ خَامِلِ[١] ٱلْمَنْزِلَةِ فَهُوَ وَإِنْ قَلَّ عُمْرُهُ طَوِيلُ ٱلْعُمْرِ . وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشِهِ ضِيقٌ وَقِلَّةٌ وَإِمْسَاكٌ[٢] عَلَى نَفْسِهِ وَذَوِيهِ وَكَانَ خَامِلَ ٱلْمَنْزِلَةِ فَٱلْمَقْبُورُ أَحْيَا[٣] مِنْهُ . وَمَنْ عَمِلَ لِبَطْنِهِ وَشَهَوَاتِهِ وَقَنِعَ وَتَرَكَ مَا سِوَى ذٰلِكَ عُدَّ مِنَ ٱلْبَهَائِمِ * قَالَ كَلِيلَةُ : قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتَ فَرَاجِعْ عَقْلَكَ وَٱعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا فَإِنْ كَانَ فِي مَنْزِلَتِهِ ٱلَّتِي هُوَ فِيهَا مُتَمَاسِكًا[٤] كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَقْنَعَ . وَلَيْسَ لَنَا مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ مَا يَحُطُّ حَالَنَا ٱلَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا . ثُمَّ إِنَّ مَنْزِلَةَ ٱلْإِنْسَانِ مَقْدُورَةٌ[٥] عَلَيْهِ مُنْذُ ٱلْأَزَلِ فَلَا سَبِيلَ لَهُ إِلَّا ٱلرِّضَى بِهَا كَيْفَ كَانَتْ * قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ ٱلْمَنَازِلَ مُتَنَازَعَةٌ[٦] مُشْتَرَكَةٌ عَلَى قَدْرِ ٱلْمُرُوءَةِ . فَٱلْمَرْءُ تَرْفَعُهُ مُرُوءَتُهُ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْوَضِيعَةِ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلرَّفِيعَةِ . وَمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلرَّفِيعَةِ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْوَضِيعَةِ . وَإِنَّ ٱلِٱرْتِفَاعَ إِلَى ٱلْمَنْزِلَةِ ٱلشَّرِيفَةِ شَدِيدٌ وَٱلِٱنْحِطَاطَ مِنْهَا هَيِّنٌ . كَٱلْحَجَرِ ٱلثَّقِيلِ رَفْعُهُ مِنَ ٱلْأَرْضِ إِلَى ٱلْعَاتِقِ[٧] عَسِرٌ وَوَضْعُهُ إِلَى ٱلْأَرْضِ هَيِّنٌ . فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَرُومَ مَا فَوْقَنَا مِنَ ٱلْمَنَازِلِ وَأَنْ نَلْتَمِسَ ذٰلِكَ بِمُرُوءَتِنَا . ثُمَّ كَيْفَ نَقْنَعُ بِمَنْزِلَتِنَا وَنَحْنُ نَسْتَطِيعُ ٱلتَّحَوُّلَ عَنْهَا * قَالَ كَلِيلَةُ : فَمَا ٱلَّذِي ٱجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُكَ . قَالَ دِمْنَةُ : أُرِيدُ أَنْ أَتَعَرَّضَ لِلْأَسَدِ عِنْدَ هٰذِهِ ٱلْفُرْصَةِ لِأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّهُ ضَعِيفُ ٱلرَّأْيِ قَدِ ٱلْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَعَلَى جُنْدِهِ أَيْضًا وَلَعَلِّي عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ أَدْنُو مِنْهُ فَأُصِيبَ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً

---

(١) الخامل خلاف المشهور (٢) بخل وشح (٣) تفضيل من الحياة (٤) اي مكتفياً (٥) مقدَّرة (٦) اي كلٌّ يطلبها (٧) ما بين العنق والكتف

وَمَكَانَةً(١) فَيَبْتَدِرَنِي بِالْكَلَامِ . فَأُجِيبَهُ بِمَا تَقْدَحُهُ(٢) الْقَرِيحَةُ لَعَلَّهَا تُنْتِجُ بَيْنَنَا نَتِيجَةً تُؤَدِّي إِلَى إِظْهَارِ أَمْرٍ مَكْتُومٍ * قَالَ كَلِيلَةُ : وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ الْأَسَدَ قَدِ الْتَبَسَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ * قَالَ دِمْنَةُ : بِالْحِسِّ وَالرَّأْيِ أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ فَإِنَّ الرَّجُلَ ذَا الرَّأْيِ يَعْرِفُ حَالَ صَاحِبِهِ وَبَاطِنَ أَمْرِهِ بِمَا يَظْهَرُ لَهُ مِنْ دَلِّهِ وَشَكْلِهِ(٣) قَالَ كَلِيلَةُ : فَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَسْتَ بِصَاحِبِ السُّلْطَانِ وَلَا لَكَ عِلْمٌ بِخِدْمَةِ السَّلَاطِينِ وَآدَابِهِمْ وَآدَابِ مَجَالِسِهِمْ * قَالَ دِمْنَةُ الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقَوِيُّ لَا يَنُوءُ بِهِ(٤) الْحِمْلُ الثَّقِيلُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ الْحَمْلَ وَالرَّجُلُ الضَّعِيفُ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ(٥) وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ صِنَاعَتِهِ * قَالَ كَلِيلَةُ : فَإِنَّ السُّلْطَانَ لَا يَتَوَخَّى(٦) بِكَرَامَتِهِ فُضَلَاءَ مَنْ بِحَضْرَتِهِ وَلَكِنَّهُ يُؤْثِرُ(٧) الْأَدْنَى وَمَنْ قَرُبَ مِنْهُ * قَالَ دِمْنَةُ : يُقَالُ إِنَّ مَثَلَ السُّلْطَانِ فِي إِيثَارِهِ(٨) الْأَفْضَلَ دُونَ الْأَدْنَى مَثَلُ شَجَرِ الْكَرْمِ الَّذِي لَا يَعْلَقُ إِلَّا بِأَكْرَمِ الشَّجَرِ * قَالَ كَلِيلَةُ : وَكَيْفَ تَرْجُو الْمَنْزِلَةَ عِنْدَ الْأَسَدِ وَلَمْ تَكُنْ دَنَوْتَ مِنْهُ مِنْ قَبْلُ

قَالَ دِمْنَةُ قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ جَمِيعَهُ وَتَدَبَّرْتُ مَا قُلْتَ(٩) وَأَنْتَ صَادِقٌ لَكِنِ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَنَازِلُ الرَّفِيعَةُ عِنْدَ الْمُلُوكِ قَدْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَرْقَوْا(١٠) إِلَيْهَا لَيْسَتْ بِحَالَتِهِمْ فَيَقْرُبُونَ بَعْدَ الْبُعْدِ وَيَدْنُونَ بَعْدَ التَّنَائِي(١١) وَأَنَا مُلْتَمِسٌ بُلُوغَ مَكَانَتِهِمْ بِجُهْدِي . وَقَدْ قِيلَ لَا يُوَاظِبُ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَنْ يَطْرَحُ الْأَنَفَةَ(١٢) وَيَحْمِلُ الْأَذَى وَيَكْظِمُ(١٣) الْغَيْظَ وَيَرْفُقُ(١٤)

---

(١) رتبة (٢) تخرجه والقريحة الطبع (٣) اي هيئته وحاله (٤) اي لا يثقله
(٥) اي لا يحمله وحده (٦) اي لا يقصد ويتعمد (٧) يفضل (٨) اختياره
(٩) تفكرت فيه (١٠) يصعدوا (١١) التباعد (١٢) عزة النفس (١٣) يرد (١٤) بلطف

بِالنَّاسِ وَيَكْتُمُ السِّرَّ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ مُرَادَهُ * قَالَ كَلِيلَةُ: هَبْكَ (١) وَصَلْتَ إِلَى الْأَسَدِ فَمَا تَوْفِيقُكَ عِنْدَهُ الَّذِي تَرْجُو أَنْ تَنَالَ بِهِ الْمَنْزِلَةَ عِنْدَهُ وَالْحُظْوَةَ لَدَيْهِ * قَالَ دِمْنَةُ لَوْ دَنَوْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ أَخْلَاقَهُ لَرَفَقْتُ فِي مُتَابَعَتِهِ وَقِلَّةِ الْخِلَافِ لَهُ. وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا هُوَ فِي نَفْسِهِ صَوَابٌ زَيَّنْتُهُ لَهُ وَصَبَّرْتُهُ عَلَيْهِ وَعَرَّفْتُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّفْعِ وَالْخَيْرِ وَشَجَّعْتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ حَتَّى يَزْدَادَ بِهِ سُرُورًا. وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا يُخَافُ عَلَيْهِ ضَرُّهُ وَشَيْنُهُ (٢) بَصَّرْتُهُ (٣) بِمَا فِيهِ مِنَ الضَّرَرِ وَالشَّيْنِ وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى مَا فِي تَرْكِهِ مِنَ النَّفْعِ وَالزَّيْنِ بِحَسَبِ مَا أَجِدُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ. وَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَزْدَادَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْأَسَدِ مَكَانَةً وَيَرَى مِنِّي مَا لَا يَرَاهُ مِنْ غَيْرِي. فَإِنَّ الرَّجُلَ الْأَدِيبَ الرَّفِيقَ (٤) لَوْ شَاءَ أَنْ يُبْطِلَ حَقًّا أَوْ يُحِقَّ بَاطِلًا لَفَعَلَ. كَالْمُصَوِّرِ الْمَاهِرِ (٥) الَّذِي يُصَوِّرُ فِي الْحِيطَانِ صُوَرًا كَأَنَّهَا خَارِجَةٌ وَلَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ وَأُخْرَى كَأَنَّهَا دَاخِلَةٌ وَلَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ. فَإِذَا هُوَ عَرَفَ مَا عِنْدِي وَبَانَ لَهُ حُسْنُ رَأْيِي وَجَوْدَةُ فِكْرِي الْتَمَسَ إِكْرَامِي وَقَرَّبَنِي إِلَيْهِ

قَالَ كَلِيلَةُ: أَمَّا إِنْ قُلْتَ هَذَا أَوْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَتَهُ خَطِرَةٌ وَأُحَذِّرُكَ مِنَ الَّذِي أَرَدْتَهُ كَعِظَمِ خَطَرِهِ (٦) عِنْدَكَ. وَقَدْ قَالَتِ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ ثَلَاثَةً لَا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَهْوَجُ (٧) وَلَا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ إِلَّا قَلِيلٌ. وَهِيَ صُحْبَةُ السُّلْطَانِ وَائْتِمَانُ النِّسَاءِ عَلَى الْأَسْرَارِ وَشُرْبُ السُّمِّ لِلتَّجْرِبَةِ. وَإِنَّمَا شَبَّهَ الْعُلَمَاءُ السُّلْطَانَ بِالْجَبَلِ الصَّعْبِ الْمُرْتَقَى (٨)

---

(١) اي احسب نفسك (٢) اي عيبه (٣) عرَّفته وأوضحت له (٤) اللطيف
(٥) الحاذق العالم بالشيء (٦) شرفه (٧) احمق طائش (٨) الصعود اليه

ٱلَّذِي فِيهِ ٱلثِّمَارُ ٱلطَّيِّبَةُ وَٱلْأَنْهَارُ ٱلْجَارِيَةُ وَٱلْجَوَاهِرُ ٱلنَّفِيسَةُ وَٱلْأَدْوِيَةُ ٱلنَّافِعَةُ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ مَعْدِنٌ(١) ٱلسِّبَاعِ وَٱلنُّمُورِ وَٱلذِّئَابِ وَكُلِّ ضَارٍ(٢) مَخُوفٍ. فَٱلِٱرْتِقَاءُ إِلَيْهِ شَدِيدٌ وَٱلْمَقَامُ(٣) فِيهِ أَشَدُّ * قَالَ دِمْنَةُ صَدَقْتَ فِيمَا ذَكَرْتَ غَيْرَ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْأَهْوَالَ لَمْ يَنَلِ ٱلرَّغَائِبَ(٤) وَمَنْ تَرَكَ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي لَعَلَّهُ يَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَهُ هَيْبَةً وَمَخَافَةً لِمَا لَعَلَّهُ أَنْ يَتَوَقَّاهُ فَلَيْسَ بِبَالِغٍ جَسِيمًا. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ خِصَالًا ثَلَاثَةً لَنْ يَسْتَطِيعَهَا أَحَدٌ إِلَّا بِمَعُونَةٍ مِنْ عُلُوِّ هِمَّةٍ وَعَظِيمِ خَطَرٍ(٥). مِنْهَا صُحْبَةُ ٱلسُّلْطَانِ وَتِجَارَةُ ٱلْبَحْرِ وَمُنَاجَزَةُ(٦) ٱلْعَدُوِّ. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ فِي ٱلرَّجُلِ ٱلْفَاضِلِ ٱلرَّشِيدِ(٧): إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُرَى إِلَّا فِي مَكَانَيْنِ وَلَا يَلِيقُ بِهِ غَيْرُهُمَا إِمَّا مَعَ ٱلْمُلُوكِ مُكَرَّمًا أَوْ مَعَ ٱلنُّسَّاكِ مُتَعَبِّدًا كَٱلْفِيلِ إِنَّمَا جَمَالُهُ وَبَهَاؤُهُ(٨) فِي مَكَانَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَرَاهُ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ وَحْشِيًّا أَوْ مَرْكَبًا لِلْمُلُوكِ * قَالَ كَلِيلَةُ: خَارَ ٱللّٰهُ لَكَ(٩) فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ ٱنْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَعَفَّرَ(١٠) وَجْهَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ * فَقَالَ ٱلْأَسَدُ لِبَعْضِ جُلَسَائِهِ مَنْ هٰذَا: فَقَالَ هٰذَا دِمْنَةُ بْنُ سَلِيطٍ. قَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ أَيْنَ تَكُونُ: قَالَ لَمْ أَزَلْ مُرَابِطًا(١١) بَابَ ٱلْمَلِكِ دَاعِيًا لَهُ بِٱلنَّصْرِ وَدَوَامِ ٱلْبَقَاءِ. رَجَاءَ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرٌ فَأُعِينَ ٱلْمَلِكَ فِيهِ بِنَفْسِي وَرَأْيِي. فَإِنَّ أَبْوَابَ ٱلْمُلُوكِ تَكْثُرُ فِيهَا ٱلْأُمُورُ ٱلَّتِي رُبَّمَا يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى ٱلَّذِي لَا يُؤْبَهُ(١٢) لَهُ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَصْغُرُ أَمْرُهُ إِلَّا وَقَدْ

---

(١) مكان (٢) معتدٍ كاسر (٣) الاقامة (٤) جمع رغيبة وهي الامر المرغوب فيه (٥) قدر ومنزلة (٦) مقاتلة (٧) من الرشد وهو الاستقامة على طريق الحق (٨) حسنه (٩) اي جعل لك الخير (١٠) مرّغ أي خضع (١١) ملازماً (١٢) اي لا يلتفت اليه

يَكُونُ عِنْدَهُ بَعْضُ الْغَنَاء[١] وَالْمَنَافِعِ عَلَى قَدْرِهِ حَتَّى الْعُودُ الْمُلْقَى فِي الْأَرْضِ رُبَّمَا نَفَعَ فَيَأْخُذُهُ الرَّجُلُ فَيَحُكُّ بِهِ أُذُنَهُ فَيَكُونُ عُدَّتَهُ[٢] عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ* فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ قَوْلَ دِمْنَةَ أَعْجَبَهُ وَطَمِعَ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ نَصِيحَةٌ وَرَأْيٌ . فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ ذَا النُّبْلِ[٣] وَالْمُرُوءَةِ يَكُونُ خَامِلَ الذِّكْرِ مُنْخَفِضَ الْمَنْزِلَةِ فَتَأْبَى مَنْزِلَتُهُ إِلَّا أَنْ تَشِبَّ[٤] وَتَرْتَفِعَ كَالشُّعْلَةِ مِنَ النَّارِ يَضْرِبُهَا صَاحِبُهَا وَتَأْبَى إِلَّا ارْتِفَاعاً

فَلَمَّا عَرَفَ دِمْنَةُ أَنَّ الْأَسَدَ قَدْ عَجِبَ مِنْهُ وَحَسُنَ عِنْدَهُ كَلَامُهُ قَالَ أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنَّ رَعِيَّةَ الْمَلِكِ تَحْضُرُ بَابَهُ رَجَاءَ أَنْ يَعْرِفَ مَا عِنْدَهَا مِنْ عِلْمٍ وَافِرٍ كَالزَّرْعِ الْمَدْفُونِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ فَضْلُهُ حَتَّى يَخْرُجَ وَيَظْهَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . فَيَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَبْلُغَ بِكُلِّ امْرِئٍ مَرْتَبَتَهُ عَلَى قَدْرِ رَأْيِهِ وَعَلَى قَدْرِ مَا يَجِدُ عِنْدَهُ مِنَ الْمَنْفَعَةِ . وَقَدْ قِيلَ : أَمْرَانِ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَأْتِيَهُمَا[٥] مِثْلُ أَنْ يُجْعَلَ الْخَلْخَالُ[٦] قِلَادَةً لِلْعُنُقِ وَمِثْلُ أَنْ تُجْعَلَ الْقِلَادَةُ خَلْخَالًا فِي الرِّجْلِ . وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ الْفَضْلَ فِي أَمْرَيْنِ فَضْلِ الْمُقَاتِلِ عَلَى الْمُقَاتِلِ وَالْعَالِمِ عَلَى الْعَالِمِ . وَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَعْوَانِ[٧] إِذَا لَمْ يَكُونُوا مُخْتَبَرِينَ رُبَّمَا تَكُونُ مَضَرَّةً عَلَى الْعَمَلِ . فَإِنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ رَجَاؤُهُ بِكَثْرَةِ الْأَعْوَانِ وَلَكِنْ بِصَالِحِي الْأَعْوَانِ . وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَحْمِلُ الْحَجَرَ الثَّقِيلَ فَيَقْتُلُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يَجِدُ لَهُ ثَمَناً . وَحَامِلُ الْيَاقُوتِ وَإِنْ قَلَّ يَقْدِرُ عَلَى بَيْعِهِ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ . وَالْعَمَلُ الَّذِي يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْخَيْلِ

---

(١) النفع والاكتفاء (٢) اي ما أعده لحوادث الدهر (٣) الذكاء (٤) تزداد (٥) يفعلها (٦) سوار يلبس في الرجل للزينة (٧) المساعدين

وَٱلْخِدَاعِ لَا يَقْتَحِمُهُ إِلَّا أَفْهَمُ ٱلرِّجَالِ وَأَذْكَاهُمْ . وَٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي يَحْتَاجُ إِلَى ٱلْجُذُوعِ (١) لَا يُجْزِئُهُ (٢) ٱلْقَصَبُ وَإِنْ كَثُرَ * فَأَنْتَ ٱلْآنَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ لَا تَحْقِرَ مُرُوءَةً أَنْتَ تَجِدُهَا عِنْدَ رَجُلٍ صَغِيرِ ٱلْمَنْزِلَةِ فَإِنَّ ٱلصَّغِيرَ رُبَّمَا عَظُمَ كَٱلْعَصَبِ (٣) ٱلَّذِي يُؤْخَذُ مِنَ ٱلْمَيْتَةِ فَإِذَا عُمِلَتْ مِنْهُ ٱلْقَوْسُ أُكْرِمَ فَتَقْبِضُ عَلَيْهِ ٱلْمُلُوكُ وَتَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي ٱلْبَأْسِ وَٱللَّهْوِ

وَأَحَبَّ دِمْنَةُ أَنْ يُرِيَ ٱلْقَوْمَ أَنَّ مَا نَالَهُ مِنْ كَرَامَةِ ٱلْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ لِرَأْيِهِ وَمُرُوءَتِهِ وَعَقْلِهِ لِأَنَّهُمْ عَرَفُوا قَبْلَ ذٰلِكَ أَنَّ ذٰلِكَ لِمَعْرِفَتِهِ أَبَاهُ . فَقَالَ : إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ لَا يُقَرِّبُ ٱلرِّجَالَ لِقُرْبِ آبَائِهِمْ وَلَا يُبْعِدُهُمْ لِبُعْدِهِمْ وَلٰكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْرَبُ إِلَى ٱلرَّجُلِ مِنْ جَسَدِهِ وَمِنْ جَسَدِهِ مَا يَدْوَى (٤) حَتَّى يُؤْذِيَهُ وَلَا يُدْفَعُ ذٰلِكَ عَنْهُ إِلَّا بِٱلدَّوَاءِ ٱلَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدُ

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ مَقَالَتِهِ هٰذِهِ أُعْجِبَ ٱلْأَسَدُ بِهِ (٥) إِعْجَابًا شَدِيدًا وَأَحْسَنَ ٱلرَّدَّ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ . ثُمَّ قَالَ ٱلْمَلِكُ لِجُلَسَائِهِ : يَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ أَنْ لَا يُلِحَّ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذَوِي ٱلْحُقُوقِ فَإِنَّ عَاقِبَةَ (٦) ذٰلِكَ رَدِيئَةٌ حَتَّى مِمَّنْ لَا يُتَوَقَّعُ (٧) أَذَاهُ . وَٱلنَّاسُ فِي ذٰلِكَ رَجُلَانِ : رَجُلٌ طَبْعُهُ ٱلشَّرَاسَةُ فَهُوَ كَٱلْحَيَّةِ إِنْ وَطِئَهَا (٨) ٱلْوَاطِئُ فَلَمْ تَلْدَغْهُ (٩) لَمْ يَكُنْ جَدِيرًا أَنْ يَغُرَّهُ ذٰلِكَ مِنْهَا فَيَعُودَ إِلَى وَطْئِهَا ثَانِيَةً فَتَلْدَغَهُ . وَرَجُلٌ أَصْلُ طِبَاعِهِ ٱلسُّهُولَةُ فَهُوَ كَٱلصَّنْدَلِ (١٠) ٱلْبَارِدِ ٱلَّذِي إِذَا أُفْرِطَ فِي حَكِّهِ صَارَ حَارًّا مُؤْذِيًا

---

(١) جمع جذع وهو ساق النخلة (٢) اي لا يغنيه (٣) المراد به المعي (٤) يمرض (٥) اي عجب منه وسرّ (٦) آخرة (٧) اي لا ينتظر (٨) داسها (٩) تلسعه (١٠) خشب من الادوية القلبية

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ ٱسْتَأْنَسَ بِٱلْأَسَدِ وَخَلَا بِهِ فَقَالَ لَهُ يَوْماً : رَأَيْتُ ٱلْمَلِكَ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ خِلَافاً لِمَأْلُوفِهِ[١] وَهُوَ أَعْظَمَهُ ٱللهُ مَنِيعُ ٱلْجَانِبِ نَافِذُ ٱلْأَمْرِ آمِنُ ٱلسَّاحَةِ . فَرَأَيْتُ أَنْ أَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ بِٱلِاسْتِفْهَامِ عَلَى وَجْهِ ٱلنَّصِيحَةِ فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ ٱلْخَفِيَّةَ لَا يُظْهِرُهَا إِلَّا ٱلْبَحْثُ عَنْهَا . فَإِذَا أُظْهِرَتْ أُجِيلَتِ[٢] ٱلْفِكْرَةُ فِيهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هٰذَا ٱلْحَدِيثِ إِذْ خَارَ شَتْرَبَةُ خُوَاراً[٣] شَدِيداً فَهَيَّجَ ٱلْأَسَدَ وَكَرِهَ أَنْ يُخْبِرَ دِمْنَةَ بِمَا نَالَهُ . وَعَلِمَ دِمْنَةُ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلصَّوْتَ قَدْ أَدْخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ رِيبَةً[٤] وَهَيْبَةً . فَسَأَلَهُ هَلْ رَابَ ٱلْمَلِكَ[٥] سَمَاعُ هٰذَا ٱلصَّوْتِ . قَالَ لَمْ يَرِبْنِي شَيْءٌ سِوَى ذٰلِكَ وَهُوَ ٱلَّذِي حَبَسَنِي هٰذِهِ ٱلْمُدَّةَ فِي مَكَانِي . وَقَدْ صَحَّ[٦] عِنْدِي مِنْ طَرِيقِ ٱلْقِيَاسِ أَنَّ جُثَّةَ صَاحِبِ هٰذَا ٱلصَّوْتِ ٱلْمُنْكَرِ ٱلَّذِي لَمْ أَسْمَعْهُ قَطُّ عَظِيمَةٌ لِأَنَّ صَوْتَهُ تَابِعٌ لِبَدَنِهِ . فَإِنْ يَكُنْ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ لَنَا مَعَهُ قَرَارٌ وَلَا مُقَامٌ : قَالَ دِمْنَةُ : لَيْسَ ٱلْمَلِكُ بِحَقِيقٍ أَنْ يَدَعَ مَكَانَهُ لِأَجْلِ صَوْتٍ . فَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ لَيْسَ مِنْ كُلِّ ٱلْأَصْوَاتِ تَجِبُ ٱلْهَيْبَةُ . قَالَ ٱلْأَسَدُ وَمَا مَثَلُ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ ثَعْلَباً أَتَى أَجَمَةً[٧] فِيهَا طَبْلٌ مُعَلَّقٌ عَلَى شَجَرَةٍ وَكُلَّمَا هَبَّتِ ٱلرِّيحُ عَلَى قُضْبَانِ تِلْكَ ٱلشَّجَرَةِ حَرَّكَتْهَا فَضَرَبَتِ ٱلطَّبْلَ فَسُمِعَ لَهُ صَوْتٌ عَظِيمٌ بَاهِرٌ[٨] فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ نَحْوَهُ لِأَجْلِ مَا سَمِعَ مِنْ عَظِيمِ صَوْتِهِ فَلَمَّا أَتَاهُ وَجَدَهُ ضَخْماً فَأَيْقَنَ فِي نَفْسِهِ بِكَثْرَةِ ٱلشَّحْمِ وَٱللَّحْمِ فَعَالَجَهُ حَتَّى شَقَّهُ فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ لَا شَيْءَ فِيهِ قَالَ لَا أَدْرِي لَعَلَّ أَفْشَلَ[٩] ٱلْأَشْيَاءِ

---

(١) من ألف المكان اذا تعوده واستأنس به (٢) أُديرت (٣) صوت الثور (٤) الشك وقلق النفس (٥) الريبة الشك (٦) ثبت (٧) واحدة الاجم وهو الشجر الكثير الملتف (٨) من بهر فلان الامر اذا كربه (٩) اضعف

أَجهرُها (١) صوتاً وأعظمُها جثةً

وإنما ضربتُ لك هذا المثلَ لتعلمَ أنَّ هذا الصوتَ الذي راعنا (٢) لو وصلنا إليه لوجدناه أيسرَ مما في أنفسنا . فإن شاء الملكُ بعثني وأقامَ بمكانه حتى آتيهُ ببيانِ هذا الصوتِ . فوافقَ الأسدَ قولُهُ فأذنَ له في الذهابِ نحوَ الصوتِ

فانطلقَ دمنةُ إلى المكانِ الذي فيه شتربةُ . فلما فصلَ (٣) دمنةُ من عندِ الأسدِ فكَّرَ الأسدُ في أمرِهِ وندمَ على إرسالِ دمنةَ حيثُ أرسلَهُ وقالَ في نفسه : ما أصبتُ في ائتماني دمنةَ وإطلاعِهِ على سرّي وقد كانَ ببابي مطروحاً . فإنَّ الرجلَ الذي يحضرُ بابَ الملكِ إذا كانَ قد أُطيلتْ جفوتُهُ (٤) من غيرِ جرمٍ (٥) كانَ منهُ أو كانَ مبغياً عليه (٦) عندَ سلطانِه . أو كانَ عندهُ معروفاً بالشرهِ والحرصِ . أو كانَ قد أصابهُ ضرٌّ وضيقٌ فلم ينعشْهُ (٧) . أو كانَ قد اجترمَ جرماً فهو يخافُ العقوبةَ منهُ . أو كانَ يرجو شيئاً يضرُّ الملكَ ولهُ منهُ نفعٌ . أو يخافُ في شيءٍ مما ينفعهُ ضراً . أو كانَ لعدوِّ الملكِ سلماً (٨) ولسلمهِ حرباً (٩) . أو كانَ قد حِيلَ (١٠) بينهُ وبينَ ما في يديهِ من السلطانِ . أو باعدهُ . أو طردهُ . فليسَ السلطانُ بحقيقٍ أن يعجلَ في الاسترسالِ (١١) إلى هؤلاءِ والثقةِ بهم والائتمانِ لهم * وإنَّ دمنةَ داهيةٌ (١٢) أديبٌ وقد كانَ ببابي مطروحاً مجفواً . ولعلَّهُ قد احتملَ عليَّ

---

(١) اعلاها (٢) افزعنا (٣) خرج (٤) نقيض المواصلة والمؤانسة (٥) ذنب (٦) اي مظلوماً (٧) اي لم يجبره بعد فقره (٨) مسالماً (٩) محارباً (١٠) اعترض (١١) الانبساط والاستئناس (١٢) اي ذو مكر وجودة رأي والتاء فيه للمبالغة

بذلك ضغناً(١) ولعل ذلك يحمله على خيانتي وإعانة عدوي ونقيصتي عنده ولعله أن يصادف صاحب الصوت أقوى سلطاناً مني فيرغب به عني ويميل معه علي . ولقد كان الواجب أن أهجم على صاحب هذا الصوت بنفسي . ولم يزل الأسد يحدث نفسه بأمثال ذلك حتى جعل يمشي وينظر إلى الطريق التي سار فيها دمنة . فلم يمش غير قليل حتى بصر بدمنة(٢) مقبلاً نحوه فطابت نفسه بذلك ورجع إلى مكانه

ودخل دمنة عليه فقال له الأسد : ماذا صنعت وماذا رأيت . قال رأيت ثوراً وهو صاحب الخوار والصوت الذي سمعته . قال فما قوته : قال لا شوكة(٣) له وقد دنوت منه وحاورته محاورة الأكفاء(٤) فلم يستطع لي شيئاً * قال الأسد : لا يغرنك ذلك منه ولا يصغرن عندك أمره فإن الريح الشديدة لا تعبأ(٥) بضعيف الحشيش لكنها تحطم(٦) طوال النخل وعظيم الشجر وتقلع الدوحة(٧) العاتية(٨) من موضعها . قال دمنة : لا تهابن أيها الملك منه شيئاً ولا يكبرن عليك أمره فأنا على ضعفي آتيك به فيكون لك عبداً سامعاً مطيعاً . قال الأسد دونك(٩) ما بدا لك وقد تعلق أمله به . فانطلق دمنة إلى الثور فقال له غير هائب ولا مكترث : إن الأسد أرسلني إليك لآتيه بك وأمرني إن أنت عجلت إليه أن أؤمنك على ما سلف من ذنبك في التأخر عنه وتركك لقاءه(١٠) وإن أنت تأخرت وأحجمت(١١) أن أعجل الرجعة إليه فأخبره . قال له

---

(١) اي حقداً (٢) لمحه (٣) اي لا قوة له ولا شجاعة (٤) النظراء
(٥) لا تبالي (٦) تكسر (٧) الشجرة العظيمة (٨) المجاوزة الحد في الكبر
(٩) اي افعل (١٠) مقابلته (١١) كففت عنه

شَتْرَبَةُ وَمَنْ هٰذَا ٱلْأَسَدُ ٱلَّذِي أَرْسَلَكَ إِلَيَّ وَأَيْنَ هُوَ وَمَا حَالُهُ * قَالَ دِمْنَةُ هُوَ مَلِكُ ٱلسِّبَاعِ وَهٰذِهِ ٱلْأَرْضُ ٱلَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا لَهُ وَهُوَ بِمَكَانِ كَذَا وَمَعَهُ جُنْدٌ كَثِيرٌ مِنْ جِنْسِهِ . فَرُعِبَ(١) شَتْرَبَةُ مِنْ ذِكْرِ ٱلْأَسَدِ وَٱلسِّبَاعِ وَقَالَ : إِنْ أَنْتَ جَعَلْتَ لِيَ ٱلْأَمَانَ عَلَى نَفْسِي أَقْبَلْتُ مَعَكَ إِلَيْهِ . فَأَعْطَاهُ دِمْنَةُ مِنَ ٱلْأَمَانِ مَا وَثِقَ بِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ وَٱلثَّوْرُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَا عَلَى ٱلْأَسَدِ * فَأَحْسَنَ ٱلْأَسَدُ إِلَى ٱلثَّوْرِ وَقَرَّبَهُ(٢) وَقَالَ لَهُ : مَتَى قَدِمْتَ هٰذِهِ ٱلْبِلَادَ وَمَا أَقْدَمَكَهَا(٣) فَقَصَّ شَتْرَبَةُ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ ٱصْحَبْنِي وَٱلْزَمْنِي فَإِنِّي مُكْرِمُكَ وَمُحْسِنٌ إِلَيْكَ . فَدَعَا لَهُ ٱلثَّوْرُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَٱنْصَرَفَ وَقَدْ أُعْجِبَ بِهِ ٱلْأَسَدُ إِعْجَابًا شَدِيدًا لِمَا ظَهَرَ لَهُ مِنْ عَقْلِهِ وَأَدَبِهِ * ثُمَّ إِنَّهُ قَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَأَنِسَ بِهِ وَٱئْتَمَنَهُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَشَاوَرَهُ فِي أَمْرِهِ وَلَمْ تَزِدْهُ ٱلْأَيَّامُ إِلَّا عُجْبًا بِهِ(٤) وَرَغْبَةً فِيهِ وَتَقْرِيبًا لَهُ حَتَّى صَارَ أَخَصَّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً

فَلَمَّا رَأَى دِمْنَةُ أَنَّ ٱلثَّوْرَ قَدِ ٱخْتَصَّ(٥) بِٱلْأَسَدِ دُونَهُ وَدُونَ أَصْحَابِهِ وَأَنَّهُ قَدْ صَارَ صَاحِبَ رَأْيِهِ وَخَلَوَاتِهِ وَلَهْوِهِ حَسَدَهُ حَسَدًا عَظِيمًا وَبَلَغَ مِنْهُ غَيْظُهُ كُلَّ مَبْلَغٍ . فَشَكَا ذٰلِكَ إِلَى أَخِيهِ كَلِيلَةَ وَقَالَ لَهُ : أَلَا تَعْجَبُ يَا أَخِي مِنْ عَجْزِ رَأْيِي وَصُنْعِي بِنَفْسِي وَنَظَرِي فِيمَا يَنْفَعُ ٱلْأَسَدَ وَأَغْفَلْتُ(٦) نَفْعَ نَفْسِي حَتَّى جَلَبْتُ إِلَى ٱلْأَسَدِ ثَوْرًا غَلَبَنِي عَلَى مَنْزِلَتِي * قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ أَصَابَكَ مَا أَصَابَ(٧) ٱلنَّاسِكَ * قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا أَصَابَ مِنْ بَعْضِ ٱلْمُلُوكِ كُسْوَةً فَاخِرَةً .

---

(١) اي خاف (٢) قدمه في خدمته (٣) اي ما الذي جعلك تأتيها (٤) زهوًا وكبرًا (٥) انفرد به (٦) تركت واهملت (٧) نال

فَبَصُرَ بِهِ سَارِقٌ فَطَمِعَ فِي ٱلثِّيَابِ وَعَمِلَ عَلَى (١) سَرِقَتِهَا . فَأَتَى ٱلنَّاسِكَ وَقَالَ لَهُ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَصْحَبَكَ فَأَتَعَلَّمَ مِنْكَ وَآخُذَ عَنْكَ . فَأَذِنَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ فِي صُحْبَتِهِ فَصَحِبَهُ مُتَشَبِّهًا بِهِ وَرَفَقَ لَهُ (٢) فِي خِدْمَتِهِ حَتَّى أَمِنَهُ ٱلنَّاسِكُ وَٱطْمَأَنَّ إِلَيْهِ (٣) . فَرَصَدَهُ (٤) حَتَّى إِذَا ظَفِرَ بِهِ وَأَمْكَنَتْهُ ٱلْفُرْصَةُ أَخَذَ تِلْكَ ٱلثِّيَابَ فَذَهَبَ بِهَا * فَلَمَّا فَقَدَ ٱلنَّاسِكُ ثِيَابَهُ عَلِمَ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ أَخَذَهَا فَتَوَجَّهَ فِي طَلَبِهِ . فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِوَعِلَيْنِ (٥) يَتَنَاطَحَانِ حَتَّى سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا . فَجَاءَ ثَعْلَبٌ يَلَغُ (٦) فِي تِلْكَ ٱلدِّمَاءِ وَيَتَحَكَّكُ بِهِمَا (٧) وَيُزَاحِمُهُمَا فَغَضِبَا مِنْهُ وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ بِنِطَاحِهِمَا فَقَتَلَاهُ . فَعَجِبَ ٱلنَّاسِكُ مِنْ ذٰلِكَ وَمَضَى حَتَّى دَخَلَ إِحْدَى ٱلْمُدُنِ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا قِرًى (٨) إِلَّا بَيْتَ ٱمْرَأَةٍ فَنَزَلَ بِهَا وَٱسْتَضَافَهَا وَكَانَتْ لِلْمَرْأَةِ جَارِيَةٌ تُؤَاجِرُهَا . وَكَانَتِ ٱلْجَارِيَةُ قَدْ عَلِقَتْ (٩) رَجُلًا تُرِيدُ أَنْ تَتَّخِذَهُ بَعْلًا لَهَا . وَقَدْ أَضَرَّ ذٰلِكَ بِمَوْلَاتِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا سَبِيلٌ إِلَى مُدَافَعَتِهِ . فَٱحْتَالَتْ لِقَتْلِهِ فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتِي ٱسْتَضَافَهَا فِيهَا ٱلنَّاسِكُ * ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ وَافَى (١٠) فَسَقَتْهُ مِنَ ٱلْخَمْرَةِ حَتَّى سَكِرَ وَنَامَ . فَلَمَّا ٱسْتَغْرَقَ فِي ٱلنَّوْمِ وَنَامَ مَنْ فِي ٱلْبَيْتِ عَمَدَتْ (١١) لِسُمٍّ كَانَتْ قَدْ أَعَدَّتْهُ (١٢) فِي قَصَبَةٍ لِتَنْفُخَهُ فِي أَنْفِ ٱلرَّجُلِ . فَلَمَّا أَرَادَتْ ذٰلِكَ بَدَرَتْ (١٣) مِنْ أَنْفِهِ عَطْسَةٌ فَعَكَسَتِ ٱلسُّمَّ إِلَى حَلْقِ ٱلْمَرْأَةِ فَوَقَعَتْ مَيْتَةً . وَكُلُّ ذٰلِكَ بِعَيْنِ ٱلنَّاسِكِ وَسَمْعِهِ

فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ لَمْ يُصَدِّقْ أَنْ طَلَعَ ٱلصَّبَاحُ حَتَّى خَرَجَ يَبْتَغِي مَنْزِلًا غَيْرَهُ فَٱسْتَضَافَ رَجُلًا إِسْكَافًا فَأَتَى بِهِ ٱمْرَأَتَهُ وَقَالَ لَهَا : ٱنْظُرِي إِلَى هٰذَا ٱلنَّاسِكِ

---

(١) اي سعى فيها (٢) اي عاملهُ باللطف (٣) سكن وآمن له (٤) ترقبهُ
(٥) مثنى وعل (٦) يشرب بلسانهِ (٧) اي يتعرض لشرهما (٨) ضيافة
(٩) احبت (١٠) اتى (١١) قصدت (١٢) هيأتهُ (١٣) سبقت وأسرعت

وَأَكْرِمِي مَثْوَاهُ(١) وَقُومِي بِخِدْمَتِهِ فَقَدْ دَعَانِي بَعْضُ أَصْدِقَائِي لِلشُّرْبِ عِنْدَهُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ ذَاهِبًا. وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ ٱبْنَةٌ تُرِيدُ أَنْ تُزَوِّجَهَا لِرَجُلٍ لَمْ يَكُنْ زَوْجُهَا يُرِيدُهُ. فَكَانَ ٱلرَّجُلُ يَخْتَلِفُ(٢) إِلَى ٱلْبَيْتِ فِي غِيَابِ زَوْجِهَا وَٱلْوَسِيطُ بَيْنَهُمَا ٱمْرَأَةُ حَجَّامٍ(٣) فَأَرْسَلَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْإِسْكَافِ إِلَى ٱمْرَأَةِ ٱلْحَجَّامِ تَأْمُرُهَا بِٱلْمَصِيرِ(٤) إِلَيْهَا وَتُعَرِّفُ ٱلرَّجُلَ غِيَابَ زَوْجِهَا وَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجِي قَدْ ذَهَبَ لِيَشْرَبَ عِنْدَ بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ وَإِنْ عَادَ لَا يَعُودُ إِلَّا سَكْرَانَ فَقُولِي لَهُ يُسْرِعِ ٱلْكَرَّةَ(٥) ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ جَاءَ فَقَعَدَ عَلَى ٱلْبَابِ يَنْتَظِرُ ٱلْإِذْنَ وَوَافَقَ ذٰلِكَ مَجِيءُ ٱلْإِسْكَافِ سَكْرَانَ فَرَأَى ٱلرَّجُلَ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَٱرْتَابَ بِهِ فَلَمْ يُكَلِّمْهُ وَدَخَلَ مُغْضَبًا إِلَى ٱمْرَأَتِهِ فَأَوْجَعَهَا ضَرْبًا ثُمَّ أَوْثَقَهَا(٦) فِي أُسْطُوَانَةٍ(٧) فِي ٱلْمَنْزِلِ وَذَهَبَ فَنَامَ لَا يَعْقِلُ * وَجَاءَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ تُعْلِمُهَا أَنَّ ٱلرَّجُلَ قَدْ أَطَالَ ٱلْجُلُوسَ فَقَالَتْ لَهَا ٱنْظُرِي إِلَى مَا أَنَا فِيهِ بِسَبَبِهِ. فَإِنْ شِئْتِ وَأَحْسَنْتِ إِلَيَّ حَلَلْتِنِي وَرَبَطْتُكِ مَكَانِي حَتَّى أَنْطَلِقَ فَأَعْتَذِرَ إِلَيْهِ وَأُعَجِّلَ ٱلْعَوْدَةَ. فَأَجَابَتْهَا ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ إِلَى ذٰلِكَ وَحَلَّتْهَا وَٱنْطَلَقَتْ إِلَى ٱلرَّجُلِ وَأَوْثَقَتْ هِيَ نَفْسَهَا مَكَانَهَا. فَٱسْتَيْقَظَ ٱلْإِسْكَافُ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ زَوْجَتُهُ. فَنَادَاهَا بِٱسْمِهَا فَلَمْ تُجِبْهُ ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ وَخَافَتْ مِنَ ٱلْفَضِيحَةِ أَنْ يُنْكِرَ صَوْتَهَا(٨) ثُمَّ دَعَاهَا ثَانِيَةً فَلَمْ تُجِبْهُ. فَٱمْتَلَأَ غَيْظًا وَحَنَقًا وَقَامَ نَحْوَهَا بِٱلشَّفْرَةِ(٩) فَجَدَعَ(١٠) أَنْفَهَا وَقَالَ خُذِي هٰذَا فَأَتْحِفِي بِهِ صَدِيقَكِ وَهُوَ لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهَا ٱمْرَأَتُهُ * ثُمَّ جَاءَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْإِسْكَافِ فَرَأَتْ صُنْعَ زَوْجِهَا(١١) بِٱمْرَأَةِ ٱلْحَجَّامِ فَسَاءَهَا ذٰلِكَ وَأَكْبَرَتْهُ(١٢)

---

(١) مقامهُ (٢) يأتي (٣) الحجام هو الذي يعالج المريض بالمحجمة وهي قارورة يقال لها كاس الحجامة (٤) اي بالرجوع (٥) الرجعة (٦) ربطها (٧) عمود (٨) اي يجهلهُ (٩) السكين (١٠) قطع (١١) اي فعلهُ (١٢) اي رأتهُ امرًا كبيرًا

وَحَلَّتْ وِثَاقَهَا (١) فَانْطَلَقَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا مَجْدُوعَةَ ٱلْأَنْفِ وَكُلُّ ذٰلِكَ بِعَيْنِ ٱلنَّاسِكِ وَسَمْعِهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱمْرَأَةَ ٱلْإِسْكَافِ جَعَلَتْ تَبْتَهِلُ (٢) وَتَدْعُو عَلَى زَوْجِهَا ٱلَّذِي ظَلَمَهَا وَتَقُولُ ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ زَوْجِي قَدْ ظَلَمَنِي فَأَعِدْ عَلَيَّ أَنْفِي صَحِيحاً. ثُمَّ رَفَعَتْ صَوْتَهَا وَنَادَتْ زَوْجَهَا: أَيُّهَا ٱلْفَاجِرُ ٱلظَّالِمُ قُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ صُنْعُكَ بِي وَصُنْعُ ٱللّٰهِ بِي كَيْفَ رَحِمَنِي وَرَدَّ أَنْفِي صَحِيحاً كَمَا كَانَ. فَقَامَ وَأَوْقَدَ ٱلْمِصْبَاحَ وَنَظَرَ فَإِذَا أَنْفُ زَوْجَتِهِ صَحِيحٌ. فَاسْتَغْفَرَ إِلَيْهَا وَتَابَ عَنْ ذَنْبِهِ وَٱسْتَغْفَرَ إِلَى رَبِّهِ * وَأَمَّا ٱمْرَأَةُ ٱلْحَجَّامِ فَإِنَّهَا لَمَّا وَصَلَتْ إِلَى مَنْزِلِهَا تَفَكَّرَتْ فِي طَلَبِ ٱلْعُذْرِ عِنْدَ زَوْجِهَا وَأَهْلِهَا فِي جَدْعِ أَنْفِهَا وَرَفْعِ ٱلْإِلْتِبَاسِ. فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ ٱلسَّحَرِ ٱسْتَيْقَظَ ٱلْحَجَّامُ فَقَالَ لِٱمْرَأَتِهِ: هَاتِي أَدَوَاتِي (٣) كُلَّهَا فَإِنِّي أُرِيدُ ٱلْمُضِيَّ إِلَى بَعْضِ ٱلْأَشْرَافِ فَأَتَتْهُ بِٱلْمُوسَى. فَقَالَ لَهَا هَاتِي ٱلْأَدَوَاتِ جَمِيعَهَا فَلَمْ تَأْتِهِ إِلَّا بِٱلْمُوسَى. فَغَضِبَ حِينَ أَطَالَتِ ٱلتَّكْرَارَ وَرَمَاهَا بِهِ فَوَلْوَلَتْ وَصَاحَتْ أَنْفِي أَنْفِي وَجَلَبَتْ (٤) حَتَّى جَاءَ أَهْلُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا فَرَأَوْهَا عَلَى تِلْكَ ٱلْحَالَةِ فَأَخَذُوا ٱلْحَجَّامَ فَانْطَلَقُوا بِهِ إِلَى ٱلْقَاضِي فَقَالَ لَهُ ٱلْقَاضِي: مَا حَمَلَكَ عَلَى جَدْعِ أَنْفِ ٱمْرَأَتِكَ. فَلَمْ تَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ يَحْتَجُّ بِهَا. فَأَمَرَ بِهِ ٱلْقَاضِي أَنْ يُقْتَصَّ مِنْهُ (٥) * فَلَمَّا قُدِّمَ لِلْقِصَاصِ وَافَى (٦) ٱلنَّاسِكُ فَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْقَاضِي وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا ٱلْحَاكِمُ لَا يَشْتَبِهَنَّ عَلَيْكَ هٰذَا ٱلْأَمْرُ فَإِنَّ ٱللِّصَّ لَيْسَ هُوَ ٱلَّذِي سَرَقَنِي وَإِنَّ ٱلثَّعْلَبَ لَيْسَ ٱلْوِعْلَانِ قَتَلَاهُ وَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ لَيْسَ ٱلسُّمُّ قَتَلَهَا، وَإِنَّ ٱمْرَأَةَ ٱلْحَجَّامِ لَيْسَ زَوْجُهَا جَدَعَ أَنْفَهَا

---

(١) رباطها (٢) تتضرع الى الله (٣) آلات صناعتي (٤) صاحت وضجت
(٥) اي يعاقب (٦) أتى

وَإِنَّمَا نَحْنُ فَعَلْنَا ذٰلِكَ بِأَنْفُسِنَا . فَسَأَلَهُ ٱلْقَاضِي عَنِ ٱلتَّفْسِيرِ فَأَخْبَرَهُ بِٱلْقِصَّةِ فَأَمَرَ ٱلْقَاضِي بِإِطْلَاقِ ٱلْحَجَّامِ

قَالَ دِمْنَةُ قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ وَهُوَ شَبِيهٌ بِأَمْرِي . وَلَعَلِّي مَا ضَرَّنِي أَحَدٌ سِوَى نَفْسِي وَلٰكِنْ مَا ٱلْحِيلَةُ * قَالَ كَلِيلَةُ أَخْبِرْنِي عَنْ رَأْيِكَ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَعْزِمَ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ * قَالَ دِمْنَةُ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ ٱلْيَوْمَ أَرْجُو أَنْ تَزْدَادَ مَنْزِلَتِي عِنْدَ ٱلْأَسَدِ فَوْقَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ . وَلٰكِنْ أَلْتَمِسُ[1] أَنْ أَعُودَ إِلَى مَا كَانَتْ حَالِي عَلَيْهِ . فَإِنَّ أُمُورًا ثَلَاثَةً ٱلْعَاقِلُ جَدِيرٌ[2] بِٱلنَّظَرِ فِيهَا وَٱلِاحْتِيَالِ[3] لَهَا بِجُهْدِهِ . مِنْهَا ٱلنَّظَرُ فِيمَا مَضَى مِنَ ٱلضَّرِّ وَٱلنَّفْعِ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنَ ٱلضَّرِّ ٱلَّذِي أَصَابَهُ فِيمَا سَلَفَ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ذٰلِكَ ٱلضَّرِّ وَيَلْتَمِسَ ٱلنَّفْعَ ٱلَّذِي مَضَى وَيَحْتَالَ لِمُعَاوَدَتِهِ . وَمِنْهَا ٱلنَّظَرُ فِيمَا هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ وَٱلْمَضَارِّ . وَٱلِاسْتِيثَاقُ[4] مِمَّا يَنْفَعُ وَٱلْهَرَبُ مِمَّا يَضُرُّ . وَمِنْهَا ٱلنَّظَرُ فِي مُسْتَقْبَلِ مَا يَرْجُو مِنْ قِبَلِ ٱلنَّفْعِ وَمَا يَخَافُ مِنْ قِبَلِ ٱلضَّرِّ لِيَسْتَتِمَّ مَا يَرْجُو وَيَتَوَقَّى مَا يَخَافُ بِجُهْدِهِ

وَإِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ فِي ٱلْأَمْرِ ٱلَّذِي بِهِ أَرْجُو أَنْ تَعُودَ مَنْزِلَتِي وَمَا غُلِبْتُ عَلَيْهِ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ لَمْ أَجِدْ حِيلَةً وَلَا وَجْهًا إِلَّا ٱلِاحْتِيَالَ لِآكِلِ ٱلْعُشْبِ[5] هٰذَا حَتَّى أُفَرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْحَيَاةِ فَإِنَّهُ إِنْ فَارَقَ ٱلْأَسَدَ عَادَتْ لِي مَنْزِلَتِي . وَلَعَلَّ ذٰلِكَ يَكُونُ خَيْرًا لِلْأَسَدِ . فَإِنَّ إِفْرَاطَهُ[6] فِي تَقْرِيبِ ٱلثَّوْرِ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ مَا أَرَى عَلَى ٱلْأَسَدِ فِي رَأْيِهِ فِي ٱلثَّوْرِ

---

(١) اطلب (٢) خليق (٣) الاتيان بالحيلة وهي الحذق وجودة النظر والقدرة على دقة التصرف (٤) التثبّت (٥) المراد به الثور (٦) مجاوزتهُ الحد

وَمَكَانِهِ مِنهُ وَمَنزِلَتِهِ عِندَهُ شَيئاً وَلَا شَرًّا . قَالَ دِمْنَةُ إِنَّمَا يُؤْتَى ٱلسُّلطَانُ[١] وَيَفسُدُ أَمرُهُ مِنْ قِبَلِ سِتَّةِ أَشيَاءَ : ٱلحِرْمَانِ وَٱلفِتْنَةِ وَٱلهَوَى وَٱلفَظَاظَةِ وَٱلزَّمَانِ وَٱلخُرْقِ . فَأَمَّا ٱلحِرْمَانُ فَأَنْ يُحْرَمَ مِنْ صَالِحِي ٱلأَعْوَانِ وَٱلنُّصَحَاءِ وَٱلسَّاسَةِ[٢] مِنْ أَهلِ ٱلرَّأْيِ وَٱلنَّجْدَةِ[٣] وَٱلأَمَانَةِ وَأَنْ يَكُونَ مَنْ حَولَهُ فَاسِدًا مَانِعاً مِنْ وُصُولِ أُمُورِ ٱلمُلْكِ إِلَيهِ . وَأَنْ يَحْرِمَ هُوَ أَهلَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلصَّلَاحِ مِنْ عِنَايَتِهِ وَٱلتِفَاتِهِ إِلَيهِمْ . وَأَمَّا ٱلفِتْنَةُ فَهِيَ تَحَارُبُ رَعِيَّتِهِ وَوُقُوعُ ٱلخِلَافِ وَٱلنِّزَاعِ بَينَهُمْ . وَأَمَّا ٱلهَوَى فَٱلإِغْرَامُ[٤] بِٱلنِّسَاءِ وَٱلحَدِيثِ وَٱللَّهْوِ وَٱلشَّرَابِ وَٱلصَّيدِ وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ . وَأَمَّا ٱلفَظَاظَةُ فَهِيَ إِفْرَاطُ ٱلشِّدَّةِ حَتَّى يَجْمَحَ[٥] ٱللِّسَانُ بِٱلشَّتْمِ وَٱليَدُ بِٱلبَطْشِ فِي غَيرِ مَوضِعِهِمَا . وَأَمَّا ٱلزَّمَانُ فَهُوَ مَا يُصِيبُ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلسِّنِينَ[٦] مِنَ ٱلمُوتَانِ[٧] وَنَقصِ ٱلثَّمَرَاتِ وَٱلغَزَوَاتِ[٨] وَأَشبَاهِ ذٰلِكَ . وَأَمَّا ٱلخُرْقُ فَإِعْمَالُ ٱلشِّدَّةِ فِي مَوضِعِ ٱللِّينِ وَٱللِّينِ فِي مَوضِعِ ٱلشِّدَّةِ . وَإِنَّ ٱلأَسَدَ قَدْ أُغْرِمَ بِٱلثَّورِ إِغْرَاماً شَدِيدًا هُوَ ٱلَّذِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ فِي أَمْرِهِ . قَالَ كَلِيلَةُ وَكَيفَ تُطِيقُ ٱلثَّورَ وَهُوَ أَشَدُّ مِنكَ وَأَكْرَمُ عَلَى ٱلأَسَدِ مِنكَ وَأَكْثَرُ أَعْوَانًا . قَالَ دِمْنَةُ : لَا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِي وَضُعْفِي فَإِنَّ ٱلأُمُورَ لَيسَتْ بِٱلضُّعْفِ وَلَا ٱلقُوَّةِ وَلَا ٱلصِّغَرِ وَلَا ٱلكِبَرِ فِي ٱلجُثَّةِ . فَرُبَّ صَغِيرٍ ضَعِيفٍ قَدْ بَلَغَ بِحِيلَتِهِ وَدَهَائِهِ وَرَأْيِهِ مَا يَعْجِزُ عَنهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلأَقوِيَاءِ . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ غُرَابًا ضَعِيفًا ٱحتَالَ

---

(١) اي يأتي عليه الدهر فيهلكهُ (٢) جمع سائس وهو من يتولى امر الرعية ويدبرها ويحسن النظر اليها (٣) الشدة والبأس (٤) الولع (٥) يسرع (٦) اي التي فيها شدة وضيق (٧) موت يقع في الماشية (٨) جمع غزوة من الغزو وهو قتال العدو وانتهابه

لِأَسْوَدَ (١) حَتَّى قَتَلَهُ . قَالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا كَانَ لَهُ وَكْرٌ فِي شَجَرَةٍ عَلَى جَبَلٍ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جُحْرُ (٢) ثُعْبَانٍ أَسْوَدَ . فَكَانَ ٱلْغُرَابُ إِذَا أَفْرَخَ عَمَدَ ٱلْأَسْوَدُ إِلَى فِرَاخِهِ فَأَكَلَهَا فَبَلَغَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلْغُرَابِ (٣) فَأَحْزَنَهُ فَشَكَا ذٰلِكَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ بَنَاتِ آوَى (٤) وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مُشَاوَرَتَكَ فِي أَمْرٍ قَدْ عَزَمْتُ عَلَيْهِ . قَالَ وَمَا هُوَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ قَدْ عَزَمْتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ إِذَا نَامَ فَأَنْقُرَ عَيْنَيْهِ فَأَفْقَأَهُمَا لَعَلِّي أَسْتَرِيحُ مِنْهُ قَالَ ٱبْنُ آوَى بِئْسَ ٱلْحِيلَةُ ٱلَّتِي ٱحْتَلْتَ فَٱلْتَمِسْ أَمْرًا تُصِيبُ فِيهِ بُغْيَتَكَ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُغَرِّرَ بِنَفْسِكَ (٥) وَتُخَاطِرَ بِهَا وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلَ ٱلْعُلْجُومِ (٦) ٱلَّذِي أَرَادَ قَتْلَ ٱلسَّرَطَانِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ . قَالَ ٱلْغُرَابُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱبْنُ آوَى زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُومًا عَشَّشَ فِي أَجَمَةٍ كَثِيرَةِ ٱلسَّمَكِ فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ ٱلسَّمَكِ فَيَأْكُلُ مِنْهُ فَعَاشَ بِهَا مَا عَاشَ ثُمَّ هَرِمَ (٧) فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا فَأَصَابَهُ جُوعٌ وَجَهْدٌ شَدِيدٌ . فَجَلَسَ حَزِينًا يَلْتَمِسُ ٱلْحِيلَةَ فِي أَمْرِهِ فَمَرَّ بِهِ سَرَطَانٌ فَرَأَى حَالَتَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْكَآبَةِ (٨) وَٱلْحُزْنِ . فَدَنَا مِنْهُ وَقَالَ لَهُ مَا لِي أَرَاكَ أَيُّهَا ٱلطَّائِرُ هٰكَذَا حَزِينًا كَئِيبًا . قَالَ ٱلْعُلْجُومُ وَكَيْفَ لَا أَحْزَنُ وَقَدْ كُنْتُ أَعِيشُ مِنْ صَيْدِ مَا هٰهُنَا مِنَ ٱلسَّمَكِ وَإِنِّي رَأَيْتُ ٱلْيَوْمَ صَيَّادَيْنِ قَدْ مَرَّا بِهٰذَا ٱلْمَكَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ إِنَّ هٰهُنَا سَمَكًا كَثِيرًا أَفَلَا نَصِيدُهُ أَوَّلًا . فَقَالَ ٱلْآخَرُ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ فِي مَكَانِ كَذَا سَمَكًا

(١) حية عظيمة (٢) اي مكان حية ضخمة (٣) اي اشتد الامر عليه (٤) جمع ابن آوى حيوان بري يعرف عند العامة بالواوي (٥) اي تعرضها للهلكة (٦) طائر ابيض (٧) اي بلغ اقصى الكبر (٨) الغم

أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا ٱلسَّمَكِ فَلْنَبْدَأْ بِذٰلِكَ فَإِذَا فَرَغْنَا مِنْهُ جِئْنَا إِلَى هٰذَا فَأَفْنَيْنَاهُ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُمَا إِذَا فَرَغَا مِمَّا ثَمَّ[1] ٱنْتَهَيَا إِلَى هٰذِهِ ٱلْأَجَمَةِ فَٱصْطَادَا مَا فِيهَا فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَهُوَ هَلَاكِي وَنَفَادُ مُدَّتِي[2] . فَٱنْطَلَقَ ٱلسَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلسَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذٰلِكَ . فَأَقْبَلْنَ عَلَى ٱلْعُلْجُومِ فَٱسْتَشَرْنَهُ وَقُلْنَ لَهُ إِنَّا أَتَيْنَاكَ لِتُشِيرَ عَلَيْنَا فَإِنَّ ذَا ٱلْعَقْلِ لَا يَدَعُ مُشَاوَرَةَ عَدُوِّهِ وَبَقَاؤُكَ بِبَقَائِنَا . قَالَ ٱلْعُلْجُومُ أَمَّا مُكَابَرَةُ[3] ٱلصَّيَّادَيْنِ فَلَا طَاقَةَ لِي بِهَا[4] . وَلَا أَعْلَمُ حِيلَةً إِلَّا ٱلْمَصِيرَ إِلَى غَدِيرٍ[5] قَرِيبٍ مِنْ هُنَا فِيهِ سَمَكٌ وَمِيَاهٌ كَثِيرَةٌ وَقَصَبٌ . فَإِنِ ٱسْتَطَعْتُنَّ ٱلِٱنْتِقَالَ إِلَيْهِ كَانَ فِيهِ صَلَاحُكُنَّ وَخِصْبُكُنَّ[6] فَقُلْنَ لَهُ مَا يَمُنُّ عَلَيْنَا[7] بِذٰلِكَ غَيْرُكَ . فَجَعَلَ ٱلْعُلْجُومُ يَحْمِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَمَكَتَيْنِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِمَا إِلَى بَعْضِ ٱلتِّلَالِ فَيَأْكُلَهُمَا . حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ لِأَخْذِ ٱلسَّمَكَتَيْنِ فَجَاءَهُ ٱلسَّرَطَانُ فَقَالَ لَهُ إِنِّي أَيْضاً قَدْ أَشْفَقْتُ[8] مِنْ مَكَانِي هٰذَا وَٱسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ فَٱذْهَبْ بِي إِلَى ذٰلِكَ ٱلْغَدِيرِ . فَقَالَ لَهُ حُبّاً وَكَرَامَةً[9] وَٱحْتَمَلَهُ وَطَارَ بِهِ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ ٱلتَّلِّ ٱلَّذِي كَانَ يَأْكُلُ ٱلسَّمَكَ فِيهِ نَظَرَ ٱلسَّرَطَانُ فَرَأَى عِظَامَ ٱلسَّمَكِ مَجْمُوعَةً هُنَاكَ فَعَلِمَ أَنَّ ٱلْعُلْجُومَ هُوَ صَاحِبُهَا وَأَنَّهُ يُرِيدُ بِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ إِذَا لَقِيَ ٱلرَّجُلُ عَدُوَّهُ فِي ٱلْمَوَاطِنِ[10] ٱلَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهُ فِيهَا هَالِكٌ سَوَاءٌ قَاتَلَ أَمْ لَمْ يُقَاتِلْ كَانَ حَقِيقاً[11] أَنْ يُقَاتِلَ عَنْ نَفْسِهِ كَرَماً وَحِفَاظاً[12] وَلَا يُمَكِّنَهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى

---

(١) اي من الذي هناك (٢) اي فنائي (٣) معاندة (٤) اي لا قدرة لي عليها
(٥) نهر (٦) الخصب رفاهة العيش (٧) اي ينعم علينا (٨) خفت (٩) الحبُّ الجرأة والكرامة غطاؤها قيل ان أحدهم طلب من آخر حبّاً اي جرأة فقال له حبّاً وكرامةً فذهب مثلا (١٠) الاماكن (١١) اي الاولى بهِ (١٢) اي عزةً ودفاعاً عن نفسه

يَسْتَفْرِغَ مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلْحِيلَةِ فِي قِتَالِهِ . لِأَنَّهُ قَدْ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى ٱلتَّلَفِ فَلَعَلَّ خَلَاصَهُ فِي ذٰلِكَ ٱلْقِتَالِ وَٱلْهَلَاكُ وَاقِعٌ بِهِ كَيْفَ كَانَ . فَلَمْ يَزَلْ يَحْتَالُ عَلَى ٱلْعَلْجُومِ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ عُنُقِهِ فَأَهْوَى بِكَلْبَتَيْهِ (١) عَلَيْهَا فَعَصَرَهَا فَمَاتَ وَتَخَلَّصَ ٱلسَّرَطَانُ إِلَى جَمَاعَةِ ٱلسَّمَكِ فَأَخْبَرَهُنَّ بِذٰلِكَ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ ٱلْحِيلَةِ مَهْلَكَةٌ لِلْمُحْتَالِ وَلٰكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ إِنْ أَنْتَ قَدَرْتَ عَلَيْهِ كَانَ فِيهِ هَلَاكُ ٱلْأَسْوَدِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُهْلِكَ بِهِ نَفْسَكَ وَتَكُونُ فِيهِ سَلَامَتُكَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ وَمَا ذَاكَ . قَالَ ٱبْنُ آوَى تَنْطَلِقُ فَتَتَبَصَّرُ (٢) فِي طَيَرَانِكَ لَعَلَّكَ أَنْ تَظْفَرَ بِشَيْءٍ مِنْ حُلِيِّ ٱلنِّسَاءِ فَتَخْطَفَهُ وَلَا تَزَالُ طَائِرًا وَاقِعًا (٤) بِحَيْثُ لَا تَفُوتُ ٱلْعُيُونَ . فَإِذَا رَأَيْتَ ٱلنَّاسَ قَدْ تَبِعُوكَ تَأْتِي جُحْرَ ٱلْأَسْوَدِ فَتَرْمِي بِٱلْحُلِيِّ عِنْدَهُ . فَإِذَا رَأَى ٱلنَّاسُ ذٰلِكَ أَخَذُوا حُلِيَّهُمْ وَأَرَاحُوكَ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ * فَٱنْطَلَقَ ٱلْغُرَابُ مُحَلِّقًا (٥) فِي ٱلسَّمَاءِ فَوَجَدَ ٱمْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ ٱلْعُظَمَاءِ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ تَغْتَسِلُ وَقَدْ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا وَحُلِيَّهَا نَاحِيَةً فَٱنْقَضَّ (٦) وَٱخْتَطَفَ مِنْ حُلِيِّهَا عِقْدًا وَطَارَ بِهِ . فَتَبِعَهُ ٱلنَّاسُ وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا وَاقِعًا بِحَيْثُ يَرَاهُ كُلُّ أَحَدٍ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى جُحْرِ ٱلْأَسْوَدِ فَأَلْقَى ٱلْعِقْدَ عَلَيْهِ وَٱلنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَتَوْا أَخَذُوا ٱلْعِقْدَ وَقَتَلُوا ٱلْأَسْوَدَ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْحِيلَةَ تُجْزِئُ (٧) مَا لَا تُجْزِئُ ٱلْقُوَّةُ . قَالَ كَلِيلَةُ : إِنَّ ٱلثَّوْرَ لَوْ لَمْ يَجْتَمِعْ مَعَ شِدَّتِهِ رَأْيُهُ لَكَانَ كَمَا تَقُولُ

---

(١) اي هجم (٢) اي بظفريه (٣) اي تطلب ان ترى (٤) من وقع الطائر اذا نزل على شجر أو ارض (٥) اي مرتفعاً بطيرانه مستديراً كالحلقة (٦) سقط بسرعة (٧) تغني

وَلَـكِنْ لَهُ مَعَ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ حُسْنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْعَقْلِ فَمَاذَا تَسْتَطِيعُ لَهُ . قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ ٱلثَّوْرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ فِي قُوَّتِهِ وَرَأْيِهِ وَلَـكِنَّهُ مُقِرٌّ لِي بِٱلْفَضْلِ وَأَنَا خَلِيقٌ أَنْ أَصْرَعَهُ (١) كَمَا صَرَعَتِ ٱلْأَرْنَبُ ٱلْأَسَدَ . قَالَ كَلِيلَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَرْضٍ كَثِيرَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْعُشْبِ وَكَانَ فِي تِلْكَ ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْوُحُوشِ فِي سَعَةِ ٱلْمِيَاهِ وَٱلْمَرْعَى شَيْءٌ كَثِيرٌ . إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهَا ذٰلِكَ لِخَوْفِهَا مِنَ ٱلْأَسَدِ . فَٱجْتَمَعَتْ وَأَتَتْ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ إِنَّكَ لَتُصِيبُ مِنَّا ٱلدَّابَّةَ بَعْدَ ٱلْجَهْدِ وَٱلتَّعَبِ . وَقَدْ رَأَيْنَا لَكَ رَأْيًا فِيهِ صَلَاحٌ لَكَ وَأَمْنٌ لَنَا فَإِنْ أَنْتَ أَمَّنْتَنَا وَلَمْ تُخِفْنَا فَلَكَ عَلَيْنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ دَابَّةٌ نُرْسِلُ بِهَا إِلَيْكَ فِي وَقْتِ غَدَائِكَ . فَرَضِيَ ٱلْأَسَدُ بِذٰلِكَ وَصَالَحَ ٱلْوَحْشَ عَلَيْهِ وَوَفَيْنَ لَهُ بِهِ . ثُمَّ أَنَّ أَرْنَبًا أَصَابَتْهَا ٱلْقُرْعَةُ (٢) وَصَارَتْ غَدَاءَ ٱلْأَسَدِ . فَقَالَتْ لِلْوُحُوشِ إِنْ أَنْتُنَّ رَفَقْتُنَّ (٣) بِي فِيمَا لَا يَضُرُّكُنَّ رَجَوْتُ أَنْ أُرِيحَكُنَّ مِنَ ٱلْأَسَدِ . فَقَالَتِ ٱلْوُحُوشُ وَمَا ٱلَّذِي تُكَلِّفِينَنَا مِنَ ٱلْأُمُورِ . قَالَتْ تَأْمُرْنَ ٱلَّذِي يَنْطَلِقُ بِي إِلَى ٱلْأَسَدِ أَنْ يُمْهِلَنِي رَيْثَمَا (٤) أُبْطِئُ عَلَيْهِ بَعْضَ ٱلْإِبْطَاءِ . فَقُلْنَ لَهَا ذٰلِكَ لَكِ . فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْأَرْنَبُ مُتَبَاطِئَةً (٥) حَتَّى جَاوَزَتِ ٱلْوَقْتَ ٱلَّذِي كَانَ يَتَغَدَّى فِيهِ ٱلْأَسَدُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ وَحْدَهَا رُوَيْدًا (٦) وَقَدْ جَاعَ فَغَضِبَ وَقَامَ مِنْ مَكَانِهِ نَحْوَهَا فَقَالَ لَهَا مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتِ . قَالَتْ : أَنَا رَسُولُ ٱلْوُحُوشِ إِلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَتْنِي وَمَعِي أَرْنَبٌ لَكَ فَتَبِعَنِي أَسَدٌ فِي بَعْضِ تِلْكَ ٱلطَّرِيقِ فَأَخَذَهَا مِنِّي وَقَالَ أَنَا أَوْلَى بِهٰذِهِ ٱلْأَرْضِ وَمَا

---

(١) اهلكهُ (٢) حيلة يتعين بها سهم الانسان ونصيبه (٣) عاملتني بالرفق
(٤) اي مقدارًا من الزمان (٥) غير متسرعة (٦) متأنية

فِيهَا مِنَ ٱلْوَحْشِ . فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ هٰذَا غَدَاءُ ٱلْمَلِكِ أَرْسَلَتْ بِهِ ٱلْوُحُوشُ إِلَيْهِ فَلَا تَغْصِبَنَّهُ فَسَبَّكَ وَشَتَمَكَ فَأَقْبَلْتُ مُسْرِعَةً لِأُخْبِرَكَ . فَقَالَ ٱلْأَسَدُ ٱنْطَلِقِي مَعِي فَأَرِينِي مَوْضِعَ هٰـذَا ٱلْأَسَدِ . فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْأَرْنَبُ إِلَى جُبٍّ (١) فِيهِ مَاءٌ غَامِرٌ (٢) صَافٍ . فَٱطَّلَعَتْ فِيهِ وَقَالَتْ هٰـذَا ٱلْمَكَانُ . فَٱطَّلَعَ ٱلْأَسَدُ فَرَأَى ظِلَّهُ وَظِلَّ ٱلْأَرْنَبِ فِي ٱلْمَاءِ فَلَمْ يَشُكَّ فِي قَوْلِهَا وَوَثَبَ (٣) عَلَى ٱلْأَسَدِ لِيُقَاتِلَهُ فَغَرِقَ فِي ٱلْجُبِّ . فَٱنْقَلَبَتِ (٤) ٱلْأَرْنَبُ إِلَى ٱلْوُحُوشِ فَأَعْلَمَتْهُنَّ صَنِيعَهَـا (٥) بِٱلْأَسَدِ

قَالَ كَلِيلَةُ : إِنْ قَدَرْتَ عَلَى هَلَاكِ ٱلثَّوْرِ بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ مَضَرَّةٌ لِلْأَسَدِ فَشَأْنَكَ (٦) فَإِنَّ ٱلثَّوْرَ قَدْ أَضَرَّ بِي وَبِكَ وَبِغَيْرِنَا مِنَ ٱلْجُنْدِ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا بِهَلَاكِ ٱلْأَسَدِ فَلَا تُقْدِمْ (٧) عَلَيْهِ فَإِنَّهُ غَدْرٌ مِنِّي وَمِنْكَ

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ تَرَكَ ٱلدُّخُولَ عَلَى ٱلْأَسَدِ أَيَّاماً كَثِيرَةً . ثُمَّ أَتَاهُ عَلَى خَلْوَةٍ مِنْهُ فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ : مَا حَبَسَكَ عَنِّي مُنْذُ زَمَانٍ لَمْ أَرَكَ . أَلَا لِخَيْرٍ كَانَ ٱنْقِطَاعُكَ . قَالَ دِمْنَةُ لِيَكُنْ خَيْراً أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . قَالَ ٱلْأَسَدُ وَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ . قَالَ دِمْنَةُ حَدَثَ مَا لَمْ يَكُنِ ٱلْمَلِكُ يُرِيدُهُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ جُنْدِهِ . قَالَ وَمَا ذَاكَ . قَالَ كَلَامٌ فَظِيعٌ . قَالَ أَخْبِرْنِي بِهِ . قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ كُلَّ كَلَامٍ يَكْرَهُهُ سَامِعُهُ لَا يَجْسُرُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ وَإِنْ كَانَ نَاصِحاً مُشْفِقاً (٨) إِلَّا إِذَا كَانَ ٱلْمَقُولُ لَهُ عَاقِلاً : فَإِنِ ٱتَّفَقَ ذٰلِكَ حَمَلَ ٱلْقَوْلَ عَلَى عَمَلِ ٱلْمَحَبَّةِ وَعَلِمَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ لِأَنَّ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ نَفْعٍ فَهُوَ لَهُ * وَإِنَّكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَذُو

---

(١) بئر (٢) كثير (٣) قفز (٤) رجعت (٥) فعلها (٦) اي افعل ما تريد (٧) اي لا تجترئ (٨) حريصاً على اصلاحه

فَضِيلَةٍ وَرَأْيكَ يَدُلُّكَ عَلَى أَنْ يُوجِعَنِي أَنْ أَقُولَ مَا تَكْرَهُ . وَإِنِّي وَاثِقٌ بِكَ أَنَّكَ تَعْرِفُ نُصْحِي وَإِيثَارِي[١] إِيَّاكَ عَلَى نَفْسِي . وَإِنَّهُ لَيَعْرِضُ[٢] لِي أَنَّكَ غَيْرُ مُصَدِّقِي فِيمَا أُخْبِرُكَ بِهِ . وَلٰكِنِّي إِذَا تَذَكَّرْتُ وَتَفَكَّرْتُ أَنَّ نُفُوسَنَا مَعَاشِرَ الْوُحُوشِ مُتَعَلِّقَةٌ بِكَ لَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَدَاءِ[٣] النُّصْحِ الَّذِي يَلْزَمُنِي وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَسْأَلْنِي أَوْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْبَلَهُ مِنِّي . فَإِنَّهُ يُقَالُ مَنْ كَتَمَ السُّلْطَانَ نَصِيحَتَهُ وَالْأَطِبَّاءَ مَرَضَهُ وَالْإِخْوَانَ رَأْيَهُ فَقَدْ خَانَ نَفْسَهُ * قَالَ الْأَسَدُ فَمَا ذَاكَ . قَالَ دِمْنَةُ حَدَّثَنِي الْأَمِينُ الصَّدُوقُ عِنْدِي أَنَّ شَتْرَبَةَ خَلَا بِرُؤُوسِ جُنْدِكَ وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي قَدْ خَبَرْتُ[٤] الْأَسَدَ وَبَلَوْتُ[٥] رَأْيَهُ وَمَكِيدَتَهُ[٦] وَقُوَّتَهُ فَاسْتَبَانَ لِي أَنَّ ذٰلِكَ يَؤُولُ[٧] مِنْهُ إِلَى ضُعْفٍ وَعَجْزٍ وَسَيَكُونُ لِي وَلَهُ شَأْنٌ[٨] مِنَ الشُّؤُونِ

فَلَمَّا بَلَغَنِي ذٰلِكَ عَلِمْتُ أَنَّ شَتْرَبَةَ خَوَّانٌ غَدَّارٌ وَأَنَّكَ أَكْرَمْتَهُ الْكَرَامَةَ كُلَّهَا وَجَعَلْتَهُ نَظِيرَ نَفْسِكَ فَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِثْلُكَ وَأَنَّكَ مَتَى زُلْتَ عَنْ مَكَانِكَ كَانَ لَهُ مُلْكُكَ وَلَا يَدَعُ جُهْدًا[٩] إِلَّا بَلَغَهُ فِيكَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِذَا عَرَفَ الْمَلِكُ مِنْ أَحَدِ رَعِيَّتِهِ أَنَّهُ قَدْ سَاوَاهُ فِي الْمَنْزِلَةِ وَالْحَالِ فَلْيَصْرَعْهُ . فَإِنْ هُوَ لَمْ يَفْعَلْ بِهِ ذٰلِكَ كَانَ هُوَ الْمَصْرُوعَ . وَشَتْرَبَةُ أَعْلَمُ بِالْأُمُورِ وَأَبْلَغُ فِيهَا . وَالْعَاقِلُ هُوَ الَّذِي يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ وَوُقُوعِهِ . فَإِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ وَأَنْ لَا تَسْتَدْرِكَهُ[١٠] فَإِنَّهُ يُقَالُ الرِّجَالُ ثَلَاثَةٌ حَازِمٌ وَأَحْزَمُ مِنْهُ وَعَاجِزٌ . فَالْحَازِمُ مَنْ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ لَمْ يَدْهَشْ[١١] لَهُ وَلَمْ يَذْهَبْ قَلْبُهُ

---

(١) تفضيلي (٢) اي يظهر (٣) ايصال (٤) امتحنت (٥) جربت
(٦) مكره وحيلته (٧) يرجع (٨) امر (٩) طاقة واحتياطاً (١٠) تتلافاه
(١١) يتحير

شَعَاعاً (١) وَلَمْ تَعْيَ بِهِ (٢) حِيلَتُهُ وَمَكِيدَتُهُ ٱلَّتِي يَرْجُو بِهَا ٱلْمَخْرَجَ مِنْهُ . وَأَحْزَمُ مِنْ هٰذَا ٱلْمِقْدَامُ (٣) ذُو ٱلْعُدَّةِ ٱلَّذِي يَعْرِفُ ٱلِٱبْتِلَاءَ (٤) قَبْلَ وُقُوعِهِ فَيُعْظِمُهُ (٥) إِعْظَاماً وَيَحْتَالُ لَهُ حِيلَةً حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ لَزِمَهُ فَيَحْسِمُ (٦) ٱلدَّاءَ قَبْلَ أَنْ يُبْتَلَى بِهِ وَيَدْفَعُ ٱلْأَمْرَ قَبْلَ وُقُوعِهِ . وَأَمَّا ٱلْعَاجِزُ فَهُوَ فِي تَرَدُّدٍ وَتَمَنٍّ وَتَوَانٍ (٧) حَتَّى يَهْلِكَ * وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلسَّمَكَاتِ ٱلثَّلَاثِ . قَالَ ٱلْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ غَدِيراً كَانَ فِيهِ ثَلَاثٌ مِنَ ٱلسَّمَكِ كَيِّسَةٌ (٨) وَأَكْيَسُ مِنْهَا وَعَاجِزَةٌ . وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْغَدِيرُ بِنَجْوَةٍ مِنَ ٱلْأَرْضِ لَا يَكَادُ يَقْرَبُهُ أَحَدٌ وَبِقُرْبِهِ نَهْرٌ جَارٍ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ ٱجْتَازَ بِذٰلِكَ ٱلنَّهْرِ صَيَّادَانِ فَأَبْصَرَا ٱلْغَدِيرَ فَتَوَاعَدَا أَنْ يَرْجِعَا إِلَيْهِ بِشِبَاكِهِمَا فَيَصِيدَا مَا فِيهِ مِنَ ٱلسَّمَكِ . فَسَمِعَتِ ٱلسَّمَكَاتُ قَوْلَهُمَا . فَأَمَّا أَكْيَسُهُنَّ فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُمَا ٱرْتَابَتْ (٩) بِهِمَا وَتَخَوَّفَتْ مِنْهُمَا فَلَمْ تُعَرِّجْ (١٠) عَلَى شَيْءٍ حَتَّى خَرَجَتْ مِنَ ٱلْمَكَانِ ٱلَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ ٱلْمَاءُ مِنَ ٱلنَّهْرِ إِلَى ٱلْغَدِيرِ فَنَجَتْ بِنَفْسِهَا . وَأَمَّا ٱلْكَيِّسَةُ ٱلْأُخْرَى فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا وَتَهَاوَنَتْ فِي ٱلْأَمْرِ حَتَّى جَاءَ ٱلصَّيَّادَانِ . فَلَمَّا رَأَتْهُمَا وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ ٱلْمَاءُ فَإِذَا بِهِمَا قَدْ سَدَّا ذٰلِكَ ٱلْمَكَانَ فَحِينَئِذٍ قَالَتْ : فَرَّطْتُ (١١) وَهٰذِهِ عَاقِبَةُ ٱلتَّفْرِيطِ فَكَيْفَ ٱلْحِيلَةُ عَلَى هٰذِهِ ٱلْحَالِ وَقَلَّمَا تَنْجَحُ حِيلَةُ ٱلْعَجَلَةِ وَٱلْإِرْهَاقِ (١٢) * غَيْرَ أَنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَقْنَطُ (١٣) مِنْ مَنَافِعِ ٱلرَّأْيِ وَلَا يَيْأَسُ عَلَى حَالٍ وَلَا يَدَعُ ٱلرَّأْيَ وَٱلْجُهْدَ . ثُمَّ إِنَّهَا

---

(١) متفرقاً (٢) تعجز (٣) الشجاع الكثير الاقدام (٤) المحنة (٥) اي يعده عظيماً (٦) يقطع (٧) تقصير (٨) حسنة التأني (٩) شكّت (١٠) اي لم تقف (١١) قصرت (١٢) التأخر (١٣) اي لا يقطع الامل

تماوتت (١) فطفت (٢) على وجه الماء منقلبة على ظهرها تارة وتارة على بطنها فأخذها الصيادان وظناها ميتة فوضعاها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت (٣) إلى النهر فنجت . وأما العاجزة فلم تزل في إقبال وإدبار حتى صيدت

قال الأسد : قد فهمت ذلك ولا أظن الثور يغشني ولا يرجو لي الغوائل (٤) وكيف يفعل ذلك ولم ير مني سوءا قط ولم أدع خيرا إلا فعلته معه ولا أمنية (٥) إلا بلغته إياها * قال دمنة : أيها الملك إنه لم يحمله (٦) على ذلك إلا ما ذكرته من إكرامك له وتبليغك إياه كل منزلة خلا منزلتك وإنه متطلع (٧) إليها . فإن اللئيم لا يزال نافعا ناصحا حتى يرفع إلى المنزلة التي ليس لها بأهل . فإذا بلغها اشرأبت (٨) نفسه إلى ما فوقها ولا سيما أهل الخيانة والفجور (٩) : فإن اللئيم الفاجر لا يخدم السلطان ولا ينصح له إلا من فرق (١٠) أو حاجة فإذا استغنى وذهبت الهيبة والحاجة عاد إلى جوهره (١١) . كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم فلا يزال مستويا ما دام مربوطا فإذا حل انحنى وتعوج كما كان

واعلم أيها الملك أنه من لم يقبل من نصحائه ما يثقل عليه مما ينصحون له لم يحمد غب (١٢) رأيه . كالمريض الذي يدع ما يصف له الطبيب ويعمد لما تشتهيه نفسه . وحق على مؤازر (١٣) السلطان أن يبالغ في التحضيض (١٤) له على ما يزيد به سلطانه قوة وزينة والكف عما يضره

---

(١) ادعت الموت ولبس بها (٢) عامت (٣) قفزت (٤) المهالك (٥) بغية وما يتمناه (٦) يغريه (٧) رافع بصره ينظر اليها (٨) ارتفعت (٩) المعاصي (١٠) خوف (١١) اصله (١٢) عاقبة (١٣) معاون (١٤) الحث

وَيَشِينُهُ(١) . وَخَيْرُ الْإِخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ أَقَلُّهُمْ مُدَاهَنَةً(٢) فِي النَّصِيحَةِ وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ أَحْمَدُهَا عَاقِبَةً . وَخَيْرُ النِّسَاءِ الْمُوَافِقَةُ لِبَعْلِهَا . وَخَيْرُ الثَّنَاءِ مَا كَانَ عَلَى أَفْوَاهِ الْأَخْيَارِ . وَأَفْضَلُ الْمُلُوكِ مَنْ لَا يُخَالِطُهُ بَطَرٌ(٣) وَلَا يَسْتَكْبِرُ عَنْ قَبُولِ النَّصِيحَةِ . وَخَيْرُ الْأَخْلَاقِ أَعْوَنُهَا عَلَى الْوَرَعِ(٤) * وَقَدْ قِيلَ لَوْ أَنَّ امْرَءًا تَوَسَّدَ النَّارَ(٥) وَافْتَرَشَ الْحَيَّاتِ(٦) كَانَ أَحَقَّ أَنْ يَهْنِئَهُ النَّوْمُ مِمَّنْ يُحِسُّ مِنْ صَاحِبِهِ بِعَدَاوَةٍ يُرِيدُهُ بِهَا وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ . وَأَعْجَزُ الْمُلُوكِ آخَذُهُمْ(٧) بِالْهُوَيْنَاءِ(٨) وَأَقَلُّهُمْ نَظَرًا فِي مُسْتَقْبَلِ الْأُمُورِ وَأَشْبَهُهُمْ بِالْفِيلِ الْهَائِجِ الَّذِي لَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ . فَإِنْ أَحْزَنَهُ أَمْرٌ تَهَاوَنَ بِهِ(٩) وَإِنْ أَضَاعَ الْأُمُورَ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى قُرَنَائِهِ * قَالَ الْأَسَدُ لَقَدْ أَغْلَظْتَ فِي الْقَوْلِ وَقَوْلُ النَّاصِحِ مَقْبُولٌ مَحْمُولٌ . وَإِنْ كَانَ شَتْرَبَةُ مُعَادِيًا لِي كَمَا تَقُولُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَضُرَّنِي وَلَا أَنْ يَفُتَّ فِي سَاعِدِي(١٠) وَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ آكِلُ عُشْبٍ وَأَنَا آكِلُ لَحْمٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ . ثُمَّ لَيْسَ إِلَى الْغَدْرِ بِهِ سَبِيلٌ بَعْدَ الْأَمَانِ الَّذِي جَعَلْتُهُ لَهُ وَبَعْدَ إِكْرَامِي لَهُ وَثَنَائِي عَلَيْهِ وَإِنْ غَيَّرْتُ مَا كَانَ مِنِّي وَبَدَّلْتُهُ فَقَدْ سَفَّهْتُ رَأْيِي(١١) وَجَهَّلْتُ نَفْسِي(١٢) وَغَدَرْتُ بِذِمَّتِي وَنَقَضْتُ(١٣) عَهْدِي * قَالَ دِمْنَةُ : لَا يَغُرَّنَّكَ قَوْلُكَ هُوَ لِي طَعَامٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةٌ . فَإِنَّ شَتْرَبَةَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْكَ بِنَفْسِهِ احْتَالَ لَكَ مِنْ قِبَلِ غَيْرِهِ . وَيُقَالُ إِنِ اسْتَضَافَكَ ضَيْفٌ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ

---

(١) يعيبه (٢) غشاً وتدليساً (٣) طغيان بالنعمة (٤) التقوى (٥) اتخذها وسادة اي مخدة (٦) اتخذها فراشاً (٧) اكثرهم اخذاً (٨) الرفق والمراد بها هنا الفتور (٩) استحقره واستهزأ به (١٠) يضعفني (١١) نسبته الى السفه وهو خفة الحلم او الجهل (١٢) اي نسبتها الى الجهل (١٣) ابطلته

أَخْلَاقَهُ فَلَا تَأْمَنْهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تَأْمَنْ أَنْ يُصِيبَكَ مِنْهُ أَوْ بِسَبَبِهِ مَا أَصَابَ ٱلْقَمْلَةَ مِنَ ٱلْبُرْغُوثِ . قَالَ ٱلْأَسَدُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قَمْلَةً لَزِمَتْ فِرَاشَ رَجُلٍ مِنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ دَهْرًا فَكَانَتْ تُصِيبُ مِنْ دَمِهِ وَهُوَ نَائِمٌ لَا يَشْعُرُ وَتَدِبُّ دَبِيبًا رَفِيقًا (١) فَمَكَثَتْ كَذٰلِكَ حِينًا حَتَّى ٱسْتَضَافَهَا لَيْلَةً مِنَ ٱللَّيَالِي بُرْغُوثٌ فَقَالَتْ لَهُ بِتِ ٱللَّيْلَةَ عِنْدَنَا فِي دَمٍ طَيِّبٍ وَفِرَاشٍ لَيِّنٍ . فَأَقَامَ ٱلْبُرْغُوثُ عِنْدَهَا حَتَّى إِذَا أَوَى ٱلرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ وَثَبَ عَلَيْهِ ٱلْبُرْغُوثُ فَلَدَغَهُ لَدْغَةً أَيْقَظَتْهُ وَأَطَارَتِ ٱلنَّوْمَ عَنْهُ فَقَامَ ٱلرَّجُلُ وَأَمَرَ أَنْ يُفَتَّشَ فِرَاشُهُ فَنَظَرَ فَلَمْ يُرَ إِلَّا ٱلْقَمْلَةُ فَأُخِذَتْ فَقُصِعَتْ (٢) وَفَرَّ ٱلْبُرْغُوثُ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ صَاحِبَ ٱلشَّرِّ لَا يَسْلَمُ مِنْ شَرِّهِ أَحَدٌ . وَإِنْ هُوَ ضَعُفَ عَنْ ذٰلِكَ جَاءَ ٱلشَّرُّ بِسَبَبِهِ . وَإِنْ كُنْتَ لَا تَخَافُ مِنْ شَتْرَبَةَ فَخَفْ غَيْرَهُ مِنْ جُنْدِكَ ٱلَّذِينَ قَدْ حَرَّشَهُمْ عَلَيْكَ (٣) وَحَمَلَهُمْ عَلَى عَدَاوَتِكَ * فَوَقَعَ فِي نَفْسِ ٱلْأَسَدِ كَلَامُ دِمْنَةَ فَقَالَ : فَمَا ٱلَّذِي تَرَى إِذَنْ وَبِمَاذَا تُشِيرُ * قَالَ دِمْنَةُ إِنَّ ٱلضِّرْسَ ٱلْمَأْكُولَ (٤) لَا يَزَالُ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي أَلَمٍ وَأَذًى حَتَّى يَقْلَعَهُ ، وَٱلطَّعَامَ ٱلَّذِي قَدْ عَفِنَ فِي ٱلْبَطْنِ ٱلرَّاحَةُ فِي قَذْفِهِ . وَٱلْعَدُوَّ ٱلْمُخِيفَ دَوَاؤُهُ قَتْلُهُ . قَالَ ٱلْأَسَدُ لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَكْرَهُ مُجَاوَرَةَ شَتْرَبَةَ إِيَّايَ . وَأَنَا مُرْسِلٌ إِلَيْهِ وَذَاكِرٌ لَهُ مَا وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ ، ثُمَّ آمُرُهُ بِٱللَّحَاقِ (٥) حَيْثُ أَحَبَّ

---

(١) لطيفاً بحيث لا يشعر بها (٢) اي قتلت بالظفر (٣) اغراهم بك
(٤) المنخور (٥) الادراك

فَكَرِهَ دِمْنَــةُ ذٰلِكَ وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْأَسَدَ مَتَى كَلَّمَ شَتْرَبَةَ فِي ذٰلِكَ وَسَمِعَ مِنْهُ جَوَابًا عَرَفَ بَاطِلَ مَا أَتَى هُوَ بِهِ وَٱطَّلَعَ عَــلَى غَدْرِهِ وَكَذِبِهِ وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَقَالَ لِلْأَسَدِ أَمَّا إِرْسَالُكَ إِلَى شَتْرَبَةَ فَــلَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا وَلَا حَزْمًا . فَلْيَنْظُرِ ٱلْمَلِكُ فِي ذٰلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ لَكَ فِي نَفْسِكَ ٱلْخِيَارُ[١] مَا دَامَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ أَمْرَهُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْكَ . فَإِنَّهُ مَتَى عَلِمَ ذٰلِكَ خِفْتُ أَنْ يُعَاجِلَ ٱلْمَلِكَ بِٱلْمُكَابَرَةِ[٢] . وَهُوَ إِنْ قَاتَلَكَ قَاتَلَكَ مُسْتَعِدًّا وَإِنْ فَارَقَكَ فَارَقَكَ فِرَاقًا يَلِيكَ[٣] مِنْهُ ٱلنَّقْصُ وَيَلْزَمُكَ مِنْهُ ٱلْعَارُ . مَعَ أَنَّ ذَوِي ٱلرَّأْيِ مِنَ ٱلْمُلُوكِ لَا يُعْلِنُونَ عُقُوبَةَ مَنْ لَمْ يُعْلِنْ ذَنْبَهُ . وَلٰــكِنْ لِــكُلِّ ذَنْبٍ عِنْدَهُمْ عُقُوبَةٌ . فَلِذَنْبِ ٱلْعَلَانِيَةِ عُقُوبَةُ ٱلْعَلَانِيَةِ . وَلِذَنْبِ ٱلسِّرِّ عُقُوبَةُ ٱلسِّرِّ * قَالَ ٱلْأَسَدُ إِنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا عَاقَبَ أَحَــدًا عَنْ ظِنَّةٍ[٤] ظَنَّهَا مِنْ غَيْرِ تَيَقُّنٍ لِجُرْمِهِ[٥] فَنَفْسَهُ عَاقَبَ وَإِيَّاهَا ظَلَمَ وَكَانَ نَاقِصَ ٱلْبَصِيرَةِ * قَالَ دِمْنَةُ أَمَّا إِذَا كَانَ هٰذَا رَأْيَ ٱلْمَلِكِ فَلَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْكَ شَتْرَبَةُ إِلَّا وَأَنْتَ مُسْتَعِدٌّ لَهُ وَإِيَّاكَ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْــكَ غِرَّةٌ[٦] أَوْ غَفْلَةٌ . فَإِنِّي لَا أَحْسَبُ ٱلْمَلِكَ حِينَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا سَيَعْرِفُ أَنَّهُ قَدْ هَمَّ بِعَظِيمَةٍ . وَمِنْ عَلَامَاتِ ذٰلِكَ أَنَّكَ تَرَى هَيْئَتَهُ مُتَغَيِّرَةً وَتَرَى أَوْصَالَهُ[٧] تُرْعَــدُ[٨] وَتَرَاهُ مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا وَتَرَاهُ يُصَوِّبُ قَرْنَيْهِ[٩] فِعْلَ ٱلَّذِي هَمَّ بِٱلنِّطَاحِ وَٱلْقِتَالِ * قَالَ ٱلْأَسَدُ : سَأَكُونُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ وَإِنْ رَأَيْتُ مِنْــهُ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْتَ عَلِمْتُ أَنَّ مَا فِي أَمْرِهِ شَكٌّ

---

(١) اي ان الامر مفوّض اليك (٢) بالمعانــدة (٣) يلحقك (٤) تهمة
(٥) ذنبه (٦) بمعنى الغفلة (٧) مفاصله (٨) تضطرب وتهتز (٩) يحكمها
نحوك

فَلَمَّا فَرَغَ دِمْنَةُ مِنْ تَحْرِيشِ ٱلْأَسَدِ عَلَى ٱلثَّوْرِ وَعَرَفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ وَأَنَّ ٱلْأَسَدَ سَيَتَحَذَّرُ مِنَ ٱلثَّوْرِ وَيَتَهَيَّأُ لَهُ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ ٱلثَّوْرَ لِيُغْرِيَهُ بِٱلْأَسَدِ (١) . وَأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِتْيَانُهُ مِنْ قِبَلِ ٱلْأَسَدِ مَخَافَةَ أَنْ يَبْلُغَهُ ذٰلِكَ فَيَتَأَذَّى بِهِ فَقَالَ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَلَا آتِي شَتْرَبَةَ فَأَنْظُرَ إِلَى حَالِهِ وَأَمْرِهِ وَأَسْمَعَ كَلَامَهُ لَعَلِّي أَنْ أَطَّلِعَ عَلَى سِرِّهِ فَأُطْلِعَ ٱلْمَلِكَ عَلَى ذٰلِكَ وَعَلَى مَا يَظْهَرُ لِي مِنْهُ . فَأَذِنَ لَهُ ٱلْأَسَدُ فِي ذٰلِكَ . فَٱنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى شَتْرَبَةَ كَٱلْكَئِيبِ (٢) ٱلْحَزِينِ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلثَّوْرُ رَحَّبَ بِهِ (٣) وَقَالَ مَا كَانَ سَبَبُ ٱنْقِطَاعِكَ عَنِّي فَإِنِّي لَمْ أَرَكَ مُنْذُ أَيَّامٍ أَسَلَامَةٌ هُوَ . قَالَ دِمْنَةُ وَمَتَى كَانَ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّلَامَةِ مَنْ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ وَأَمْرُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَا يُوثَقُ بِهِ وَلَا يَنْفَكُّ عَلَى خَطَرٍ وَخَوْفٍ حَتَّى مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ وَيَأْمَنُ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ * قَالَ شَتْرَبَةُ : وَمَا ٱلَّذِي حَدَثَ . قَالَ دِمْنَةُ : حَدَثَ مَا قُدِّرَ وَهُوَ كَائِنٌ . وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي غَالَبَ ٱلْقَدَرَ . وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي بَلَغَ مِنَ ٱلدُّنْيَا جَسِيمًا مِنَ ٱلْأُمُورِ فَلَمْ يَبْطَرْ . وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي بَلَغَ مُنَاهُ فَلَمْ يَغْتَرَّ (٤) وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي تَبِعَ هَوَاهُ فَلَمْ يَخْسَرْ . وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي حَادَثَ ٱلنِّسَاءَ فَلَمْ يُصَبْ (٥) وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي طَلَبَ مِنَ ٱللِّئَامِ (٦) فَلَمْ يُحْرَمْ . وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي خَالَطَ ٱلْأَشْرَارَ فَسَلِمَ . وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي صَحِبَ ٱلسُّلْطَانَ فَدَامَ لَهُ مِنْهُ ٱلْأَمْنُ وَٱلْإِحْسَانُ . وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي قَالَ : مَثَلُ ٱلسَّلَاطِينِ فِي قِلَّةِ وَفَائِهِمْ لِمَنْ صَحِبَهُمْ وَسَخَاءِ أَنْفُسِهِمْ بِمَنْ فَقَدُوا مِنْ قُرَنَائِهِمْ كَمَثَلِ صَاحِبِ ٱلْخَانِ كُلَّمَا فَقَدَ وَاحِدًا جَاءَ

---

(١) يحرشه ويهيجه عليه (٢) اي كالمغموم المنكسر الخاطر (٣) اي قال له مرحباً (٤) اي فلم يغفل ولم يخدع (٥) اي فلم تحل به المصائب (٦) البخلاء الادنياء

آخرُ * قالَ شَتْرَبَةُ : إِنِّي أَسمعُ منكَ كلاماً يدلُّ على أَنَّهُ قد رابَكَ[١] مِنَ الأَسدِ رائبٌ وهالكَ[٢] منهُ أَمرٌ * قالَ دِمنَةُ : أَجلْ[٣] لقد رابَني منهُ ذلكَ وليسَ هوَ في أَمرِ نفسِي * قالَ شَتْرَبَةُ ففي نفسِ مَنْ رابكَ . قالَ دِمنَةُ : قد تعلمُ ما بيني وبينكَ وتعلمُ حقَّكَ عليَّ وما كنتُ جعلتُ لكَ من العهدِ والميثاقِ أَيامَ أَرسلني الأَسدُ إِليكَ . فلم أَجدْ بُدًّا من حفظكَ وإِطلاعكَ على ما اطَّلعتُ عليهِ ممَّا أَخافُ عليكَ منهُ . قالَ شَتْرَبَةُ وما الذي بلغكَ . قالَ دِمنَةُ : حدَّثني الخبيرُ الصَّدوقُ الذي لا مِريةَ[٤] في قولهِ أَنَّ الأَسدَ قالَ لبعضِ أَصحابهِ وجلسائهِ[٥] قد أَعجبني سِمَنُ الثورِ وليسَ لي إِلى حياتهِ حاجةٌ فأَنا آكلهُ ومُطعمٌ أَصحابي من لحمهِ . فلمَّا بلغني هذا القولُ وعرفتُ غدرهُ وسوءَ عهدهِ أَقبلتُ إِليكَ لأَقضيَ حقَّكَ وتحتالَ أَنتَ لأَمركَ .

فلمَّا سمعَ شَتْرَبَةُ كلامَ دِمنَةَ وتذكَّرَ ما كانَ دِمنَةُ جعلَ لهُ من العهدِ والميثاقِ وفكَّرَ في أَمرِ الأَسدِ ظنَّ أَنَّ دِمنَةَ قد صدقهُ ونصحَ لهُ . ورأَى أَنَّ الأَمرَ شبيهٌ بما قالَ دِمنَةُ . فأَهمَّهُ ذلكَ وقالَ ما كانَ للأَسدِ أَنْ يغدرَ بي ولم آتِ إِليهِ ذنباً ولا إِلى أَحدٍ من جندهِ . منذُ صحبتهُ ولا أَظنُّ الأَسدَ إِلَّا قد حُمِلَ عليَّ[٦] بالكذبِ وشُبِّهَ[٧] عليهِ أَمري فإِنَّ الأَسدَ قد صحبهُ قومُ سوءٍ وجرَّبَ منهم الكذبَ وأُموراً تُصدَّقُ إِذا بلغتهُ عن غيرهم . فإِنَّ صحبةَ الأَشرارِ ربَّما أَورثتْ صاحبها سوءَ ظنٍّ بالأَخيارِ وحملهُ ما يخبرهُ

---

(١) اوقعك في الريب اي الشك (٢) افزعك (٣) نعم (٤) اي لا شك
(٥) الذين يجلسون معه (٦) اي اغروه ليوقع بي (٧) التبس

مِنْهُمْ عَلَى ٱلْخَطَإِ فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ كَخَطَإِ ٱلْبَطَّةِ ٱلَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا رَأَتْ فِي ٱلْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً فَحَاوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَٰلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ فَتَرَكَتْهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْ غَدِ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ سَمَكَةً فَظَنَّتْ أَنَّهَا مِثْلُ ٱلَّذِي رَأَتْهُ بِٱلْأَمْسِ فَتَرَكَتْهَا وَلَمْ تَطْلُبْ صَيْدَهَا

فَإِنْ كَانَ ٱلْأَسَدُ قَدْ بَلَغَهُ عَنِّي كَذِبٌ فَصَدَّقَهُ عَلَيَّ وَسَمِعَهُ فِيَّ فَمَا جَرَى عَلَى غَيْرِي يَجْرِي عَلَيَّ. وَإِنْ كَانَ لَمْ يَبْلُغْهُ شَيْءٌ وَأَرَادَ ٱلسُّوءَ بِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فَإِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ أَعْجَبِ ٱلْأُمُورِ. وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِنَّ مِنَ ٱلْعَجَبِ أَنْ يَطْلُبَ ٱلرَّجُلُ رِضَى صَاحِبِهِ وَلَا يَرْضَى. وَأَعْجَبُ مِنْ ذَٰلِكَ أَنْ يَلْتَمِسَ رِضَاهُ فَيَسْخَطُ. فَإِذَا كَانَتِ ٱلْمَوْجِدَةُ[١] عَنْ عِلَّةٍ كَانَ ٱلرِّضَى مَوْجُودًا وَٱلْعَفْوُ مَأْمُولًا وَإِذَا كَانَتْ عَنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ٱنْقَطَعَ ٱلرَّجَاءُ. لِأَنَّ ٱلْعِلَّةَ إِذَا كَانَتِ ٱلْمَوْجِدَةُ فِي وُرُودِهَا[٢] كَانَ ٱلرِّضَى مَأْمُولًا فِي صُدُورِهَا وَقَدْ نَظَرْتُ فَلَا أَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْأَسَدِ جُرْمًا وَلَا كَبِيرَ ذَنْبٍ وَلَا صَغِيرَهُ. وَلَعَمْرِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَطَالَ صُحْبَةَ صَاحِبٍ أَنْ يَحْتَرِسَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ وَلَا أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ كَبِيرَةٌ أَوْ صَغِيرَةٌ يَكْرَهُهَا صَاحِبُهُ. وَلَٰكِنَّ ٱلرَّجُلَ ذَا ٱلْعَقْلِ وَٱلْوَفَاءِ إِذَا سَقَطَ[٣] عِنْدَهُ صَاحِبُهُ سَقْطَةً نَظَرَ فِيهَا وَعَرَفَ قَدْرَ مَبْلَغِ خَطَإِهِ عَمْدًا[٤] كَانَ أَوْ خَطَأً. ثُمَّ يَنْظُرُ هَلْ فِي ٱلصَّفْحِ عَنْهُ أَمْرٌ يُخَافُ ضَرَرُهُ وَشَيْنُهُ فَلَا يُؤَاخِذُ[٥] صَاحِبَهُ بِشَيْءٍ يَجِدُ فِيهِ إِلَى ٱلصَّفْحِ عَنْهُ سَبِيلًا

فَإِنْ كَانَ ٱلْأَسَدُ قَدِ ٱعْتَقَدَ عَلَيَّ ذَنْبًا فَلَسْتُ أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنِّي خَالَفْتُهُ فِي

---

(١) الغضب (٢) الورود بلوغ الماء والقرب منه من غير دخول وقد يحصل دخول فيه والصدور خلافه وكلاهما هنا على الاستعارة والضمير للعلة (٣) اخطأ (٤) قصداً (٥) يلوم ويعاتب

بَعْضِ رَأْيِهِ بَطَرًا[١] مِنِّي وَنَصِيحَةً لَهُ . فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَنْزَلَ أَمْرِي عَلَى الْجُرْأَةِ عَلَيْهِ وَالْمُخَالَفَةِ لَهُ . وَلَا أَجِدُ لِي فِي هٰذَا الْمَحْضَرِ[٢] إِثْمًا[٣] مَا . لِأَنِّي لَمْ أُخَالِفْهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا قَدْ مَا نَدَرَ عِنْدَ مُخَالَفَتِهِ الرُّشْدُ[٤] وَالْمَنْفَعَةُ وَالدِّينُ وَلَمْ أُجَاهِرْ بِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى رُؤُوسِ جُنْدِهِ وَعِنْدَ أَصْحَابِهِ وَلٰكِنْ كُنْتُ أَخْلُو بِهِ وَأُكَلِّمُهُ سِرًّا كَلَامَ الْهَائِبِ[٥] الْمُوَقِّرِ . وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مَنِ الْتَمَسَ الرُّخَصَ[٦] مِنَ الْإِخْوَانِ عِنْدَ الْمُشَاوَرَةِ وَمِنَ الْأَطِبَّاءِ عِنْدَ الْمَرَضِ وَمِنَ الْفُقَهَاءِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ فَقَدْ أَخْطَأَ مَنَافِعَ الرَّأْيِ وَازْدَادَ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذٰلِكَ تَوَرُّطًا[٧] وَحَمَلَ الْوِزْرَ[٨] * وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ مِنْ بَعْضِ سَكَرَاتِ السُّلْطَانِ فَإِنَّ صُحْبَةَ السُّلْطَانِ خَطِرَةٌ . وَإِنْ صُوحِبَ بِالسَّلَامَةِ وَالثِّقَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ . فَرُبَّمَا عَثَرَ[٩] مُصَاحِبُهُ الْعَثْرَةَ فَلَا يَنْتَعِشُ[١٠] وَلَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ[١١] . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا فَبَعْضُ مَا أُوتِيتُ مِنَ الْفَضْلِ قَدْ جُعِلَ لِي فِيهِ الْهَلَاكُ وَبَعْضُ الْمَحَاسِنِ آفَةٌ لِصَاحِبِهَا . فَإِنَّ الشَّجَرَةَ اللَّذِيذَةَ الثَّمَرِ رُبَّمَا كَانَ أَذَاهَا فِي حَمْلِهَا فَلُوِيَتْ أَغْصَانُهَا وَهُصِرَتْ[١٢] أَطْرَافُهَا حَتَّى تَتَكَسَّرَ . وَالطَّاوُوسُ الَّذِي ذَنَبُهُ أَفْضَلُهُ يَنْسِلُ[١٣] فَيُؤْلِمُهُ . وَالْفَرَسُ الْمُطَهَّمُ[١٤] الْجَرِيُّ[١٥] رُبَّمَا رُكِبَ حَتَّى يَنْقَطِعَ . وَالْبُلْبُلُ الْحَسَنُ الصَّوْتِ يُحْبَسُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الطَّيْرِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هٰذَا وَلَا هٰذَا فَهُوَ إِذَنْ مِنْ مَوَاقِعِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ الَّذِي لَا يُدْفَعُ . وَالْقَدَرُ هُوَ الَّذِي يَسْلُبُ الْأَسَدَ

---

(١) نشاطاً (٢) مكان الحضور (٣) ذنباً (٤) الاستقامة على طريق الحق
(٥) اسم فاعل من هابه اذا اجله وخافه (٦) جمع رخصة وهي اليسر والسهولة
(٧) اي دخولاً في الورطة وهي الشدة وكل امر شاق (٨) الاثم (٩) سقط
(١٠) ينهض (١١) اي لا يرفع من سقوطه (١٢) عطفت (١٣) ينتفش ويسقط
(١٤) التام الخلق (١٥) الكثير الجري

قُوَّتَهُ وَشِدَّتَهُ وَيُدْخِلُهُ ٱلْقَبْرَ . وَهُوَ ٱلَّذِي يَحْمِلُ ٱلرَّجُلَ ٱلضَّعِيفَ عَلَى ظَهْرِ ٱلْفِيلِ ٱلْهَائِجِ وَهُوَ ٱلَّذِي يُسَلِّطُ عَلَى ٱلْحَيَّةِ ذَاتِ ٱلْحُمَةِ (١) مَنْ يَنْزِعُ حُمَتَهَا وَيَلْعَبُ بِهَا . وَهُوَ ٱلَّذِي يُصَيِّرُ ٱلْعَاجِزَ حَازِماً وَيُثَبِّطُ (٢) ٱلشَّهْمَ ٱلْمُنْطَلِقَ وَيُوَسِّعُ عَلَى ٱلْمُقْتِرِ (٣) وَيُشَجِّعُ ٱلْجَبَانَ وَيُجَبِّنُ ٱلشُّجَاعَ عِنْدَ مَا تَعْتَرِيهِ (٤) ٱلْمَقَادِيرُ بِٱلْعِلَلِ ٱلَّتِي ٱتَّفَقَتْ (٥) لَهَا

قَالَ دِمْنَةُ : إِنَّ إِرَادَةَ ٱلْأَسَدِ بِكَ لَيْسَتْ مِنْ تَحْرِيشِ ٱلْأَشْرَارِ وَلَا سَكْرَةِ ٱلسُّلْطَانِ وَلَا غَيْرِ ذٰلِكَ . وَلٰكِنَّهَا ٱلْغَدْرُ وَٱلْفُجُورُ مِنْهُ فَإِنَّهُ فَاجِرٌ خَوَّانٌ غَدَّارٌ لِطَعَامِهِ حَلَاوَةٌ وَآخِرُهُ سُمٌّ مُمِيتٌ * قَالَ شَتْرَبَةُ : فَأَرَانِي قَدِ ٱسْتَلْذَذْتُ ٱلْحَلَاوَةَ إِذْ ذُقْتُهَا وَقَدِ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا ٱلَّذِي هُوَ ٱلْمَوْتُ . وَلَوْلَا ٱلْحَيْنُ (٦) مَا كَانَ مُقَامِي عِنْدَ ٱلْأَسَدِ وَهُوَ آكِلُ لَحْمٍ وَأَنَا آكِلُ عُشْبٍ . فَأَنَا فِي هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ كَٱلنَّحْلَةِ ٱلَّتِي تَجْلِسُ عَلَى نَوْرِ (٧) ٱلنَّيْلُوفَرِ (٨) إِذْ تَسْتَلِذُّ رِيحَهُ وَطَعْمَهُ فَتَحْبِسُهَا تِلْكَ ٱللَّذَّةُ عَنِ ٱلْحِينِ ٱلَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَطِيرَ فِيهِ . فَإِذَا جَاءَ ٱللَّيْلُ يَنْضَمُّ عَلَيْهَا فَتَرْتَبِكُ فِيهِ وَتَمُوتُ . وَمَنْ لَمْ يَرْضَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْكَفَافِ (٩) ٱلَّذِي يُغْنِيهِ وَطَمَحَتْ (١٠) عَيْنُهُ إِلَى مَا سِوَى ذٰلِكَ وَلَمْ يَتَخَوَّفْ عَاقِبَتَهُ كَانَ كَٱلذُّبَابِ ٱلَّذِي لَا يَرْضَى بِٱلشَّجَرِ وَٱلرَّيَاحِينِ وَلَا يُقْنِعُهُ ذٰلِكَ حَتَّى يَطْلُبَ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي يَسِيلُ مِنْ أُذُنِ ٱلْفِيلِ فَيَضْرِبُهُ ٱلْفِيلُ بِأُذُنَيْهِ فَيُهْلِكُهُ . وَمَنْ يَبْذُلْ وُدَّهُ وَنَصِيحَتَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ يَبْذُرُ فِي ٱلسِّبَاخِ (١١)

---

(١) الابرة التي تلدغ بها (٢) يعوق (٣) المفتقر (٤) تصيبه (٥) اي حدثت اتفاقاً (٦) وقت الاجل (٧) زهر (٨) ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة ومتى ساوى سطح الماء اورق وازهر (٩) ما اغنى عن الناس (١٠) ارتفعت (١١) من الارض ما لم يحرث ولم يعمر

وَمَنْ يُشِرْ عَلَى ٱلْمُعْجَبِ (١) كَمَنْ يُشَاوِرُ ٱلْمَيْتَ أَوْ يُسَارُّ ٱلْأَصَمَّ (٢).

قَالَ دِمْنَةُ : دَعْ عَنْكَ هٰذَا ٱلْكَلَامَ وَٱحْتَلْ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَالُ لِنَفْسِي إِذَا أَرَادَ ٱلْأَسَدُ أَكْلِي مَعَ مَا عَرَّفْتَنِي مِنْ رَأْيِ ٱلْأَسَدِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ . وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ هَلَاكِي لَقَدَرُوا عَلَى ذٰلِكَ . فَإِنَّهُ إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلْمَكَرَةُ (٣) ٱلظَّلَمَةُ عَلَى ٱلْبَرِيءِ ٱلصَّالِحِ كَانُوا خُلَقَاءَ (٤) أَنْ يُهْلِكُوهُ وَإِنْ كَانُوا ضُعَفَاءَ وَهُوَ قَوِيٌّ . كَمَا أَهْلَكَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى ٱلْجَمَلَ حِينَ ٱجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِٱلْمَكْرِ وَٱلْخَدِيعَةِ وَٱلْخِيَانَةِ . قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ شَتْرَبَةُ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجَمَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِطَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ ٱلنَّاسِ وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَٱبْنُ آوَى . وَإِنَّ رُعَاةً مَرُّوا بِذٰلِكَ ٱلطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جِمَالٌ . فَتَخَلَّفَ (٥) مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ ٱلْأَجَمَةَ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسَدُ مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ مِنْ مَوْضِعِ كَذَا . قَالَ فَمَا حَاجَتُكَ (٦) قَالَ مَا يَأْمُرُنِي بِهِ ٱلْمَلِكُ . قَالَ تُقِيمُ عِنْدَنَا فِي ٱلسَّعَةِ وَٱلْأَمْنِ وَٱلْخِصْبِ . فَأَقَامَ ٱلْأَسَدُ وَٱلْجَمَلُ مَعَهُ زَمَانًا طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ ٱلْأَيَّامِ لِطَلَبِ ٱلصَّيْدِ فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثْخَنًا (٧) بِٱلْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ ٱلدَّمُ وَقَدْ خَدَشَهُ (٨) ٱلْفِيلُ بِأَنْيَابِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حِرَاكًا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى طَلَبِ ٱلصَّيْدِ . فَلَبِثَ ٱلذِّئْبُ وَٱلْغُرَابُ وَٱبْنُ آوَى أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ

---

(١) المتكبر (٢) اي يكلمه سرًّا والاصم الاطرش (٣) جمع ماكر وهو الخادع (٤) جمع خليق ، يقال فلان خليق بالشيء اي جدير به واهل له (٥) تأخر (٦) اي ما سؤلك (٧) اي مبالغًا بجراحه (٨) مزّق جلده

طعاماً لأنهم كانوا يأكلون من فضلات الأسد وطعامه . فأصابهم وأصابه جوع شديد وهزال (١) وعرف الأسد منهم ذلك فقال لقد جهدتم واحتجتم إلى ما تأكلون . فقالوا لا تهمنا أنفسنا . لكنا نرى الملك على ما نراه فليتنا نجد ما يأكله ويصلحه . قال الأسد : ما أشك في نصيحتكم ولكن انتشروا لعلكم تصيبون صيداً تأتونني به فيصيبني ويصيبكم منه رزق . فخرج الذئب والغراب وابن آوى من عند الأسد فتنحوا (٢) وائتمروا (٣) فيما بينهم وقالوا : ما لنا ولهذا الآكل العشب الذي ليس شأنه من شأننا ولا رأيه من رأينا ألا تزين (٤) للأسد فيأكله ويطعمنا من لحمه . قال ابن آوى هذا مما لا نستطيع ذكره للأسد لأنه قد أمن (٥) الجمل وجعل له من ذمته . قال الغراب أنا أكفيكم أمر الأسد . ثم انطلق فدخل عليه فقال له الأسد : هل أصبت (٦) شيئاً . قال الغراب : إنما يصيب من يسعى ويبصر . وأما نحن فلا سعي لنا ولا بصر لما بنا من الجوع . ولكن قد وفقنا إلى أمر واجتمعنا عليه إن وافقنا الملك فنحن له مجيبون . قال الأسد وما ذاك . قال الغراب هذا الجمل آكل العشب المتمرغ بيننا من غير منفعة لنا منه ولا رد عائدة (٧) ولا عمل يعقب مصلحة (٨) * فلما سمع الأسد ذلك غضب وقال : ما أخطأ رأيك وما أعجز مقالك وأبعدك عن الوفاء والرحمة . وما كنت حقيقاً أن تجترئ علي بهذه المقالة وتستقبلني بهذا الخطاب مع ما علمت من أني قد أمنت الجمل وجعلت له

---

(١) نقيض السمن (٢) اعتزلوا الى ناحية (٣) تشاوروا (٤) تحسن
(٥) جعل له الامن وهو ضد الخوف (٦) وجدت (٧) معروف
(٨) بمعنى منفعة

مِنْ ذِمَّتِي . أَوَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّـهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقَنَ دَمًا مَهْدُورًا (١) . وَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَلَسْتُ بِغَـادِرٍ بِهِ وَلَا خَافِرٍ (٢) لَهُ ذِمَّةً * قَالَ الْغُرَابُ إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ وَلَـكِنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ وَأَهْلُ الْبَيْتِ تُفْتَدَى بِهِمِ الْقَبِيلَةُ وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ وَأَهْلُ الْمِصْرِ (٣) فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلَتْ بِالْمَلِكِ الْحَاجَةُ وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَـكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَٰلِكَ وَلَا يَلِيَهُ (٤) بِنَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرَ بِهِ أَحَدًا . وَلٰكِنَّا نَحْتَالُ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلَهُ فِيهَا صَلَاحٌ وَظَفَرٌ (٥) ، فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هٰذَا الْخِطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ (٦) الْأَسَدِ أَتَى صَاحِبَيْهِ فَقَالَ لَهُمَا قَدْ كَلَّمْتُ الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلَ عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ عِنْدَ الْأَسَدِ فَنَذْكُرَ مَا أَصَابَهُ وَنَتَوَجَّعَ لَهُ اهْتِمَامًا مِنَّا بِأَمْرِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ . وَيَعْرِضَ كُلُّ وَاحِـدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجَمُّلًا (٧) لِيَأْكُلَهُ فَيَرُدَّ الْآخَرَانِ عَلَيْهِ وَيُسَفِّهَـا رَأْيَهُ وَيُبَيِّنَا الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا جَاءَتْ نَوْبَةُ الْجَمَلِ صَوَّبْنَا رَأْيَهُ فَهَلَكَ وَسَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ عَنَّا . فَفَعَلُوا ذٰلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ * فَقَـالَ الْغُرَابُ قَدِ احْتَجْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقَوِّتُكَ . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ فَإِذَا هَلَـكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خِيَـرَةٍ (٨) فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طِبْتُ بِذٰلِكَ نَفْسًا فَأَجَابَهُ الذِّئْبُ وَابْنُ آوَى أَنِ اسْكُتْ فَـلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شِبَعٌ * قَالَ ابْنُ آوَى

(١) مسفوكاً باطلاً اي بلا قود ولا دية (٢) ناقض (٣) المدينة والصقع
(٤) يتولاه (٥) فوز (٦) اذعان (٧) تلطفاً في الكلام (٨) اي لا خير لنا في الحياة من بعدك

لكِنْ أنَا أشبِعُ المَلِكَ فَلْيأكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذلِكَ وَطِبْتُ نَفْساً . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّئْبُ وَالغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا إنَّكَ لَمُنْتِنٌ[1] قَذِرٌ * قَالَ الذِّئْبُ إنِّي لَسْتُ كَذلِكَ فَلْيأكُلْنِي المَلِكُ فَقَدْ سَمَحْتُ بِذلِكَ وَطَابَتْ بِهِ نَفْسِي . فَاعْتَرَضَهُ[2] الغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالا قَدْ قَالَتِ الأطِبَّاءُ مَنْ أرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ فَلْيَأكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ * فَظَنَّ الجَمَلُ أنَّهُ إذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الأكْلِ الْتَمَسُوا لَهُ عُذْراً كَمَا الْتَمَسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الأعْذَارَ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى الأسَدُ عَنْهُ بِذلِكَ وَيَنْجُو مِنَ المَهَالِكِ . فَقَالَ لكِنْ أنَا فِي لِلْمَلِكِ شِبَعٌ وَرِيٌّ وَلَحْمِي طَيِّبٌ هَنِيءٌ وَبَطْنِي نَظِيفٌ فَلْيأكُلْنِي المَلِكُ وَيُطْعِمْ أصْحَابَهُ وَخَدَمَهُ فَقَدْ رَضِيتُ بِذلِكَ وَطَابَتْ نَفْسِي بِهِ . فَقَالَ الذِّئْبُ وَابْنُ آوَى وَالغُرَابُ لَقَدْ صَدَقَ الجَمَلُ وَكَرُمَ وَقَالَ مَا عَرَفَ . ثُمَّ إنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَّقُوهُ

وَإنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هذَا المَثَلَ لِتَعْلَمَ أنَّهُ إنْ كَانَ أصْحَابُ الأسَدِ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى هَلاكِي فَإنِّي لَسْتُ أقْدِرُ أنْ أمْتَنِعَ مِنْهُمْ وَلا أحْتَرِسَ وَإنْ كَانَ رَأيُ الأسَدِ فِيَّ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأيِ . فَإنَّ ذلِكَ لا يَنْفَعُنِي وَلا يُغْنِي عَنِّي شَيْئاً . وَقَدْ يُقَالُ خَيْرُ السَّلاطِينِ مَنْ أشْبَهَ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الجِيَفُ لا مَنْ أشْبَهَ الجِيفَةَ وَحَوْلَهَا النُّسُورُ . وَلَوْ أنَّ الأسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ لِي إلا الخَيْرُ وَالرَّحْمَةُ لَغَيَّرَتْهُ كَثْرَةُ الأقَاوِيلِ[3] فَإنَّهَا إذَا كَثُرَتْ لَمْ تَكُفَّ دُونَ أنْ تُذْهِبَ الرِّقَّةَ[4] وَالرَّأفَةَ . ألا تَرَى أنَّ المَاءَ لَيْسَ كَالقَوْلِ وَأنَّ الحَجَرَ أشَدُّ مِنَ الإنْسَانِ . وَالمَاءُ إذَا دَامَ انْحِدَارُهُ عَلَى الحَجَرِ لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى يَثْقُبَهُ وَيُؤَثِّرَ فِيهِ . وَكَذلِكَ القَوْلُ فِي الإنْسَانِ . قَالَ دِمْنَةُ فَمَاذَا

---

(١) خبيث الرائحة (٢) عابه وخطأه (٣) الاكاذيب المبتدعة (٤) الرحمة

تُرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ٱلْآنَ . قَالَ شَتْرَبَةُ مَا أَرَى إِلَّا ٱلِاجْتِهَادَ وَٱلْمُجَاهَدَةَ بِٱلْقِتَالِ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِلْمُصَلِّي فِي صَلَاتِهِ وَلَا لِلْمُحْتَسِبِ (١) فِي صَدَقَتِهِ وَلَا لِلْوَرِعِ فِي وَرَعِهِ مِنَ ٱلْأَجْرِ مَا لِلْمُجَاهِدِ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا كَانَتْ مُجَاهَدَتُهُ عَلَى ٱلْحَقِّ . قَالَ دِمْنَةُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُخَاطِرَ بِنَفْسِهِ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ غَيْرَ ذٰلِكَ . وَلٰكِنْ ذَا ٱلرَّأْيِ جَاعِلٌ ٱلْقِتَالَ آخِرَ ٱلْحِيَلِ وَبَادِئٌ قَبْلَ ذٰلِكَ بِمَا ٱسْتَطَاعَ مِنْ رِفْقٍ وَتَمَحُّلٍ (٢) . وَقَدْ قِيلَ لَا تَحْقِرَنَّ ٱلْعَدُوَّ ٱلضَّعِيفَ ٱلْمَهِينَ (٣) وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ذَا حِيلَةٍ وَيَقْدِرُ عَلَى ٱلْأَعْوَانِ . فَكَيْفَ بِٱلْأَسَدِ عَلَى جَرَاءَتِهِ وَشِدَّتِهِ . فَإِنَّ مَنْ حَقَرَ عَدُوَّهُ لِضَعْفِهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ وَكِيلَ ٱلْبَحْرِ مِنَ ٱلطِّيطَوَى . قَالَ شَتْرَبَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ طَائِرًا مِنْ طُيُورِ ٱلْبَحْرِ يُقَالُ لَهُ ٱلطِّيطَوَى كَانَ وَطَنُهُ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ وَمَعَهُ زَوْجَةٌ لَهُ . فَلَمَّا جَاءَ أَوَانُ إِفْرَاخِهِمَا قَالَتِ ٱلْأُنْثَى لِلذَّكَرِ لَوِ ٱلْتَمَسْنَا مَكَانًا حَرِيزًا (٤) غَيْرَ هٰذَا نُفْرِخُ فِيهِ فَإِنِّي أَخَافُ مِنَ ٱلْبَحْرِ إِذَا مَدَّ ٱلْمَاءُ أَنْ يَذْهَبَ بِفِرَاخِنَا . فَقَالَ لَهَا مَا أَرَاهُ يَحْمِلُ (٥) عَلَيْنَا فَإِنَّ وَكِيلَ ٱلْبَحْرِ يَخَافُنِي أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ فَأَفْرِخِي فِي مَكَانِكِ فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَنَا وَٱلْمَاءُ وَٱلزَّهْرُ مِنَّا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ يَا غَافِلُ مَا أَشَدَّ عِنَادَكَ وَتَصَلُّبَكَ أَمَا تَذْكُرُ وَعِيدَهُ وَتَهَدُّدَهُ (٦) إِيَّاكَ . أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ فِي وَعِيدِ مَنْ لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ . فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا قَالَتْ لَهُ إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ ٱلنَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ ٱلسُّلَحْفَاةَ حِينَ لَمْ

---

(١) المتصدق لوجه الله (٢) احتيال (٣) الذليل (٤) حصيناً منيعاً
(٥) يكرّ (٦) الايعاد بالشر

تَسمعْ قولَ البطتين. قالَ الذكرُ وكيفَ كانَ ذلكَ

قالتِ الأنثى: زعموا أنَّ غديرًا كانَ عندهُ عشبٌ وكانَ فيهِ بطتانِ. وكانَ في الغديرِ سلحفاةٌ بينَها وبينَ البطتينِ مودةٌ وصداقةٌ. فاتفقَ أنْ غيضَ(١) ذلكَ الماءُ فجاءتِ البطتانِ لوداعِ السلحفاةِ وقالتا السلامُ عليكِ فإنّنا ذاهبتانِ عنْ هذا المكانِ لأجلِ نقصانِ الماءِ عنهُ * فقالتْ إنّما يبينُ نقصانُ الماءِ على مثلي التي كأنّي السفينةُ لا أقدرُ على العيشِ إلّا بالماءِ. فأمّا أنتما فتقدرانِ على العيشِ حيثُ كنتما. فاذهبا بي معكما. قالتا نعمْ. قالتْ كيفَ السبيلُ إلى حملي. قالتا نأخذُ بطرفَيْ عودٍ وتقبضينَ بفيكِ على وسطهِ ونطيرُ بكِ في الجوِّ. وإيّاكِ إذا سمعتِ الناسَ يتكلّمونَ أنْ تنطقي ثمَّ أخذتاها فطارتا بها في الجوِّ. فقالَ الناسُ عجبٌ سلحفاةٌ بينَ بطتينِ قدْ حملتاها. فلمّا سمعتْ ذلكَ قالتْ فقأ(٢) اللهُ أعينكمْ أيّها الناسُ. فلمّا فتحتْ فاها بالنطقِ وقعتْ على الأرضِ فماتتْ

قالَ الذكرُ قدْ سمعتُ مقالتكِ فلا تخافي وكيلَ البحرِ. فلمّا مدَّ(٣) الماءُ دنا وكيلُ البحرِ فذهبَ بفراخهما. فقالتِ الأنثى قدْ عرفتُ في بدءِ الأمرِ أنَّ هذا كائنٌ وما أصابنا إنّما هوَ بتفريطكَ(٤). قالَ الذكرُ قدْ قلتُ ما قلتُ وأنا على قولي وسوفَ ترينَ صنعي بهِ وانتقامي منهُ * ثمَّ مضى إلى جماعةِ الطيرِ فقالَ لهنَّ إنّكنَّ أخواتي وثقاتي(٥) فأعنّني * قلنَ ماذا تريدُ أنْ نفعلَ. قالَ تجتمعنَ وتذهبنَ معي إلى سائرِ الطيرِ فنشكو إليهنَّ ما لقيتُ

---

(١) نقص (٢) فقأ العين أطفأ ضوءها (٣) ارتفع الى البر (٤) اي بتقصيرك
(٥) جمع ثقة وهو من يوثق به اي يؤتمن

مِنْ وَكِيلِ ٱلْبَحْرِ وَنَقُولُ لَهُنَّ إِنْ تَكُنْ طَيْرٌ مِثْلَنَا فَأَعِنَّنَا . فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ ٱلطَّيْرِ إِنَّ ٱلْعَنْقَاءَ بِنْتَ ٱلرِّيحِ هِيَ سَيِّدَتُنَا وَمَلِكَتُنَا فَٱذْهَبْ بِنَا إِلَيْهَا حَتَّى نَصِيحَ بِهَا فَتَظْهَرَ لَنَا فَنَشْكُوَ إِلَيْهَا مَا نَالَكَ[1] مِنْ وَكِيلِ ٱلْبَحْرِ وَنَسْأَلَهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِهَا * ثُمَّ إِنَّهُنَّ ذَهَبْنَ إِلَيْهَا مَعَ ٱلطِّيطَوَى فَٱسْتَغَثْنَهَا[2] وَصِحْنَ بِهَا فَتَرَاءَتْ[3] لَهُنَّ . فَأَخْبَرْنَهَا بِقِصَّتِهِنَّ وَسَأَلْنَهَا أَنْ تَطِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى مُحَارَبَةِ وَكِيلِ ٱلْبَحْرِ . فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذٰلِكَ . فَلَمَّا عَلِمَ وَكِيلُ ٱلْبَحْرِ أَنَّ ٱلْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَمَاعَةِ ٱلطَّيْرِ خَافَ مِنْ مُحَارَبَةِ مَلِكٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ[4] فَرَدَّ فِرَاخَ ٱلطِّيطَوَى وَصَالَحَهُ فَرَجَعَتِ ٱلْعَنْقَاءُ عَنْهُ

وَإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِهٰذَا ٱلْحَدِيثِ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْقِتَالَ مَعَ ٱلْأَسَدِ لَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا * قَالَ شَتْرَبَةُ : فَمَا أَنَا بِمُقَاتِلٍ ٱلْأَسَدَ وَلَا نَاصِبٍ لَهُ ٱلْعَدَاوَةَ سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً وَلَا مُتَغَيِّرٍ لَهُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ لِي مِنْهُ مَا أَتَخَوَّفُ فَأُغَالِبَهُ * فَكَرِهَ دِمْنَةُ قَوْلَهُ وَعَلِمَ أَنَّ ٱلْأَسَدَ إِنْ لَمْ يَرَ مِنَ ٱلثَّوْرِ ٱلْعَلَامَاتِ ٱلَّتِي كَانَ ذَكَرَهَا لَهُ ٱتَّهَمَهُ[5] وَأَسَاءَ بِهِ ٱلظَّنَّ . فَقَالَ لِشَتْرَبَةَ ٱذْهَبْ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَسَتَعْرِفُ حِينَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ مَا يُرِيدُ مِنْكَ * قَالَ شَتْرَبَةُ وَكَيْفَ أَعْرِفُ ذٰلِكَ . قَالَ دِمْنَةُ سَتَرَى ٱلْأَسَدَ حِينَ تَدْخُلُ عَلَيْهِ مُقْعِيًا[6] عَلَى ذَنَبِهِ رَافِعًا صَدْرَهُ إِلَيْكَ مَادًّا بَصَرَهُ نَحْوَكَ قَدْ صَرَّ[7] أُذُنَيْهِ وَفَغَرَ[8] فَاهُ وَٱسْتَوَى[9] لِلْوَثْبَةِ[10] . قَالَ إِنْ رَأَيْتُ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَاتِ مِنَ ٱلْأَسَدِ عَرَفْتُ صِدْقَكَ فِي قَوْلِكَ

ثُمَّ إِنَّ دِمْنَةَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ تَحْرِيشِ ٱلْأَسَدِ عَلَى ٱلثَّوْرِ وَٱلثَّوْرِ عَلَى ٱلْأَسَدِ

---

(١) اصابك (٢) اي طلبن مساعدتها (٣) ظهرت (٤) اي لا قدرة لهُ عليه
(٥) شك في صدقه (٦) اي جالساً على استه ناصباً فخذيه كجلوس الكلب
(٧) نصب (٨) فتح (٩) استعد (١٠) القفزة

تَوَجَّهَ إِلَى كَلِيلَةَ . فَلَمَّا ٱلْتَقَيَا قَالَ كَلِيلَةُ : إِلَامَ ٱنْتَهَى عَمَلُكَ ٱلَّذِي كُنْتَ فِيهِ . قَالَ دِمْنَةُ قَرِيبٌ مِنَ ٱلْفَرَاغِ عَلَى مَا أُحِبُّ وَتُحِبُّ * ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ ٱنْطَلَقَا جَمِيعاً لِيَحْضُرَا قِتَالَ ٱلْأَسَدِ وَٱلثَّوْرِ وَيَنْظُرَا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا وَمَا يَؤُولُ[١] إِلَيْهِ أَمْرُهُمَا . وَجَاءَ شَتْرَبَةُ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَرَآهُ مُقْعِياً كَمَا وَصَفَهُ لَهُ دِمْنَةُ فَقَالَ : مَا صَاحِبُ ٱلسُّلْطَانِ إِلَّا كَصَاحِبِ ٱلْحَيَّةِ ٱلَّتِي فِي صَدْرِهِ لَا يَدْرِي مَتَى تَهِيجُ عَلَيْهِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ نَظَرَ إِلَى ٱلثَّوْرِ فَرَأَى ٱلدِّلَالَاتِ ٱلَّتِي ذَكَرَهَا لَهُ دِمْنَةُ فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّهُ جَاءَ لِقِتَالِهِ . فَوَاثَبَهُ[٢] وَنَشَأَتْ بَيْنَهُمَا ٱلْحَرْبُ وَٱشْتَدَّ قِتَالُ ٱلثَّوْرِ وَٱلْأَسَدِ وَطَالَ وَسَالَتْ بَيْنَهُمَا ٱلدِّمَاءُ . فَلَمَّا رَأَى كَلِيلَةُ أَنَّ ٱلْأَسَدَ قَدْ بَلَغَ مِنَ ٱلْقِتَالِ مَا بَلَغَ قَالَ لِدِمْنَةَ : أَيُّهَا ٱلْفَسْلُ[٣] مَا أَنْكَرَ[٤] جَهْلَتَكَ وَأَسْوَأَ عَاقِبَتَكَ فِي تَدْبِيرِكَ . قَالَ دِمْنَةُ وَمَا ذَاكَ . قَالَ كَلِيلَةُ جُرِحَ ٱلْأَسَدُ وَهَلَكَ ٱلثَّوْرُ . وَإِنَّ أَخْرَقَ ٱلْخُرْقِ[٥] مَنْ حَمَلَ صَاحِبَهُ عَلَى سُوءِ ٱلْخُلُقِ وَٱلْمُبَارَزَةِ وَٱلْقِتَالِ وَهُوَ يَجِدُ إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ سَبِيلاً . وَإِنَّمَا ٱلرَّجُلُ إِذَا أَمْكَنَتْهُ ٱلْفُرْصَةُ مِنْ عَدُوِّهِ يَتْرُكُهُ مَخَافَةَ ٱلتَّعَرُّضِ لَهُ بِٱلْمُجَاهَرَةِ وَرَجَاءَ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ بِدُونِ ذٰلِكَ . وَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ يُدَبِّرُ ٱلْأَشْيَاءَ وَيَقِيسُهَا قَبْلَ مُبَاشَرَتِهَا[٦] فَمَا رَجَا أَنْ يَتِمَّ لَهُ مِنْهَا أَقْدَمَ[٧] عَلَيْهِ وَمَا خَافَ أَنْ يَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ مِنْهَا ٱنْحَرَفَ عَنْهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ . وَإِنِّي لَأَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ بَغْيِكَ هٰذَا فَإِنَّكَ قَدْ أَحْسَنْتَ ٱلْقَوْلَ وَلَمْ تُحْسِنِ ٱلْعَمَلَ . أَيْنَ مُعَاهَدَتُكَ إِيَّايَ أَنَّكَ لَا تُضِرُّ بِٱلْأَسَدِ فِي تَدْبِيرِكَ . وَقَدْ قِيلَ لَا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَعَ ٱلْعَمَلِ . وَلَا فِي ٱلْفِقْهِ إِلَّا مَعَ ٱلْوَرَعِ[٨] .

---

(١) يرجع (٢) اي هجم كل منهما على الآخر (٣) الضعيف الرذل الذي لا مروءة له (٤) اقبح (٥) اي أشدّ الحمق (٦) اي قبل الابتداء بها (٧) اجترأ (٨) التقوى

وَلَا فِي ٱلصَّدَقَةِ إِلَّا مَعَ ٱلنِّيَّةِ . وَلَا فِي ٱلْمَالِ إِلَّا مَعَ ٱلْجُودِ . وَلَا فِي ٱلصِّدْقِ إِلَّا مَعَ ٱلْوَفَاءِ . وَلَا فِي ٱلْحَيَاةِ إِلَّا مَعَ ٱلصِّحَّةِ . وَلَا فِي ٱلْأَمْنِ إِلَّا مَعَ ٱلسُّرُورِ * وَقَدْ شَرَطْتَ أَمْرًا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ٱلْعَاقِلُ ٱلرَّفِيقُ(١)

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْأَدَبَ يُذْهِبُ عَنِ ٱلْعَاقِلِ ٱلطَّيْشَ وَيَزِيدُ ٱلْأَحْمَقَ طَيْشًا كَمَا أَنَّ ٱلنَّهَارَ يَزِيدُ كُلَّ ذِي بَصَرٍ نَظَرًا وَيَزِيدُ ٱلْخُفَّاشَ(٢) سُوءَ ٱلنَّظَرِ . فَذُو ٱلْعَقْلِ لَا يَبْطَرُ مِنْ مَنْزِلَةٍ أَصَابَهَا وَإِنْ تَعَاظَمَ أَمْرُهُ وَقَدْرُهُ وَيَكُونُ عِنْدَ ذٰلِكَ كَٱلْجَبَلِ ٱلَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ ٱلرِّيَاحُ ٱلشَّدِيدَةُ . وَٱلسَّخِيفُ كَٱلْعُشْبِ يُحَرِّكُهُ أَدْنَى رِيحٍ * وَقَدْ أَذْكَرَنِي أَمْرُكَ شَيْئًا سَمِعْتُهُ . فَإِنَّهُ يُقَالُ إِنَّ ٱلسُّلْطَانَ إِذَا كَانَ صَالِحًا وَوُزَرَاؤُهُ وُزَرَاءُ سُوءٍ مَنَعُوا خَيْرَهُ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُوَ(٣) مِنْهُ . وَمَثَلُهُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْمَاءِ ٱلطَّيِّبِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلتَّمَاسِيحُ(٤) لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَتَنَاوَلَهُ وَإِنْ كَانَ إِلَى ٱلْمَاءِ مُحْتَاجًا . وَإِنَّمَا ٱلْمَلِكُ زِينَتُهُ أَنْ يَكُونَ جُنُودُهُ وَوُزَرَاؤُهُ ذَوِي صَلَاحٍ فَيُسَدِّدُونَ(٥) أَحْوَالَ ٱلنَّاسِ وَيَنْظُرُونَ فِي صَلَاحِهِمْ . وَأَنْتَ يَا دِمْنَةُ أَرَدْتَ أَنْ لَا يَدْنُوَ مِنَ ٱلْأَسَدِ أَحَدٌ سِوَاكَ وَهٰذَا أَمْرٌ لَا يَصِحُّ وَلَا يَتِمُّ أَبَدًا وَذٰلِكَ لِلْمَثَلِ ٱلْمَضْرُوبِ إِنَّ ٱلْبَحْرَ بِأَمْوَاجِهِ وَٱلسُّلْطَانَ بِأَصْحَابِهِ . وَمِنَ ٱلْحُمْقِ ٱلْحِرْصُ عَلَى ٱلْتِمَاسِ ٱلْإِخْوَانِ بِغَيْرِ ٱلْوَفَاءِ لَهُمْ . وَٱلْتِمَاسِ ٱلْآخِرَةِ بِٱلرِّيَاءِ . وَمَوَدَّةِ ٱلنِّسَاءِ بِٱلْغِلْظَةِ(٦) . وَنَفْعِ ٱلنَّفْسِ بِضَرِّ ٱلْغَيْرِ * وَمَا عِظَتِي وَتَأْدِيبِي إِيَّاكَ إِلَّا كَمَا قَالَ ٱلرَّجُلُ لِلطَّائِرِ لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ وَلَا تُعَالِجْ تَأْدِيبَ مَا لَا يَتَأَدَّبُ . قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

---

(١) ضد الاحمق (٢) الوطواط (٣) يقرب (٤) جمع تمساح وهو حيوان مائي يعيش في البلاد الحارة وهو على صورة الضب صلب الجلد وكريه المنظر (٥) يقوّمون (٦) العداوة والفظاظة

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْقِرَدَةِ (١) كَانُوا سَاكِنِينَ فِي جَبَلٍ. فَٱلْتَمَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ ذَاتِ رِيَاحٍ وَأَمْطَارٍ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَرَأَوْا يَرَاعَةً (٢) تَطِيرُ كَأَنَّهَا شَرَارَةُ نَارٍ فَظَنُّوهَا نَارًا وَجَمَعُوا حَطَبًا كَثِيرًا فَأَلْقَوْهُ عَلَيْهَا وَجَعَلُوا يَنْفُخُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَتَرَوَّحُونَ (٣) بِأَيْدِيهِمْ طَمَعًا فِي أَنْ يُوقِدُوا نَارًا يَصْطَلُونَ (٤) بِهَا مِنَ ٱلْبَرْدِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُمْ طَائِرٌ عَلَى شَجَرَةٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَقَدْ رَأَى مَا صَنَعُوا فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ وَيَقُولُ لَا تَتْعَبُوا فَإِنَّ ٱلَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَيْسَ بِنَارٍ . فَلَمَّا طَالَ ذٰلِكَ عَلَيْهِ عَزَمَ عَلَى ٱلْقُرْبِ مِنْهُمْ لِيَنْهَاهُمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَعَرَفَ مَا عَزَمَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : لَا تَلْتَمِسْ تَقْوِيمَ مَا لَا يَسْتَقِيمُ فَإِنَّ ٱلْحَجَرَ ٱلصُّلْبَ ٱلَّذِي لَا يَنْقَطِعُ لَا تُجَرَّبُ عَلَيْهِ ٱلسُّيُوفُ . وَٱلْعُودَ ٱلَّذِي لَا يَنْحَنِي لَا تُعْمَلُ مِنْهُ ٱلْقَوْسُ فَلَا تَتْعَبْ . فَأَبَى ٱلطَّائِرُ أَنْ يُطِيعَهُ وَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْقِرَدَةِ لِيُعَرِّفَهُمْ أَنَّ ٱلْيَرَاعَةَ لَيْسَتْ بِنَارٍ فَتَنَاوَلَهُ بَعْضُ ٱلْقِرَدَةِ فَضَرَبَ بِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَاتَ . فَهٰذَا مَثَلُكَ مَعِي فِي ذٰلِكَ * ثُمَّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ ٱلْخِبُّ (٥) وَٱلْفُجُورُ (٦) وَهُمَا خَلَّتَا (٧) سُوءٍ وَٱلْخِبُّ شَرُّهُمَا عَاقِبَةً . وَلِهٰذَا مَثَلٌ

قَالَ دِمْنَةُ وَمَا ذٰلِكَ ٱلْمَثَلُ

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ خَبًّا (٨) وَمُغَفَّلًا ٱشْتَرَكَا فِي تِجَارَةٍ وَسَافَرَا . فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ٱلطَّرِيقِ تَخَلَّفَ (٩) ٱلْمُغَفَّلُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ فَوَجَدَ كِيسًا فِيهِ أَلْفُ دِينَارٍ فَأَخَذَهُ . فَأَحَسَّ بِهِ ٱلْخِبُّ فَرَجَعَا إِلَى بَلَدِهِمَا حَتَّى إِذَا دَنَوَا مِنَ ٱلْمَدِينَةِ

---

(١) جمع قرد ويعرف عند العامة بالسعدان (٢) ذبابة تطير بالليل كأنها نار وتعرف عند بعض العامة بسراج الليل (٣) يجلبون الريح كما يُفعل بالمروحة (٤) يتدفأون (٥) الخبث والخداع والغش (٦) المعصية والكذب (٧) خصلتا (٨) خبيثاً خداعاً (٩) تأخر

قَعَدَا لِاقْتِسَامِ ٱلْمَالِ . فَقَالَ ٱلْمُغَفَّلُ (١) خُذْ نِصْفَهُ وَأَعْطِنِي نِصْفَهُ وَكَانَ ٱلْخَبُّ قَدْ قَرَّرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ بِٱلْأَلْفِ جَمِيعِهَا . فَقَالَ لَا نَقْتَسِمْ فَإِنَّ ٱلشَّرِكَةَ وَٱلْمُفَاوَضَةَ (٢) أَقْرَبُ إِلَى ٱلصَّفَاءِ وَٱلْمُخَالَطَةِ . وَلٰكِنْ آخُذُ نَفَقَةً وَتَأْخُذُ مِثْلَهَا وَنَدْفِنُ ٱلْبَاقِيَ فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ فَهُوَ مَكَانٌ حَرِيزٌ (٣) وَذٰلِكَ أَكْتَمُ (٤) لِأَمْرِنَا . فَإِذَا ٱحْتَجْنَا جِئْنَا أَنَا وَأَنْتَ فَنَأْخُذُ حَاجَتَنَا مِنْهُ وَلَا يَعْلَمُ بِمَوْضِعِنَا أَحَدٌ . فَأَخَذَا مِنْهَا يَسِيرًا وَدَفَنَا ٱلْبَاقِيَ فِي أَصْلِ ٱلشَّجَرَةِ وَدَخَلَا ٱلْبَلَدَ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَبَّ خَالَفَ ٱلْمُغَفَّلَ إِلَى ٱلدَّنَانِيرِ (٥) فَأَخَذَهَا وَسَوَّى ٱلْأَرْضَ كَمَا كَانَتْ . وَجَاءَ ٱلْمُغَفَّلُ بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ لِلْخَبِّ قَدِ ٱحْتَجْتُ إِلَى نَفَقَةٍ فَٱنْطَلِقْ بِنَا نَأْخُذْ حَاجَتَنَا . فَقَامَ ٱلْخَبُّ مَعَهُ وَذَهَبَا إِلَى ٱلْمَكَانِ فَحَفَرَا فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا . فَأَقْبَلَ ٱلْخَبُّ عَلَى وَجْهِهِ يَلْطِمُهُ وَيَقُولُ لَا تَغْتَرَّ بِصُحْبَةِ صَاحِبٍ خَالَفْتَنِي إِلَى ٱلدَّنَانِيرِ فَأَخَذْتَهَا . فَجَعَلَ ٱلْمُغَفَّلُ يَحْلِفُ وَيَلْعَنُ آخِذَهَا وَلَا يَزْدَادُ ٱلْخَبُّ إِلَّا شِدَّةً فِي ٱللَّطْمِ وَقَالَ مَا أَخَذَهَا غَيْرُكَ وَهَلْ شَعَرَ (٦) بِهَا أَحَدٌ سِوَاكَ * ثُمَّ طَالَ بَيْنَهُمَا ذٰلِكَ فَتَرَافَعَا إِلَى ٱلْقَاضِي فَٱقْتَصَّ ٱلْقَاضِي قِصَّتَهُمَا (٧) فَٱدَّعَى ٱلْخَبُّ أَنَّ ٱلْمُغَفَّلَ أَخَذَهَا وَجَحَدَ (٨) ٱلْمُغَفَّلُ . فَقَالَ لِلْخَبِّ أَلَكَ عَلَى دَعْوَاكَ بَيِّنَةٌ . قَالَ نَعَمِ ٱلشَّجَرَةُ ٱلَّتِي كَانَتِ ٱلدَّنَانِيرُ عِنْدَهَا تَشْهَدُ لِي أَنَّ ٱلْمُغَفَّلَ قَدْ أَخَذَهَا . وَكَانَ ٱلْخَبُّ قَدْ أَتَى أَبَاهُ فَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ فَيَتَوَارَى (٩) فِي ٱلشَّجَرَةِ بِحَيْثُ إِذَا سُئِلَ أَجَابَ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ رُبَّ مُتَحَيِّلٍ أَوْقَعَهُ تَحَيُّلُهُ فِي وَرْطَةٍ (١٠) عَظِيمَةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى ٱلْخَلَاصِ مِنْهَا .

---

(١) من لا فطنة له (٢) المساواة في الامر (٣) حصين (٤) أشدُّ إخفاء
(٥) اي قصدها بدون علمه (٦) علم (٧) اي سألهما ان يرويا القصة على وجهها
(٨) انكر (٩) يختفي (١٠) شدة

فَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلَ ٱلْعُلْجُومِ . قَالَ ٱلْخَبُّ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ أَبُوهُ زَعَمُوا أَنَّ عُلْجُوماً جَاوَرَ حَيَّـةً فَكَانَ كُلَّمَا أَفْرَخَ جَاءَتْ إِلَى عُشِّهِ وَأَكَلَتْ فِرَاخَهُ . فَفَزِعَ (١) فِي ذٰلِكَ إِلَى ٱلسَّرَطَانِ فَقَالَ لَهُ ٱلسَّرَطَانُ إِنَّ بِقُرْبِكَ جُحْراً (٢) يَسْكُنُهُ ٱبْنُ عِرْسٍ (٣) وَهُوَ يَأْكُلُ ٱلْحَيَّاتِ . فَٱجْمَعْ سَمَكاً كَثِيراً وَفَرِّقْهُ مِنْ جُحْرِ ٱبْنِ عِرْسٍ إِلَى جُحْرِ ٱلْحَيَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا بَدَأَ فِي أَكْلِ ٱلسَّمَكِ ٱنْتَهَى إِلَى جُحْرِ ٱلْحَيَّةِ فَأَكَلَهَا . فَفَعَلَ وَكَانَ كَذٰلِكَ . ثُمَّ تَدَرَّجَ ٱبْنُ عِرْسٍ مِنْ جُحْرِ ٱلْحَيَّةِ فِي طَلَبِ غَيْرِهَا حَتَّى بَلَغَ إِلَى جُحْرِ ٱلْعُلْجُومِ فَأَكَلَهُ أَيْضاً وَفِرَاخَهُ جَمِيعاً

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ لَمْ يَتَثَبَّتْ فِي ٱلْحِيَلِ وَيَتَدَبَّرْهَا وَيَنْظُرْ فِيهَا أَوْقَعَتْهُ حِيلَتُهُ فِي أَشَدَّ مِمَّا يَحْتَالُ لَهُ * قَالَ ٱلْخَبُّ قَدْ فَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ وَلٰكِنْ لَا تَخَفْ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَسِيرٌ حَقِيرٌ . وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى طَاوَعَهُ وَٱنْطَلَقَ مَعَهُ فَدَخَلَ جَوْفَ ٱلشَّجَرَةِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْقَاضِيَ لَمَّا سَمِعَ مِنَ ٱلْخَبِّ حَدِيثَ شَهَادَةِ ٱلشَّجَرَةِ أَكْبَرَهُ (٤) وَٱنْطَلَقَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ وَٱلْخَبُّ وَٱلْمُغَفَّلُ مَعَهُ حَتَّى وَافَى ٱلشَّجَرَةَ (٥) فَسَأَلَهَا عَنِ ٱلْخَبَرِ . فَقَالَ ٱلشَّيْخُ مِنْ جَوْفِهَا نَعَمْ ٱلْمُغَفَّلُ أَخَذَهَا . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْقَاضِي ذٰلِكَ ٱشْتَدَّ تَعَجُّبُهُ وَجَعَلَ يَطُوفُ بِٱلشَّجَرَةِ (٦) حَتَّى بَانَ لَهُ خَرْقٌ فِيهَا . فَتَأَمَّلَهُ فَلَمْ يَرَ فِيهِ شَيْئاً فَدَعَا بِحَطَبٍ وَأَمَرَ أَنْ تُحْرَقَ ٱلشَّجَرَةُ . فَأُضْرِمَتْ حَوْلَهَا ٱلنِّيرَانُ فَٱسْتَغَاثَ أَبُو ٱلْخَبِّ عِنْدَ ذٰلِكَ فَأُخْرِجَ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى ٱلْهَلَاكِ (٧) فَسَأَلَهُ ٱلْقَاضِي عَنِ ٱلْقِصَّةِ فَأَخْبَرَهُ بِٱلْخَبَرِ

---

(١) التجأ (٢) وكراً (٣) دويبة كالفار (٤) رآه كبيراً وعظم عنده
(٥) أتى اليها (٦) يدور حولها (٧) اي قرب منه

فَأَوْقَعَ بِٱلْخَبِّ ضَرْباً وَبِأَبِيهِ صَفْعاً(١) وَأَرْكَبَهُ مَشْهُوراً وَغَرَّمَ ٱلْخَبَّ ٱلدَّنَانِيرَ(٢) فَأَخَذَهَا وَأَعْطَاهَا ٱلْمُغَفَّلَ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْخَبَّ وَٱلْخَدِيعَةَ رُبَّمَا كَانَ صَاحِبُهُمَا هُوَ ٱلْمَغْبُونَ وَإِنَّكَ يَا دِمْنَةُ جَامِعٌ لِلْخَبِّ وَٱلْخَدِيعَةِ وَٱلْفُجُورِ. وَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ ثَمَرَةَ عَمَلِكَ مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَاجٍ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ لِأَنَّكَ ذُو لَوْنَيْنِ وَلِسَانَيْنِ. وَإِنَّمَا عُذُوبَةُ مَاءِ ٱلْأَنْهَارِ مَا لَمْ تَبْلُغْ إِلَى ٱلْبِحَارِ. وَصَلَاحُ أَهْلِ ٱلْبَيْتِ مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمُ ٱلْمُفْسِدُ. وَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَشْبَهُ بِكَ مِنَ ٱلْحَيَّةِ ذَاتِ ٱللِّسَانَيْنِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلسُّمُّ فَإِنَّهُ قَدْ يَجْرِي مِنْ لِسَانِكَ كَسُمِّهَا. وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ لِذٰلِكَ ٱلسُّمِّ مِنْ لِسَانِكَ خَائِفاً وَلِمَا يَحُلُّ بِكَ مُتَوَقِّعاً(٣). وَٱلْمُفْسِدُ بَيْنَ ٱلْإِخْوَانِ وَٱلْأَصْحَابِ كَٱلْحَيَّةِ ٱلَّتِي يُرَبِّيهَا ٱلرَّجُلُ وَيُطْعِمُهَا وَيَمْسَحُهَا وَيُكْرِمُهَا ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ مِنْهَا غَيْرُ ٱللَّدْغِ(٤). وَقَدْ يُقَالُ ٱلْزَمْ ذَا ٱلْعَقْلِ وَذَا ٱلْكَرَمِ وَذَا ٱلْأَصْلِ ٱلطَّيِّبِ وَٱسْتَرْسِلْ إِلَيْهِمْ(٥) وَإِيَّاكَ وَمُفَارَقَتَهُمْ. وَٱصْحَبِ ٱلصَّاحِبَ إِذَا كَانَ عَاقِلاً كَرِيماً أَوْ عَاقِلاً غَيْرَ كَرِيمٍ أَوْ كَرِيماً غَيْرَ عَاقِلٍ. فَٱلْعَاقِلُ ٱلْكَرِيمُ كَامِلٌ وَٱلْعَاقِلُ غَيْرُ ٱلْكَرِيمِ ٱصْحَبْهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَحْمُودِ ٱلْخَلِيقَةِ(٦) وَٱحْذَرْ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِهِ وَٱنْتَفِعْ بِعَقْلِهِ. وَٱلْكَرِيمُ غَيْرُ ٱلْعَاقِلِ ٱلْزَمْهُ وَلَا تَدَعْ مُوَاصَلَتَهُ وَإِنْ كُنْتَ لَا تَحْمَدُ عَقْلَهُ وَٱنْتَفِعْ بِكَرَمِهِ وَٱنْفَعْهُ بِعَقْلِكَ. وَٱلْفِرَارَ كُلَّ ٱلْفِرَارِ مِنَ ٱللَّئِيمِ ٱلْأَحْمَقِ. وَإِنِّي بِٱلْفِرَارِ مِنْكَ لَجَدِيرٌ. وَكَيْفَ يَرْجُو إِخْوَانُكَ عِنْدَكَ كَرَماً وَوُدّاً وَقَدْ صَنَعْتَ بِمَلِكِكَ ٱلَّذِي أَكْرَمَكَ

---

(١) اي ضرباً على قفاه بجمع كفه (٢) أي ألزمهُ دفعها (٣) منتظراً (٤) اللسع
(٥) اي انبسط واستأنس بهم (٦) الطبيعة

وَشَرَفَكَ مَا صَنَعْتَ . وَإِنَّ مَثَلَكَ مَثَلُ ٱلتَّاجِرِ ٱلَّذِي قَالَ إِنَّ أَرْضاً تَأْكُلُ جِرْذَانُهَا مِئَةَ مَنٍّ (١) حَدِيداً لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ لِبُزَاتِهَا (٢) أَنْ تَخْتَطِفَ ٱلْفِيلَةَ قَالَ دِمْنَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ كَذَا تَاجِرٌ فَأَرَادَ ٱلْخُرُوجَ إِلَى بَعْضِ ٱلْوُجُوهِ (٣) لِٱبْتِغَاءِ (٤) ٱلرِّزْقِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مِئَةُ مَنٍّ حَدِيداً فَأَوْدَعَهَا رَجُلاً مِنْ إِخْوَانِهِ وَذَهَبَ فِي وَجْهِهِ (٥) ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِمُدَّةٍ فَجَاءَ وَٱلْتَمَسَ ٱلْحَدِيدَ فَقَالَ لَهُ قَدْ أَكَلَتْهُ ٱلْجِرْذَانُ فَقَالَ قَدْ سَمِعْتُ أَنْ لَا شَيْءَ أَقْطَعُ مِنْ أَنْيَابِهَا لِلْحَدِيدِ . فَفَرِحَ ٱلرَّجُلُ بِتَصْدِيقِهِ عَلَى مَا قَالَ وَٱدَّعَى * ثُمَّ إِنَّ ٱلتَّاجِرَ خَرَجَ فَلَقِيَ ٱبْناً لِلرَّجُلِ فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلْغَدِ فَقَالَ لَهُ هَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنِ ٱبْنِي . فَقَالَ لَهُ ٱلتَّاجِرُ إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ بِٱلْأَمْسِ رَأَيْتُ بَازِياً قَدِ ٱخْتَطَفَ صَبِيًّا صِفَتُهُ كَذَا وَلَعَلَّهُ ٱبْنُكَ فَلَطَمَ ٱلرَّجُلُ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا قَوْمُ هَلْ سَمِعْتُمْ أَوْ رَأَيْتُمْ أَنَّ ٱلْبُزَاةَ تَخْتَطِفُ ٱلصِّبْيَانَ . فَقَالَ نَعَمْ وَإِنَّ أَرْضاً تَأْكُلُ جِرْذَانُهَا مِئَةَ مَنٍّ حَدِيداً لَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ تَخْتَطِفَ بُزَاتُهَا ٱلْفِيلَةَ . قَالَ لَهُ ٱلرَّجُلُ أَنَا أَكَلْتُ حَدِيدَكَ وَهٰذَا ثَمَنُهُ فَارْدُدْ عَلَيَّ ٱبْنِي

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ مَنْ غَدَرَ بِمَلِكِهِ وَصَاحِبِ نُعْمَاهُ (٦) فَلَيْسَ بِعَجَبٍ أَنْ يَغْدُرَ بِغَيْرِهِ . وَإِذَا صَاحَبَ أَحَدٌ صَاحِباً وَغَدَرَ بِمَنْ سِوَاهُ فَقَدْ عَلِمَ صَاحِبُهُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ لِلْمَوَدَّةِ مَوْضِعٌ فَلَا شَيْءَ أَضْيَعُ

---

(١) المنّ رطلان (٢) جمع باز وهو من جوارح الطير (٣) النواحي (٤) أي لطلب (٥) عمله (٦) نعمته وهي ما انعم به عليه من المال وغيره

مِنْ مَوَدَّةٍ تُمْنَحُ مَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ وَحِبَاءٍ (١) يُصْطَنَعُ عِنْدَ مَنْ لَا شُكْرَ لَهُ . وَأَدَبٍ يُحْمَلُ إِلَى مَنْ لَا يَتَأَدَّبُ بِهِ وَلَا يَسْمَعُهُ . وَسِرٍّ يُسْتَوْدَعُ مَنْ لَا يَحْفَظُهُ وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلْمُرَّةَ لَوْ طُلِيَتْ (٢) بِٱلْعَسَلِ لَمْ يُجْدِهَا (٣) ذٰلِكَ شَيْئًا . وَإِنَّ صُحْبَةَ ٱلْأَخْيَارِ تُورِثُ ٱلْخَيْرَ وَصُحْبَةَ ٱلْأَشْرَارِ تُورِثُ ٱلشَّرَّ . كَٱلرِّيحِ إِذَا مَرَّتْ بِٱلطِّيبِ حَمَلَتْ طِيبًا وَإِذَا مَرَّتْ بِٱلنَّتْنِ (٤) حَمَلَتْ نَتْنًا * وَقَدْ طَالَ وَثَقُلَ كَلَامِي عَلَيْكَ

فَٱنْتَهَى كَلِيلَةُ مِنْ كَلَامِهِ إِلَى هٰذَا ٱلْمَكَانِ وَقَدْ فَرَغَ ٱلْأَسَدُ مِنَ ٱلثَّوْرِ . ثُمَّ فَكَّرَ فِي قَتْلِهِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ ٱلْغَضَبُ وَقَالَ لَقَدْ فَجَعَنِي (٥) شَتْرَبَةُ بِنَفْسِهِ وَكَانَ ذَا عَقْلٍ وَرَأْيٍ وَخُلُقٍ كَرِيمٍ . وَلَا أَدْرِي لَعَلَّهُ كَانَ بَرِيئًا أَوْ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ . فَحَزِنَ وَنَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ . وَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وَجْهِهِ وَبَصُرَ بِهِ دِمْنَةُ فَتَرَكَ مُحَاوَرَةَ كَلِيلَةَ وَتَقَدَّمَ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَ لَهُ لِيَهْنِئْكَ ٱلظَّفَرُ ، إِذْ أَهْلَكَ ٱللّٰهُ أَعْدَاءَكَ فَمَاذَا يُحْزِنُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ * قَالَ أَنَا حَزِينٌ عَلَى عَقْلِ شَتْرَبَةَ وَرَأْيِهِ وَأَدَبِهِ . قَالَ لَهُ دِمْنَةُ لَا تَرْحَمْهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَرْحَمُ مَنْ يَخَافُهُ وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلْحَازِمَ (٦) رُبَّمَا أَبْغَضَ ٱلرَّجُلَ وَكَرِهَهُ ثُمَّ قَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ لِمَا يَعْلَمُ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْغَنَاءِ (٧) وَٱلْكَفَاءَةِ (٨) فِعْلَ ٱلرَّجُلِ ٱلْمُتَكَارِهِ (٩) عَلَى ٱلدَّوَاءِ ٱلشَّنِيعِ (١٠) رَجَاءَ مَنْفَعَتِهِ . وَرُبَّمَا أَحَبَّ ٱلرَّجُلَ وَعَزَّ عَلَيْهِ فَأَقْصَاهُ (١١) وَأَهْلَكَهُ مَخَافَةَ ضَرَرِهِ كَٱلَّذِي تَلْدَغُهُ ٱلْحَيَّةُ فِي إِصْبَعِهِ فَيَقْطَعُهَا وَيَتَبَرَّأُ مِنْهَا

---

(١) عطاء (٢) لطخت (٣) لم ينفعها (٤) الخبيث الرائحة (٥) اوجعني بفقده (٦) الذي يضبط امره ويحكمه ويأخذ فيه بالثقة (٧) المنفعة (٨) حالة يكون بها شيء مساويًا لشيء آخر (٩) الذي يفعل الشيء ولا يريده (١٠) الكريه الطعم (١١) ابعده

مَخَافَةَ أَنْ يَسْرِيَ سُمُّهَا إِلَى بَدَنِهِ • فَرَضِيَ ٱلْأَسَدُ بِقَوْلِ دِمْنَةَ . ثُمَّ عَلِمَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِكَذِبِهِ وَفُجُورِهِ فَقَتَلَهُ شَرَّ قِتْلَةٍ

# باب

## ٱلْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ قَدْ حَدَّثْتَنِي عَنِ ٱلْوَاشِي (١) ٱلْمَاهِرِ ٱلْمُحْتَالِ كَيْفَ يُفْسِدُ بِالنَّمِيمَةِ (٢) ٱلْمَوَدَّةَ ٱلثَّابِتَةَ بَيْنَ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ . فَحَدِّثْنِي إِنْ رَأَيْتَ بِمَا كَانَ مِنْ حَالِ دِمْنَةَ وَإِلَامَ آلَ مَآلُهُ (٣) بَعْدَ قَتْلِ شَتْرَبَةَ وَمَا كَانَ مِنْ مَعَاذِيرِهِ (٤) عِنْدَ ٱلْأَسَدِ وَأَصْحَابِهِ حِينَ رَاجَعَ ٱلْأَسَدُ رَأْيَهُ فِي ٱلثَّوْرِ وَأَدْخَلَ ٱلنَّمِيمَةَ عَلَى دِمْنَةَ وَمَا كَانَتْ حُجَّتُهُ (٥) ٱلَّتِي ٱحْتَجَّ (٦) بِهَا

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ إِنِّي وَجَدْتُ فِي حَدِيثِ دِمْنَةَ أَنَّ ٱلْأَسَدَ حِينَ قَتَلَ شَتْرَبَةَ نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ وَذَكَرَ قَدِيمَ صُحْبَتِهِ وَجَسِيمَ خِدْمَتِهِ وَأَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ وَأَخَصَّهُمْ مَنْزِلَةً لَدَيْهِ وَأَقْرَبَهُمْ وَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَكَانَ يُوَاصِلُ لَهُ ٱلْمَشُورَةَ دُونَ خَوَاصِّهِ (٧) . وَكَانَ مِنْ أَخَصِّ أَصْحَابِهِ عِنْدَهُ بَعْدَ ٱلثَّوْرِ ٱلنَّمِرُ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ أَمْسَى ٱلنَّمِرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ جَوْفَ ٱللَّيْلِ (٨) يُرِيدُ مَنْزِلَهُ فَٱجْتَازَ (٩) عَلَى مَنْزِلِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَى ٱلْبَابِ

---

(١) الكذاب الساعي بين الناس بالافساد ليوقع فتنة أو وحشة (٢) فعل النمام وهو الذي يزين الكلام بالكذب (٣) اي رجع مرجعه (٤) جمع معذار وهو ما يحتج بهِ الانسان لينفي عن نفسهِ الذنب واللوم (٥) برهانه (٦) اعتذر (٧) المقربين من رجال دولته (٨) وسطه (٩) اي مرَّ

سَمِعَ كَلِيلَةَ يُعَاتِبُ دِمْنَةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَيَلُومُهُ فِي ٱلنَّمِيمَةِ وَٱسْتِعْمَالِهَا مَعَ ٱلْكَذِبِ وَٱلْبُهْتَانِ (١) فِي حَقِّ ٱلْخَاصَّةِ . وَعَرَفَ ٱلنَّمِرُ عِصْيَانَ دِمْنَةَ وَتَرْكَ ٱلْقَبُولِ مِنْهُ فَوَقَفَ يَسْتَمِعُ مَا يَجْرِي بَيْنَهُمَا . فَكَانَ فِيمَا قَالَ كَلِيلَةُ لِدِمْنَةَ : لَقَدِ ٱرْتَكَبْتَ مَرْكَبًا (٢) صَعْبًا وَدَخَلْتَ مَدْخَلًا ضَيِّقًا وَجَنَيْتَ (٣) عَلَى نَفْسِكَ جِنَايَةً (٤) مُوبِقَةً (٥) وَعَاقِبَتُهَا وَخِيمَةٌ (٦) . وَسَوْفَ يَكُونُ مَصْرَعُكَ (٧) شَدِيدًا إِذَا ٱنْكَشَفَ لِلْأَسَدِ أَمْرُكَ وَٱطَّلَعَ عَلَيْهِ وَعَرَفَ غَدْرَكَ وَمِحَالَكَ (٨) وَبَقِيتَ لَا نَاصِرَ لَكَ . فَيَجْتَمِعُ عَلَيْكَ ٱلْهَوَانُ وَٱلْقَتْلُ مَخَافَةَ شَرِّكَ وَحَذَرًا مِنْ غَوَائِلِكَ (٩) . فَلَسْتُ بِمُتَّخِذِكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ خَلِيلًا وَلَا مُفْشٍ (١٠) لَكَ سِرًّا . لِأَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا : تَبَاعَدْ مِمَّنْ لَا رَغْبَةَ لَكَ فِيهِ . وَأَنَا جَدِيرٌ (١١) بِمُبَاعَدَتِكَ وَٱلْتِمَاسِ ٱلْخَلَاصِ لِي مِمَّا وَقَعَ فِي نَفْسِ ٱلْأَسَدِ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّمِرُ هٰذَا مِنْ كَلَامِهِمَا قَفَلَ (١٢) رَاجِعًا فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ ٱلْأَسَدِ فَأَخَذَ عَلَيْهَا ٱلْعُهُودَ وَٱلْمَوَاثِيقَ (١٣) أَنَّهَا لَا تَبُوحُ (١٤) بِمَا يُسِرُّ إِلَيْهَا . فَعَاهَدَتْهُ عَلَى ذٰلِكَ فَأَخْبَرَهَا بِمَا سَمِعَ مِنْ كَلَامِ كَلِيلَةَ وَدِمْنَةَ . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ دَخَلَتْ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَوَجَدَتْهُ كَئِيبًا (١٥) حَزِينًا مَهْمُومًا لِمَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ قَتْلِ شَتْرَبَةَ * فَقَالَتْ لَهُ مَا هٰذَا ٱلْهَمُّ ٱلَّذِي أَخَذَ مِنْكَ (١٦) وَغَلَبَ عَلَيْكَ . قَالَ يُحْزِنُنِي قَتْلُ شَتْرَبَةَ إِذَا تَذَكَّرْتُ صُحْبَتَهُ وَمُوَاظَبَتَهُ مَعِي وَمَا كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ مُؤَامَرَتِهِ (١٧)

---

(١) ان يُقال عن الناس ما لم يفعلوه (٢) اي اقتحمت امراً مهلكاً (٣) جنى الذنب على نفسه جره اليها (٤) ذنباً (٥) مهلكة (٦) رديئة (٧) المصرع الطرح على الارض والمراد به هنا القتل والهلاك (٨) اي طلبك الامر بالحيل والمكر (٩) شرورك (١٠) كاشف (١١) اولى وأحق (١٢) رجع (١٣) جمع ميثاق بمعنى العهد (١٤) لا تظهر ولا تكشف (١٥) مغموماً (١٦) اثر فيك (١٧) مشاورته

وَأَسْكُنُ(١) إِلَيْهِ فِي مُشَاوَرَتِهِ وَأَقْبَلُ مِنْ مُنَاصَحَتِهِ(٢) . قَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِنْ كُنْتَ تَرَى أَنَّ لَكَ فِي قَتْلِهِ فَرَجاً فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَحْزَنَ وَإِلَّا فَقَلْبُكَ يَشْهَدُ أَنَّ عَمَلَكَ ٱلَّذِي عَمِلْتَهُ لَمْ يَكُنْ صَوَاباً وَلَا عَدْلاً . لِأَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ عَدُوَّكَ مِنْ صَدِيقِكَ فَفَكِّرْ فِي نَفْسِكَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ لَهُ سَلِيماً فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ كَذَلِكَ

فَانْظُرِ ٱلْآنَ وَٱبْحَثْ فِي ذَاتِ نَفْسِكَ(٣) هَلْ تَرَى ضَمِيرَكَ يَشْهَدُ لَكَ أَنَّ ٱلَّذِي فَعَلْتَهُ بِٱلثَّوْرِ كَانَ عَدْلاً أَمْ ظُلْماً * فَقَالَ ٱلْأَسَدُ إِنْ صَحَّ مَا تَقُولِينَ فَإِنِّي لَمْ أَقْتُلِ ٱلثَّوْرَ إِلَّا ظُلْماً لِأَنِّي قَدْ بَحَثْتُ فِي نَفْسِي كَمَا تَقُولِينَ فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَى بَرَاءَةِ شَتْرَبَةَ وَقَتْلِهِ ظُلْماً وَبَغْياً(٤) مَكْذُوباً عَلَيْهِ مِنَ ٱلْأَشْرَارِ . وَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلْبَحْثِ عَنِ ٱلْأُمُورِ تُحِقُّ ٱلْحَقَّ وَتُبْطِلُ ٱلْبَاطِلَ . وَإِنَّ حَدِيثَكِ لَيَدُلُّ عَلَى مَكْنُونِ(٥) أَمْرٍ . أَفَبَلَغَكِ شَيْءٌ عَنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ * فَقَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِنَّ أَشَدَّ مَا شَهِدَ ٱمْرُؤٌ عَلَى نَفْسِهِ . وَهٰذَا خَطَأٌ عَظِيمٌ كَيْفَ أَقْدَمْتَ عَلَى قَتْلِ ٱلثَّوْرِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا يَقِينٍ . وَلَوْلَا مَا قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ إِذَاعَةِ ٱلْأَسْرَارِ وَمَا فِيهَا مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلشَّنَارِ(٦) لَذَكَرْتُ لَكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا عَلِمْتُ . فَإِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا إِنَّ أَحْمَدَ ٱلنَّاسِ عَاقِبَةً فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ أَكْتَمُهُمْ لِلسِّرِّ * قَالَ ٱلْأَسَدُ : إِنَّ أَقْوَالَ ٱلْعُلَمَاءِ لَهَا وُجُوهٌ كَثِيرَةٌ وَمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ . فَإِنَّهُمْ قَدْ قَالُوا أَيْضاً مَنِ ٱطَّلَعَ عَلَى ذُنُوبِ ٱلْمُذْنِبِينَ فَكَتَمَهَا عَنِ ٱلسُّلْطَانِ فَلَمْ يُعَاقَبُوا عَلَى ذُنُوبِهِمْ عُوقِبَ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . وَإِنَّ ٱلَّذِي

---

(١) ارتاح (٢) اي وعظه (٣) سريرتك (٤) تعدياً (٥) مستور
(٦) العار

أَطْلَعَكِ عَلَى هٰذَا ٱلسِّرِّ ٱلْعَظِيمِ لَمْ يُطْلِعْكِ عَلَيْهِ إِلَّا لِتُعْلِمِينِي بِهِ فَأَطْلِعِينِي عَلَى مَا أَسَرَّ إِلَيْكِ مِنْ ذٰلِكَ وَأَخْبِرِينِي بِهِ وَلَا تَطْوِيهِ [١] عَنِّي * فَأَخْبَرَتْهُ بِجَمِيعِ مَا أَلْقَاهُ إِلَيْهَا [٢] ٱلنَّمِرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَهُ بِٱسْمِهِ وَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أَجْهَلْ قَوْلَ ٱلْعُلَمَاءِ فِي تَعْظِيمِ ٱلْعُقُوبَةِ وَتَشْدِيدِهَا وَمَا يَدْخُلُ عَلَى ٱلرَّجُلِ مِنَ ٱلْعَارِ فِي إِذَاعَةِ ٱلْأَسْرَارِ . وَلٰكِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِمَا فِيهِ ٱلْمَصْلَحَةُ [٣] لَكَ . فَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ إِنَّ فَسَادَ عَامَّةِ ٱلْأَشْيَاءِ يَكُونُ مِنْ حَالَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا إِفْشَاءُ ٱلسِّرِّ وَٱلْأُخْرَى تَرْكُ عُقُوبَةِ مَنْ يَسْتَوْجِبُ ٱلْعُقُوبَةَ . وَلَإِفْشَاءُ ٱلسِّرِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُبْقَى [٤] عَلَى هٰذَا ٱلْخَائِنِ دِمْنَةَ ٱلَّذِي أَدْخَلَ ٱلْفَسَادَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلثَّوْرِ بِمَكْرِهِ وَفُجُورِهِ . فَلَوْ كُتِمَ أَمْرُهُ لَنَجَا مِنَ ٱلْعِقَابِ عَلَى فِعْلِهِ وَلَخِيفَ مِنْهُ أَكْبَرُ مِنْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةِ مِنْ عَمَلِهِ . وَقَدْ أَمَرَ ٱلْعُلَمَاءُ بِٱلْعَفْوِ عَنِ ٱلْجَانِي [٥] وَٱلصَّفْحِ عَنِ ٱلْمُذْنِبِ وَلٰكِنَّهُمْ قَدْ نَهَوْا عَنِ ٱغْتِفَارِ ٱلْجُرْمِ [٦] ٱلْعَظِيمِ وَٱلذَّنْبِ ٱلْكَبِيرِ .

فَلَمَّا قَضَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ هٰذَا ٱلْكَلَامَ صَحَّ [٧] عِنْدَ ٱلْأَسَدِ مَا فَعَلَ دِمْنَةُ فَٱسْتَدْعَى أَصْحَابَهُ وَجُنْدَهُ فَأُدْخِلُوا عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ . فَلَمَّا حَضَرَ دِمْنَةُ نَكَسَ ٱلْأَسَدُ رَأْسَهُ [٨] إِلَى ٱلْأَرْضِ مَلِيًّا [٩] . فَٱلْتَفَتَ دِمْنَةُ إِلَى بَعْضِ ٱلْحَاضِرِينَ فَقَالَ : مَا ٱلَّذِي حَدَثَ وَعَلَامَ ٱجْتَمَعْتُمْ وَمَا ٱلَّذِي أَحْزَنَ ٱلْمَلِكَ * فَٱلْتَفَتَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ إِلَيْهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَحْزَنَ ٱلْمَلِكَ بَقَاؤُكَ وَلَوْ طَرْفَةَ عَيْنٍ [١٠] وَلَنْ يَدَعَكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ حَيًّا * قَالَ دِمْنَةُ وَمَا حَدَثَ مِنْ أَمْرِي حَتَّى

---

(١) تكتميه (٢) ابلغها اياه (٣) اي بما يترتب على الفعل ويبعث على الصلاح
(٤) يحفظ ويرحم (٥) المذنب (٦) تغطية الذنب والستر عليه (٧) ثبت وتأكد
(٨) طأطأه (٩) طويلاً (١٠) اي مقدار تحريك جفنيها

وَجبَ بِهِ قَتْلِي * قَالَتْ إِنَّهُ قَدْ بَانَ لِلْمَلِكِ كَذِبُكَ وَفُجُورُكَ وَخَدِيعَتُكَ فِي قَتْلِ ٱلثَّوْرِ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ كَانَ مِنْهُ فَلَسْتَ حَقِيقاً (١) أَنْ تُتْرَكَ بِٱلْحَيَاةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ * قَالَ دِمْنَةُ مَا تَرَكَ ٱلْأَوَّلُ لِلْآخِرِ شَيْئاً لِأَنَّهُ يُقَالُ. أَشَدُّ ٱلنَّاسِ فِي تَوَقِّي ٱلشَّرِّ (٢) يُصِيبُهُ ٱلشَّرُّ قَبْلَ ٱلْمُسْتَسْلِمِ (٣) لَهُ فَلَا يَكُونَنَّ ٱلْمَلِكُ وَخَاصَّتُهُ وَجُنُودُهُ ٱلْمَثَلَ ٱلسُّوءَ. وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلْإِنْسَانُ فِي ٱلْخَيْرِ ٱجْتِهَاداً كَانَ ٱلشَّرُّ إِلَيْهِ أَسْرَعَ. وَقَدْ قِيلَ مَنْ صَحِبَ ٱلْأَشْرَارَ وَهُوَ يَعْلَمُ حَالَهُمْ كَانَ أَذَاهُ مِنْ نَفْسِهِ. وَلِذَلِكَ ٱنْقَطَعَتِ (٤) ٱلنُّسَّاكُ بِأَنْفُسِهَا عَنِ ٱلْخَلْقِ وَٱخْتَارَتِ ٱلْوَحْدَةَ عَلَى ٱلْمُخَالَطَةِ وَحُبَّ ٱلْعَمَلِ لِلَّهِ عَلَى حُبِّ ٱلدُّنْيَا وَأَهْلِهَا. وَمَنْ يَجْزِي بِٱلْخَيْرِ خَيْراً وَبِٱلْإِحْسَانِ إِحْسَاناً إِلَّا ٱللَّهُ. وَمَنْ طَلَبَ ٱلْجَزَاءَ عَلَى ٱلْخَيْرِ مِنَ ٱلنَّاسِ كَانَ حَقِيقاً أَنْ يَحْظَى بِٱلْحِرْمَانِ إِذْ يُخْطِئُ ٱلصَّوَابَ (٥) فِي خُلُوصِ ٱلْعَمَلِ لِغَيْرِ ٱللَّهِ وَطَلَبِ ٱلْجَزَاءِ مِنَ ٱلنَّاسِ. وَلَكِنْ عَاقِبَةُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَاقَبَ بِهِ ٱلْفُجَّارُ يُصَابُ بِهِ ٱلْأَخْيَارُ. وَهَذَا ٱلْأَمْرُ شَبِيهٌ بِشَأْنِي (٦) لِأَنَّنِي حَمَلَنِي (٧) حُبُّ ٱلْمَلِكِ وَنُصْحِي لَهُ وَإِشْفَاقِي (٨) عَلَيْهِ أَنْ أُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّ عَدُوِّهِ ٱلْخَائِنِ. وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ قَدْ شَاهَدَ مِنْهُ ذَلِكَ عِيَاناً وَظَهَرَتْ لَهُ مِنْهُ ٱلْعَلَامَاتُ ٱلَّتِي ذَكَرْتُهَا لَهُ. أَفَهَذَا جَزَائِي مِنْهُ أَنْ أُقْتَلَ

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ دِمْنَةَ أَمَرَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى يَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ لِيَجْتَهِدَ بِٱلْفَحْصِ عَنْهُ لِئَلَّا يَعُودَ إِلَى ٱلْعَجَلَةِ وَٱلنَّدَامَةِ * فَعِنْدَ ذَلِكَ سَجَدَ دِمْنَةُ لِلْأَسَدِ شُكْراً لَهُ وَدَعَا لَهُ وَقَالَ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَعْجَلْ فِي

---

(١) اي مستحقاً (٢) التحفظ والتحذر منه (٣) المنقاد (٤) انفردت

(٥) اي بعيد عنه (٦) بأمري (٧) دفعني (٨) خوفي

قتلي ولا تسمع في كلام الأشرار. وليبحث الملك عن أمري حتى يتبين له صدقي. وقد قالت الحكماء: إن النار أخفيت في الحجارة فلا تستخرج منها إلا بالمعالجة والقدح (١) ولو كنت أعلم لنفسي ذنباً فيما بيني وبين الملك لم أقم بين يديك. وأنا أرغب (٢) إلى الملك إن كان في شك من أمري أن يأمر بالنظر فيه ويكون من يتولى ذلك لا تأخذه في الله لومة لائم (٣) وإلا فلا ملجأ لي في ذلك إلا الله وهو الذي يعلم سرائر العباد وما تكن (٤) صدورهم. وإن أحق ما رغبت فيه رعية الملك هو محاسن الأخلاق ومواقع الصواب وجميل السير (٥) وإن الباطل قد يتلبس (٦) بالحق حتى يتشابها كما أصاب الخازن الذي فضح سره بالتلبيس (٧) عليه. قال الأسد وكيف كان ذلك

قال دمنة: زعموا أنه كان في بعض المدن تاجر وكان له خازن (٨) لبيت ماله. وإن الخازن أراد اختلاس (٩) شيء من المال فلم يستطع لأن التاجر كان إذا دخل الخازن بيت المال أقفل عليه الباب. فإذا أراد الخروج أتى ففتح له وفتشه قبل أن يخرج. وكان إلى جنب التاجر رجل مصور ماهر وكان هو للخازن صديقاً. فقال له الخازن يوماً: هل لك (١٠) أن تواطئني (١١) على الاختلاس من هذا المال. قال نعم. قال وما الحيلة ولا

---

(١) القدح عند العرب يكون بضرب عود على عود آخر فتنقدح النار من شدة اصطكاكهما وعند اهل المدن بضرب قطعة من الفولاذ على حجر او بضرب حجر عليها فتخرج النار (٢) ابتهل واتضرع (٣) اي لا يخاف فيه اللوم (٦) تخفى (٥) جمع سيرة السلطان وهي طريقته التي يحمل عليها رعيته من عدل او جور (٦) يختلط (٧) الخلط (٨) امين يتولى حفظ ماله (٩) سلب (١٠) اي هل تريد (١١) توافقني

سَبِيلَ لِي إِلَى ٱلْخُرُوجِ إِلَيْكَ وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى ٱلدُّخُولِ إِلَيَّ وَذَكَرَ لَهُ حَالَهُ مَعَ ٱلتَّاجِرِ . قَالَ ٱلْمُصَوِّرُ : أَوَ مَا لِبَيْتِ ٱلْمَالِ كُوَّةٌ إِلَى ٱلْخَارِجِ تُنَاوِلُنِي مِنْهَا شَيْئاً فِي ٱلظَّلَامِ . قَالَ بَلَى وَلٰكِنْ أَخْشَى أَنْ يَرَانَا أَحَدٌ . قَالَ فَأَنَا آمُرُ قَرِيباً مِنَ ٱلْكُوَّةِ إِذَا ٱبْتَدَأَ ٱلظَّلَامُ فَأَصْفِرُ لَكَ أَوْ أُومِئُ[1] إِلَيْكَ فَتَرْمِي لِي بِصُرَّةٍ فَآخُذُهَا وَلَا يُشْعَرُ بِنَا[2] فَرَضِيَ ٱلْخَازِنُ بِذٰلِكَ وَأَعْجَبَهُ وَأَقَامَا عَلَيْهِ حِيناً * ثُمَّ إِنَّ ٱلْخَازِنَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِلْمُصَوِّرِ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَالَ بِحِيلَةٍ أَعْلَمُ بِهَا مَجِيئَكَ مِنْ غَيْرِ صَفْرٍ وَلَا إِيمَاءٍ وَلَا مَا يُرْتَابُ بِهِ مِنْ فِعْلِكَ وَفِعْلِي فَإِنِّي قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يُحِسَّ بِنَا أَحَدٌ . قَالَ ٱلْمُصَوِّرُ عِنْدِي مِنَ ٱلْحِيلَةِ مَا سَأَلْتَ . إِنَّ عِنْدِي مُلَاءَةً[3] فِيهَا مِنْ تَهَاوِيلِ ٱلصُّوَرِ[4] وَتَمَاثِيلِ ٱلصَّنْعَةِ فَإِنِّي أَلْبَسُهَا حِينَ مَجِيئِي وَأَتَرَاءَى[5] لَكَ فِيهَا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْمُصَوِّرَ لَبِسَ ٱلْمُلَاءَةَ وَتَرَاءَى لَهُ فَرَمَى لَهُ بِٱلصُّرَّةِ فَتَنَاوَلَهَا وَلَمْ يَزَالَا عَلَى ذٰلِكَ حَتَّى بَصُرَ بِهِمَا فِي تِلْكَ ٱلْحَالَةِ جَارٌ لِلْمُصَوِّرِ . وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَادِمِ ٱلْمُصَوِّرِ صَدَاقَةٌ . فَطَلَبَ ٱلْمُلَاءَةَ مِنْهُ وَقَالَ أُرِيدُ أَنْ أُرِيَهَا صَدِيقاً لِي لِأَسُرَّهُ بِذٰلِكَ وَأُسْرِعُ ٱلْكَرَّةَ[6] بِرَدِّهَا قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ بِذٰلِكَ مَوْلَاكَ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا . وَلَمَّا أَتَى ٱللَّيْلُ أَسْرَعَ فَلَبِسَهَا وَمَرَّ مِنْ حَيْثُ كَانَ يَمُرُّ ٱلْمُصَوِّرُ . فَلَمَّا رَآهُ ٱلْخَازِنُ لَمْ يَشُكَّ فِي مَجِيئِهِ فَرَمَى لَهُ بِٱلصُّرَّةِ فَتَنَاوَلَهَا وَٱنْطَلَقَ فَرَجَعَ بِٱلْمُلَاءَةِ إِلَى خَادِمِ ٱلْمُصَوِّرِ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ فَوَضَعَهَا مَوْضِعَهَا وَكَانَ ٱلْمُصَوِّرُ عَنْ بَيْتِهِ غَائِباً * فَلَمَّا عَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ لَبِسَ ٱلْمُلَاءَةَ عَلَى عَادَتِهِ وَتَرَاءَى لِلْخَازِنِ فَعَجِبَ مِنْ رُجُوعِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَا يَرْمِي

---

(١) أشير (٢) اي لا يعلم او لا يحس (٣) كساء يلتف به (٤) زينتها
(٥) اي اتصدى لك لتراني (٦) الرجوع

لَهُ بِهِ وَانْصَرَفَ الْمُصَوِّرُ بِلا شَيْءٍ ثُمَّ تَلاقَيَا بَعْدَ ذٰلِكَ فَقَالَ لَهُ الْمُصَوِّرُ لِمَ لَمْ تَرُمْ لِي بِالصُّرَّةِ . قَالَ أَوَلَمْ تَمُرَّ قُبَيْلَ مُرُورِكَ وَرَمَيْتُ لَكَ بِهَا . فَرَجَعَ الْمُصَوِّرُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَدَعَا خَادِمَهُ وَتَوَعَّدَهُ (١) بِالْقَتْلِ أَوْ يُخْبِرَهُ بِالْحَقِيقَةِ فَأَخْبَرَهُ بِالْقِصَّةِ فَأَخَذَ الْمُلَاءَةَ فَأَحْرَقَهَا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ إِرَادَةَ أَنْ لَا يَعْجَلَ الْمَلِكُ فِي أَمْرِي بِشُبْهَةٍ . وَلَسْتُ أَقُولُ هٰذَا كَرَاهَةً لِلْمَوْتِ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَرِيهاً لَا مَنْجَى مِنْهُ وَكُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ . وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا مَنِ اقْتَرَفَ (٢) خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ أَسْلَمَ نَفْسَهُ إِلَى الْقَتْلِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَى ذٰلِكَ عَفَا اللّٰهُ عَنْهُ وَأَنْجَاهُ (٣) فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ . وَلَوْ كَانَتْ لِي مِئَةُ نَفْسٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَوَى الْمَلِكِ فِي إِتْلَافِهِنَّ طِبْتُ لَهُ بِذٰلِكَ نَفْساً . فَقَالَ بَعْضُ الْجُنْدِ لَمْ يَنْطِقْ بِهٰذَا لِحُبِّهِ الْمَلِكَ وَلٰكِنْ لِخَلَاصِ نَفْسِهِ وَالْتِمَاسِ (٤) الْعُذْرِ لَهَا . فَقَالَ لَهُ دِمْنَةُ : وَيْلَكَ وَهَلْ عَلَيَّ فِي الْتِمَاسِ الْعُذْرِ لِنَفْسِي عَيْبٌ . وَهَلْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ نَفْسِهِ . وَإِذَا لَمْ يَلْتَمِسْ لَهَا الْعُذْرَ فَمَنْ يَلْتَمِسُهُ . لَقَدْ ظَهَرَ مِنْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَمْتَلِكُ كِتْمَانَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ . وَلَقَدْ عَرَفَ مَنْ سَمِعَ مِنْكَ أَنَّكَ لَا تُحِبُّ لِأَحَدٍ خَيْراً وَأَنَّكَ عَدُوُّ نَفْسِكَ فَمَنْ سِوَاهَا بِالْأَوْلَى . فَمِثْلُكَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْبَهَائِمِ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْمَلِكِ وَأَنْ يَكُونَ بِبَابِهِ *

فَلَمَّا أَجَابَهُ دِمْنَةُ بِذٰلِكَ خَرَجَ مُكْتَئِباً (٥) حَزِيناً مُسْتَحْيِياً . فَقَالَتْ أُمُّ الْأَسَدِ لِدِمْنَةَ لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْكَ أَيُّهَا الْمُحْتَالُ فِي قِلَّةِ حَيَائِكَ وَكَثْرَةِ وَقَاحَتِكَ (٦)

---

(١) هدّده (٢) فعل (٣) خلصهُ (٤) طلب (٥) مغتمًّا (٦) بمعنى قلة الحياء .

وَسُرعَةِ جوابِكَ لِمَنْ كَلَّمَكَ . قالَ دِمنَةُ لِأَنَّكِ تَنظُرِينَ إِلَيَّ بِعَينٍ وَاحِدَةٍ وَتَسمَعِينَ بِأُذُنٍ وَاحِدَةٍ مَعَ أَنَّ شَقَاوَةَ جَدِّي (١) قَدْ زَوَتْ (٢) عَنِّي كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى لَقَدْ سَعَوْا (٣) إِلَى المَلِكِ بِالنَّمِيمَةِ عَلَيَّ

وَإِنِّي أَرَى كُلَّ شَيْءٍ قَدْ تَنَكَّرَ (٤) حَتَّى صَارَ النَّاسُ لَا يَنطِقُونَ بِالحَقِّ . وَصَارَ مَنْ بِبابِ المَلِكِ لِاستِخفَافِهِم بِهِ وَطُولِ كَرَامَتِهِ إِيَّاهُمْ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ العَيشِ وَالنِّعمَةِ لَا يَدرُونَ فِي أَيِّ وَقتٍ يَنبَغِي لَهُمُ الكَلَامُ وَلَا مَتَى يَجِبُ عَلَيهِمِ السُّكُوتُ * قَالَتْ أَلَا تَنظُرُونَ إِلَى هـذا الخَبِيثِ مَعَ عِظَمِ ذَنبِهِ كَيفَ يَجعَلُ نَفسَهُ بَرِيئاً كَمَنْ لَا ذَنبَ لَهُ . قَالَ دِمنَةُ إِنَّ الَّذِينَ يَعمَلُونَ غَيرَ أَعمَالِهِم لَيسُوا عَلَى شَيْءٍ كَالَّذِي يَضَعُ الرَّمَادَ مَوضِعاً يَنبَغِي أَنْ يَضَعَ فِيهِ الرَّملَ وَيَستَعمِلَ فِيهِ السِّرجِينَ (٥) وَالرَّجُلِ الَّذِي يَلبَسُ لِبَاسَ المَرأَةِ . وَالمَرأَةِ الَّتِي تَلبَسُ لِبَاسَ الرَّجُلِ . وَالضَّيفِ الَّذِي يَقُولُ أَنَا رَبُّ البَيتِ . وَالَّذِي يَنطِقُ بَينَ الجَمَاعَةِ بِمَا لَا يُسأَلُ عَنهُ . وَإِنَّمَا الخَبِيثُ مَنْ لَا يَعرِفُ الأُمُورَ وَلَا أَحوَالَ النَّاسِ وَلَا يَقدِرُ عَلَى دَفعِ الشَّرِّ عَنْ نَفسِهِ وَلَا يَستَطِيعُ ذَلِكَ * قَالَتْ أُمُّ الأَسَدِ أَتَظُنُّ أَيُّهَا الغَادِرُ (٦) المُحتَالُ بِقَولِكَ هذا أَنَّكَ تَخدَعُ المَلِكَ وَلَا يَسجُنُكَ * قَالَ دِمنَةُ : الغَادِرُ هُوَ الَّذِي لَا يَأمَنُ عَدُوُّهُ مَكرَهُ . وَإِذَا استَمكَنَ مِنْ عَدُوِّهِ قَتَلَهُ عَلَى غَيرِ ذَنبٍ * قَالَتْ أُمُّ الأَسَدِ أَيُّهَا الغَادِرُ الكَذُوبُ أَتَظُنُّ أَنَّكَ نَاجٍ مِنْ عَاقِبَةِ كَذِبِكَ وَأَنَّ مِحَالَكَ (٧) هذا يَنفَعُكَ مَعَ عِظَمِ جُرمِكَ (٨) . قَالَ دِمنَةُ الكَذُوبُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ مَا لَمْ يَكُنْ

---

(١) حظي (٢) منعت (٣) اي مشوا بالمفاسد ليوقعوا فتنة بيني وبينه (٤) تغير عن حاله (٥) الزبل (٦) الخائن الناقض العهد (٧) طلبك الامر بالحيل والمكر وقد مرّ (٨) ذنبك وقد مرّ ايضاً

وَيَأْتِي بِمَا لَمْ يَقُلْ وَلَمْ يَفْعَلْ . وَأَمَّا أَنَا فَكَلَامِي حَقٌّ وَٱلْمَلِكُ يَعْلَمُ أَنَّنِي لَوْ كُنْتُ كَاذِبًا لَمْ يَكُنْ لِي جُرْأَةٌ (١) أَنْ أَتَكَلَّمَ هٰذَا ٱلْكَلَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ : لَيْسَ أَشْجَعُ مِنْ بَرِيءٍ وَأَذْلَقُ (٢) لِسَانًا مِنْ ذِي حَقٍّ * قَالَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْكُمْ هُمُ ٱلَّذِينَ يُوضِحُونَ أَمْرَهُ بِفَصْلِ ٱلْخِطَابِ (٣) . ثُمَّ نَهَضَتْ فَخَرَجَتْ فَدَفَعَ ٱلْأَسَدُ دِمْنَةَ إِلَى ٱلْقَاضِي فَأَمَرَ ٱلْقَاضِي بِسَجْنِهِ فَأُلْقِيَ فِي عُنُقِهِ غُلٌّ (٤) وَٱنْطُلِقَ بِهِ إِلَى ٱلسِّجْنِ

فَلَمَّا ٱنْتَصَفَ ٱللَّيْلُ أُخْبِرَ كَلِيلَةُ أَنَّ دِمْنَةَ فِي ٱلسِّجْنِ فَأَتَاهُ مُسْتَخْفِيًا . فَلَمَّا رَآهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ ضِيقِ ٱلْقُيُودِ وَحَرَجِ (٥) ٱلْمَكَانِ بَكَى وَقَالَ : مَا وَصَلْتَ إِلَى مَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ إِلَّا لِٱسْتِعْمَالِكَ ٱلْخَدِيعَةَ وَٱلْمَكْرَ وَإِضْرَابِكَ (٦) عَنِ ٱلْعِظَةِ وَٱلنُّصْحِ . وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ فِيمَا مَضَى مِنْ إِنْذَارِكَ (٧) وَٱلنَّصِيحَةِ لَكَ وَٱلْمُسَارَعَةِ إِلَيْكَ فِي خُلُوصِ ٱلرَّغْبَةِ فِيكَ فَإِنَّهُ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مَجَالٌ (٨) . وَلَوْ كُنْتُ قَصَّرْتُ فِي عِظَتِكَ حِينَ كُنْتَ فِي عَافِيَةٍ لَكُنْتُ ٱلْيَوْمَ شَرِيكَكَ فِي ذَنْبِكَ . غَيْرَ أَنَّ ٱلْعُجْبَ (٩) دَخَلَ مِنْكَ مَدْخَلًا قَهَرَ رَأْيَكَ وَغَلَبَ عَلَى عَقْلِكَ . وَكُنْتُ أَضْرِبُ (١٠) لَكَ ٱلْأَمْثَالَ كَثِيرًا وَأُذَكِّرُكَ قَوْلَ ٱلْعُلَمَاءِ وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ إِنَّ ٱلْمُحْتَالَ يَمُوتُ قَبْلَ أَجَلِهِ (١١) * قَالَ دِمْنَةُ قَدْ عَرَفْتُ صِدْقَ مَقَالَتِكَ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ لَا تَجْزَعْ مِنَ ٱلْعَذَابِ إِذَا وَقَفْتَ مِنْكَ عَلَى خَطِيئَةٍ . وَلَأَنْ تُعَذَّبَ فِي ٱلدُّنْيَا بِجُرْمِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَذَّبَ فِي

---

(١) شجاعة (٢) احدّ (٣) الفصل بين الحق والباطل (٤) طوق من حديد او قدّ من جلد (٥) ضيق (٦) اعراضك وصدك (٧) تحذيرك من عاقبة الامر قبل حلوله (٨) طريق (٩) الزهو والكبر (١٠) اقول واصف (١١) وقته المعين .

اَلْآخِرَةِ بِجَهَنَّمَ مَعَ ٱلْإِثْمِ * قَالَ كَلِيلَةُ قَدْ فَهِمْتُ كَلَامَكَ . وَلٰكِنَّ ذَنْبَكَ عَظِيمٌ وَعِقَابَ ٱلْأَسَدِ شَدِيدٌ أَلِيمٌ * وَكَانَ بِقُرْبِهِمَا فِي ٱلسِّجْنِ فَهْدٌ مُعْتَقَلٌ (١) يَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَلَا يَرَيَانِهِ . فَعَرَفَ مُعَاتَبَةَ كَلِيلَةَ لِدِمْنَةَ عَلَى سُوءِ فِعْلِهِ وَمَا كَانَ مِنْهُ وَأَنَّ دِمْنَةَ مُقِرٌّ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَعَظِيمِ ذَنْبِهِ فَحَفِظَ ٱلْمُحَاوَرَةَ بَيْنَهُمَا وَكَتَمَهَا لِيَشْهَدَ بِهَا إِنْ سُئِلَ عَنْهَا * ثُمَّ إِنَّ كَلِيلَةَ ٱنْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَدَخَلَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ حِينَ أَصْبَحَتْ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدَ ٱلْوُحُوشِ حُوشِيتَ (٢) أَنْ تَنْسَى مَا قُلْتَ بِٱلْأَمْسِ وَأَنَّكَ أَمَرْتَ بِهِ لِوَقْتِهِ وَأَرْضَيْتَ بِهِ رَبَّ ٱلْعِبَادِ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَانَى (٣) فِي ٱلْجِدِّ لِلتَّقْوَى بَلْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُدَافِعَ عَنْ ذَنْبِ ٱلْأَثِيمِ (٤) فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْأَسَدُ كَلَامَ أُمِّهِ أَمَرَ أَنْ يَحْضُرَ ٱلنَّمِرُ وَهُوَ صَاحِبُ ٱلْقَضَاءِ . فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ وَلِلْجَوَّاسِ (٥) ٱلْعَادِلِ ٱجْلِسَا فِي مَوْضِعِ ٱلْحُكْمِ وَنَادِيَا فِي ٱلْجُنْدِ صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ أَنْ يَحْضُرُوا وَيَنْظُرُوا فِي حَالِ دِمْنَةَ وَيَبْحَثُوا عَنْ شَأْنِهِ وَيَفْحَصُوا عَنْ ذَنْبِهِ وَيُثْبِتُوا (٦) قَوْلَهُ وَعُذْرَهُ فِي كُتُبِ ٱلْقَضَاءِ وَٱرْفَعَا إِلَيَّ ذٰلِكَ يَوْمًا فَيَوْمًا . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلنَّمِرُ ذٰلِكَ وَٱلْجَوَّاسُ ٱلْعَادِلُ وَكَانَ هٰذَا ٱلْجَوَّاسُ عَمَّ ٱلْأَسَدِ قَالَا سَمْعًا وَطَاعَةً لِأَمْرِ ٱلْمَلِكِ وَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِلَا بِمُقْتَضَى مَا أَمَرَهُمَا بِهِ . حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي جَلَسُوا فِيهِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ أَمَرَ ٱلْقَاضِي أَنْ يُؤْتَى بِدِمْنَةَ فَأُتِيَ بِهِ فَوُقِفَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَٱلْجَمَاعَةُ حُضُورٌ

فَلَمَّا ٱسْتَقَرَّ (٧) بِهِ ٱلْمَكَانُ نَادَى سَيِّدُ ٱلْجَمْعِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَيُّهَا ٱلْجَمْعُ

---

(١) محبوس (٢) نُزِّهت (٣) يقصر ولم يهتم (٤) المذنب (٥) المحقق ، وهو مبالغة من جاس الشيء اذا طلبه بالاستقصاء (٦) اي يؤكدوه بالبينة (٧) ثبت وتمكن .

إِنَّكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَيِّدَ ٱلسِّبَاعِ لَمْ يَزَلْ مُنْذُ قَتَلَ شَتْرَبَةَ خَائِرَ [١] ٱلنَّفْسِ كَثِيرَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ يَرَى أَنَّهُ قَدْ قَتَلَ شَتْرَبَةَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ وَأَنَّهُ أَخَذَهُ بِكَذِبِ دِمْنَةَ وَنَمِيمَتِهِ. وَهٰذَا ٱلْقَاضِي قَدْ أُمِرَ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِسَ ٱلْقَضَاءِ وَيَبْحَثَ عَنْ شَأْنِ دِمْنَةَ. فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئًا فِي أَمْرِ دِمْنَةَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَلْيَقُلْ ذٰلِكَ وَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْجَمْعِ وَٱلْأَشْهَادِ [٢] لِيَكُونَ ٱلْقَضَاءُ [٣] فِي أَمْرِهِ بِحَسَبِ ذٰلِكَ. فَإِذَا ٱسْتَوْجَبَ ٱلْقَتْلَ فَٱلتَّثَبُّتُ [٤] فِي أَمْرِهِ أَوْلَى وَٱلْعَجَلَةُ مِنَ ٱلْهَوَى [٥] وَمُتَابَعَةُ ٱلْأَصْحَابِ عَلَى ٱلْبَاطِلِ ذُلٌّ. فَعِنْدَهَا قَالَ ٱلْقَاضِي أَيُّهَا ٱلْجَمْعُ ٱسْمَعُوا قَوْلَ سَيِّدِكُمْ وَلَا تَكْتُمُوا مَا عَرَفْتُمْ مِنْ أَمْرِهِ. وَٱعْتَبِرُوا فِي تَجَنُّبِ ٱلسَّتْرِ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ. أَمَّا إِحْدَاهُنَّ وَهِيَ أَهَمُّهُنَّ فَأَلَّا تَزْدَرُوا [٦] فِعْلَهُ وَلَا تَعُدُّوهُ يَسِيرًا [٧] فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ ٱلْخَطَايَا قَتْلُ ٱلْبَرِيءِ ٱلَّذِي لَا ذَنْبَ لَهُ بِٱلْكَذِبِ وَٱلنَّمِيمَةِ. وَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هٰذَا ٱلْكَذَّابِ ٱلَّذِي ٱتَّهَمَ ٱلْبَرِيءَ بِكَذِبِهِ وَنَمِيمَتِهِ شَيْئًا فَسَتَرَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَرِيكُهُ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُقُوبَةِ. وَٱلثَّانِيَةُ أَنَّهُ إِذَا ٱعْتَرَفَ ٱلْمُذْنِبُ بِذَنْبِهِ كَانَ أَسْلَمَ لَهُ. وَٱلْأَحْرَى [٨] بِٱلْمَلِكِ وَجُنْدِهِ أَنْ يَعْفُوا عَنْهُ وَيَصْفَحُوا. وَٱلثَّالِثَةُ تَرْكُ مُرَاعَاةِ أَهْلِ ٱلذَّمِّ وَٱلْفُجُورِ وَقَطْعُ أَسْبَابِ مُوَاصَلَتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ عَنِ ٱلْخَاصَّةِ وَٱلْعَامَّةِ * فَمَنْ عَلِمَ مِنْ أَمْرِ هٰذَا ٱلْمُحْتَالِ شَيْئًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِهِ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَشْهَادِ مِمَّنْ حَضَرَ لِيَكُونَ ذٰلِكَ حُجَّةً [٩] عَلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهَادَةَ مَيْتٍ أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَلْيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا عَلِمَ * فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ ٱلْجَمْعُ

---

(١) مضطرب ومرتبك (٢) جمع شاهد وهو الذي يخبر بما عنده خبراً قاطعاً (٣) الحكم (٤) التأني (٥) ميل النفس الى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع (٦) اي فأن لا تحتقروا (٧) قليلا (٨) الاولى (٩) برهانا ودليلا

كَلَامَهُ أَمْسَكُوا[١] عَنِ ٱلْقَوْلِ. فَقَالَ دِمْنَةُ مَا يُسْكِتُكُمْ تَكَلَّمُوا بِمَا عَلِمْتُمْ وَٱعْلَمُوا أَنَّ لِكُلِّ كَلِمَةٍ جَوَابًا. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ مَنْ يَشْهَدْ بِمَا لَمْ يَرَ وَيَقُلْ مَا لَا يَعْلَمْ يُصِبْهُ مَا أَصَابَ ٱلطَّبِيبَ ٱلَّذِي قَالَ لِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِنِّي أَعْلَمُهُ. قَالَتِ ٱلْجَمَاعَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ: زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ ٱلْمُدُنِ طَبِيبٌ لَهُ رِفْقٌ[٢] وَعِلْمٌ. وَكَانَ ذَا فِطْنَةٍ فِيمَا يَجْرِي عَلَى يَدِهِ مِنَ ٱلْمُعَالَجَاتِ. فَكَبِرَ ذٰلِكَ ٱلطَّبِيبُ وَضَعُفَ بَصَرُهُ. وَكَانَ لِمَلِكِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ ٱبْنٌ وَحِيدٌ. فَأَصَابَهُ مَرَضٌ فَجِيءَ بِهٰذَا ٱلطَّبِيبِ. فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَ ٱلْفَتَى عَنْ وَجَعِهِ وَمَا يَجِدُ فَأَخْبَرَهُ فَعَرَفَ دَاءَهُ وَدَوَاءَهُ وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ أُبْصِرُ لَجَمَعْتُ ٱلْأَخْلَاطَ[٣] عَلَى مَعْرِفَتِي بِأَجْنَاسِهَا وَلَا أَثِقُ فِي ذٰلِكَ بِأَحَدٍ غَيْرِي. وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ جَاهِلٌ فَبَلَغَهُ ٱلْخَبَرُ فَأَتَاهُمْ وَٱدَّعَى عِلْمَ ٱلطِّبِّ وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ خَبِيرٌ بِمَعْرِفَةِ أَخْلَاطِ ٱلْأَدْوِيَةِ وَٱلْعَقَاقِيرِ[٤] عَارِفٌ بِطَبَائِعِ ٱلْأَدْوِيَةِ ٱلْمُرَكَّبَةِ وَٱلْمُفْرَدَةِ. فَأَمَرَهُ ٱلْمَلِكُ أَنْ يَدْخُلَ خِزَانَةَ ٱلْأَدْوِيَةِ فَيَأْخُذَ مِنْ أَخْلَاطِ ٱلدَّوَاءِ حَاجَتَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ ٱلْجَاهِلُ ٱلْخِزَانَةَ وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَدْوِيَةُ وَلَا يَدْرِي مَا هِيَ وَلَا لَهُ بِهَا مَعْرِفَةٌ أَخَذَ فِي جُمْلَةِ مَا أَخَذَ مِنْهَا صُرَّةً فِيهَا سُمٌّ قَاتِلٌ لِوَقْتِهِ وَدَافَهُ[٥] بِٱلْأَدْوِيَةِ وَلَا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَلَا مَعْرِفَةَ عِنْدَهُ بِجِنْسِهِ. فَلَمَّا تَمَّتْ أَخْلَاطُ ٱلْأَدْوِيَةِ سَقَى ٱلْفَتَى مِنْهُ فَمَاتَ لِوَقْتِهِ. فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ دَعَا بِٱلْجَاهِلِ فَسَقَاهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلدَّوَاءِ فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ

---

(١) سكتوا (٢) لطف (٣) الادوية المركبة من اجزاء (٤) ما يتداوى به من النباتات (٥) خلطه

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكُمْ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا مَا يَدْخُلُ عَلَى ٱلْقَائِلِ وَٱلْعَامِلِ مِنَ ٱلذِّلَّةِ بِٱلشُّبْهَةِ (١) فِي ٱلْخُرُوجِ عَنِ ٱلْحَدِّ. فَمَنْ خَرَجَ مِنْكُمْ عَنْ حَدِّهِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ذٰلِكَ ٱلْجَاهِلَ وَنَفْسُهُ ٱلْمَلُومَةُ * وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ رُبَّمَا جُزِيَ ٱلْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ وَٱلْكَلَامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَٱنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ * فَتَكَلَّمَ سَيِّدُ ٱلْخَنَازِيرِ لِإِدْلَالِهِ (٢) وَتِيهِهِ (٣) بِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ. فَقَالَ يَا أَهْلَ ٱلشَّرَفِ مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ ٱسْمَعُوا مَقَالَتِي وَعُوا (٤) بِأَحْلَامِكُمْ (٥) كَلَامِي فَٱلْعُلَمَاءُ قَالُوا فِي شَأْنِ ٱلصَّالِحِينَ إِنَّهُمْ يُعْرَفُونَ بِسِيمَاهُمْ (٦). وَأَنْتُمْ مَعَاشِرَ ذَوِي ٱلْاِقْتِدَارِ بِحُسْنِ صُنْعِ ٱللّٰهِ لَكُمْ وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ تَعْرِفُونَ ٱلصَّالِحِينَ بِسِيمَاهُمْ وَصُوَرِهِمْ وَتَخْبُرُونَ ٱلشَّيْءَ (٧) ٱلْكَبِيرَ بِٱلشَّيْءِ ٱلصَّغِيرِ. وَهٰهُنَا أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ تَدُلُّ عَلَى هٰذَا ٱلْخَبِيثِ دِمْنَةَ وَتُخْبِرُ عَنْ شَرِّهِ فَٱطْلُبُوهَا عَلَى ظَاهِرِ جِسْمِهِ لِتَسْتَيْقِنُوا وَتَسْكُنُوا (٨) إِلَى ذٰلِكَ. قَالَ ٱلْقَاضِي لِسَيِّدِ ٱلْخَنَازِيرِ قَدْ عَلِمْتُ وَعَلِمَ ٱلْجَمَاعَةُ ٱلْحَاضِرُونَ أَنَّكَ عَارِفٌ بِمَا فِي ٱلصُّوَرِ مِنْ عَلَامَاتِ ٱلسُّوءِ فَفَسِّرْ لَنَا مَا تَقُولُ وَأَطْلِعْنَا عَلَى مَا تَرَى فِي صُورَةِ هٰذَا ٱلْخَبِيثِ. فَأَخَذَ سَيِّدُ ٱلْخَنَازِيرِ يَذُمُّ دِمْنَةَ وَقَالَ: إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ كَتَبُوا وَأَخْبَرُوا أَنَّهُ مَنْ كَانَتْ عَيْنُهُ ٱلْيُسْرَى أَصْغَرَ مِنْ عَيْنِهِ ٱلْيُمْنَى وَهِيَ لَا تَزَالُ تَخْتَلِجُ (٩) وَكَانَ أَنْفُهُ مَائِلًا إِلَى جَنْبِهِ ٱلْأَيْمَنِ فَهُوَ خَبِيثٌ جَامِعٌ لِلْخِبِّ (١٠) وَٱلْفُجُورِ. وَكَانَ دِمْنَةُ عَلَى هٰذِهِ ٱلصِّفَةِ * فَلَمَّا سَمِعَ دِمْنَةُ ذٰلِكَ قَالَ مِنْ هٰهُنَا تَقِيسُونَ ٱلْكَلَامَ وَتَتْرُكُونَ ٱلْعِلْمَ فَٱسْمَعُوا مِنِّي مَا أَقُولُهُ لَكُمْ وَتَدَبَّرُوا (١١) بِعُقُولِكُمْ فَقَدْ وَعَيْتُمْ (١٢).

---

(١) ما بين الخطإ والصواب (٢) اي جراءته ودالته (٣) كبريائه (٤) احفظوا (٥) عقولكم (٦) اي بعلاماتهم الحسنة (٧) اي تعلمونه (٨) لترتاحوا (٩) تنتفض اجفانها (١٠) الخداع والمكر (١١) اي تبصروا وتأملوا (١٢) حفظتم وتدبرتم

مَا قَالَ هٰذَا . فَإِنْ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّ مَا فِي جِسْمِي مِنْ هٰذِهِ ٱلْعَلَامَاتِ هُوَ ٱلدَّلِيلُ عَلَى صِدْقِ مَا رُمِيتُ (١) بِهِ فَإِنِّي إِذَنْ أَكُونُ قَدْ وُسِمْتُ بِسِمَاتٍ (٢) وَعَلَامَاتٍ ٱضْطَرَّتْنِي (٣) إِلَى ٱلْإِثْمِ فَعَمِلْتُ بِهَا مَا عَمِلْتُ . فَفِي ذٰلِكَ بَرَاءَةٌ لِي وَعُذْرٌ مِمَّا عَمِلْتُهُ . ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى سَيِّدِ ٱلْخَنَازِيرِ وَقَالَ : فَقَدْ بَانَ لِمَنْ حَضَرَ قِلَّةُ عَقْلِكَ وَمَا مَثَلُكَ فِي ذٰلِكَ إِلَّا مَثَلُ رَجُلٍ قَالَ لِٱمْرَأَتِهِ ٱنْظُرِي إِلَى عُرْيِكِ وَبَعْدَ ذٰلِكَ ٱنْظُرِي إِلَى عُرْيِ غَيْرِكِ . قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّ مَدِينَةً أَغَارَ عَلَيْهَا ٱلْعَدُوُّ فَقَتَلَ وَسَبَى (٤) وَغَنِمَ وَٱنْطَلَقَ إِلَى بِلَادِهِ . فَٱتَّفَقَ أَنَّهُ كَانَ مَعَ جُنْدِيٍّ مِمَّا وَقَعَ فِي قِسْمَتِهِ رَجُلٌ حَرَّاثٌ (٥) وَمَعَهُ ٱمْرَأَتَانِ لَهُ وَكَانَ هٰذَا ٱلْجُنْدِيُّ يُسِيءُ إِلَيْهِمْ فِي ٱلطَّعَامِ وَٱللِّبَاسِ . فَذَهَبَ ٱلْحَرَّاثُ ذَاتَ يَوْمٍ وَمَعَهُ ٱمْرَأَتَاهُ يَحْتَطِبُونَ (٦) لِلْجُنْدِيِّ وَهُمْ عُرَاةٌ فَأَصَابَتْ (٧) إِحْدَى ٱلْمَرْأَتَيْنِ فِي طَرِيقِهَا خِرْقَةً بَالِيَةً فَٱسْتَتَرَتْ بِهَا . ثُمَّ قَالَتْ لِزَوْجِهَا أَلَا تَنْظُرُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْقَبِيحَةِ كَيْفَ لَا تَسْتَحْيِي وَتَسْتَتِرُ . قَالَ لَهَا زَوْجُهَا لَوْ بَدَأْتِ بِٱلنَّظَرِ إِلَى نَفْسِكِ وَأَنَّ جِسْمَكِ كُلَّهُ عَارٍ لَمَا عَيَّرْتِ صَاحِبَتَكِ بِمَا هُوَ بِعَيْنِهِ فِيكِ

وَشَأْنُكَ عَجَبٌ أَيُّهَا ٱلْقَذِرُ (٨) ذُو ٱلْعَلَامَاتِ ٱلْفَاضِحَةِ ٱلْقَبِيحَةِ . ثُمَّ ٱلْعَجَبُ مِنْ جُرْأَتِكَ عَلَى طَعَامِ ٱلْمَلِكِ وَقِيَامِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَ مَا بِجِسْمِكَ مِنَ ٱلْقَذَرِ وَٱلْقُبْحِ . وَمَعَ مَا تَعْرِفُهُ أَنْتَ وَيَعْرِفُهُ غَيْرُكَ مِنْ عُيُوبِ نَفْسِكَ أَفَتَتَكَلَّمُ فِي ٱلنَّقِيِّ ٱلْجِسْمِ ٱلَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ . وَلَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَطَّلِعُ

---

(١) اتهمت (٢) اي عرفت بعلامات (٣) أجبرتني (٤) اسر (٥) زراع (٦) اي يجمعون حطباً (٧) وجدت (٨) الوسخ

عَلَى عَيْبِكَ لٰكِنَّ جَمِيعَ مَنْ حَضَرَ قَدْ عَرَفَ ذٰلِكَ . وَقَدْ كَانَ يَحْجُزُنِي[١] عَنْ إِظْهَارِهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلصَّدَاقَةِ . فَأَمَّا إِذْ قَدْ كَذَبْتَ عَلَيَّ وَبَهَتَّنِي[٢] فِي وَجْهِي وَتُمْتَ بِعَدَاوَتِي فَقُلْتَ مَا قُلْتَ فِيَّ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَعَلَى رُؤُوسِ ٱلْحَاضِرِينَ فَإِنِّي أَقْتَصِرُ عَلَى إِظْهَارِ مَا أَعْرِفُ مِنْ عُيُوبِكَ وَتَعْرِفُهُ ٱلْجَمَاعَةُ . وَحَقٌّ عَلَى مَنْ عَرَفَكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ أَنْ يَمْنَعَ ٱلْمَلِكَ مِنِ ٱسْتِعْمَالِهِ إِيَّاكَ عَلَى طَعَامِهِ . فَلَوْ كُلِّفْتَ أَنْ تَعْمَلَ ٱلزِّرَاعَةَ لَكُنْتَ جَدِيرًا بِٱلْخِذْلَانِ[٣] فِيهَا . فَٱلْأَحْرَى بِكَ أَنْ لَا تَدْنُوَا إِلَى عَمَلٍ مِنَ ٱلْأَعْمَالِ وَأَنْ لَا تَكُونَ دَبَّاغًا وَلَا حَجَّامًا لِعَامِّيٍّ فَضْلًا عَنْ خَاصِّ خِدْمَةِ ٱلْمَلِكِ * قَالَ سَيِّدُ ٱلْخَنَازِيرِ أَوَلِي تَقُولُ هٰذِهِ ٱلْمَقَالَةَ وَتَلْقَانِي بِهٰذَا ٱلْمَلْقَى . قَالَ دِمْنَةُ نَعَمْ وَحَقًّا قُلْتُ فِيكَ وَإِيَّاكَ أَعْنِي أَيُّهَا ٱلْأَعْرَجُ ٱلْمَكْسُورُ ٱلَّذِي فِي وَرِكِهِ ٱلنَّاسُورُ[٤] ٱلْأَفْدَعُ[٥] ٱلرِّجْلِ ٱلْمَنْفُوخُ ٱلْبَطْنِ ٱلْأَفْلَحُ[٦] ٱلشَّفَتَيْنِ ٱلسَّيِّئُ ٱلْمَنْظَرِ وَٱلْمَخْبَرِ[٧] * فَلَمَّا قَالَ دِمْنَةُ ذٰلِكَ تَغَيَّرَ وَجْهُ سَيِّدِ ٱلْخَنَازِيرِ وَٱسْتَعْبَرَ[٨] وَٱسْتَحْيَا وَتَلَجْلَجَ[٩] لِسَانُهُ وَٱسْتَكَانَ[١٠] وَفَتَرَ نَشَاطُهُ . فَقَالَ دِمْنَةُ حِينَ رَأَى ٱنْكِسَارَهُ وَبُكَاءَهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَطُولَ بُكَاؤُكَ إِذَا ٱطَّلَعَ ٱلْمَلِكُ عَلَى قَذَرِكَ وَعُيُوبِكَ فَعَزَلَكَ عَنْ طَعَامِهِ وَحَالَ[١١] بَيْنَكَ وَبَيْنَ خِدْمَتِهِ وَأَبْعَدَكَ عَنْ حَضْرَتِهِ * ثُمَّ إِنَّ شَعْهَرًا[١٢] كَانَ ٱلْأَسَدُ قَدْ جَرَّبَهُ فَوَجَدَ فِيهِ أَمَانَةً وَصِدْقًا فَرَتَّبَهُ فِي خِدْمَتِهِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْفَظَ مَا يَجْرِي

---

(١) يمنعني (٢) اي قلت عليَّ ما ليس فيَّ (٣) الخيبة (٤) هو عرق غبر في باطنه فساد كلما برئ اعلاه رجع غبرًا اي فاسدًا والغبر المندمل على فساد (٥) من به فدع وهو اعوجاج الرسغ من اليد او الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم الى انسيها (٦) المشقوق (٧) خلاف المظهر اي قبيح الظاهر والباطن (٨) جرت عبرته اي دمعته وحزن (٩) تردد في الكلام (١٠) ذلَّ (١١) اعترض (١٢) اي ابن آوى .

بَيْنَهُمْ وَيُطْلِعَهُ عَلَيْهِ . فَقَامَ ٱلشَّعْهَرُ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَحَدَّثَهُ بِٱلْحَدِيثِ كُلِّهِ عَلَى جَلِيَّتِهِ . فَأَمَرَ ٱلْأَسَدُ بِعَزْلِ سَيِّدِ ٱلْخَنَازِيرِ عَنْ عَمَلِهِ وَأَمَرَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهِ وَلَا يَرَى وَجْهَهُ . وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُرَدَّ إِلَى ٱلسِّجْنِ وَقَدْ مَضَى مِنَ ٱلنَّهَارِ أَكْثَرُهُ وَجَمِيعُ مَا جَرَى وَقَالُوا وَقَالَ كُتِبَ وَخُتِمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمِ ٱلنَّمِرِ وَرَجَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ

ثُمَّ إِنَّ شَعْهَرًا يُقَالُ لَهُ رَوْزَبَةُ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كَلِيلَةَ إِخَاءٌ[١] وَمَوَدَّةٌ وَكَانَ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ وَجِيهًا وَعَلَيْهِ كَرِيمًا . وَٱتَّفَقَ أَنَّ كَلِيلَةَ أَخَذَهُ ٱلْوَجْدُ[٢] إِشْفَاقًا[٣] مِنْ أَنْ يَلْتَطِخَ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ أَخِيهِ وَحَذَرًا عَلَيْهِ وَكَانَ بِهِ مَرَضٌ فَهَاجَ[٤] بِهِ مَرَضُهُ وَمَاتَ * فَٱنْطَلَقَ هٰذَا ٱلشَّعْهَرُ إِلَى دِمْنَةَ فَأَخْبَرَهُ بِمَوْتِ كَلِيلَةَ فَبَكَى وَحَزِنَ وَقَالَ : مَا أَصْنَعُ بِٱلدُّنْيَا بَعْدَ مُفَارَقَةِ ٱلْأَخِ ٱلصَّفِيِّ[٥] وَاحَرَّ قَلْبَاهُ[٦] إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ إِذَا ٱبْتُلِيَ بِبَلِيَّةٍ أَتَاهُ ٱلشَّرُّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَٱكْتَنَفَهُ[٧] ٱلْهَمُّ وَٱلْحُزْنُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ . وَلٰكِنْ أَحْمَدُ ٱللهَ تَعَالَى إِذْ لَمْ يَمُتْ كَلِيلَةُ حَتَّى أَبْقَى لِي مِنْ ذَوِي قَرَابَتِي[٨] أَخًا مِثْلَكَ . فَإِنِّي قَدْ وَثِقْتُ بِنِعْمَةِ ٱللهِ تَعَالَى وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ فِيمَا رَأَيْتُ مِنِ ٱهْتِمَامِكَ بِي وَمُرَاعَاتِكَ[٩] لِي . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجَائِي وَرُكْنِي[١٠] فِيمَا أَنَا فِيهِ . فَأُرِيدُ مِنْ إِنْعَامِكَ أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَى مَكَانِ كَذَا فَتَنْظُرَ إِلَى مَا جَمَعْتُهُ أَنَا وَأَخِي بِحِيلَتِنَا وَسَعْيِنَا وَمَشِيئَةِ ٱللهِ تَعَالَى فَتَأْتِيَنِي بِهِ . فَفَعَلَ ٱلشَّعْهَرُ مَا أَمَرَهُ بِهِ دِمْنَةُ * فَلَمَّا وَضَعَ ٱلْمَالَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعْطَاهُ شَطْرَهُ[١١] وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ عَلَى ٱلدُّخُولِ وَٱلْخُرُوجِ عَلَى

---

(١) صداقة (٢) الحزن (٣) خوفًا (٤) تحرَّك واشتدَّ (٥) الصادق الاخاء
(٦) كلمة تقال عند التوجع والشكوى (٧) احاط به (٨) اقاربي
(٩) ملاحظتك (١٠) سندي وعمدتي (١١) نصفه

ٱلْأَسَدِ أَقْدَرُ مِنْ غَيْرِكَ . فَتَفَرَّغْ لِشَأْنِي (١) وَٱصْرِفِ ٱهْتِمَامَكَ إِلَيَّ وَٱسْمَعْ مَا أُذْكَرُ بِهِ عِنْدَ ٱلْأَسَدِ إِذَا رُفِعَ إِلَيْهِ مَا يَجْرِي بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْخُصُومِ . وَمَا يَبْدُو (٢) مِنْ أَمْرِ ٱلْأَسَدِ فِي حَقِّي وَمَا تَرَى مِنْ مُتَابَعَةِ ٱلْأَسَدِ لَهَا وَمُخَالَفَتِهِ إِيَّاهَا فِي أَمْرِي وَٱحْفَظْ ذٰلِكَ كُلَّهُ . فَأَخَذَ ٱلشَّعْهَرُ مَا أَعْطَاهُ دِمْنَةُ وَٱنْصَرَفَ عَنْهُ عَلَى هٰذَا ٱلْعَهْدِ . فَٱنْطَلَقَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَضَعَ ٱلْمَالَ فِيهِ

ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ بَكَّرَ مِنَ ٱلْغَدِ فَجَلَسَ . حَتَّى إِذَا مَضَى مِنَ ٱلنَّهَارِ سَاعَتَانِ ٱسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ فِي ٱلدُّخُولِ فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَوَضَعُوا ٱلْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا عَرَفَ قَوْلَهُمْ وَقَوْلَ دِمْنَةَ دَعَا بِأُمِّهِ فَقَرَأَ عَلَيْهَا ذٰلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَتْ مَا فِي ٱلْكِتَابِ نَادَتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا : إِنْ أَنَا أَغْلَظْتُ (٣) فِي ٱلْقَوْلِ فَلَا تَلُمْنِي فَإِنَّكَ لَسْتَ تَعْرِفُ ضَرَّكَ مِنْ نَفْعِكَ . أَلَيْسَ هٰذَا مِمَّا كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ سَمَاعِهِ لِأَنَّهُ كَلَامُ هٰذَا ٱلْمُجْرِمِ ٱلْمُسِيءِ إِلَيْنَا ٱلْغَادِرِ بِذِمَّتِنَا . ثُمَّ إِنَّهَا خَرَجَتْ مُغْضَبَةً وَذٰلِكَ بِعَيْنِ ٱلشَّعْهَرِ ٱلَّذِي آخَاهُ دِمْنَةُ وَبِسَمْعِهِ فَخَرَجَ فِي إِثْرِهَا (٤) مُسْرِعًا حَتَّى أَتَى دِمْنَةَ فَحَدَّثَهُ بِٱلْحَدِيثِ فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ إِذْ جَاءَ فَيْجُ (٥) ٱلْأَسَدِ فَٱنْطَلَقَ بِدِمْنَةَ إِلَى ٱلْمَجْمَعِ عِنْدَ ٱلْقَاضِي

فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْقَاضِي ٱسْتَفْتَحَ سَيِّدُ ٱلْمَجْلِسِ فَقَالَ : يَا دِمْنَةُ قَدْ أَنْبَأَنِي عَنْ خَبَرِكَ ٱلْأَمِينُ ٱلصَّادِقُ وَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَفْحَصَ عَنْ شَأْنِكَ أَكْثَرَ مِنْ هٰذَا . لِأَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَالُوا إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى جَعَلَ ٱلدُّنْيَا سَبَبًا (٦) إِلَى ٱلْآخِرَةِ وَمِصْدَاقًا (٧) لَهَا لِأَنَّهَا دَارُ ٱلرُّسُلِ وَٱلْأَنْبِيَاءِ ٱلدَّالِّينَ عَلَى ٱلْخَيْرِ ٱلْهَادِينَ إِلَى

---

(١) لامري (٢) يظهر (٣) خشنت وعنفت (٤) وراءها (٥) رسول
(٦) طريقًا (٧) اي شاهدًا صادقًا

ٱلْجَنَّةِ ٱلدَّاعِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ ٱللهِ تَعَالَى . وَقَدْ ثَبَتَ شَأْنُكَ(١) عِنْدَنَا وَأَخْبَرَنَا عَنْكَ مَنْ وَثِقْنَا بِقَوْلِهِ . إِلَّا أَنَّ سَيِّدَنَا أَمَرَنَا بِٱلْعَوْدِ إِلَى أَمْرِكَ وَٱلْفَحْصِ عَنْ شَأْنِكَ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ظَاهِرًا بَيِّنًا . قَالَ دِمْنَةُ : أَرَاكَ أَيُّهَا ٱلْقَاضِي لَمْ تَتَعَوَّدِ ٱلْعَدْلَ فِي ٱلْقَضَاءِ . وَلَيْسَ فِي عَدْلِ ٱلْمُلُوكِ دَفْعُ ٱلْمَظْلُومِينَ وَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ إِلَى قَاضٍ غَيْرِ عَادِلٍ بَلِ ٱلْمُخَاصَمَةُ لَهُمْ وَٱلذَّوْدُ(٢)(٣) عَنْ حُقُوقِهِمْ . فَكَيْفَ تَرَى أَنْ أُقْتَلَ وَلَمْ أُخَاصِمْ(٣) وَتُعَجِّلَ ذٰلِكَ مُوَافَقَةً لِهَوَاكَ وَلَمْ تَمْضِ بَعْدُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ . وَلٰكِنْ صَدَقَ ٱلَّذِي قَالَ إِنَّ ٱلَّذِي تَعَوَّدَ عَمَلَ ٱلْبِرِّ هَيِّنٌ عَلَيْهِ عَمَلُهُ وَإِنْ أَضَرَّ بِهِ * قَالَ ٱلْقَاضِي إِنَّا نَجِدُ فِي كُتُبِ ٱلْأَوَّلِينَ أَنَّ ٱلْقَاضِيَ ٱلْعَدْلَ(٤) يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ عَمَلَ ٱلْمُحْسِنِ وَٱلْمُسِيءِ لِيُجَازِيَ ٱلْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَٱلْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ . فَإِذَا ذَهَبَ إِلَى هٰذَا ٱزْدَادَ ٱلْمُحْسِنُونَ حِرْصًا عَلَى ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْمُسِيئُونَ ٱجْتِنَابًا لِلذُّنُوبِ . وَٱلرَّأْيُ إِلَيْكَ(٥) يَا دِمْنَةُ أَنْ تَنْظُرَ ٱلَّذِي وَقَعْتَ فِيهِ وَتَعْتَرِفَ بِذَنْبِكَ وَتُقِرَّ بِهِ وَتَتُوبَ . فَلَأَنْ يُعَاقَبَ ٱلْمَرْءُ فِي ٱلدُّنْيَا خَيْرٌ مِنْ عِقَابِ ٱلْآخِرَةِ . فَأَجَابَهُ دِمْنَةُ : إِنَّ صَالِحِي ٱلْقُضَاةِ لَا يَقْطَعُونَ(٦) بِٱلظَّنِّ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ لَا فِي ٱلْخَاصَّةِ وَلَا فِي ٱلْعَامَّةِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي(٧) مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا . وَأَنْتُمْ إِنْ ظَنَنْتُمْ أَنِّي مُجْرِمٌ فِيمَا فَعَلْتُ فَإِنِّي أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْكُمْ وَعِلْمِي بِنَفْسِي يَقِينٌ لَا شَكَّ فِيهِ وَعِلْمُكُمْ بِي غَايَةُ ٱلشَّكِّ * وَإِنَّمَا قَبُحَ أَمْرِي عِنْدَكُمْ أَنِّي سَعَيْتُ بِغَيْرِي(٨) فَمَا عُذْرِي عِنْدَكُمْ إِذَا سَعَيْتُ بِنَفْسِي كَاذِبًا عَلَيْهَا فَأَسْلَمْتُهَا إِلَى ٱلْقَتْلِ وَٱلْعَطَبِ(٩) عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِبَرَاءَتِي وَسَلَامَتِي

---

(١) امرك (٢) الدفاع والمحاماة (٣) اجادل (٤) العادل (٥) اي مفوض اليك (٦) اي لا يحكمون حكماً قاطعاً (٧) لا يحل محل (٨) اي بلغت الحديث عنه على وجه الافساد (٩) الهلاك

مِمَّا قُرِفْتُ(١) بِهِ وَنَفْسِي أَعْظَمُ الأَنْفُسِ عَلَيَّ حُرْمَةً(٢) وَأَوْجَبُهَا حَقًّا . فَلَوْ فَعَلْتُ هٰذَا بِأَقْصَاكُمْ(٣) وَأَدْنَاكُمْ(٤) لَا وَسِعَنِي(٥) فِي دِينِي وَلَا حَسُنَ بِي فِي مُرُوءَتِي وَلَا حَقَّ لِي أَنْ أَفْعَلَهُ فَكَيْفَ أَفْعَلُهُ بِنَفْسِي . فَاكْفُفْ(٦) أَيُّهَا القَاضِي عَنْ هٰذِهِ المَقَالَةِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ نَصِيحَةً فَقَدْ أَخْطَأَتْ مَوْضِعَهَا(٧) . وَإِنْ كَانَتْ خَدِيعَةً فَإِنَّ أَقْبَحَ الخِدَاعِ مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ . مَعَ أَنَّ الخِدَاعَ وَالمَكْرَ لَيْسَا مِنْ أَعْمَالِ صَالِحِي القُضَاةِ وَلَا ثِقَاتِ(٨) الوُلَاةِ . وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَكَ مِمَّا يَتَّخِذُهُ الجُهَّالُ وَالأَشْرَارُ سُنَّةً(٩) يَقْتَدُونَ بِهَا لِأَنَّ أُمُورَ القَضَاءِ يَأْخُذُ بِصَوَابِهَا أَهْلُ الصَّوَابِ وَبِخَطَإِهَا أَهْلُ الخَطَإِ وَالبَاطِلِ وَالقَلِيلُو الوَرَعِ . وَأَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ أَيُّهَا القَاضِي مِنْ مَقَالَتِكَ هٰذِهِ أَعْظَمَ الرَّزَايَا وَالبَلَايَا . وَلَيْسَ مِنَ البَلَاءِ وَالمُصِيبَةِ أَنَّكَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِ المَلِكِ وَالجُنْدِ وَالخَاصَّةِ وَالعَامَّةِ فَاضِلًا فِي رَأْيِكَ مُقْنِعًا فِي عَقْلِكَ مَرْضِيًّا فِي حُكْمِكَ وَعَفَافِكَ وَفَضْلِكَ . وَإِنَّمَا البَلَاءُ كَيْفَ أُنْسِيتَ ذٰلِكَ فِي أَمْرِي . أَوَ مَا بَلَغَكَ عَنِ العُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنِ ادَّعَى عِلْمَ مَا لَا يَعْلَمُ وَشَهِدَ عَلَى الغَيْبِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ البَازْيَارَ(١٠) . قَالَ القَاضِي وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ دِمْنَةُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ المُدُنِ رَجُلٌ مِنَ المَرَازِبَةِ(١١) مَذْكُورٌ وَكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَعَفَافٍ . وَكَانَ لِلرَّجُلِ بَازْيَارٌ مَاهِرٌ خَبِيرٌ بِعِلَاجِ البُزَاةِ وَسِيَاسَتِهَا . وَكَانَ هٰذَا البَازْيَارُ عِنْدَ هٰذَا الرَّجُلِ بِمَكَانٍ

---

(١) عبت واتهمت (٢) عهداً ورعاية (٣) بابعدكم (٤) واقربكم
(٥) اي لما جاز لي (٦) انصرف وامتنع (٧) اي لم تصبهُ (٨) جمع ثقة وهو الموثوق بهِ المؤتمن (٩) طريقة (١٠) حامل البازي ويقال لهُ البازدار ايضاً
(١١) جمع مرزبان وهو رئيس الفرس

خَلِيلٍ (١) بِحَيْثُ أَدْخَلَهُ دَارَهُ وَجَعَلَهُ كَوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِهَا . فَاتَّفَقَ أَنْ وَقَعَتْ كَلِمَةٌ مِنَ الْبَازِيَارِ فَتَسَخَّطَتْ لَهَا زَوْجَةُ مَوْلَاهُ وَنَفَرَتْ فَغَضِبَ وَعَمِلَ عَلَى (٢) أَنْ يَكِيدَهَا بِمَكِيدَةٍ . فَخَرَجَ يَوْمًا إِلَى الصَّيْدِ عَلَى عَادَتِهِ فَأَصَابَ فَرْخَيْ بَبْغَاءَ (٣) فَأَخَذَهُمَا وَجَاءَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَرَبَّاهُمَا . فَلَمَّا كَبِرَا فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَجَعَلَهُمَا فِي قَفَصَيْنِ (٤) وَعَلَّمَ أَحَدَهُمَا أَنْ يَقُولَ رَأَيْتُ رِيبَةً (٥) فِي بَيْتِ مَوْلَايَ وَعَلَّمَ الْآخَرَ أَنْ يَقُولَ : أَمَّا أَنَا فَلَا أَقُولُ شَيْئًا . ثُمَّ أَدَّبَهُمَا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَتْقَنَاهُ وَحَذَقَاهُ (٦) فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ . فَلَمَّا بَلَغَ الَّذِي أَرَادَ مِنْهُمَا حَمَلَهُمَا إِلَى مَوْلَاهُ . فَلَمَّا رَآهُمَا أَعْجَبَاهُ وَنَطَقَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَطْرَبَاهُ . إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ مَا يَقُولَانِ لِأَنَّ الْبَازِيَارَ كَانَ قَدْ عَلَّمَهُمَا بِلُغَةِ الْبَلْخِيِّينَ . وَإِنَّ الْمَرْزُبَانَ أُعْجِبَ بِهِمَا إِعْجَابًا شَدِيدًا وَحَظِيَ الْبَازِيَارُ عِنْدَهُ بِذَلِكَ حُظْوَةً (٧) كَرِيمَةً فَأَمَرَ امْرَأَتَهُ بِالِاحْتِيَاطِ عَلَيْهِمَا وَالِاحْتِفَاظِ بِهِمَا فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ بَعْدَ مُدَّةٍ قَدِمَ عَلَى الرَّجُلِ قَوْمٌ مِنْ عُظَمَاءِ بَلْخَ فَتَأَنَّقَ لَهُمْ فِي الطَّعَامِ (٨) وَالشَّرَابِ وَجَمَعَ مِنْ أَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ وَالتُّحَفِ شَيْئًا كَثِيرًا وَحَضَرَ الْقَوْمُ . فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الطَّعَامِ وَشَرَعُوا (٩) فِي الْحَدِيثِ أَشَارَ الْمَرْزُبَانُ إِلَى الْبَازِيَارِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْبَبْغَاءَيْنِ فَأَحْضَرَهُمَا . فَلَمَّا وُضِعَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ صَاحَتَا بِمَا كَانَتَا عُلِّمَتَاهُ . فَعَرَفَ أُولَئِكَ الْعُظَمَاءُ مَا قَالَتَا فَنَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَنَكَسُوا (١٠) رُؤُوسَهُمْ حَيَاءً وَخَجَلًا وَجَعَلَ يَغْمِزُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَقَالَ الرَّجُلُ مَا أَعْلَمُ

---

(١) صديق (٢) سعى في (٣) طائر معروف يسمع كلام الناس فيعيده
(٤) مثنى قفص وهو محبس الطير (٥) شكًّا وتهمة (٦) تعلماه ومهرا فيه
(٧) اي صار ذا مكانة وحظ ومنزلة (٨) اي عمله بالاتقان (٩) خاضوا
(١٠) خفضوا

مَا تَقُولَانِ وَلٰكِنِّي يُعْجِبُنِي ذٰلِكَ مِنْهُمَا وَسَأَلَهُمْ عَمَّا تَقُولَانِ فَامْتَنَعُوا أَنْ يَقُولُوا مَا قَالَتَا فَأَلَحَّ عَلَيْهِمْ وَأَكْثَرَ السُّؤَالَ عَمَّا قَالَتَا. فَقَالُوا إِنَّمَا تَقُولَانِ كَذَا وَكَذَا وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا أَنْ نَأْكُلَ مِنْ بَيْتٍ يُعْمَلُ فِيهِ الْفُجُورُ. فَلَمَّا قَالُوا ذٰلِكَ سَأَلَهُمُ الرَّجُلُ أَنْ يُكَلِّمُوهُمَا بِلِسَانِ الْبَلْخِيَّةِ بِغَيْرِ مَا نَطَقَتَا بِهِ فَفَعَلُوا ذٰلِكَ فَلَمْ يَجِدُوهُمَا تَعْرِفَانِ غَيْرَ مَا تَكَلَّمَتَا بِهِ. وَبَانَ لَهُمْ وَلِلْجَمَاعَةِ بَرَاءَةُ الْبَيْتِ مِمَّا رُمِيَ(١) بِهِ وَوَضَحَ كَذِبُ الْبَازِيَارِ. فَأَمَرَ بِالْبَازِيَارِ أَنْ يُدْخَلَ عَلَيْهِ وَكَانَ عَلَى يَدِهِ بَازٌ أَشْهَبُ(٢) فَصَاحَتْ بِهِ امْرَأَةُ الْمَرْزُبَانِ مِنْ دَاخِلِ الْبَيْتِ: أَيُّهَا الْعَدُوُّ لِنَفْسِهِ أَنْتَ رَأَيْتَ فِي الْبَيْتِ مَا ذَكَرْتَ وَعَلَّمْتَ بِهِ الْبَبْغَاءَيْنِ. قَالَ نَعَمْ أَنَا رَأَيْتُ فِيهِ مِثْلَ مَا تَقُولَانِ. فَوَثَبَ(٣) الْبَازِي إِلَى وَجْهِهِ فَفَقَأَ عَيْنَهُ بِمَخَالِبِهِ(٤) فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ بِحَقٍّ أَصَابَكَ هٰذَا إِنَّهُ لَجَزَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِشَهَادَتِكَ بِمَا لَمْ تَرَهُ عَيْنُكَ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا الْمَثَلَ أَيُّهَا الْقَاضِي لِتَزْدَادَ عِلْماً بِوَخَامَةِ(٥) عَاقِبَةِ الشَّهَادَةِ بِالْكَذِبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَلَمَّا سَمِعَ الْقَاضِي ذٰلِكَ مِنْ لَفْظِ دِمْنَةَ نَهَضَ فَرَفَعَهُ إِلَى الْأَسَدِ عَلَى وَجْهِهِ(٦) فَنَظَرَ فِيهِ الْأَسَدُ فَدَعَا أُمَّهُ فَعَرَضَهُ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ حِينَ تَدَبَّرَتْ(٧) كَلَامَ دِمْنَةَ لَقَدْ صَارَ اهْتِمَامِي بِمَا أَتَخَوَّفُ مِنِ احْتِيَالِ دِمْنَةَ لَكَ بِمَكْرِهِ وَدَهَائِهِ(٨) حَتَّى يَقْتُلَكَ أَوْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ أَمْرَكَ أَعْظَمَ مِنِ اهْتِمَامِي بِمَا سَلَفَ(٩) مِنْ ذَنْبِهِ إِلَيْكَ فِي الْغِشِّ وَالسِّعَايَةِ(١٠) حَتَّى قَتَلْتَ صَدِيقَكَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ. فَوَقَعَ قَوْلُهَا فِي نَفْسِهِ(١١) فَقَالَ لَهَا أَخْبِرِينِي

---

(١) اي مما عيب واتهم (٢) اي بياضه غلب على سواده (٣) قفز (٤) اظافره
(٥) اي برداءة (٦) اي على حكمه بدون مبالاة (٧) تأملت (٨) احتياله
(٩) اي بما مضى (١٠) النميمة والوشاية (١١) اي اثر فيها

عَنِ ٱلَّذِي أَخبَرَكَ عَنْ دِمْنَةَ بِمَا أَخبَرَكِ فَيَكُونَ حُجَّةً (١) لِي فِي قَتْلِي دِمْنَةَ . فَقَالَتْ لَأَكْرَهُ إِفْشَاءَ (٢) سِرِّ مَنِ ٱسْتَكْتَمَنِيهِ (٣) فَلَا يَهْنِئُنِي سُرُورِي بِقَتْلِ دِمْنَةَ إِذَا تَذَكَّرْتُ أَنِّي ٱسْتَظْهَرْتُ (٤) عَلَيْهِ بِرُكُوبِ (٥) مَا نَهَتْ عَنْهُ ٱلْعُلَمَاءُ مِنْ كَشْفِ ٱلسِّرِّ . وَلٰكِنِّي أُطَالِبُ ٱلَّذِي ٱسْتَوْدَعَنِيهِ أَنْ يُحِلَّنِي (٦) مِنْ ذِكْرِهِ وَيَقُومَ هُوَ بِعِلْمِهِ وَمَا سَمِعَ مِنْهُ . ثُمَّ ٱنْصَرَفَتْ وَأَرْسَلَتْ إِلَى ٱلنَّمِرِ وَذَكَرَتْ لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلتَّزْيِينِ لِلْأَسَدِ وَحُسْنِ مُعَاوَنَتِهِ عَلَى ٱلْحَقِّ وَإِخْرَاجِ نَفْسِهِ مِنَ ٱلشَّهَادَةِ ٱلَّتِي لَا يَكْتُمُهَا مِثْلُهُ مَعَ مَا يَحِقُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصْرِ ٱلْمَظْلُومِينَ وَتَثْبِيتِ حُجَّةِ ٱلْحَقِّ فِي ٱلْحَيَاةِ وَٱلْمَمَاتِ فَإِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالَتْ مَنْ كَتَمَ حُجَّةَ مَيْتٍ أَخْطَأَ حُجَّتَهُ (٧) يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى قَامَ فَدَخَلَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَشَهِدَ عِنْدَهُ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِ دِمْنَةَ

فَلَمَّا شَهِدَ ٱلنَّمِرُ بِذٰلِكَ أَرْسَلَ ٱلْفَهْدُ (٨) ٱلْمَسْجُونُ ٱلَّذِي سَمِعَ إِقْرَارَ دِمْنَةَ وَحَفِظَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ فَقَالَ : إِنَّ عِنْدِي شَهَادَةً فَأَخْرَجُوهُ فَشَهِدَ بِمَا سَمِعَ مِنْ إِقْرَارِهِ . فَقَالَ لَهُمَا ٱلْأَسَدُ : مَا مَنَعَكُمَا أَنْ تَقُومَا بِشَهَادَتِكُمَا وَقَدْ عَلِمْتُمَا أَمْرَنَا وَٱهْتِمَامَنَا بِالْفَحْصِ عَنْ أَمْرِ دِمْنَةَ . فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ شَهَادَةَ ٱلْوَاحِدِ لَا تُوجِبُ حُكْمًا فَكَرِهْتُ ٱلتَّعَرُّضَ لِغَيْرِ مَا يَمْضِي بِهِ ٱلْحُكْمُ . حَتَّى إِذَا شَهِدَ أَحَدُنَا قَامَ ٱلْآخَرُ * فَقَبِلَ ٱلْأَسَدُ قَوْلَهُمَا وَأَمَرَ بِدِمْنَةَ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَشْهَادِ . وَنَادَى ٱلْمُنَادِي هٰذَا جَزَاءُ مَنْ يَسْعَى (٩)

---

(١) برهان (٢) اظهار (٣) اي طلب مني كتمه (٤) استعنت (٥) ارتكاب (٦) يحلل لي (٧) اي فاته الصواب فيها (٨) هو حيوان من السباع ضيق الخلق شديد الغضب ذو وثبات بعيدة كثير النوم قيل هو متولد من الاسد والنمر (٩) يفسد

بَيْنَ ٱلْمُلُوكِ وَبَيْنَ أَجْنَادِهِمْ وَبِطَانَتِهِمْ (١) بِٱلْكَذِبِ وَٱلْبُهْتَانِ

فَمَنْ نَظَرَ فِي هٰذَا فَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مَنْفَعَةَ نَفْسِهِ بِضَرِّ غَيْرِهِ بِٱلْخِلَابَةِ (٢) وَٱلْمَكْرِ فَإِنَّهُ سَيُجْزَى عَلَى خِلَابَتِهِ وَمَكْرِهِ

# باب

## ٱلْحَمَامَةِ ٱلْمُطَوَّقَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ ٱلْمُتَحَابَّيْنِ كَيْفَ قَطَعَ بَيْنَهُمَا ٱلْكَذُوبُ وَإِلَى مَاذَا صَارَ (٣) عَاقِبَةُ أَمْرِهِ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ فَحَدِّثْنِي إِنْ رَأَيْتَ عَنْ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ كَيْفَ يَبْتَدِئُ تَوَاصُلُهُمْ وَيَسْتَمْتِعُ (٤) بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ * قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَعْدِلُ بِٱلْإِخْوَانِ شَيْئًا . فَٱلْإِخْوَانُ هُمُ ٱلْأَعْوَانُ عَلَى ٱلْخَيْرِ كُلِّهِ وَٱلْمُؤَاسُونَ (٥) عِنْدَمَا يَنُوبُ (٦) مِنَ ٱلْمَكْرُوهِ . وَمِنْ أَمْثَالِ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْحَمَامَةِ ٱلْمُطَوَّقَةِ وَٱلْجُرَذِ وَٱلظَّبْيِ (٧) وَٱلْغُرَابِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ سَكَاوَنْدَجِينَ عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهَرَ مَكَانٌ كَثِيرُ ٱلصَّيْدِ يَنْتَابُهُ (٨) ٱلصَّيَّادُونَ . وَكَانَ فِي ذٰلِكَ ٱلْمَكَانِ شَجَرَةٌ كَثِيرَةُ ٱلْأَغْصَانِ مُلْتَفَّةُ ٱلْوَرَقِ فِيهَا وَكْرُ غُرَابٍ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ سَاقِطٌ

---

(١) بطانة الرجل خاصته الذي يعرّفه سرّه ثقةً بمودته (٢) اي بالخديعة باللسان (٣) انتهى (٤) ينتفع (٥) من المؤاساة وهي ان ينزل الانسان غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه (٦) يصيب (٧) الغزال (٨) اي يأتي اليه مرّة بعد اخرى

فِي وَكْرِهِ إِذْ بَصُرَ بِصَيَّادٍ قَبِيحِ ٱلْمَنْظَرِ سَيِّئِ ٱلْخُلُقِ وَقُبْحُ مَنْظَرِهِ يَدُلُّ عَلَى سُوءِ مَخْبَرِهِ(١) . عَلَى عَاتِقِهِ(٢) شَبَكَةٌ وَفِي يَدِهِ عَصاً مُقْبِلًا نَحْوَ ٱلشَّجَرَةِ . فَذُعِرَ(٣) مِنْهُ ٱلْغُرَابُ وَقَالَ لَقَدْ سَاقَ هٰذَا ٱلرَّجُلَ إِلَى هٰـذَا ٱلْمَكَانِ إِمَّا حَيْنِي(٤) وَإِمَّا حَيْنُ غَيْرِي فَلَأَثْبُتَنَّ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُرَ مَاذَا يَصْنَعُ * ثُمَّ إِنَّ ٱلصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ وَنَثَرَ عَلَيْهَا ٱلْحَبَّ وَكَمَنَ(٥) قَرِيباً مِنْهَا فَلَمْ يَلْبَثْ(٦) إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا ٱلْمُطَوَّقَةُ وَكَانَتْ سَيِّدَةَ ٱلْحَمَامِ وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ . فَعَمِيَتْ هِيَ وَصَاحِبَاتُهَا عَنِ ٱلشَّرَكِ فَوَقَعْنَ(٧) عَلَى ٱلْحَبِّ يَلْتَقِطْنَهُ فَعَلِقْنَ فِي ٱلشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ وَأَقْبَلَ ٱلصَّيَّادُ فَرِحاً مَسْرُوراً . فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ تَتَلَجْلَجُ(٨) فِي حَبَائِلِهَا(٩) وَتَلْتَمِسُ ٱلْخَلَاصَ لِنَفْسِهَا * قَالَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ : لَا تَتَخَاذَلْنَ(١٠) فِي ٱلْمُعَالَجَةِ(١١) وَلَا تَكُنْ نَفْسُ إِحْدَاكُنَّ أَهَمَّ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِ صَاحِبَتِهَا . وَلٰكِنْ نَتَعَاوَنُ جَمِيعًا وَنَطِيرُ كَطَائِرٍ وَاحِدٍ فَيَنْجُو بَعْضُنَا بِبَعْضٍ . فَجَمَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ وَوَثَبْنَ(١٢) وَثْبَةً وَاحِدَةً فَقَلَعْنَ ٱلشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعَاوُنِهِنَّ وَعَلَوْنَ بِهَا فِي ٱلْجَوِّ . وَلَمْ يَقْطَعِ ٱلصَّيَّادُ رَجَاءَهُ مِنْهُنَّ وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لَا يُجَاوِزْنَ(١٣) إِلَّا قَرِيباً حَتَّى يَقَعْنَ . فَقَالَ ٱلْغُرَابُ لَأَتْبَعُهُنَّ وَأَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ . فَٱلْتَفَتَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ فَرَأَتِ ٱلصَّيَّادَ يَتْبَعُهُنَّ فَقَالَتْ لِلْحَمَامِ : هٰذَا ٱلصَّيَّادُ جَادٌّ(١٤) فِي طَلَبِكُنَّ فَإِنْ نَحْنُ أَخَذْنَا فِي ٱلْفَضَاءِ(١٥)

---

(١) تجربته واختباره (٢) ما بين الكتف والعنق (٣) خاف (٤) هلاكي (٥) استخفى (٦) اي فلم يقم (٧) نزلن (٨) تتحير وتضطرب (٩) جمع حبالة وهي ما يصاد به الصيد (١٠) لا تتخاذلن اي لا تتركن التعاون (١١) ممارسة العمل (١٢) قفزن (١٣) اي لا يقطعن (١٤) اي مجتهد في سيره (١٥) ما اتسع من الارض

لَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَلَمْ يَزَلْ يَتْبَعُنَا . وَإِنْ نَحْنُ تَوَجَّهْنَا إِلَى ٱلْعُمْرَانِ (١) خَفِيَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا وَٱنْصَرَفَ . وَبِمَكَانِ كَذَا جُرَذٌ هُوَ لِي أَخٌ فَلَوِ ٱنْتَهَيْنَا إِلَيْهِ قَطَعَ عَنَّا هٰذَا ٱلشَّرَكَ فَفَعَلْنَ ذٰلِكَ وَأَيِسَ (٢) ٱلصَّيَّادُ مِنْهُنَّ وَٱنْصَرَفَ . وَتَبِعَهُنَّ ٱلْغُرَابُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِنَّ لَعَلَّهُ يَتَعَلَّمُ مِنْهُنَّ حِيلَةً تَكُونُ لَهُ عُدَّةً (٣) عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَتِ ٱلْحَمَامَةُ ٱلْمُطَوَّقَةُ إِلَى ٱلْجُرَذِ أَمَرَتِ ٱلْحَمَامَ أَنْ يَقَعْنَ فَوَقَعْنَ

وَكَانَ لِلْجُرَذِ مِئَةُ جُحْرٍ أَعَدَّهَا لِلْمَخَاوِفِ . فَنَادَتْهُ ٱلْمُطَوَّقَةُ بِٱسْمِهِ وَكَانَ ٱسْمُهُ زِيرَكَ فَأَجَابَهَا ٱلْجُرَذُ مِنْ جُحْرِهِ مَنْ أَنْتِ . قَالَتْ أَنَا خَلِيلَتُكَ ٱلْمُطَوَّقَةُ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهَا ٱلْجُرَذُ يَسْعَى فَقَالَ لَهَا : مَا أَوْقَعَكِ فِي هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ . قَالَتْ لَهُ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ مُقَدَّرٌ عَلَى مَنْ تُصِيبُهُ ٱلْمَقَادِيرُ (٤) وَهِيَ ٱلَّتِي أَوْقَعَتْنِي فِي هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ . فَقَدْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْقَدَرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا . وَقَدْ تَنْكَسِفُ ٱلشَّمْسُ وَيَنْخَسِفُ ٱلْقَمَرُ إِذَا قُضِيَ ذٰلِكَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ (٥) ٱلْعُقَدِ (٦) ٱلَّذِي فِيهِ ٱلْمُطَوَّقَةُ . فَقَالَتْ لَهُ ٱلْمُطَوَّقَةُ ٱبْدَأْ بِقَطْعِ عُقَدِ سَائِرِ (٧) ٱلْحَمَامِ وَبَعْدَ ذٰلِكَ أَقْبِلْ عَلَى عُقَدِي . فَأَعَادَتْ عَلَيْهِ ذٰلِكَ مِرَارًا وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ قَالَ لَهَا : لَقَدْ كَرَّرْتِ ٱلْقَوْلَ عَلَيَّ كَأَنَّكِ لَيْسَ لَكِ فِي نَفْسِكِ حَاجَةٌ وَلَا لَكِ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ وَلَا تَرْعَيْنَ (٨) لَهَا حَقًّا . قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِقَطْعِ عُقَدِي أَنْ تَمَلَّ وَتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ مَا بَقِيَ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَّ قَبْلِي وَكُنْتُ أَنَا ٱلْأَخِيرَةَ لَمْ تَرْضَ وَإِنْ أَدْرَكَكَ

---

(١) الاماكن العامرة (٢) قطع الامل (٣) عدة الشيء ما اعددته اي هيأته لحوادث الدهر (٤) جمع المقدور وهو الامر المحتوم (٥) قطع (٦) حبل الشرك (٧) باقي (٨) اي لا تحفظين

ٱلْفُتُورُ(١) أَنْ أُبْقِيَ فِي ٱلشَّرَكِ . قَالَ ٱلْجُرَذُ : هٰذَا مِمَّا يَزِيدُ ٱلرَّغْبَةَ فِيكِ وَٱلْمَوَدَّةَ لَكِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرْضِ ٱلشَّبَكَةِ حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا . فَٱنْطَلَقَتِ ٱلْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا

فَلَمَّا رَأَى ٱلْغُرَابُ صُنْعَ ٱلْجُرَذِ رَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ فَجَاءَ وَنَادَاهُ بِٱسْمِهِ . فَأَخْرَجَ ٱلْجُرَذُ رَأْسَهُ فَقَالَ لَهُ مَا حَاجَتُكَ . قَالَ إِنِّي أُرِيدُ مُصَادَقَتَكَ . قَالَ ٱلْجُرَذُ : لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَوَاصُلٌ(٢) وَإِنَّمَا ٱلْعَاقِلُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ مَا يَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَيَتْرُكَ ٱلْتِمَاسَ مَا لَيْسَ لَهُ إِلَيْهِ سَبِيلٌ كَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُجْرِيَ ٱلسُّفُنَ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْعَجَلَ(٣) فِي ٱلْبَحْرِ فَإِنْ(٤) أَنْتَ إِلَّا آكِلٌ وَأَنَا طَعَامٌ لَكَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ : إِنَّ أَكْلِي إِيَّاكَ وَإِنْ كُنْتَ لِي طَعَامًا مِمَّا لَا يُغْنِي عَنِّي(٥) شَيْئًا . وَإِنَّ مَوَدَّتَكَ آنَسُ(٦) لِي مِمَّا ذَكَرْتَ . وَلَسْتَ بِحَقِيقٍ إِذَا جِئْتُ أَطْلُبُ مَوَدَّتَكَ أَنْ تَرُدَّنِي خَائِبًا . فَإِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ لِي مِنْكَ مِنْ حُسْنِ ٱلْخُلُقِ مَا رَغَّبَنِي فِيكَ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَلْتَمِسُ إِظْهَارَ ذٰلِكَ . فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَخْفَى فَضْلُهُ وَإِنْ هُوَ أَخْفَاهُ كَٱلْمِسْكِ ٱلَّذِي يُكْتَمُ ثُمَّ لَا يَمْنَعُهُ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّشْرِ(٧) ٱلطَّيِّبِ وَٱلْأَرَجِ(٨) ٱلْفَائِحِ * قَالَ ٱلْجُرَذُ : إِنَّ أَشَدَّ ٱلْعَدَاوَةِ عَدَاوَةُ ٱلْجَوْهَرِ(٩) وَهِيَ عَدَاوَتَانِ : مِنْهَا مَا هُوَ مُتَكَافِئٌ(١٠) كَعَدَاوَةِ ٱلْفِيلِ وَٱلْأَسَدِ فَإِنَّهُ رُبَّمَا قَتَلَ ٱلْأَسَدُ ٱلْفِيلَ أَوِ ٱلْفِيلُ ٱلْأَسَدَ . وَمِنْهَا مَا قُوَّتُهُ مِنْ أَحَدِ ٱلْجَانِبَيْنِ عَلَى ٱلْآخَرِ كَٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلسِّنَّوْرِ(١١) وَبَيْنَكَ وَبَيْنِي . فَإِنَّ ٱلْعَدَاوَةَ ٱلَّتِي بَيْنَنَا لَيْسَتْ

(١) انكسار الحدة والنشاط (٢) اي علاقة (٣) جمع عجلة وهي آلة يجرها الثور محمولًا عليها الاثقال (٤) حرف نفي بمعنى ما (٥) اي لا ينفعني (٦) افعل تفضيل من أنس ضد استوحش (٧) الرائحة (٨) ذكاء الرائحة (٩) الاصل (١٠) متماثل (١١) الهر وهو حيوان اهلي مولع بأكل الفار ويعرف عند العامة بالبسين

تَضُرُّكَ وَإِنَّمَا ضَرَرُهَا عَلَيَّ . فَإِنَّ ٱلْمَاءَ لَوْ أُطِيلَ إِسْخَانُهُ لَمْ يَمْنَعْهُ ذٰلِكَ مِنْ إِطْفَائِهِ ٱلنَّارَ إِذَا صُبَّ عَلَيْهَا . وَإِنَّمَا مُصَاحِبُ ٱلْعَدُوِّ وَمُصَالِحُهُ كَصَاحِبِ ٱلْحَيَّةِ يَحْمِلُهَا فِي كُمِّهِ . وَٱلْعَاقِلُ لَا يَسْتَأْنِسُ إِلَى ٱلْعَدُوِّ ٱلْأَرِيبِ (١) * قَالَ ٱلْغُرَابُ قَدْ فَهِمْتُ مَا تَقُولُ وَأَنْتَ خَلِيقٌ (٢) أَنْ تَأْخُذَ (٣) بِفَضْلِ خَلِيقَتِكَ (٤) وَتَعْرِفَ صِدْقَ مَقَالِي وَلَا تُصَعِّبَ عَلَيَّ ٱلْأَمْرَ بِقَوْلِكَ لَيْسَ إِلَى ٱلتَّوَاصُلِ بَيْنَنَا سَبِيلٌ . فَإِنَّ ٱلْعُقَلَاءَ ٱلْكِرَامَ لَا يَبْتَغُونَ (٥) عَلَى مَعْرُوفٍ جَزَاءً . وَٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ ٱلصَّالِحِينَ سَرِيعٌ ٱتِّصَالُهَا بَطِيءٌ ٱنْقِطَاعُهَا . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْكُوزِ ٱلذَّهَبِ بَطِيءِ ٱلِٱنْكِسَارِ سَرِيعِ ٱلْإِعَادَةِ هَيِّنِ ٱلْإِصْلَاحِ إِنْ أَصَابَهُ ثَلْمٌ (٦) أَوْ كَسْرٌ . وَٱلْمَوَدَّةُ بَيْنَ ٱلْأَشْرَارِ سَرِيعٌ ٱنْقِطَاعُهَا بَطِيءٌ ٱتِّصَالُهَا . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْكُوزِ ٱلْفَخَّارِ سَرِيعِ ٱلِٱنْكِسَارِ يَنْكَسِرُ مِنْ أَدْنَى شَيْءٍ وَلَا وَصْلَ لَهُ أَبَدًا . وَٱلْكَرِيمُ يَوَدُّ ٱلْكَرِيمَ وَٱللَّئِيمُ لَا يَوَدُّ أَحَدًا إِلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ (٧) . وَأَنَا إِلَى وُدِّكَ وَمَعْرُوفِكَ مُحْتَاجٌ لِأَنَّكَ كَرِيمٌ . وَأَنَا مُلَازِمٌ لِبَابِكَ غَيْرُ ذَائِقٍ طَعَامًا حَتَّى تُؤَاخِيَنِي (٨) . وَٱعْلَمْ أَنِّي لَوْ كُنْتُ أَشَاءُ ضَرَّكَ لَفَعَلْتُ حِينَ كُنْتُ مُحَلِّقًا (٩) فَوْقَ رَأْسِكَ عِنْدَمَا كُنْتَ تَقْطَعُ حَبَائِلَ ٱلْحَمَامِ

قَالَ ٱلْجُرَذُ قَدْ قَبِلْتُ إِخَاءَكَ فَإِنِّي لَمْ أَرْدُدْ أَحَدًا عَنْ حَاجَةٍ قَطُّ وَإِنَّمَا بَلَوْتُكَ (١٠) بِمَا بَلَوْتُكَ بِهِ إِرَادَةَ ٱلتَّوَثُّقِ (١١) لِنَفْسِي فَإِنْ أَنْتَ غَدَرْتَ بِي لَمْ تَقُلْ إِنِّي وَجَدْتُ ٱلْجُرَذَ ضَعِيفَ ٱلرَّأْيِ سَرِيعَ ٱلِٱنْخِدَاعِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنْ جُحْرِهِ فَوَقَفَ عِنْدَ ٱلْبَابِ * فَقَالَ لَهُ ٱلْغُرَابُ مَا يَمْنَعُكَ مِنَ ٱلْخُرُوجِ إِلَيَّ

---

(١) العاقل (٢) اي أهل (٣) تعمل (٤) طبيعتك (٥) اي لا يطلبون
(٦) الثلم كسر الحرف (٧) خوف (٨) اي تصير لي لك اخاً او صديقاً
(٩) مرتفعاً ودائراً كالحلقة (١٠) امتحنتك (١١) التثبت والتحفظ

وَالِاسْتِئْنَاسِ بِي . أَوْ فِي نَفْسِكَ بَعْدُ مِنِّي رِيبَةٌ[١] . قَالَ الْجُرَذُ إِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَتَعَاطَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَمْرَيْنِ وَيَتَوَاصَلُونَ عَلَيْهِمَا وَهُمَا ذَاتُ النَّفْسِ[٢] وَذَاتُ الْيَدِ[٣] . فَالْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ النَّفْسِ هُمُ الْأَصْفِيَاءُ[٤] . وَأَمَّا الْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ الْيَدِ فَهُمُ الْمُتَعَاوِنُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ الِانْتِفَاعَ بِبَعْضٍ . وَمَنْ كَانَ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ لِبَعْضِ مَنَافِعِ الدُّنْيَا فَإِنَّمَا مَثَلُهُ فِيمَا يَبْذُلُ وَيُعْطِي كَمَثَلِ الصَّيَّادِ وَإِلْقَائِهِ الْحَبَّ لِلطَّيْرِ لَا يُرِيدُ بِذٰلِكَ نَفْعَ الطَّيْرِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ نَفْعَ نَفْسِهِ فَتَعَاطِي ذَاتِ النَّفْسِ أَفْضَلُ مِنْ تَعَاطِي ذَاتِ الْيَدِ . وَإِنِّي وَاثِقٌ مِنْكَ بِذَاتِ نَفْسِكَ وَمَنَحْتُكَ[٥] مِنْ نَفْسِي مِثْلَ ذٰلِكَ . وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكَ سُوءُ ظَنٍّ بِكَ . وَلٰكِنْ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ لَكَ أَصْحَابًا جَوْهَرُهُمْ كَجَوْهَرِكَ وَلَيْسَ رَأْيُهُمْ فِيَّ كَرَأْيِكَ * قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّ مِنْ عَلَامَةِ الصَّدِيقِ أَنْ يَكُونَ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا وَلِعَدُوِّ صَدِيقِهِ عَدُوًّا . وَلَيْسَ لِي بِصَاحِبٍ وَلَا صَدِيقٍ مَنْ لَا يَكُونُ لَكَ مُحِبًّا . وَإِنَّهُ يَهُونُ عَلَيَّ قَطِيعَةُ[٦] مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ مِنْ جَوْهَرِي . فَإِنَّ زَارِعَ الرَّيْحَانِ إِذَا رَأَى بَيْنَهُ عُشْبًا يُفْسِدُهُ قَلَعَهُ وَرَمَى بِهِ * ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ خَرَجَ إِلَى الْغُرَابِ فَتَصَافَحَا[٧] وَتَصَافَيَا[٨] وَأَنِسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِصَاحِبِهِ حَتَّى إِذَا مَضَتْ لَهُمَا أَيَّامٌ قَالَ الْغُرَابُ لِلْجُرَذِ إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَخَافُ أَنْ يَرْمِيَكَ بَعْضُ الصِّبْيَانِ بِحَجَرٍ . وَلِي مَكَانٌ فِي عُزْلَةٍ[٩] وَلِي فِيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلَاحِفِ وَهُوَ مُخْصِبٌ مِنَ السَّمَكِ وَنَحْنُ وَاجِدُونَ هُنَاكَ مَا نَأْكُلُ فَأُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إِلَى هُنَاكَ

---

(١) شك (٢) السريرة المضمرة (٣) ما ملكته اليد (٤) الاحباء الصادقون (٥) اعطيتك (٦) هجران (٧) اي اخذ كل منهما يد صاحبه والتي كفه كما يفعل عند السلام (٨) اخلص كل منهما المودة للآخر (٩) اي ناحية منفردة

لنعيشَ آمنينَ * قالَ ٱلجُرَذُ وإنِّي أيضاً كارِهٌ لِمكاني هذا ولي أخبارٌ وقصصٌ سأقصُّها عليكَ إذا انتهينا حيثُ تُريدُ فافعلْ ما تشاءُ. فأخذَ الغُرابُ بذنبِ الجُرَذِ وطارَ بهِ حتّى بلغَ حيثُ أرادَ. فلمّا دنا منَ العينِ التي فيها السُّلحفاةُ بصرتِ السُّلحفاةُ بغرابٍ ومعهُ جُرَذٌ فذُعِرتْ[1] منهُ ولمْ تعلمْ أنّهُ صاحبُها. فناداها فخرجتْ إليهِ وسألتْهُ منْ أينَ أقبلتَ فأخبرَها بقصّتِهِ حينَ تبعَ الحمامَ وما كانَ منْ أمرهِ وأمرِ الجُرَذِ حتّى انتهى إليها. فلمّا سمعتِ السُّلحفاةُ شأنَ الجُرَذِ عجبتْ منْ عقلِهِ ووفائِهِ ورحّبتْ[2] بهِ وقالتْ لهُ: ما ساقكَ إلى هذهِ الأرضِ. قالَ الغُرابُ للجُرَذِ اقصصْ عليَّ الأخبارَ التي قلتَ إنّكَ تُحدّثُني بها فأخبِرْني بها معَ جوابِ ما سألتِ السُّلحفاةُ فإنّها عندكَ بمنزلتي فبدأَ الجُرَذُ وقالَ:

كانَ منزلي أوّلَ أمري بمدينةِ ماروتَ في بيتِ رجلٍ ناسكٍ وكانَ خالياً منَ الأهلِ والعيالِ. وكانَ يُؤتى في كلِّ يومٍ بجُونةٍ[3] منَ الطعامِ فيأكلُ منها حاجتَهُ ويُعلّقُ الباقي. وكنتُ أرصُدُ[4] النّاسكَ حتّى يخرجَ وأثِبُ[5] إلى الجُونةِ فلا أدعُ فيها طعاماً إلّا أكلتُهُ ورميتُ منهُ إلى الجِرذانِ. فجَهِدَ[6] النّاسكُ مِراراً أنْ يُعلّقَ الجُونةَ في مكانٍ لا أنالُهُ فلمْ يقدرْ على ذلكَ * حتّى نزلَ بهِ ذاتَ ليلةٍ ضيفٌ فأكلا جميعاً ثمّ أخذا في الحديثِ فقالَ النّاسكُ للضيفِ منْ أيِّ أرضٍ أقبلتَ وأينَ تُريدُ الآنَ. وكانَ الرّجلُ قدْ جابَ[7] الآفاقَ[8] ورأى عجائبَ فأنشأَ[9] يُحدّثُ النّاسكَ عمّا وطئَ[10]

(١) فخافت (٢) اي قالت لهُ مرحباً بك (٣) سلة صغيرة مغشاة بجلد
(٤) ارقب (٥) اقفز (٦) تعب وتحمل المشقة (٧) قطع (٨) النواحي
(٩) ابتدأ (١٠) داس

مِنَ ٱلْبِلَادِ وَرَأَى مِنَ ٱلْعَجَائِبِ وَجَعَلَ ٱلنَّاسِكُ خِلَالَ[١] هٰذَا يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ لِيُنَفِّرَنِي[٢] عَنِ ٱلْجُونَةِ . فَغَضِبَ ٱلضَّيْفُ وَقَالَ أَنَا أُحَدِّثُكَ وَأَنْتَ تَهْزَأُ بِحَدِيثِي فَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ سَأَلْتَنِي . فَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسِكُ وَقَالَ : إِنَّمَا أُصَفِّقُ بِيَدِي لِأُنَفِّرَ جُرَذًا قَدْ تَحَيَّرْتُ فِي أَمْرِهِ وَلَسْتُ أَضَعُ فِي ٱلْبَيْتِ شَيْئًا إِلَّا أَكَلَهُ . فَقَالَ جُرَذٌ وَاحِدٌ يَفْعَلُ ذٰلِكَ أَمْ جِرْذَانٌ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ ٱلنَّاسِكُ : جِرْذَانُ ٱلْبَيْتِ كَثِيرَةٌ لٰكِنَّ فِيهَا جُرَذًا وَاحِدًا هُوَ ٱلَّذِي غَلَبَنِي فَمَا أَسْتَطِيعُ لَهُ حِيلَةً . قَالَ ٱلضَّيْفُ : لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي قَوْلَ ٱلَّذِي قَالَ : لِأَمْرٍ مَا بَاعَتْ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةُ سِمْسِمًا مَقْشُورًا بِغَيْرِ مَقْشُورٍ . قَالَ ٱلنَّاسِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلضَّيْفُ نَزَلْتُ مَرَّةً عَلَى رَجُلٍ بِمَكَانِ كَذَا فَتَعَشَّيْنَا ثُمَّ فَرَشَ لِي وَٱنْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي آخِرِ ٱللَّيْلِ لِٱمْرَأَتِهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ غَدًا رَهْطًا[٣] لِيَأْكُلُوا عِنْدَنَا فَٱصْنَعِي لَهُمْ طَعَامًا . فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ كَيْفَ تَدْعُو ٱلنَّاسَ إِلَى طَعَامِكَ وَلَيْسَ فِي بَيْتِكَ فَضْلٌ عَنْ عِيَالِكَ وَأَنْتَ رَجُلٌ لَا تُبْقِي شَيْئًا وَلَا تَدَّخِرُهُ[٤] . قَالَ ٱلرَّجُلُ لَا تَنْدَمِي عَلَى شَيْءٍ أَطْعَمْنَاهُ وَأَنْفَقْنَاهُ فَإِنَّ ٱلْجَمْعَ وَٱلِٱدِّخَارَ رُبَّمَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ كَعَاقِبَةِ ٱلذِّئْبِ . قَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلرَّجُلُ . زَعَمُوا أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ رَجُلٌ قَانِصٌ[٥] وَمَعَهُ قَوْسُهُ وَنُشَّابُهُ[٦] فَلَمْ يُجَاوِزْ غَيْرَ بَعِيدٍ حَتَّى رَمَى ظَبْيًا[٧] فَحَمَلَهُ وَرَجَعَ طَالِبًا مَنْزِلَهُ . فَٱعْتَرَضَهُ خِنْزِيرٌ بَرِّيٌّ فَرَمَاهُ بِنُشَّابَةٍ نَفَذَتْ فِيهِ فَأَدْرَكَهُ ٱلْخِنْزِيرُ

---

(١) اي في وسطهِ (٢) يشردني ويبعدني (٣) جماعة من ثلثة الى عشرة
(٤) تخبئهُ لوقت الحاجة اليه (٥) صياد (٦) سهامه (٧) غزالا

وَضَرَبَهُ بِأَنْيَابِهِ ضَرْبَةً أَطَارَتْ مِنْ يَدِهِ ٱلْقَوْسَ وَوَقَعَا مَيِّتَيْنِ . فَأَتَى عَلَيْهِم ذِئْبٌ فَقَالَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ وَٱلظَّبْيُ وَٱلْخِنْزِيرُ يَكْفِينِي أَكْلُهُمْ مُدَّةً . وَلٰكِنْ أَبْدَأُ بِهٰذَا ٱلْوَتَرِ [١] فَآكُلُهُ فَيَكُونُ قُوتَ يَوْمِي وَأَدَّخِرُ ٱلْبَاقِيَ إِلَى غَدٍ فَمَا وَرَاءَهُ فَعَالَجَ ٱلْوَتَرَ حَتَّى قَطَعَهُ . فَلَمَّا ٱنْقَطَعَ طَارَتْ سِيَةُ [٢] ٱلْقَوْسِ فَضَرَبَتْ حَلْقَهُ فَمَاتَ .

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكِ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمِي أَنَّ ٱلْجَمْعَ وَٱلِٱدِّخَارَ وَخِيمُ ٱلْعَاقِبَةِ فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ نِعِمَّا قُلْتَ وَعِنْدَنَا مِنَ ٱلْأَرُزِّ وَٱلسِّمْسِمِ مَا يَكْفِي سِتَّةَ نَفَرٍ [٣] أَوْ أَكْثَرَ فَأَنَا غَادِيَةٌ [٤] عَلَى صُنْعِ ٱلطَّعَامِ فَٱدْعُ مَنْ أَحْبَبْتَ . وَأَخَذَتِ ٱلْمَرْأَةُ حِينَ أَصْبَحَتْ سِمْسِماً وَقَشَرَتْهُ وَبَسَطَتْهُ فِي ٱلشَّمْسِ لِيَجِفَّ وَقَالَتْ لِغُلَامٍ لَهُمْ ٱطْرُدْ عَنْهُ ٱلطَّيْرَ وَٱلْكِلَابَ وَتَفَرَّغَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِصُنْعِهَا . وَتَغَافَلَ ٱلْغُلَامُ عَنِ ٱلسِّمْسِمِ فَجَاءَ كَلْبٌ فَعَاثَ [٥] فِيهِ فَٱسْتَقْذَرَتْهُ ٱلْمَرْأَةُ وَكَرِهَتْ أَنْ تَصْنَعَ مِنْهُ طَعَاماً . فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى ٱلسُّوقِ فَأَخَذَتْ بِهِ مُقَايَضَةً [٦] سِمْسِماً غَيْرَ مَقْشُورٍ مِثْلاً بِمِثْلٍ . وَأَنَا وَاقِفٌ فِي ٱلسُّوقِ . فَقَالَ رَجُلٌ لِأَمْرٍ مَا بَاعَتْ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةُ سِمْسِماً مَقْشُوراً بِغَيْرِ مَقْشُورٍ

وَكَذٰلِكَ قَوْلِي فِي هٰذَا ٱلْجُرَذِ ٱلَّذِي ذَكَرْتَ أَنَّهُ عَلَى غَيْرِ عِلَّةٍ مَا يَقْدِرُ عَلَى مَا شَكَوْتَ مِنْهُ . فَٱلْتَمِسْ لِي فَأْساً [٧] لَعَلِّي أَحْتَفِرُ جُحْرَهُ فَأَطَّلِعَ عَلَى بَعْضِ شَأْنِهِ . فَٱسْتَعَارَ ٱلنَّاسِكُ مِنْ بَعْضِ جِيرَانِهِ فَأْساً فَأَتَى بِهَا ٱلضَّيْفَ وَأَنَا حِينَئِذٍ فِي جُحْرٍ غَيْرِ جُحْرِي أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا وَفِي جُحْرِي كِيسٌ فِيهِ مِئَةُ

---

(١) شرعة القوس (٢) طرف (٣) اي انفار (٤) مبكرة (٥) اي بال
(٦) مبادلة (٧) آلة يحفر بها

دِينَارٍ لَا أَدْرِي مَنْ وَضَعَهَا فَاحْتَفَرَ الضَّيْفُ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الدَّنَانِيرِ فَأَخَذَهَا وَقَالَ لِلنَّاسِكِ: مَا كَانَ هٰذَا الْجُرَذُ يَقْوَى عَلَى الْوُثُوبِ[1] حَيْثُ كَانَ يَثِبُ إِلَّا بِهٰذِهِ الدَّنَانِيرِ فَإِنَّ الْمَالَ جُعِلَ قُوَّةً وَزِيَادَةً فِي الرَّأْيِ وَالتَّمَكُّنِ. وَسَتَرَى بَعْدَ هٰذَا أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُثُوبِ حَيْثُ كَانَ يَثِبُ * فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ اجْتَمَعَتِ الْجِرْذَانُ الَّتِي كَانَتْ مَعِي فَقَالَتْ قَدْ أَصَابَنَا الْجُوعُ[2] وَأَنْتَ رَجَاؤُنَا. فَانْطَلَقْتُ وَمَعِي الْجِرْذَانُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ أَثِبُ مِنْهُ إِلَى الْجُونَةِ فَحَاوَلْتُ ذٰلِكَ مِرَارًا فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ. فَاسْتَبَانَ لِلْجِرْذَانِ نَقْصُ حَالِي فَسَمِعْتُهُنَّ يَقُلْنَ انْصَرِفْنَ عَنْهُ وَلَا تَطْمَعْنَ فِيمَا عِنْدَهُ فَإِنَّا نَرَى لَهُ حَالًا لَا نَحْسَبُهُ إِلَّا قَدِ احْتَاجَ مَعَهَا إِلَى مَنْ يَعُولُهُ[3] فَتَرَكْنَنِي وَلَحِقْنَ بِأَعْدَائِي وَجَفَوْنَنِي[4] وَأَخَذْنَ فِي غِيبَتِي[5] عِنْدَ مَنْ يُعَادِينِي وَيَحْسُدُنِي. وَأَصْبَحْنَ كَأَنَّهُنَّ لَمْ يَعْرِفْنَنِي وَكَأَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَيْهِنَّ رَئِيسًا قَطُّ

فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا الْإِخْوَانُ وَلَا الْأَعْوَانُ وَلَا الْأَصْدِقَاءُ إِلَّا بِالْمَالِ. وَوَجَدْتُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ إِذَا أَرَادَ أَمْرًا قَعَدَ بِهِ الْعُدْمُ[6] عَمَّا يُرِيدُهُ. كَالْمَاءِ الَّذِي يَبْقَى فِي الْأَوْدِيَةِ مِنْ مَطَرِ الشِّتَاءِ لَا يَمُرُّ إِلَى نَهْرٍ وَلَا يَجْرِي إِلَى مَكَانٍ إِلَى أَنْ يَفْسُدَ وَيَنْشَفَ وَلَا يُنْتَفَعَ بِهِ * وَوَجَدْتُ مَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ لَا أَهْلَ لَهُ. وَمَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا ذِكْرَ لَهُ. وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا دُنْيَا وَلَا آخِرَةَ لَهُ. لِأَنَّ مَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ لَا يَجِدُ بُدًّا مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ. وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ذَهَبَ سُرُورُهُ. وَمَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ مَقَتَ نَفْسَهُ[7] وَمَنْ مَقَتَ نَفْسَهُ كَثُرَ

---

(١) القفز (٢) ادركنا وحل بنا (٣) يمونه ويكفيه معاشه (٤) اي هجرتني (٥) ذمي في غيابي (٦) الفقر (٧) ابغضها اشد البغض

حُزْنُهُ. وَمَنْ كَثُرَ حُزْنُهُ قَلَّ عَقْلُهُ وَٱرْتَبَكَ فِي أَمْرِهِ. وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ عَلَيْهِ (١) لَا لَهُ. وَمَنْ كَانَ كَذٰلِكَ فَأَحْرِ بِهِ (٢) أَنْ يَكُونَ أَنْكَدَ ٱلنَّاسِ حَظًّا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا ٱفْتَقَرَ قَطَعَهُ أَقَارِبُهُ (٣) وَإِخْوَانُهُ وَأَهْلُ وُدِّهِ وَمَقَتُوهُ وَرَفَضُوهُ وَأَهَانُوهُ وَٱضْطَرَّهُ ذٰلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَمِسَ مِنَ ٱلرِّزْقِ مَا يُغَرِّرُ فِيهِ بِنَفْسِهِ (٤) وَيُفْسِدُ فِيهِ آخِرَتَهُ فَيَخْسَرُ ٱلدَّارَيْنِ جَمِيعًا. وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلنَّابِتَةَ فِي ٱلسِّبَاخِ (٥) ٱلْمَأْكُولَةَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَحَالِ ٱلْفَقِيرِ ٱلْمُحْتَاجِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ.

وَوَجَدْتُ ٱلْفَقْرَ رَأْسَ كُلِّ بَلَاءٍ وَجَالِبًا إِلَى صَاحِبِهِ كُلَّ مَقْتٍ وَمَعْدِنَ ٱلنَّمِيمَةِ. وَوَجَدْتُ ٱلرَّجُلَ إِذَا ٱفْتَقَرَ ٱتَّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا وَأَسَاءَ بِهِ ٱلظَّنَّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا. فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ كَانَ هُوَ لِلتُّهَمَةِ مَوْضِعًا. وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ (٦) هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا وَهِيَ لِلْفَقِيرِ ذَمٌّ. فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا قِيلَ أَهْوَجُ (٧) وَإِنْ كَانَ جَوَادًا (٨) سُمِّيَ مُبَذِّرًا (٩) وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا (١٠) وَإِنْ كَانَ صَمُوتًا (١١) سُمِّيَ عَيِيًّا (١٢) وَإِنْ كَانَ لَسِنًا (١٣) سُمِّيَ مِهْذَارًا (١٤). فَٱلْمَوْتُ أَهْوَنُ مِنَ ٱلْحَاجَةِ (١٥) ٱلَّتِي تُحْوِجُ صَاحِبَهَا إِلَى ٱلْمَسْأَلَةِ (١٦) وَلَا سِيَّمَا مَسْأَلَةِ ٱلْأَشِحَّاءِ (١٧) وَٱللِّئَامِ. فَإِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَوْ كُلِّفَ أَنْ يُدْخِلَ يَدَهُ فِي فَمِ ٱلْأَفْعَى فَيُخْرِجَ مِنْهُ سُمًّا فَيَبْتَلِعَهُ

(١) اي عائدًا عليه (٢) ما احراه اي فالاولى بهِ ان يكون الى آخره (٣) اي هجروه وابعدوه عنهم (٤) يعرضها للهلكة (٥) الارض التي لم تحرث ولم تعمر (٦) خصلة (٧) احمق طائش (٨) كريمًا (٩) مفرقًا ماله على غير طاعة (١٠) فاتر الطبع (١١) كثير الصمت اي السكوت (١٢) اي عاجزًا غير قادر على النطق (١٣) فصيح اللسان (١٤) كثير الكلام في الخطإ والباطل (١٥) الفقر (١٦) الطلب على سبيل التكرم (١٧) البخلاء

كَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَيْهِ وَأَحبَّ إِلَيْهِ مِنْ مَسْأَلَةِ ٱلْبَخِيلِ ٱللَّئِيمِ ، حَتَّى لَقَدْ جَاءَ فِي قَدِيمِ ٱلْأَقَاوِيلِ أَنَّ مَنِ ٱبْتُلِيَ بِمَرَضٍ فِي جَسَدِهِ لَا يُفَارِقُهُ حَتَّى يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ مِنَ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْفَقْرِ

وَقَدْ كُنْتُ رَأَيْتُ ٱلضَّيْفَ حِينَ أَخَذَ ٱلدَّنَانِيرَ فَقَاسَمَهَا ٱلنَّاسِكَ جَعَلَ ٱلنَّاسِكُ نَصِيبَهُ فِي خَرِيطَةٍ[1] عِنْدَ رَأْسِهِ لَمَّا جَنَّ[2] ٱللَّيْلُ. فَطَمِعْتُ أَنْ أُصِيبَ مِنْهَا شَيْئاً فَأَرُدَّهُ إِلَى جُحْرِي وَرَجَوْتُ أَنْ يَزِيدَ ذٰلِكَ فِي قُوَّتِي أَوْ يُرَاجِعَنِي بِسَبَبِهِ بَعْضُ أَصْدِقَائِي * فَٱنْطَلَقْتُ إِلَى ٱلنَّاسِكِ وَهُوَ نَائِمٌ حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ فَوَجَدْتُ ٱلضَّيْفَ يَقْظَانَ[3] وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ فَضَرَبَنِي عَلَى رَأْسِي ضَرْبَةً مُوجِعَةً فَٱنْقَلَبْتُ رَاجِعاً إِلَى جُحْرِي. فَلَمَّا سَكَنَ عَنِّي ٱلْأَلَمُ هَيَّجَنِي ٱلْحِرْصُ وَٱلشَّرَهُ فَخَرَجْتُ طَمَعاً كَطَمَعِي ٱلْأَوَّلِ. وَإِذَا ٱلضَّيْفُ يَرْصُدُنِي فَضَرَبَنِي بِٱلْقَضِيبِ ضَرْبَةً أَسَالَتْ مِنِّي ٱلدَّمَ فَتَحَامَلْتُ عَلَى نَفْسِي[4] وَتَقَلَّبْتُ ظَهْراً لِبَطْنٍ إِلَى جُحْرِي فَخَرَرْتُ[5] مَغْشِيّاً عَلَيَّ. فَأَصَابَنِي مِنَ ٱلْوَجَعِ مَا بَغَّضَ إِلَيَّ ٱلْمَالَ حَتَّى لَا أَسْمَعُ بِذِكْرِهِ إِلَّا تَدَاخَلَنِي مِنْ ذِكْرِ ٱلْمَالِ رِعْدَةٌ[6] وَهَيْبَةٌ * ثُمَّ تَذَكَّرْتُ فَوَجَدْتُ ٱلْبَلَاءَ فِي ٱلدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهُ ٱلْحِرْصُ وَٱلشَّرَهُ لِأَنَّهُمَا لَا يَزَالَانِ يُدْخِلَانِ صَاحِبَهُمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَٱلْأَشْيَاءُ لَا تَنْفَدُ[7] وَلَا تَنْتَهِي وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ ٱلدُّنْيَا فِي بَلِيَّةٍ وَتَعَبٍ وَنَصَبٍ[8]. وَوَجَدْتُ رُكُوبَ ٱلْأَهْوَالِ وَتَجَشُّمَ[9] ٱلْأَسْفَارِ ٱلْبَعِيدَةِ فِي طَلَبِ ٱلدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ بَسْطِ ٱلْيَدِ إِلَى ٱلسَّخِيِّ[10] بِٱلْمَالِ فَكَيْفَ بِٱلشَّحِيحِ[11] بِهِ وَلَمْ أَرَ كَٱلرِّضَى شَيْئاً. وَوَجَدْتُ

---

(١) وعاء من جلد او غيره (٢) اظلم (٣) اي غير نائم (٤) جرت عليها وكلفتها ما لا تطيق (٥) اي سقطت (٦) اضطراب (٧) لا تفنى (٨) اي كدّ وجدّ (٩) تكلف (١٠) الكريم (١١) البخيل الحريص

ٱلْعُلَمَاءَ قَدْ قَالُوا: لَا عَقْلَ كَٱلتَّدْبِيرِ وَلَا وَرَعَ كَكَفِّ ٱلْأَذَى [١] وَلَا حَسَبَ [٢] كَحُسْنِ ٱلْخُلُقِ وَلَا غِنَى كَٱلرِّضَى. وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى ٱلشَّيْءِ نَفْسُهُ. وَأَفْضَلُ ٱلْبِرِّ ٱلرَّحْمَةُ. وَرَأْسُ ٱلْمَوَدَّةِ ٱلِٱسْتِرْسَالُ [٣] وَرَأْسُ ٱلْعَقْلِ مَعْرِفَةُ مَا يَكُونُ مِمَّا لَا يَكُونُ. وَقَالُوا ٱلْخَرَسُ خَيْرٌ مِنَ ٱللِّسَانِ ٱلْكَذُوبِ. وَٱلضُّرُّ [٤] وَٱلْفَقْرُ خَيْرٌ مِنَ ٱلنَّعْمَةِ [٥] وَٱلسَّعَةِ مِنْ أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ * فَصَارَ أَمْرِي إِلَى أَنْ رَضِيتُ وَقَنِعْتُ وَٱنْتَقَلْتُ مِنْ بَيْتِ ٱلنَّاسِكِ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ لِي صَدِيقٌ مِنَ ٱلْحَمَامِ فَسِيقَتْ [٦] إِلَيَّ بِصَدَاقَتِهِ صَدَاقَةُ ٱلْغُرَابِ. وَٱلْتَفَتَ إِلَى ٱلسُّلَحْفَاةِ فَقَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ لِي ٱلْغُرَابُ مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَهُ مِنَ ٱلْمَوَدَّةِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُرِيدُ إِتْيَانَكِ [٧] فَأَحْبَبْتُ أَنْ آتِيَكِ مَعَهُ. وَكَرِهْتُ ٱلْوَحْدَةَ [٨] فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ مِنْ سُرُورِ ٱلدُّنْيَا يَعْدِلُ صُحْبَةَ ٱلْإِخْوَانِ وَلَا غَمَّ فِيهَا يَعْدِلُ ٱلْبُعْدَ عَنْهُمْ. وَجَرَّبْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُلْتَمِسِ [٩] مِنَ ٱلدُّنْيَا غَيْرُ ٱلْكَفَافِ [١٠] ٱلَّذِي يَدْفَعُ بِهِ ٱلْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ يَسِيرٌ [١١] مِنَ ٱلْمَطْعَمِ وَٱلْمَشْرَبِ إِذَا أُعِينَ بِصِحَّةٍ وَسَعَةٍ. وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا وُهِبَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا بِمَا فِيهَا لَمْ يَكُنْ يَنْتَفِعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِٱلْقَلِيلِ ٱلَّذِي يَدْفَعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ٱلْحَاجَةَ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَلَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا مَا لِغَيْرِهِ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَيْهِ حَسْبُ [١٢]

فَلَمَّا فَرَغَ ٱلْجُرَذُ مِنْ كَلَامِهِ أَجَابَتْهُ ٱلسُّلَحْفَاةُ بِكَلَامٍ رَقِيقٍ [١٣] وَقَالَتْ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَكَ وَمَا أَحْسَنَ مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ. إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُكَ تَذْكُرُ بَقَايَا أُمُورٍ هِيَ فِي نَفْسِكَ مِنْ حَيْثُ قِلَّةُ مَالِكَ وَسُوءُ حَالِكَ وَٱغْتِرَابُكَ عَنْ

---

(١) التعدي (٢) كرم (٣) حسن الثقة بالصديق والاستئناس به (٤) سوء الحال والشدة (٥) التلذذ (٦) تسبّبت (٧) المجيء اليك (٨) الانفراد (٩) الطالب (١٠) مقدار الحاجة فقط (١١) قليل (١٢) فقط (١٣) عذب لطيف

مَوْطِنِكَ[١] فَاطْرَحْ ذٰلِكَ عَنْ قَلْبِكَ وَٱعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ ٱلْكَلَامِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِحُسْنِ ٱلْعَمَلِ . وَأَنَّ ٱلْمَرِيضَ ٱلَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَاءَ مَرَضِهِ إِنْ لَمْ يَتَدَاوَ بِهِ لَمْ يُغْنِ عِلْمُهُ بِهِ شَيْئاً وَلَمْ يَجِدْ لِدَائِهِ رَاحَةً وَلَا خِفَّةً . فَٱسْتَعْمِلْ رَأْيَكَ وَلَا تَحْزَنْ لِقِلَّةِ ٱلْمَالِ فَإِنَّ ٱلرَّجُلَ ذَا ٱلْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ كَٱلْأَسَدِ ٱلَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ رَابِضاً[٢] . وَٱلْغَنِيُّ ٱلَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ ٱلْمَالِ كَٱلْكَلْبِ لَا يُحْفَلُ[٣] بِهِ وَإِنْ طُوِّقَ وَخُلْخِلَ بِٱلذَّهَبِ . فَلَا تَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ غُرْبَتُكَ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا غُرْبَةَ لَهُ كَٱلْأَسَدِ ٱلَّذِي لَا يَنْقَلِبُ[٤] إِلَّا مَعَهُ قُوَّتُهُ * فَلْتُحْسِنْ تَعَهُّدَكَ[٥] لِنَفْسِكَ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ جَاءَكَ ٱلْخَيْرُ يَطْلُبُكَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ كَمَا يَطْلُبُ ٱلْمَاءُ ٱنْحِدَارَهُ[٦] وَإِنَّمَا جُعِلَ ٱلْفَضْلُ لِلْحَازِمِ ٱلْبَصِيرِ[٧] . وَأَمَّا ٱلْكَسْلَانُ ٱلْمُتَرَدِّدُ فَإِنَّ ٱلْفَضْلَ لَا يَصْحَبُهُ * وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءٌ . ظِلُّ ٱلْغَمَامَةِ[٨] فِي ٱلصَّيْفِ وَخُلَّةُ[٩] ٱلْأَشْرَارِ وَعِشْقُ ٱلنِّسَاءِ وَٱلنَّبَأُ[١٠] ٱلْكَاذِبُ وَٱلْمَالُ ٱلْكَثِيرُ * فَٱلْعَاقِلُ لَا يَحْزَنُ لِقِلَّتِهِ وَلٰكِنَّ مَالَهُ عَقْلُهُ وَمَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ . فَهُوَ وَاثِقٌ أَنَّهُ لَا يُسْلَبُ مَا عَمِلَ وَلَا يُؤَاخَذُ[١١] بِشَيْءٍ لَمْ يَعْمَلْهُ . وَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِ آخِرَتِهِ فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ لَا يَأْتِي إِلَّا بَغْتَةً وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ أَجَلٌ[١٢] مَعْلُومٌ وَأَنْتَ عَنْ مَوْعِظَتِي غَنِيٌّ بِمَا عِنْدَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ . وَلٰكِنْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْضِيَ مِنْ حَقِّكَ فَأَنْتَ أَخُونَا وَمَا قِبَلَنَا[١٣] مَبْذُولٌ لَكَ

---

(١) محل سكنك (٢) باركاً (٣) اي لا يكترث (٤) اي لا يرجع
(٥) تفقدك (٦) انحطاطه من علو الى اسفل (٧) العاقل الفطن (٨) السحابة
(٩) مصادقة واخاء (١٠) الخبر (١١) اي لا يلام ولا يعاتب (١٢) ميعاد
(١٣) اي وما عندنا

فَلَمَّا سَمِعَ الْغُرَابُ كَلَامَ السُّلَحْفَاةِ لِلْجُرَذِ وَمَرْدُودَهَا عَلَيْهِ وَإِلْطَافَهَا (١) إِيَّاهُ فَرِحَ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَقَدْ سَرَرْتِنِي وَأَنْعَمْتِ عَلَيَّ وَأَنْتِ جَدِيرَةٌ أَنْ تُسَرِّي نَفْسَكِ بِمِثْلِ مَا سَرَرْتِنِي. وَإِنَّ أَوْلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِشِدَّةِ السُّرُورِ مَنْ لَا يَزَالُ رَبْعُهُ (٢) مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَعْمُورًا. وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَسُرُّهُمْ وَيَسُرُّونَهُ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ أُمُورِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ بِالْمِرْصَادِ (٣) فَإِنَّ حُسْنَ الثَّنَاءِ لَا يَزَالُ صَاحِبُهُ فِي عَاقِبَتِهِ حَيْثُمَا تَوَجَّهَ. فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا عَثَرَ لَا يُقِيلُ عَثْرَتَهُ (٤) وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ إِلَّا الْكِرَامُ كَالْفِيلِ إِذَا وَحِلَ (٥) لَا تُخْرِجُهُ إِلَّا الْفِيَلَةُ. فَبَيْنَا الْغُرَابُ فِي كَلَامِهِ وَالثَّلَاثَةُ مُسْتَأْنِسُونَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ إِذْ أَقْبَلَ نَحْوَهُمْ ظَبْيٌ يَسْعَى مَذْعُورًا (٦) فَذُعِرَتْ مِنْهُ السُّلَحْفَاةُ فَغَاصَتْ فِي الْمَاءِ. وَدَخَلَ الْجُرَذُ بَعْضَ الْأَجْحَارِ وَطَارَ الْغُرَابُ فَوَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ وَانْتَهَى الظَّبْيُ إِلَى الْمَاءِ فَشَرِبَ مِنْهُ يَسِيرًا ثُمَّ وَقَفَ خَائِفًا يَلْتَفِتُ يَمِينًا وَشِمَالًا ثُمَّ إِنَّ الْغُرَابَ حَلَّقَ (٧) فِي السَّمَاءِ لِيَنْظُرَ هَلْ لِلظَّبْيِ طَالِبٌ. فَنَظَرَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَنَادَى الْجُرَذَ وَالسُّلَحْفَاةَ فَخَرَجَا. فَقَالَتِ السُّلَحْفَاةُ لِلظَّبْيِ حِينَ رَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ وَلَا يَقْرَبُهُ اشْرَبْ إِنْ كَانَ بِكَ عَطَشٌ وَلَا تَخَفْ فَإِنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْكَ فَدَنَا الظَّبْيُ فَرَحَّبَتْ بِهِ السُّلَحْفَاةُ وَحَيَّتْهُ وَقَالَتْ لَهُ. مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ. قَالَ: كُنْتُ بِهَذِهِ الصَّحَارَى (٨) رَاتِعًا (٩). فَلَمْ تَزَلِ الْأَسَاوِرَةُ (١٠) تَطْرُدُنِي مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى رَأَيْتُ الْيَوْمَ شَبَحًا (١١) فَخِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَانِصًا.

---

(١) اكرامها وبرها (٢) منزله (٣) اي ان يكون مراقباً لهم (٤) اي لا يرفعه من سقوطه (٥) وقع في الوحل (٦) خائفاً (٧) ارتفع في طيرانه واستدار كالحلقة (٨) جمع صحراء وهي الفضاء الواسع لا نبات فيه (٩) آكلاً وشارباً ما شاء في خصب وسعة (١٠) جمع اسوار وهو الجيد الرمي بالسهام (١١) شخصاً

قَالَتْ لَا تَخَفْ فَإِنَّا لَمْ نَرَ هٰهُنَا قَانِصاً قَطُّ وَنَحْنُ فِي هٰذَا ٱلْمَكَانِ مُجْتَمِعُونَ نَتَحَدَّثُ وَنَتَآنَسُ وَنَحنُ نَبْذُلُ لَكَ وُدَّنَا وَمَكَانَنَا وَٱلْمَاءُ وَٱلْمَرْعَى كَثِيرٌ عِنْدَنَا فَٱرْغَبْ فِي صُحْبَتِنَا. فَأَقَامَ ٱلظَّبْيُ مَعَهُمْ وَكَانَ لَهُمْ عَرِيشٌ[١] يَجْتَمِعُونَ فِيهِ وَيَتَسَاقَطُونَ[٢] ٱلْأَحَادِيثَ وَٱلْأَخْبَارَ. فَبَيْنَا ٱلْغُرَابُ وَٱلْجُرَذُ وَٱلسُّلَحْفَاةُ ذَاتَ يَوْمٍ فِي ٱلْعَرِيشِ إِذْ غَابَ ٱلظَّبْيُ فَتَوَقَّعُوهُ[٣] سَاعَةً فَلَمْ يَأْتِ. فَلَمَّا أَبْطَأَ[٤] أَشْفَقُوا[٥] أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ عَنَتٌ[٦]. فَقَالَ ٱلْجُرَذُ وَٱلسُّلَحْفَاةُ لِلْغُرَابِ ٱنْظُرْ هَلْ تَرَى مِمَّا يَلِينَا[٧] شَيْئاً. فَحَلَّقَ ٱلْغُرَابُ فِي ٱلسَّمَاءِ فَنَظَرَ فَإِذَا ٱلظَّبْيُ فِي ٱلْحَبَائِلِ[٨] مُقْتَنَصاً[٩] فَٱنْقَضَّ[١٠] مُسْرِعاً فَأَخْبَرَهُمَا بِذٰلِكَ. فَقَالَتِ ٱلسُّلَحْفَاةُ وَٱلْغُرَابُ لِلْجُرَذِ هٰذَا أَمْرٌ لَا يُرْجَى فِيهِ غَيْرُكَ فَأَغِثْ[١١] أَخَاكَ. فَسَعَى ٱلْجُرَذُ مُسْرِعاً فَأَتَى ٱلظَّبْيَ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي هٰذِهِ ٱلْوَرْطَةِ[١٢] وَأَنْتَ مِنَ ٱلْأَكْيَاسِ[١٣]. قَالَ ٱلظَّبْيُ: مَا يُغْنِي[١٤] حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ[١٥] وَلَا يُجْدِي[١٦] ٱلْكَيْسُ مَعَ ٱلْمَقَادِيرِ شَيْئاً

فَبَيْنَا هُمَا فِي ٱلْحَدِيثِ إِذْ وَافَتْهُمَا ٱلسُّلَحْفَاةُ فَقَالَ لَهَا ٱلظَّبْيُ: مَا أَصَبْتِ بِمَجِيئِكِ إِلَيْنَا فَإِنَّ ٱلْقَانِصَ[١٧] لَوِ ٱنْتَهَى إِلَيْنَا وَقَدْ قَطَعَ ٱلْجُرَذُ ٱلْحَبَائِلَ سَبَقْتُهُ عَدْواً[١٨] وَلِلْجُرَذِ أَجْحَارٌ كَثِيرَةٌ وَٱلْغُرَابُ يَطِيرُ وَأَنْتِ ثَقِيلَةٌ لَا سَعْيَ لَكِ وَلَا حَرَكَةَ وَأَخَافُ عَلَيْكِ ٱلْقَانِصَ. قَالَتْ لَا عَيْشَ بَعْدَ فِرَاقِ ٱلْأَحِبَّةِ.

---

(١) مكان يستظل بهِ (٢) يتبادلون ويتناوبون (٣) اي انتظروا مجيئه
(٤) تأخر (٥) خافوا (٦) وقوع في امر شاق (٧) اي في ما حولنا
(٨) المصايد (٩) مصطاداً (١٠) وقع بسرعة (١١) اي فأعن (١٢) الشدة
(١٣) جمع كيِّس وهو الظريف الفطن (١٤) اي ما يمنع (١٥) اي من قضاء الله
(١٦) ينفع (١٧) الصياد (١٨) ركضاً

وَإِذَا فَارَقَ ٱلْأَلِيفُ أَلِيفَهُ فَقَدْ سُلِبَ فُؤَادُهُ وَحُرِمَ سُرُورَهُ وَغُشِيَ عَلَى بَصَرِهِ . فَلَمْ يَنْتَهِ كَلَامُهَا حَتَّى وَافَى (١) ٱلْقَانِصُ وَوَافَقَ ذٰلِكَ فَرَاغَ ٱلْجُرَذِ مِنْ قَطْعِ ٱلشَّرَكِ . فَنَجَا ٱلظَّبْيُ بِنَفْسِهِ وَطَارَ ٱلْغُرَابُ مُحَلِّقًا وَدَخَلَ ٱلْجُرَذُ بَعْضَ ٱلْأَجْحَارِ وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ ٱلسُّلَحْفَاةِ وَدَنَا ٱلصَّيَّادُ فَوَجَدَ حِبَالَتَهُ مُقَطَّعَةً . فَنَظَرَ يَمِينًا وَشِمَالًا فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ ٱلسُّلَحْفَاةِ تَدِبُّ فَأَخَذَهَا وَرَبَطَهَا . فَلَمْ يَلْبَثِ (٢) ٱلْغُرَابُ وَٱلْجُرَذُ وَٱلظَّبْيُ أَنِ ٱجْتَمَعُوا فَنَظَرُوا ٱلْقَانِصَ قَدْ رَبَطَ ٱلسُّلَحْفَاةَ فَٱشْتَدَّ حُزْنُهُمْ وَقَالَ ٱلْجُرَذُ : مَا أَرَانَا (٣) نُجَاوِزُ عَقَبَةً (٤) مِنَ ٱلْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا إِلَى أَشَدَّ مِنْهَا . وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي قَالَ لَا يَزَالُ ٱلْإِنْسَانُ مُسْتَمِرًّا فِي إِقْبَالِهِ مَا لَمْ يَعْثُرْ (٥) فَإِذَا عَثَرَ لَجَّ (٦) بِهِ ٱلْعِثَارُ وَإِنْ مَشَى فِي جَدَدِ (٧) ٱلْأَرْضِ . وَحَذَرِي عَلَى ٱلسُّلَحْفَاةِ خَيْرِ ٱلْأَصْدِقَاءِ ٱلَّتِي خُلَّتُهَا (٨) لَيْسَتْ لِلْمُجَازَاةِ وَلَا لِٱلْتِمَاسِ مُكَافَأَةٍ وَلٰكِنَّهَا خُلَّةُ ٱلْكَرَمِ وَٱلشَّرَفِ . خُلَّةٌ هِيَ أَفْضَلُ مِنْ خُلَّةِ ٱلْوَالِدِ لِوَلَدِهِ . خُلَّةٌ لَا يُزِيلُهَا إِلَّا ٱلْمَوْتُ . وَيْحٌ (٩) لِهٰذَا ٱلْجَسَدِ ٱلْمُوَكَّلِ بِهِ ٱلْبَلَاءُ ٱلَّذِي لَا يَزَالُ فِي تَصَرُّفٍ وَتَقَلُّبٍ وَلَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ وَلَا يَلْبَثُ مَعَهُ أَمْرٌ كَمَا لَا يَدُومُ لِلطَّالِعِ مِنَ ٱلنُّجُومِ طُلُوعٌ وَلَا لِلْآفِلِ (١٠) مِنْهَا أُفُولٌ لٰكِنْ لَا يَزَالُ ٱلطَّالِعُ مِنْهَا آفِلًا وَٱلْآفِلُ طَالِعًا . وَكَمَا تَكُونُ آلَامُ ٱلْكُلُومِ (١١) وَٱنْتِقَاضُ ٱلْجِرَاحَاتِ (١٢) كَذٰلِكَ حَالِي أَنَا ٱلَّذِي ذَكَّرَنِي هٰذَا ٱلْبَلَاءُ سَابِقَ أَحْوَالِي كَٱلْجُرْحِ ٱلْمُنْدَمِلِ (١٣)

---

(١) أتى (٢) اي فلم يبطئ (٣) اي ما أرى انفسنا (٤) العقبة المرقى الصعب في الجبال والمراد بها هنا الشدة والمعنى اننا لم نتخلص من شدة الا وقعنا في اشد منها (٥) اي ما لم يزل ويسقط (٦) تمادى (٧) الارض الغليظة المستوية وعليها قولهم في المثل من سلك الجدد أمن العثار (٨) مصادقتها واخاؤها (٩) بمعنى ويل (١٠) الغارب اي البعيد المتواري عن العين (١١) الجراح (١٢) انتكاسها وفسادها بعد برئها (١٣) الذي برئ

تُصيبهُ ٱلضَّرْبَةُ فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ أَلَمَانِ أَلَمُ ٱلضَّرْبَةِ وَأَلَمُ ٱلْجُرْحِ . وَأَخْلِقْ بِمَنْ(١) فَقَدَ إِخْوَانَهُ بَعْدَ ٱجْتِمَاعِهِ بِهِمْ أَنْ لَا يَزَالَ مُنْقَصِمَ(٢) ٱلظَّهْرِ حَزِينَ ٱلنَّفْسِ .

فَقَالَ ٱلظَّبْيُ وَٱلْغُرَابُ لِلْجُرَذِ إِنَّ حَذَرَنَا وَحَذَرَكَ وَكَلَامَكَ وَإِنْ كَانَ بَلِيغاً لَا يُغْنِي عَنِ ٱلسُّلَحْفَاةِ شَيْئاً . وَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ إِنَّمَا ٱلنَّاسُ عِنْدَ ٱلْبَلَاءِ وَذُو ٱلْأَمَانَةِ عِنْدَ ٱلْأَخْذِ وَٱلْعَطَاءِ وَٱلْأَهْلُ وَٱلْوَلَدُ عِنْدَ ٱلْفَاقَةِ وَٱلْإِخْوَانُ عِنْدَ ٱلنَّوَائِبِ(٣) . قَالَ ٱلْجُرَذُ : أَرَى مِنَ ٱلْحِيلَةِ أَنْ تَذْهَبَ أَيُّهَا ٱلظَّبْيُ فَتَقَعَ بِمَنْظَرٍ مِنَ ٱلْقَانِصِ(٤) كَأَنَّكَ جَرِيحٌ وَيَقَعَ ٱلْغُرَابُ عَلَيْكَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْكَ . وَأَسْعَى أَنَا فَأَكُونُ قَرِيباً مِنَ ٱلْقَانِصِ مُرَاقِباً لَهُ لَعَلَّهُ يَرْمِي مَا مَعَهُ مِنَ ٱلْآلَةِ وَيَدَعُ ٱلسُّلَحْفَاةَ وَيَقْصِدُكَ طَامِعاً فِيكَ رَاجِياً تَحْصِيلَكَ . فَإِذَا دَنَا مِنْكَ فَفِرَّ عَنْهُ رُوَيْداً بِحَيْثُ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُ فِيكَ وَأَمْكِنْهُ مِنْ أَخْذِكَ(٥) مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ حَتَّى يُبْعِدَ عَنَّا . وَٱنْحُ مِنْهُ هٰذَا ٱلنَّحْوَ(٦) مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنِّي أَرْجُو أَلَّا يَنْصَرِفَ إِلَّا وَقَدْ قَطَعْتُ ٱلْحَبَائِلَ عَنِ ٱلسُّلَحْفَاةِ وَأَنْجُو بِهَا . فَفَعَلَ ٱلظَّبْيُ وَٱلْغُرَابُ مَا أَمَرَهُمَا بِهِ ٱلْجُرَذُ وَتَبِعَهُمَا ٱلْقَانِصُ . فَٱسْتَطْرَدَ لَهُ(٧) ٱلظَّبْيُ حَتَّى أَبْعَدَهُ عَنِ ٱلْجُرَذِ وَٱلسُّلَحْفَاةِ وَٱلْجُرَذُ مُقْبِلٌ عَلَى قَطْعِ ٱلْحَبَائِلِ حَتَّى قَطَعَهَا وَنَجَا بِٱلسُّلَحْفَاةِ . وَعَادَ ٱلْقَانِصُ مَجْهُوداً لَاغِباً(٨) فَوَجَدَ حَبَائِلَهُ مُتَقَطِّعَةً . فَفَكَّرَ فِي أَمْرِهِ مَعَ ٱلظَّبْيِ فَظَنَّ أَنَّهُ خُولِطَ(٩) فِي عَقْلِهِ وَفَكَّرَ فِي ٱلظَّبْيِ وَٱلْغُرَابِ ٱلَّذِي كَانَ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ مِنْهُ(١٠) وَتَقْرِيضِ حَبَائِلِهِ فَٱسْتَوْحَشَ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَقَالَ هٰذِهِ أَرْضُ جِنٍّ أَوْ سَحَرَةٍ . فَرَجَعَ مُوَلِّياً لَا يَلْتَمِسُ شَيْئاً وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ . وَٱجْتَمَعَ ٱلْغُرَابُ وَٱلظَّبْيُ

---

(١) اي ما اخلقهُ بمعنى ما احقَّهُ (٢) منكسر (٣) المصائب (٤) اي بحيث ينظرك (٥) اي سهلهُ عليه (٦) اي وافعل معه هكذا (٧) اظهر له الانهزام مكيدة (٨) تعباً جداً (٩) اضطرب واختل (١٠) اي من الظبي

وَٱلْجُرَذُ وَٱلسُّلَحْفَاةُ إِلَى عَرِيشِهِمْ سَالِمِينَ آمِنِينَ كَأَحْسَنِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ

فَإِذَا كَانَ هٰذَا ٱلْخَلْقُ مَعَ صِغَرِهِ وَضَعْفِهِ قَدْ قَدَرَ عَلَى ٱلتَّخَلُّصِ مِنْ مَرَابِطِ ٱلْهَلَكَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِمَوَدَّتِهِ وَخُلُوصِهَا وَثَبَاتِ قَلْبِهِ عَلَيْهَا وَٱسْتِمْتَاعِ(١) بَعْضِهِ بِبَعْضٍ . فَٱلْإِنْسَانُ ٱلَّذِي قَدْ أُعْطِيَ ٱلْعَقْلَ وَٱلْفَهْمَ وَأُلْهِمَ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ وَمُنِحَ ٱلتَّمْيِيزَ وَٱلْمَعْرِفَةَ أَوْلَى وَأَحْرَى بِٱلتَّوَاصُلِ وَٱلتَّعَاضُدِ(٢)

فَهٰذَا مَثَلُ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ وَٱئْتِلَافِهِمْ فِي ٱلصُّحْبَةِ

# باب

## ٱلْبُومِ وَٱلْغِرْبَانِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَ إِخْوَانِ ٱلصَّفَاءِ(٣) وَتَعَاوُنِهِمْ . فَٱضْرِبْ(٤) لِي مَثَلَ ٱلْعَدُوِّ ٱلَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِ وَإِنْ أَظْهَرَ تَضَرُّعًا وَمَلَقًا(٥) . وَأَخْبِرْنِي عَنِ ٱلْعَدُوِّ هَلْ يَصِيرُ صَدِيقًا وَهَلْ يُوثَقُ مِنْ أَمْرِهِ بِشَيْءٍ ، وَكَيْفَ ٱلْعَدَاوَةُ وَمَا ضَرَرُهَا وَكَيْفَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَصْنَعَ إِذَا طَلَبَ عَدُوُّهُ مُصَالَحَتَهُ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : مَنِ ٱغْتَرَّ بِٱلْعَدُوِّ ٱلَّذِي لَا يَزَالُ عَدُوًّا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْبُومَ مِنَ ٱلْغِرْبَانِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي جَبَلٍ مِنَ ٱلْجِبَالِ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ ٱلدَّوْحِ(٦)

---

(١) انتفاع (٢) التعاون (٣) الاخلاص والمودّة (٤) قل او صف
(٥) تودّدًا (٦) جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة

فِيهَا وَكْرُ أَلْفِ غُرَابٍ وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ . وَكَانَ عِنْدَ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ كَهْفٌ(١) فِيهِ أَلْفُ بُومَةٍ وَعَلَيْهِنَّ وَالٍ مِنْهُنَّ . فَخَرَجَ مَلِكُ ٱلْبُومِ لِبَعْضِ غَدَوَاتِهِ(٢) وَرَوْحَاتِـهِ(٣) وَفِي نَفْسِهِ ٱلْعَدَاوَةُ لِمَلِكِ ٱلْغِرْبَانِ وَفِي نَفْسِ ٱلْغِرْبَانِ وَمَلِكِهَا مِثْلُ ذٰلِكَ لِلْبُومِ . فَأَغَارَ(٤) مَلِكُ ٱلْبُومِ فِي أَصْحَابِهِ عَلَى ٱلْغِرْبَانِ فِي أَوْكَارِهَا فَقَتَلَ وَسَبَى مِنْهَا خَلْقًا كَثِيرًا وَكَانَتِ ٱلْغَارَةُ لَيْلًا . فَلَمَّا أَصْبَحَتِ ٱلْغِرْبَانُ ٱجْتَمَعَتْ إِلَى مَلِكِهَا فَقُلْنَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَا لَقِينَا ٱللَّيْلَةَ مِنْ مَلِكِ ٱلْبُومِ وَمَا مِنَّا إِلَّا مَنْ أَصْبَحَ قَتِيلًا أَوْ جَرِيحًا أَوْ مَكْسُورَ ٱلْجَنَاحِ أَوْ مَنْتُوفَ ٱلرِّيشِ أَوْ مَهْلُوبَ(٥) ٱلذَّنَبِ . وَأَشَدُّ مَا أَصَابَنَـا ضَرًّا جَرَاءَتُهُنَّ عَلَيْنَا وَعِلْمُهُنَّ بِمَكَانِنَـا وَهُنَّ عَائِدَاتٌ(٦) إِلَيْنَا غَيْرُ مُنْقَطِعَاتٍ عَنَّا لِعِلْمِهِنَّ بِمَكَانِنَا فَإِنَّمَا نَحْنُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فَٱنْظُرْ لَنَا وَلِنَفْسِكَ * وَكَانَ فِي ٱلْغِرْبَانِ خَمْسَةٌ مُعْتَرَفٌ لَهُنَّ بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ يُسْنَدُ إِلَيْهِنَّ(٧) فِي ٱلْأُمُورِ وَتُلْقَى إِلَيْهِنَّ مَقَالِيـدُ(٨) ٱلْأَحْوَالِ . وَكَانَ ٱلْمَلِكُ كَثِيرًا مَا يُشَاوِرُهُنَّ فِي ٱلْأُمُورِ وَيَأْخُذُ آرَاءَهُنَّ فِي ٱلْحَوَادِثِ وَٱلنَّوَازِلِ(٩) . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِلْأَوَّلِ مِنَ ٱلْخَمْسَةِ : مَـا رَأْيُكَ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ . قَالَ رَأْيٌ قَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهِ ٱلْعُلَمَاءُ وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ لِلْعَدُوِّ ٱلْحَنِقِ(١٠) ٱلَّذِي لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ إِلَّا ٱلْهَرَبُ مِنْهُ . قَالَ ٱلْمَلِكُ لِلثَّانِي : مَا رَأْيُكَ أَنْتَ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ . قَالَ مَا رَأَى هٰذَا مِنَ ٱلْهَرَبِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ : لَا أَرَى لَكُمَا ذٰلِكَ رَأْيًا أَنْ نَرْحَلَ عَنْ أَوْطَانِنَا وَنُخْلِيَهَا لِعَدُوِّنَا مِنْ أَوَّلِ نَكْبَةٍ(١١) أَصَابَتْنَا مِنْهُ وَلَا يَنْبَغِي لَنَا ذٰلِكَ فَنَكُونُ بِهِ لَهُمْ عَوْنًا عَلَيْنَا . وَلٰكِنْ نَجْمَعُ

---

(١) بيت منقور في الجبل الا انه واسع (٢) سفراته صباحاً (٣) سفراته مساء (٤) هجم (٥) منتوف الهلب وهو شعر الذنب (٦) مرتدات (٧) اي يعتمد عليهن (٨) مفاتيح (٩) الشدائد (١٠) الشديد الغيظ (١١) مصيبة

أَمْرَنَا وَنَسْتَعِدُّ لِعَدُوِّنَا وَنُذْكِي [١] نَارَ ٱلْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا وَنَحْتَرِسُ مِنَ ٱلْغِرَّةِ [٢] إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْنَا فَنَلْقَاهُ مُسْتَعِدِّينَ وَنُقَاتِلُهُ قِتَالًا غَيْرَ مُرَاجِعِينَ فِيهِ وَلَا حَامِينَ [٣] مِنْهُ . وَتَلْقَى أَطْرَافُنَا أَطْرَافَ ٱلْعَدُوِّ وَنَتَحَرَّزُ [٤] بِحُصُونِنَا وَنُدَافِعُ عَدُوَّنَا بِٱلْأَنَاةِ [٥] مَرَّةً وَبِٱلْجِلَادِ [٦] أُخْرَى حَيْثُ نُصِيبُ فُرْصَتَنَا وَبُغْيَتَنَا وَقَدْ ثَنَيْنَا [٧] عَدُوَّنَا عَنَّا

ثُمَّ قَالَ ٱلْمَلِكُ لِلثَّالِثِ مَا رَأْيُكَ أَنْتَ . قَالَ لَا أَرَى مَا قَالَا رَأْيًا وَلٰكِنْ نَبُثُّ [٨] ٱلْعُيُونَ [٩] وَنَبْعَثُ ٱلْجَوَاسِيسَ وَنُرْسِلُ ٱلطَّلَائِعَ [١٠] بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا فَنَعْلَمُ هَلْ يُرِيدُ صُلْحَنَا أَمْ يُرِيدُ حَرْبَنَا أَمْ يُرِيدُ ٱلْفِدْيَةَ [١١] . فَإِنْ رَأَيْنَا أَمْرَهُ أَمْرَ طَامِعٍ فِي مَالٍ لَمْ نَكْرَهِ ٱلصُّلْحَ عَلَى خَرَاجٍ نُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ نَدْفَعُ بِهِ عَنْ أَنْفُسِنَا وَنَطْمَئِنُّ فِي أَوْطَانِنَا . فَإِنَّ مِنْ آرَاءِ ٱلْمُلُوكِ إِذَا ٱشْتَدَّتْ شَوْكَةُ [١٢] عَدُوِّهِمْ فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِلَادِهِمْ أَنْ يَجْعَلُوا ٱلْأَمْوَالَ جُنَّةَ [١٣] ٱلْبِلَادِ وَٱلْمَلِكِ وَٱلرَّعِيَّةِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لِلرَّابِعِ فَمَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا ٱلصُّلْحِ . قَالَ لَا أَرَاهُ رَأْيًا بَلْ أَنْ نُفَارِقَ أَوْطَانَنَا وَنَصْبِرَ عَلَى ٱلْغُرْبَةِ وَشِدَّةِ ٱلْمَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ نُضِيعَ أَحْسَابَنَا [١٤] وَنَخْضَعَ لِلْعَدُوِّ ٱلَّذِي نَحْنُ أَشْرَفُ مِنْهُ . مَعَ أَنَّ ٱلْبُومَ لَوْ عَرَضْنَا ذٰلِكَ عَلَيْهِنَّ لَمَا رَضِينَ مِنَّا إِلَّا بِٱلشَّطَطِ [١٥] وَيُقَالُ فِي ٱلْأَمْثَالِ : قَارِبْ عَدُوَّكَ بَعْضَ ٱلْمُقَارَبَةِ لِتَنَالَ حَاجَتَكَ وَلَا تُقَارِبْهُ كُلَّ ٱلْمُقَارَبَةِ فَيَجْتَرِئَ [١٦] عَلَيْكَ وَيُضْعِفَ جُنْدَكَ وَتَذِلَّ نَفْسُكَ . وَمَثَلُ

---

(١) نوقد (٢) الغفلة (٣) اي غير آنفين ولا يداخلنا عار بذلك (٤) نتحفظ (٥) الرفق والانتظار (٦) المضاربة بالسيوف (٧) رددنا (٨) نفرّق (٩) الرقباء (١٠) جماعات من الجيش تبعث قدامه لتطلع على اخبار العدو (١١) ما يعطى من المال عوض المفدي (١٢) قدرة (١٣) سترة (١٤) مفاخرنا (١٥) مجاوزة الحد (١٦) يتشجع ويتقوى

ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْخَشَبَةِ ٱلْمَنْصُوبَةِ فِي ٱلشَّمْسِ إِذَا أَمَلْتَهَا قَلِيلاً زَادَ ظِلُّهَا . وَإِذَا جَاوَزَتْ بِهَا ٱلْحَدَّ فِي إِمَالَتِكَهَا (١) نَقَصَ ٱلظِّلُّ . وَلَيْسَ عَدُوُّنَا رَاضِياً مِنَّا بِٱلدُّونِ فِي ٱلْمُقَارَبَةِ فَٱلرَّأْيُ لَنَا وَلَكَ ٱلْمُحَارَبَةُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لِلْخَامِسِ : مَا تَقُولُ أَنْتَ وَمَاذَا تَرَى . أَلْقِتَالَ أَمِ ٱلصُّلْحَ أَمِ ٱلْجَلَاءَ (٢) عَنِ ٱلْوَطَنِ . قَالَ أَمَّا ٱلْقِتَالُ فَلَا سَبِيلَ لِلْمَرْءِ إِلَى قِتَالِ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ . وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَعَدُوَّهُ وَقَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى حَتْفِهَا (٣) مَعَ أَنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَسْتَصْغِرُ عَدُوّاً . فَإِنَّ مَنِ ٱسْتَصْغَرَ عَدُوَّهُ ٱغْتَرَّ بِهِ وَمَنِ ٱغْتَرَّ (٤) بِعَدُوِّهِ لَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ . وَأَنَا لِلْبُومِ شَدِيدُ ٱلْهَيْبَةِ وَإِنْ أَضْرَبْنَ (٥) عَنْ قِتَالِنَا وَقَدْ كُنْتُ أَهَابُهَا قَبْلَ ذٰلِكَ . فَإِنَّ ٱلْحَازِمَ (٦) لَا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ . فَإِنْ كَانَ بَعِيداً لَمْ يَأْمَنْ سَطْوَتَهُ وَإِنْ كَانَ مُكْثِباً (٧) لَمْ يَأْمَنْ وَثْبَتَهُ (٨) وَإِنْ كَانَ وَحِيداً لَمْ يَأْمَنْ مَكْرَهُ . وَأَحْزَمُ ٱلْأَقْوَامِ وَأَكْيَسُهُمْ (٩) مَنْ كَرِهَ ٱلْقِتَالَ لِأَجْلِ ٱلنَّفَقَةِ فِيهِ . فَإِنَّ مَا دُونَ ٱلْقِتَالِ ٱلنَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ . وَٱلْقِتَالُ ٱلنَّفَقَةُ فِيهِ مِنَ ٱلْأَنْفُسِ وَٱلْأَبْدَانِ وَرُبَّمَا ٱكْتُفِيَ عَنْهُ بِٱلنَّفَقَةِ ٱلْيَسِيرَةِ وَٱلْكَلَامِ ٱللَّيِّنِ . فَلَا يَكُونَنَّ ٱلْقِتَالُ لِلْبُومِ مِنْ رَأْيِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ . فَإِنَّ مَنْ قَاتَلَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ فَقَدْ غَرَّرَ بِنَفْسِهِ . فَإِذَا كَانَ ٱلْمَلِكُ مُحْصِناً (١٠) لِلْأَسْرَارِ مُتَخَيِّراً (١١) لِلْوُزَرَاءِ مَهِيباً فِي أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ بَعِيداً مِنْ أَنْ يُقْدَرَ عَلَيْهِ كَانَ خَلِيقاً أَنْ لَا يُسْلَبَ صَحِيحَ مَا أُوتِيَ (١٢) مِنَ ٱلْخَيْرِ . وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ كَذٰلِكَ وَٱلْمَلِكُ يَزْدَادُ بِرَأْيِ وُزَرَائِهِ بَصِيرَةً كَمَا يَزِيدُ

---

(١) اي امالتك اياها (٢) التفرق (٣) هلاكها (٤) انخدع (٥) امتنعن
(٦) الذي يضبط امره ويحكمه ويأخذ فيه بالثقة (٧) قريباً (٨) طفرته
(٩) اعقلهم (١٠) أي كاتماً (١١) منتقياً (١٢) أعطي

ٱلْبَحْرُ بِمُجَاوِرِهِ مِنَ ٱلْأَنْهَارِ * وَقَدِ ٱسْتَشَرْتَنِي فِي أَمْرٍ جَوَابُكَ مِنِّي عَنْهُ فِي بَعْضِهِ عَلَنِيٌّ وَقَدْ أَجَبْتُكَ بِهِ وَفِي بَعْضِهِ سِرِّيٌّ . وَلِلْأَسْرَارِ مَنَازِلُ مِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ ٱلرَّهْطُ (١) وَمِنْهَا مَا يُسْتَعَانُ فِيهِ بِٱلْقَوْمِ وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهِ ٱلرَّجُلَانِ . وَلَسْتُ أَرَى لِهٰذَا ٱلسِّرِّ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ إِلَّا أَرْبَعَةُ آذَانٍ وَلِسَانَانِ . فَنَهَضَ ٱلْمَلِكُ مِنْ سَاعَتِهِ وَخَلَا (٢) بِهِ فَٱسْتَشَارَهُ . فَكَانَ أَوَّلُ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ ٱلْمَلِكُ أَنَّهُ قَالَ : هَلْ تَعْلَمُ ٱبْتِدَاءَ ٱلْعَدَاوَةِ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ . قَالَ نَعَمْ كَلِمَةٌ تَكَلَّمَ بِهَا غُرَابٌ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ ٱلْكَرَاكِيِّ (٣) لَمْ يَكُنْ لَهَا مَلِكٌ فَأَجْمَعَتْ أَمْرَهَا عَلَى أَنْ تُمَلِّكَ عَلَيْهَا مَلِكَ ٱلْبُومِ . فَبَيْنَمَا هِيَ فِي مَجْمَعِهَا إِذْ وَقَعَ لَهَا غُرَابٌ . فَقَالَتْ لَوْ جَاءَنَا هٰذَا ٱلْغُرَابُ لَٱسْتَشَرْنَاهُ فِي أَمْرِنَا . فَلَمْ يَلْبَثْ دُونَ أَنْ جَاءَهُنَّ ٱلْغُرَابُ فَٱسْتَشَرْنَهُ . فَقَالَ لَوْ أَنَّ ٱلطَّيْرَ بَادَتْ (٤) مِنَ ٱلْأَقَالِيمِ (٥) وَفُقِدَ ٱلطَّاوُوسُ وَٱلْبَطُّ وَٱلنَّعَامُ وَٱلْحَمَامُ مِنَ ٱلْعَالَمِ لَمَا ٱضْطُرِرْتُنَّ إِلَى أَنْ تُمَلِّكْنَ عَلَيْكُنَّ ٱلْبُومَ ٱلَّتِي هِيَ أَقْبَحُ ٱلطَّيْرِ مَنْظَرًا وَأَسْوَأُهَا خُلُقًا وَأَقَلُّهَا عَقْلًا وَأَشَدُّهَا غَضَبًا وَأَبْعَدُهَا مِنْ كُلِّ رَحْمَةٍ . مَعَ عَمَاهَا وَمَا بِهَا مِنَ ٱلْعَشَا (٦) فِي ٱلنَّهَارِ وَنَتْنِ رَائِحَتِهَا حَتَّى لَا يُطِيقُ طَائِرٌ أَنْ يَتَقَرَّبَ مِنْهَا . وَأَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ وَأَقْبَحُ أُمُورِهَا سَفَهُهَا (٧) وَسُوءُ أَخْلَاقِهَا . إِلَّا أَنْ تَرَيْنَ أَنْ تُمَلِّكْنَهَا وَتَكُنَّ أَنْتُنَّ تُدَبِّرْنَ ٱلْأُمُورَ دُونَهَا بِرَأْيِكُنَّ وَعُقُولِكُنَّ . فَإِنَّ وُزَرَاءَ ٱلْمَلِكِ إِذَا كَانُوا صَالِحِينَ وَكَانَ يُطِيعُهُمْ فِي آرَائِهِمْ لَمْ يَضُرَّ فِي مُلْكِهِ كَوْنُهُ

---

(١) ما دون العشرة من الاشخاص (٢) انفرد (٣) جمع كركي وهو طائر يقرب من الاوز (٤) انقطعت (٥) البلدان (٦) ضعف البصر (٧) خفتها وطيشها

جاهِلًا وَٱسْتَقامَ أَمْرُهُ . كَمَا فَعَلَتِ ٱلْأَرْنَبُ ٱلَّتِي زَعَمَتْ أَنَّ ٱلْقَمَرَ مَلِكُهَا وَعَمِلَتْ بِرَأْيِهَا . قالَتِ ٱلطَّيْرُ وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ

قالَ ٱلْغُرابُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْضًا مِنْ أَراضِي ٱلْفِيَلَةِ تَتابَعَتْ عَلَيْها ٱلسِّنُونَ (١) وَأَجْدَبَتْ (٢) وَقَلَّ ماؤُها وَغارَتْ عُيُونُها وَذَوَى (٣) نَبْتُها وَيَبِسَ شَجَرُها فَأَصابَ ٱلْفِيَلَةَ عَطَشٌ شَدِيدٌ . فَشَكَوْنَ ذٰلِكَ إِلَى مَلِكِهِنَّ فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ رُسُلَهُ وَرُوّادَهُ (٤) فِي طَلَبِ ٱلْماءِ فِي كُلِّ ناحِيَةٍ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ ٱلرُّسُلِ فَقالَ لَهُ إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِمَكانِ كَذا عَيْنًا يُقالُ لَها عَيْنُ ٱلْقَمَرِ كَثِيرَةُ ٱلْماءِ . فَتَوَجَّهَ مَلِكُ ٱلْفِيَلَةِ بِأَصْحابِهِ إِلَى تِلْكَ ٱلْعَيْنِ لِيَشْرَبَ مِنْها هُوَ وَفِيَلَتُهُ . وَكانَتِ ٱلْعَيْنُ فِي أَرْضٍ لِلْأَرانِبِ فَوَطِئْنَ (٥) ٱلْأَرانِبَ فِي أَجْحارِهِنَّ فَأَهْلَكْنَ مِنْهُنَّ كَثِيرًا . فَٱجْتَمَعَتِ ٱلْأَرانِبُ إِلَى مَلِكِها فَقُلْنَ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ ما أَصابَنا مِنَ ٱلْفِيَلَةِ . فَقالَ لِيَحْضُرْ مِنْكُنَّ كُلُّ ذِي رَأْيٍ رَأْيَهُ * فَتَقَدَّمَتْ أَرْنَبٌ مِنَ ٱلْأَرانِبِ يُقالُ لَها فَيْرُوزُ وَكانَ ٱلْمَلِكُ يَعْرِفُها بِحُسْنِ ٱلرَّأْيِ وَٱلْأَدَبِ . فَقالَتْ إِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَبْعَثَنِي إِلَى ٱلْفِيَلَةِ وَيُرْسِلَ مَعِي أَمِينًا لِيَسْمَعَ وَيَرَى ما أَقُولُ وَيَرْفَعَهُ (٦) إِلَى ٱلْمَلِكِ . فَقالَ لَها ٱلْمَلِكُ أَنْتِ أَمِينَةٌ وَنَرْضَى بِقَوْلِكِ فَٱنْطَلِقِي إِلَى ٱلْفِيَلَةِ وَبَلِّغِي عَنِّي ما تُرِيدِينَ . وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱلرَّسُولَ بِرَأْيِهِ وَعَقْلِهِ وَلِينِهِ وَفَضْلِهِ يُخْبِرُ عَنْ عَقْلِ ٱلْمُرْسِلِ . فَعَلَيْكِ بِٱللِّينِ وَٱلرِّفْقِ وَٱلْحِلْمِ وَٱلتَّأَنِّي . فَإِنَّ ٱلرَّسُولَ هُوَ ٱلَّذِي يُلَيِّنُ ٱلصُّدُورَ إِذا رَفَقَ (٧) وَيُخَشِّنُ ٱلصُّدُورَ إِذا خَرِقَ (٨) * ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَرْنَبَ ٱنْطَلَقَتْ فِي لَيْلَةٍ قَمْراءَ (٩) حَتَّى ٱنْتَهَتْ إِلَى ٱلْفِيَلَةِ .

---

(١) جمع سنة وهي الجدب والمحل (٢) امحلت (٣) ذبل (٤) جمع رائد وهو الذي يرسله القوم لينظر لهم مكانًا ينزلون فيه (٥) دسن (٦) يقربه (٧) لطف ولان (٨) جهل وحمق (٩) أي مضيء فيها القمر

وَكَرِهَتْ أَنْ تَدْنُوَ مِنْهُنَّ مَخَافَةَ أَنْ يَطَأْنَهَا بِأَرْجُلِهِنَّ فَيَقْتُلْنَهَا وَإِنْ كُنَّ غَيْرَ مُتَعَمِّدَاتٍ[١] . فَأَشْرَفَتْ[٢] عَلَى الْجَبَلِ وَنَادَتْ مَلِكَ الْفِيَلَةِ وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّ الْقَمَرَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ وَالرَّسُولُ غَيْرُ مَلُومٍ فِيمَا يُبَلِّغُ وَإِنْ أَغْلَظَ فِي الْقَوْلِ . قَالَ مَلِكُ الْفِيَلَةِ فَمَا الرِّسَالَةُ : قَالَتْ يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ قُوَّتِهِ عَلَى الضُّعَفَاءِ فَاغْتَرَّ فِي ذَٰلِكَ بِالْأَقْوِيَاءِ قِيَاسًا لَهُمْ عَلَى الضُّعَفَاءِ كَانَتْ قُوَّتُهُ وَبَالًا[٣] عَلَيْهِ . وَأَنْتَ قَدْ عَرَفْتَ فَضْلَ قُوَّتِكَ عَلَى الدَّوَابِّ فَغَرَّكَ ذَٰلِكَ فَعَمَدْتَ[٤] إِلَى الْعَيْنِ الَّتِي تُسَمَّى بِاسْمِي فَشَرِبْتَ مِنْهَا وَرَنَّقْتَهَا[٥] فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ فَأُنْذِرُكَ[٦] أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَٰلِكَ . وَأَنَّهُ إِنْ فَعَلْتَ يُغَشِّي[٧] عَلَى بَصَرِكَ وَيُتْلِفُ[٨] نَفْسَكَ . وَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِنْ رِسَالَتِي فَهَلُمَّ إِلَى الْعَيْنِ مِنْ سَاعَتِكَ فَإِنَّهُ مُوَافِيكَ[٩] بِهَا . فَعَجِبَ مَلِكُ الْفِيَلَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَرْنَبِ فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَيْنِ مَعَ فَيْرُوزَ الرَّسُولِ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا رَأَى ضَوْءَ الْقَمَرِ فِيهَا فَقَالَتْ لَهُ فَيْرُوزُ الرَّسُولُ : خُذْ بِخُرْطُومِكَ مِنَ الْمَاءِ فَاغْسِلْ بِهِ وَجْهَكَ وَاسْجُدْ لِلْقَمَرِ . فَأَدْخَلَ الْفِيلُ خُرْطُومَهُ فِي الْمَاءِ فَتَحَرَّكَ فَخُيِّلَ[١٠] إِلَى الْفِيلِ أَنَّ الْقَمَرَ ارْتَعَدَ . فَقَالَ مَا شَأْنُ الْقَمَرِ ارْتَعَدَ أَتُرَيْنَهُ[١١] غَضِبَ مِنْ إِدْخَالِي خُرْطُومِي فِي الْمَاءِ . قَالَتْ فَيْرُوزُ الْأَرْنَبُ نَعَمْ . فَسَجَدَ الْفِيلُ لِلْقَمَرِ مَرَّةً أُخْرَى وَتَابَ إِلَيْهِ[١٢] مِمَّا صَنَعَ وَشَرَطَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى مِثْلِ ذَٰلِكَ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ فِيَلَتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : وَمَعَ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَمْرِ الْبُومِ فَإِنَّ فِيهَا الْخِبَّ[١٣] وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ وَشَرُّ الْمُلُوكِ الْمُخَادِعُ . وَمَنِ ابْتُلِيَ بِسُلْطَانٍ مُخَادِعٍ

---

(١) قاصدات (٢) اطلّت (٣) شدّة ووخامة (٤) قصدت (٥) كدّرتها
(٦) احذرك (٧) يغطي (٨) يهلك (٩) ملاقيك (١٠) توهم (١١) اي أتظنينه
(١٢) اي رجع عن المعصية وندم على ذنبه (١٣) الخبث والخداع

وَخَدَمَهُ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْأَرْنَبَ وَٱلصِّفْرِدَ[١] حِينَ ٱحْتَكَمَا إِلَى ٱلسِّنَّوْرِ.[٢] قَالَتِ ٱلْكَرَاكِيُّ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ: كَانَ لِي جَارٌ مِنَ ٱلصَّفَارِدَةِ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ وَكْرِي وَكَانَ يُكْثِرُ مُوَاصَلَتِي. ثُمَّ فَقَدْتُهُ فَلَمْ أَعْلَمْ أَيْنَ غَابَ وَطَالَتْ غَيْبَتُهُ عَنِّي. فَجَاءَتْ أَرْنَبٌ إِلَى مَكَانِ ٱلصِّفْرِدِ فَسَكَنَتْهُ. فَكَرِهْتُ أَنْ أُخَاصِمَ ٱلْأَرْنَبَ فَلَبِثَتْ[٣] فِيهِ زَمَانًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلصِّفْرِدَ عَادَ بَعْدَ زَمَانٍ فَأَتَى مَنْزِلَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ٱلْأَرْنَبَ فَقَالَ لَهَا هٰذَا ٱلْمَكَانُ لِي فَٱنْتَقِلِي مِنْهُ. قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ ٱلْمَسْكَنُ لِي وَتَحْتَ يَدِي وَأَنْتَ مُدَّعٍ لَهُ. فَإِنْ كَانَ لَكَ حَقٌّ فَٱسْتَعْدِ[٤] عَلَيَّ. قَالَ ٱلصِّفْرِدُ: ٱلْقَاضِي مِنَّا قَرِيبٌ فَهَلُمِّي بِنَا إِلَيْهِ. قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ وَمَنِ ٱلْقَاضِي. قَالَ ٱلصِّفْرِدُ إِنَّ بِسَاحِلِ ٱلْبَحْرِ سِنَّوْرًا مُتَعَبِّدًا يَصُومُ ٱلنَّهَارَ وَيَقُومُ ٱللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَا يُؤْذِي دَابَّةً وَلَا يُهَرِيقُ[٥] دَمًا. عَيْشُهُ مِنَ ٱلْحَشِيشِ وَمِمَّا يَقْذِفُهُ[٦] إِلَيْهِ ٱلْبَحْرُ. فَإِنْ أَحْبَبْتِ تَحَاكَمْنَا إِلَيْهِ وَرَضِينَا بِهِ. قَالَتِ ٱلْأَرْنَبُ مَا أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْتَ فَٱنْطَلَقَا إِلَيْهِ. فَتَبِعْتُهُمَا لِأَنْظُرَ إِلَى حُكُومَةِ ٱلصَّوَّامِ ٱلْقَوَّامِ[٧] * ثُمَّ إِنَّهُمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ فَلَمَّا بَصُرَ ٱلسِّنَّوْرُ بِٱلْأَرْنَبِ وَٱلصِّفْرِدِ مُقْبِلَيْنِ نَحْوَهُ ٱنْتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّي وَأَظْهَرَ ٱلْخُشُوعَ وَٱلتَّنَسُّكَ. فَعَجِبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ وَدَنَوَا مِنْهُ هَائِبَيْنِ لَهُ[٨] وَسَلَّمَا عَلَيْهِ وَسَأَلَاهُ أَنْ يَقْضِيَ بَيْنَهُمَا. فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقُصَّا عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ فَفَعَلَا. فَقَالَ لَهُمَا قَدْ بَلَغَنِي ٱلْكِبَرُ وَثَقُلَتْ أُذُنَايَ[٩] فَٱدْنُوَا مِنِّي فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولَانِ. فَدَنَوَا مِنْهُ

---

(١) طائر من خشاش الطير تكنيه العامة ابا المليح يضرب بهِ المثل في الجبن
(٢) الهرّ (٣) اقامت (٤) استمن (٥) يريق اي يسفك (٦) يطرحه
(٧) يريد السنور (٨) اي معظمين اياه (٩) اي ضعف سمعي

وَأَعَادَا عَلَيْهِ ٱلْقِصَّةَ وَسَأَلَاهُ ٱلْحُكْمَ . فَقَالَ قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتُمَا وَأَنَا مُبْتَدِئُكُمَا بِٱلنَّصِيحَةِ قَبْلَ ٱلْحُكُومَةِ . فَأَنَا آمُرُكُمَا بِتَقْوَى ٱللهِ . وَأَنْ لَا تَطْلُبَا إِلَّا ٱلْحَقَّ فَإِنَّ طَالِبَ ٱلْحَقِّ هُوَ ٱلَّذِي يُفْلِحُ(١) وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ وَطَالِبَ ٱلْبَاطِلِ مَخْصُومٌ(٢) وَإِنْ قُضِيَ لَهُ . وَلَيْسَ لِصَاحِبِ ٱلدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ لَا مَالٌ وَلَا صَدِيقٌ سِوَى ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ يُقَدِّمُهُ . فَذُو ٱلْعَقْلِ حَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ سَعْيُهُ فِي طَلَبِ مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا وَأَنْ يَمْقُتَ(٣) بِسَعْيِهِ مَا سِوَى ذٰلِكَ مِنْ أُمُورِ ٱلدُّنْيَا . فَإِنَّ مَنْزِلَةَ ٱلْمَالِ عِنْدَ ٱلْعَاقِلِ بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَدَرِ(٤) وَمَنْزِلَةَ ٱلنَّاسِ عِنْدَهُ فِيمَا يُحِبُّ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَيَكْرَهُ مِنَ ٱلشَّرِّ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِهِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلسِّنَّوْرَ لَمْ يَزَلْ يَقُصُّ عَلَيْهِمَا مِنْ جِنْسِ هٰذَا وَأَشْبَاهِهِ حَتَّى أَنِسَا إِلَيْهِ وَأَقْبَلَا عَلَيْهِ وَدَنَوَا مِنْهُ(٥) فَوَثَبَ عَلَيْهِمَا فَقَتَلَهُمَا

قَالَ ٱلْغُرَابُ : ثُمَّ إِنَّ ٱلْبُومَ تَجْمَعُ مَعَ مَا وَصَفْتُ لَكُنَّ مِنَ ٱلشُّؤْمِ(٦) سَائِرَ ٱلْعُيُوبِ فَلَا يَكُونَنَّ تَمْلِيكُ ٱلْبُومِ مِنْ رَأْيِكُنَّ * فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱلْكَرَاكِيُّ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ ٱلْغُرَابِ أَضْرَبْنَ عَنْ تَمْلِيكِ ٱلْبُومِ . وَكَانَ هُنَاكَ بُومٌ حَاضِرٌ قَدْ سَمِعَ مَا قَالُوا فَقَالَ لِلْغُرَابِ : لَقَدْ وَتَرْتَنِي(٧) أَعْظَمَ ٱلتِّرَةِ(٨) وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ سَلَفَ مِنِّي إِلَيْكَ سُوءٌ أَوْجَبَ هٰذَا . وَبَعْدُ فَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْفَأْسَ يُقْطَعُ بِهَا ٱلشَّجَرُ فَيَعُودُ يَنْبُتُ وَٱلسَّيْفَ يَقْطَعُ ٱللَّحْمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَنْدَمِلُ(٩) . وَٱللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ وَلَا تُوسَى(١٠) مَقَاطِعُهُ(١١) . وَٱلنَّصْلُ(١٢) مِنَ ٱلسَّهْمِ يَغِيبُ فِي ٱللَّحْمِ

(١) يفوز بطلبه وينجح في سعيه (٢) مغلوب في الخصومة (٣) يبغض شديدًا (٤) التراب المتلبد (٥) قربا (٦) ضدّ البركة (٧) اصبتني بعداوة وحقد (٨) مصدر وتر (٩) يلتئم (١٠) تداوى (١١) مواضع قطعه (١٢) حديد السهم ونحوه

ثُمَّ يُنْزَعُ[١] فَيَخْرُجُ . وَأَشْبَاهُ ٱلنَّصْلِ مِنَ ٱلْكَلَامِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى ٱلْقَلْبِ لَمْ تُنْزَعْ وَلَمْ تُسْتَخْرَجْ . وَلِكُلِّ حَرِيقٍ مُطْفِئٌ . فَلِلنَّارِ ٱلْمَاءُ وَلِلسُّمِّ ٱلدَّوَاءُ وَلِلْحُزْنِ ٱلصَّبْرُ وَلِلْعِشْقِ ٱلْفُرْقَةُ . وَنَارُ ٱلْحِقْدِ لَا تَخْبُو[٢] أَبَدًا وَقَدْ غَرَسْتُمْ مَعَاشِرَ ٱلْغِرْبَانِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ شَجَرَ ٱلْحِقْدِ وَٱلْعَدَاوَةِ وَٱلْبَغْضَاءِ * فَلَمَّا قَضَى ٱلْبُومُ مَقَالَتَهُ وَلَّى مُغْضَبًا فَأَخْبَرَ مَلِكَ ٱلْبُومِ بِمَا جَرَى وَبِكُلِّ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِ ٱلْغُرَابِ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْغُرَابَ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ وَقَالَ : وَٱللهِ لَقَدْ خَرِقْتُ[٣] فِي قَوْلِيَ ٱلَّذِي جَلَبْتُ بِهِ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ عَلَى نَفْسِي وَقَوْمِي وَلَيْتَنِي لَمْ أُخْبِرِ ٱلْكَرَاكِيَّ بِهٰذِهِ ٱلْحَالِ وَلَمْ أُعْلِمْهَا بِهٰذَا ٱلْأَمْرِ . وَلَعَلَّ أَكْثَرَ ٱلطَّيْرِ قَدْ رَأَى أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْتُ وَعَلِمَ أَضْعَافَ مَا عَلِمْتُ فَمَنَعَهَا مِنَ ٱلْكَلَامِ بِمِثْلِ مَا تَكَلَّمْتُ ٱتِّقَاءُ[٤] مَا لَمْ أَتَّقِ وَٱلنَّظَرُ فِيمَا لَمْ أَنْظُرْ فِيهِ مِنْ حِذَارِ ٱلْعَوَاقِبِ . وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ ٱلْكَلَامُ أَفْظَعَ[٥] كَلَامٍ يَلْقَى مِنْهُ سَامِعُهُ وَقَائِلُهُ ٱلْمَكْرُوهَ مِمَّا يُورِثُ ٱلْحِقْدَ وَٱلضَّغِينَةَ[٦] . فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُسَمَّى أَشْبَاهُ هٰذَا ٱلْكَلَامِ كَلَامًا وَلٰكِنْ سِهَامًا . وَإِنَّ ٱلْكَلَامَ ٱلرَّدِيءَ هُوَ ٱلَّذِي يَرْمِي صَاحِبَهُ فِي ٱلْحِقْدِ وَٱلْعَدَاوَةِ . وَٱلْعَاقِلُ إِنْ كَانَ وَاثِقًا بِقُوَّتِهِ وَفَضْلِهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِلَهُ ذٰلِكَ عَلَى أَنْ يَجْلِبَ ٱلْعَدَاوَةَ عَلَى نَفْسِهِ ٱتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْقُوَّةِ . كَمَا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ ٱلتِّرْيَاقُ[٧] لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْرَبَ ٱلسُّمَّ ٱتِّكَالًا عَلَى مَا عِنْدَهُ . وَصَاحِبُ ٱلْعَمَلِ وَإِنْ قَصَّرَ بِهِ ٱلْقَوْلُ فِي مُسْتَقْبَلِ ٱلْأَمْرِ كَانَ فَضْلُهُ بَيِّنًا وَاضِحًا فِي ٱلْعَاقِبَةِ وَٱلِٱخْتِبَارِ . وَصَاحِبُ حُسْنِ ٱلْقَوْلِ وَإِنْ أَعْجَبَ ٱلنَّاسَ مِنْهُ حُسْنُ صِفَتِهِ

---

(١) يقلع (٢) اي لا تطفأ (٣) حمقت او لم احسن التصرُّف (٤) خوف (٥) اشنع (٦) بمعنى الحقد (٧) دواء مركب من اجزاء عديدة يدفع السموم

لِلأُمورِ لَمْ تُحْمَدْ مَغَبَّةُ[١] أَمْرِهِ . وَأَنَا صَاحِبُ ٱلْقَوْلِ ٱلَّذِي لَا عَاقِبَةَ لَهُ مَحْمُودَةٌ . أَوَلَيْسَ مِنْ سَفَهِي[٢] ٱجْتِرَائِي عَلَى ٱلتَّكَلُّمِ فِي أَمْرٍ لَمْ أَسْتَشِرْ فِيهِ أَحَدًا وَلَمْ أُعْمِلْ فِيهِ رَأْيًا . وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرِ ٱلنُّصَحَاءَ وَٱلْأَوْلِيَاءَ[٣] وَعَمِلَ بِرَأْيِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْرَارِ ٱلنَّظَرِ وَٱلرَّوِيَّةِ[٤] لَمْ يَغْتَبِطْ[٥] بِمَوَاقِعِ رَأْيِهِ فَمَا كَانَ أَغْنَانِي عَمَّا كَسَبْتُ يَوْمِي هٰذَا وَمَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ ٱلْهَمِّ . وَعَاتَبَ ٱلْغُرَابُ نَفْسَهُ بِهٰذَا ٱلْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ وَذَهَبَ

هٰذَا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنِ ٱبْتِدَاءِ ٱلْعَدَاوَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ . وَأَمَّا ٱلْقِتَالُ فَقَدْ عَلِمْتَ رَأْيِي فِيهِ وَكَرَاهَتِي لَهُ . وَلٰكِنْ عِنْدِي مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلْحِيلَةِ غَيْرَ ٱلْقِتَالِ مَا يَكُونُ فِيهِ ٱلْفَرَجُ[٦] إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى . فَإِنَّهُ رُبَّ قَوْمٍ قَدِ ٱحْتَالُوا بِآرَائِهِمْ حَتَّى ظَفِرُوا بِمَا أَرَادُوا وَمِنْ ذٰلِكَ حَدِيثُ ٱلْجَمَاعَةِ ٱلَّذِينَ ظَفِرُوا بِٱلنَّاسِكِ وَأَخَذُوا عَرِيضَهُ[٧] . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا ٱشْتَرَى عَرِيضًا ضَخْمًا[٨] لِيَجْعَلَهُ قُرْبَانًا[٩] فَٱنْطَلَقَ بِهِ يَقُودُهُ فَبَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنَ ٱلْمَكَرَةِ فَٱئْتَمَرُوا[١٠] بَيْنَهُمْ أَنْ يَأْخُذُوهُ مِنَ ٱلنَّاسِكِ . فَعَرَضَ لَهُ أَحَدُهُمْ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسِكُ مَا هٰذَا ٱلْكَلْبُ ٱلَّذِي مَعَكَ . ثُمَّ عَرَضَ لَهُ ٱلْآخَرُ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا هٰذَا نَاسِكًا لِأَنَّ ٱلنَّاسِكَ لَا يَقُودُ كَلْبًا . فَلَمْ يَزَالُوا مَعَ ٱلنَّاسِكِ عَلَى هٰذَا وَمِثْلِهِ حَتَّى لَمْ يَشُكَّ أَنَّ ٱلَّذِي يَقُودُهُ كَلْبٌ وَأَنَّ ٱلَّذِي بَاعَهُ إِيَّاهُ سَحَرَ عَيْنَيْهِ . فَأَطْلَقَهُ مِنْ

---

(١) عاقبة (٢) خفتي وطيشي (٣) الاصدقاء (٤) التفكير في الامور (٥) اي لم يجد نفسه سعيداً (٦) اسم للراحة من كرب او حزن ونحو ذلك (٧) العريض من المعز ما أتى عليه سنة وتناول النبت بعرض شدقه (٨) اي عظيم الجرم كثير اللحم (٩) تقدمة لله (١٠) تشاوروا

يَدِهِ فَأَخَذَهُ ٱلْجَمَاعَةُ ٱلْمُحْتَالُونَ وَمَضَوْا بِهِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِأَرْجُوَ أَنْ نُصِيبَ [1] مِنْ حَاجَتِنَا بِٱلرِّفْقِ وَٱلْحِيلَةِ . وَإِنِّي أُرِيدُ مِنَ ٱلْمَلِكِ أَنْ يَنْقُرَنِي [2] عَلَى رُؤُوسِ ٱلْأَشْهَادِ وَيَنْتِفَ رِيشِي وَذَنَبِي ثُمَّ يَطْرَحَنِي فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ وَيَرْتَحِلَ ٱلْمَلِكُ وَجُنُودُهُ إِلَى مَكَانِ كَذَا . فَإِنِّي أَرْجُو أَنِّي أَصْبِرُ وَأَطَّلِعُ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَمَوَاضِعِ تَحْصِينِهِمْ وَأَبْوَابِهِمْ فَأُخَادِعُهُمْ وَآتِي إِلَيْكُمْ لِنَهْجُمَ عَلَيْهِمْ وَنَنَالَ مِنْهُمْ غَرَضَنَا إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى . قَالَ ٱلْمَلِكُ : أَتَطِيبُ نَفْسُكَ لِذٰلِكَ . قَالَ نَعَمْ وَكَيْفَ لَا تَطِيبُ نَفْسِي لِذٰلِكَ وَفِيهِ أَعْظَمُ ٱلرَّاحَاتِ لِلْمَلِكِ وَجُنُودِهِ . فَفَعَلَ ٱلْمَلِكُ بِٱلْغُرَابِ مَا ذَكَرَ ثُمَّ ٱرْتَحَلَ عَنْهُ * فَلَمَّا جَنَّ [3] ٱللَّيْلُ أَقْبَلَ مَلِكُ ٱلْبُومِ وَجُنْدُهُ لِيُوقِعَ [4] بِٱلْغِرْبَانِ فَلَمْ يَجِدْهُمْ وَهَمَّ بِٱلِٱنْصِرَافِ . فَجَعَلَ ٱلْغُرَابُ يَئِنُّ وَيَهْمِسُ [5] حَتَّى سَمِعَتْهُ ٱلْبُومُ وَرَأَيْنَهُ يَئِنُّ فَأَخْبَرْنَ مَلِكَهُنَّ بِذٰلِكَ . فَقَصَدَ نَحْوَهُ لِيَسْأَلَهُ عَنِ ٱلْغِرْبَانِ . فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَمَرَ بُومًا أَنْ يَسْأَلَهُ فَقَالَ لَهُ . مَنْ أَنْتَ وَأَيْنَ ٱلْغِرْبَانُ . فَقَالَ أَمَّا ٱسْمِي فَفُلَانٌ . وَأَمَّا مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ فَإِنِّي أَحْسَبُكَ تَرَى أَنَّ حَالِي حَالُ مَنْ لَا يَعْلَمُ ٱلْأَسْرَارَ . فَقِيلَ لِمَلِكِ ٱلْبُومِ : هٰذَا وَزِيرُ مَلِكِ ٱلْغِرْبَانِ وَصَاحِبُ رَأْيِهِ فَنَسْأَلُهُ بِأَيِّ ذَنْبٍ صُنِعَ بِهِ مَا صُنِعَ . فَسُئِلَ ٱلْغُرَابُ عَنْ أَمْرِهِ فَقَالَ : إِنَّ مَلِكَنَا ٱسْتَشَارَ جَمَاعَتَنَا فِيكُنَّ وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِمَحْضَرٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ [6] . فَقَالَ أَيُّهَا ٱلْغِرْبَانُ مَا تَرَوْنَ فِي ذٰلِكَ . فَقُلْتُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا طَاقَةَ لَنَا بِقِتَالِ ٱلْبُومِ لِأَنَّهُنَّ أَشَدُّ بَطْشًا [7] وَأَحَدُّ قَلْبًا

---

(١) تنال وقد مرّ (٢) يعيبني ويضربني (٣) أظلم (٤) اي ليبالغ في قتالهم
(٥) يتكلم بصوت خفي (٦) اي حاضرًا له (٧) بأسًا

مِنَّا وَلٰكِنْ أَرَى أَنْ نَلْتَمِسَ (١) ٱلصُّلحَ ثُمَّ نَبْذُلَ (٢) ٱلْفِدْيَـةَ فِي ذٰلِكَ فَإِنْ قَبِلَتِ ٱلْبُومُ ذٰلِكَ مِنَّا وَإِلَّا هَرَبْنَا فِي ٱلْبِلَادِ . وَإِذَا كَانَ ٱلْقِتَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْبُومِ كَانَ خَيْرًا لَهُنَّ وَشَرًّا لَنَا . فَٱلصُّلْحُ أَفْضَلُ مِنَ ٱلْخُصُومَةِ . وَأَمَرْتُهُنَّ بِٱلرُّجُوعِ عَنِ ٱلْحَرْبِ وَضَرَبْتُ لَهُنَّ ٱلْأَمْثَالَ فِي ذٰلِكَ وَقُلْتُ لَهُنَّ إِنَّ ٱلْعَدُوَّ ٱلشَّدِيدَ لَا يَرُدُّ بَأْسَهُ مِثْلُ ٱلْخُضُوعِ لَهُ . أَلَا تَرَيْنَ إِلَى ٱلْحَشِيشِ كَيْفَ يَسْلَمُ مِنْ عَاصِفِ ٱلرِّيحِ لِلِينِهِ وَمَيْلِهِ مَعَهَا حَيْثُ مَالَتْ وَٱلشَّجَرُ ٱلْعَـاتِي (٣) يُكْسَرُ بِهَا وَيُحَطَّمُ . فَعَصَيْنَنِي فِي ذٰلِكَ وَزَعَمْنَ أَنَّهُنَّ يُرِدْنَ ٱلْقِتَالَ وَٱتَّهَمْنَنِي فِيمَا قُلْتُ وَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ مَالَأْتَ (٤) ٱلْبُومَ عَلَيْنَا وَرَدَدْنَ قَوْلِي وَنَصِيحَتِي وَعَذَّبْنَنِي بِهٰـذَا ٱلْعَذَابِ وَتَرَكَنِي ٱلْمَلِكُ وَجُنُودُهُ وَٱرْتَحَلَ وَلَا عِلْمَ لِي بِهِنَّ بَعْدَ ذٰلِكَ

فَلَمَّا سَمِعَ مَلِكُ ٱلْبُومِ مَقَالَةَ ٱلْغُرَابِ قَالَ لِبَعْضِ وُزَرَائِهِ : مَا تَقُولُ فِي ٱلْغُرَابِ وَمَا تَرَى فِيهِ . قَالَ مَا أَرَى إِلَّا ٱلْمُعَاجَلَةَ لَهُ بِٱلْقَتْلِ فَإِنَّ هٰذَا أَفْضَلُ عُدَدِ (٥) ٱلْغِرْبَانِ وَفِي قَتْلِهِ لَنَا رَاحَةٌ مِنْ مَكْرِهِ وَفَقْدُهُ عَـلَى ٱلْغِرْبَانِ شَدِيدٌ . فَإِذَا قُتِلَ ثُلَّ (٦) مُلْكُهُمْ وَتَقَوَّضَ (٧) وَمَا أَرَاهُ إِلَّا فَتْحًا (٨) قَدْ أَرْسَلَهُ ٱللّٰهُ إِلَيْكَ . وَيُقَالُ مَنْ ظَفِرَ بِٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي فِيهَا يَنْجَحُ ٱلْعَمَلُ ثُمَّ لَا يُعَاجِلُهُ بِٱلَّذِي يَنْبَغِي لَهُ فَلَيْسَ بِحَكِيمٍ فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ مَرْهُونَةٌ بِأَوْقَاتِهَا . وَمَنْ طَلَبَ ٱلْأَمْرَ ٱلْجَسِيمَ فَأَمْـكَنَهُ ذٰلِكَ فَأَغْفَلَهُ (٩) فَاتَهُ ٱلْأَمْرُ . وَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ لَا تَعُودَ ٱلْفُرْصَةُ ثَانِيَةً . وَمَنْ وَجَدَ عَدُوَّهُ ضَعِيفًا وَلَمْ يُنْجِزْ (١٠) قَتْلَهُ نَـدِمَ إِذَا ٱسْتَقْوَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لِوَزِيرٍ آخَرَ مَا تَرَى أَنْتَ فِي هٰـذَا ٱلْغُرَابِ . قَالَ

---

(١) نطلب (٢) نعطي (٣) المرتفع القاسي (٤) ساعدت (٥) ما يعدونهُ ويعتمدون عليه (٦) أُذهب (٧) انهدم (٨) نصرًا وظفرًا (٩) تركهُ اهمالاً (١٠) يتمم

أَرَى أَنْ لَا تَقْتُلَهُ لِأَنَّهُ قَدْ لَقِيَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَا تَرَاهُ فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا لَكَ عَلَى عَوْرَاتِهِمْ (١) وَمُعِيناً لَكَ عَلَى مَا فِيهِ هَلَاكُهُمْ . وَإِنَّ الْعَدُوَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ أَهْلٌ لِأَنْ يُؤْمَنَ وَلَا سِيَّمَا الْمُسْتَجِيرُ (٢) الْخَائِفُ . وَالْعَدُوُّ إِذَا صَدَرَتْ مِنْهُ الْمَنْفَعَةُ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُتَعَمِّدٍ (٣) لَهَا أَهْلٌ (٤) لِأَنْ يُصْفَحَ عَنْهُ بِسَبَبِهَا . كَالتَّاجِرِ الَّذِي عَطَفَ عَلَى سَارِقٍ لِاصْطِلَاحِهِ مَعَ امْرَأَتِهِ بِسَبَبِهِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

قَالَ الْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ تَاجِرٌ كَثِيرُ الْمَالِ وَالْمَتَاعِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ وَحْشَةٌ (٥) . وَإِنَّ سَارِقاً تَسَوَّرَ بَيْتَ التَّاجِرِ (٦) فَدَخَلَ فَوَجَدَهُ نَائِماً وَوَجَدَ امْرَأَتَهُ مُسْتَيْقِظَةً فَذُعِرَتْ (٧) مِنَ السَّارِقِ وَوَثَبَتْ إِلَى التَّاجِرِ فَالْتَزَمَتْهُ (٨) وَأَيْقَظَتْهُ وَلَمْ يَكُنْ يَجْرِي بَيْنَهُمَا كَلَامٌ فَاسْتَيْقَظَ التَّاجِرُ وَتَكَالَمَا وَانْحَلَّتِ الْوَحْشَةُ مِنْ بَيْنِهِمَا . ثُمَّ بَصُرَ بِالسَّارِقِ فَقَالَ : أَيُّهَا السَّارِقُ أَنْتَ فِي حِلٍّ مِمَّا أَخَذْتَ (٩) مِنْ مَالِي وَمَتَاعِي وَلَكَ الْفَضْلُ بِمَا أَصْلَحْتَ بَيْنَنَا * قَالَ مَلِكُ الْبُومِ لِوَزِيرٍ آخَرَ مِنْ وُزَرَائِهِ : مَا تَقُولُ فِي أَمْرِ الْغُرَابِ . قَالَ أَرَى أَنْ تَسْتَبْقِيَهُ (١٠) وَتُحْسِنَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ يَنْصَحَكَ . وَالْعَاقِلُ يَرَى مُعَادَاةَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بَعْضاً ظَفَراً حَسَناً . وَيَرَى اشْتِغَالَ بَعْضِ أَعْدَائِهِ بِبَعْضٍ خَلَاصاً لِنَفْسِهِ مِنْهُمْ وَنَجَاةً كَنَجَاةِ النَّاسِكِ مِنَ اللِّصِّ وَالشَّيْطَانِ حِينَ اخْتَلَفَا عَلَيْهِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

---

(١) جمع عورة وهي الخلل في الثغر وغيره يخاف فيه وكل مكمن للستر

(٢) الطالب المعونة (٣) قاصد (٤) مستحق (٥) نفور (٦) اي صعد على حائطهِ (٧) خافت وقد مر (٨) اعتنقتهُ (٩) اي ما أخذتهُ حلال لك (١٠) اي تعفو عنهُ فلم تقتله

قَالَ ٱلْوَزِيرُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكاً أَصَابَ مِنْ رَجُلٍ بَقَرَةً حَلُوبَةً فَٱنْطَلَقَ بِهَا يَقُودُهَا إِلَى مَنْزِلِهِ . فَعَرَضَ لَهُ لِصٌّ أَرَادَ سَرِقَتَهَا وَتَبِعَهُ شَيْطَانٌ يُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ وَقَدْ تَرَيَّا(١) بِزِيِّ إِنْسَانٍ . فَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ لِلِّصِّ مَنْ أَنْتَ . قَالَ أَنَا ٱللِّصُّ أُرِيدُ أَنْ أَسْرِقَ هٰذِهِ ٱلْبَقَرَةَ مِنَ ٱلنَّاسِكِ إِذَا نَامَ فَمَنْ أَنْتَ : قَالَ أَنَا ٱلشَّيْطَانُ أُرِيدُ ٱخْتِطَافَهُ إِذَا نَامَ وَأَذْهَبُ بِهِ . فَٱنْتَهَيَا عَلَى هٰذَا إِلَى ٱلْمَنْزِلِ فَدَخَلَ ٱلنَّاسِكُ مَنْزِلَهُ وَدَخَلَا خَلْفَهُ وَأَدْخَلَ ٱلْبَقَرَةَ فَرَبَطَهَا فِي زَاوِيَةِ ٱلْمَنْزِلِ وَتَعَشَّى وَنَامَ . فَأَقْبَلَ ٱللِّصُّ وَٱلشَّيْطَانُ يَأْتَمِرَانِ(٢) فِيهِ وَٱخْتَلَفَا عَلَى مَنْ يَبْدَأُ بِشُغْلِهِ أَوَّلاً . فَقَالَ ٱلشَّيْطَانُ : إِنْ أَنْتَ بَدَأْتَ بِأَخْذِ ٱلْبَقَرَةِ رُبَّمَا ٱسْتَيْقَظَ وَصَاحَ وَٱجْتَمَعَ ٱلنَّاسُ فَلَا أَقْدِرُ عَلَى أَخْذِهِ فَٱنْتَظِرْنِي رَيْثَمَا(٣) آخُذُهُ وَشَأْنَكَ وَمَا تُرِيدُ . فَأَشْفَقَ(٤) ٱللِّصُّ إِنْ بَدَأَ ٱلشَّيْطَانُ بِٱخْتِطَافِهِ أَنْ يَسْتَيْقِظَ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَخْذِ ٱلْبَقَرَةِ . فَقَالَ لَا بَلْ أَنْظِرْنِي(٥) أَنْتَ حَتَّى آخُذَ ٱلْبَقَرَةَ وَشَأْنَكَ وَمَا تُرِيدُ . قَالَ ٱلشَّيْطَانُ رُوَيْداً(٦) حَتَّى يَسْتَغْرِقَ(٧) ٱلنَّاسُ فِي ٱلنَّوْمِ فَنَظْفَرَ بِهِمَا جَمِيعاً . فَلَمْ يَزَالَا فِي ٱلْمُجَادَلَةِ هٰكَذَا حَتَّى نَادَى ٱللِّصُّ أَيُّهَا ٱلنَّاسِكُ ٱنْتَبِهْ فَهٰذَا ٱلشَّيْطَانُ يُرِيدُ ٱخْتِطَافَكَ وَنَادَى ٱلشَّيْطَانُ : أَيُّهَا ٱلنَّاسِكُ ٱنْتَبِهْ فَهٰذَا ٱللِّصُّ يُرِيدُ أَنْ يَسْرِقَ بَقَرَتَكَ . فَٱنْتَبَهَ ٱلنَّاسِكُ وَجِيرَانُهُ بِأَصْوَاتِهِمَا وَهَرَبَ ٱلْخَبِيثَانِ

فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِ ٱلْغُرَابِ : أَظُنُّ أَنَّ ٱلْغُرَابَ قَدْ خَدَعَكُنَّ وَوَقَعَ(٨) كَلَامُهُ فِي نَفْسِ ٱلْغَبِيِّ مِنْكُنَّ مَوْقِعَهُ فَتُرِدْنَ أَنْ تَضَعْنَ

---

(١) اي ظهر جيئة (٢) يتشاوران (٣) اي مقدار مدة أخذه (٤) خاف
(٥) امهلني (٦) مهلاً (٧) يستغرق (٨) اثر

ٱلرَّأْيَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ. فَمَهْلاً مَهْلاً أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عَنْ هٰذَا ٱلرَّأْيِ وَلَا تَكُونَنَّ لِمَا تَسْمَعُ أَشَدَّ تَصْدِيقاً مِنْكَ لِمَا تَرَى كَالرَّجُلِ ٱلَّذِي كَذَّبَ بِمَا رَأَى وَصَدَّقَ بِمَا سَمِعَ وَٱنْخَدَعَ بِالْمُحَالِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْوَزِيرُ: زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ رَجُلٌ نَائِماً وَحْدَهُ إِحْدَى ٱللَّيَالِي فِي بَيْتِهِ وَإِذَا لُصُوصٌ قَدْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ٱلْبَيْتَ وَأَخَذُوا فِي جَمْعِ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْمَتَاعِ حَتَّى أَفْضَوا (١) إِلَى حَيْثُ هُوَ نَائِمٌ. فَٱنْتَبَهَ عَلَيْهِمْ وَخَافَ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِمْ حِذَارَ أَنْ يَبْطُشُوا بِهِ (٢) وَكَانَ لِلْحُجْرَةِ (٣) ٱلَّتِي هُوَ فِيهَا بَابٌ آخَرُ إِلَى ٱلطَّرِيقِ. فَقَالَ فِي نَفْسِهِ ٱلرَّأْيُ أَنْ لَا أُشْعِرَهُمْ بِٱنْتِبَاهِي وَلَا أُذْعِرَهُمْ حَتَّى يَفْرُغُوا مِمَّا يُرِيدُونَ أَخْذَهُ وَيُخْرِجُوهُ إِلَى حَيْثُ يُرِيدُونَ ٱحْتِمَالَهُ. فَأَخْرُجَ مِنَ ٱلْبَابِ ٱلْآخَرِ وَأَدْعُو ٱلْجِيرَانَ فَنَفْجَأُهُمْ (٤) وَنُوقِعُ بِهِمْ (٥). فَلَبِثَ عَلَى فِرَاشِهِ مُتَنَاوِماً (٦) حَتَّى فَرَغَ ٱللُّصُوصُ مِمَّا أَرَادُوا جَمْعَهُ وَخَرَجُوا يُرِيدُونَ حَمْلَهُ. فَهَمَّ ٱلرَّجُلُ بِالْقِيَامِ فَشَعَرُوا بِحَرَكَةٍ مِنْهُ فَهَمَسَ إِلَيْهِمْ (٧) رَئِيسُهُمْ أَنْ قِفُوا وَلَا تَرْتَاعُوا (٨) وَتَعَالَوا نَحْتَلْ لَهُ بِحِيلَةٍ نَخْدَعُهُ بِهَا وَلَا يَذْهَبُ تَعَبُنَا ضَيَاعاً. وَأَنَا ٱلْآنَ رَافِعٌ صَوْتِي وَمُخَاطِبُكُمْ بِشَيْءٍ فَصَوِّبُوا فِيهِ رَأْيِي وَأَجِيبُونِي إِلَيْهِ. قَالُوا نَعَمْ. فَرَفَعَ ٱللِّصُّ صَوْتَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُ ٱلرَّجُلُ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي أَرَى هٰذِهِ ٱلْأَحْمَالَ ثَقِيلَةً شَاقَّةً (٩) وَمَا أَرَى قِيمَتَهَا تَفِي بِحَمْلِهَا وَٱلْمُخَاطَرَةِ فِيهَا. وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ هٰذَا ٱلرَّجُلَ سَيِّئُ ٱلْحَالِ وَقَدْ أَخَذَتْنِي عَلَيْهِ ٱلشَّفَقَةُ وَٱلرَّأْفَةُ وَرَاجَعْتُ رَأْيِي فِيهِ فَرَأَيْتُ أَنْ نَدَعَ لَهُ مَتَاعَهُ فَإِنَّهُ يُحْسَبُ عَلَيْنَا سَرِقَةً وَمَا

---

(١) وصلوا (٢) اي يأخذوه بالعنف والسطوة (٣) الغرفة (٤) اي فنهجم عليهم بغتةً (٥) اي نبالغ في قتالهم (٦) متظاهرًا بالنوم (٧) اي كلمهم بصوت خفي (٨) اي لا تخافوا (٩) صعبة

هُوَ بِشَيْءٍ يَسْتَحِقُّ ٱلْعَنَاءَ[١] وَلَا لَنَا فِيهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ بَعْضِ مَشَاهِيرِ ٱللُّصُوصِ يَقُولُ : مَنْ عَفَّ[٢] عَنْ مَتَاعِ فَقِيرٍ فَلَمْ يَسْرِقْهُ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ غَفَرَ لَهُ ذٰلِكَ سَرِقَةَ مِئَةِ غَنِيٍّ . وَإِنَّ أَوْلَى ٱلسَّرِقَةِ وَأَحَلَّهَا سَرِقَةُ ٱلْأَغْنِيَاءِ وَلَاسِيَّمَا ذَوِي ٱلْبُخْلِ وَٱلْحِرْصِ مِنْهُمُ ٱلَّذِينَ مَا بُيُوتُهُمْ وَخَزَائِنُهُمْ إِلَّا مَدَافِنُ لِأَمْوَالٍ حَبَسُوهَا فَلَا ٱنْتَفَعُوا بِهَا وَلَا تَرَكُوهَا لِلنَّاسِ . فَهَلُمَّ بِنَا إِلَى أَحَدِ هٰؤُلَاءِ وَدَعُوا هٰذَا ٱلْحُطَامَ[٣] ٱلَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ وَٱغْتَنِمُوا[٤] أَجْرَ هٰذَا ٱلرَّجُلِ ٱلْمِسْكِينِ . فَقَالُوا كُلُّهُمْ صَدَقْتَ وَأَحْسَنْتَ وَتَظَاهَرُوا أَنَّهُمْ يَفُكُّونَ ٱلْأَحْمَالَ وَخَرَجُوا وَكَمَنُوا يَنْتَظِرُونَ نَوْمَ ٱلرَّجُلِ . وَإِنَّ ٱلرَّجُلَ لَمَّا سَمِعَ كَلَامَهُمْ وَثِقَ بِهِ وَٱطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَٱعْتَقَدَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا فَسَكَنَ وَنَامَ . وَلَبِثَ[٥] ٱللُّصُوصُ حَتَّى أَيْقَنُوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ فَثَارُوا[٦] إِلَى ٱلْأَحْمَالِ فَٱحْتَمَلُوهَا وَفَازُوا بِهَا.

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ إِرَادَةَ أَنْ لَا تَكُونَ كَذٰلِكَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي كَذَّبَ بِمَا رَأَى وَصَدَّقَ بِمَا سَمِعَ * فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلْمَلِكُ إِلَى قَوْلِهِ وَأَمَرَ بِٱلْغُرَابِ أَنْ يُحْمَلَ إِلَى مَنَازِلِ ٱلْبُومِ وَيُكْرَمَ وَيُسْتَوْصَى بِهِ خَيْرًا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْغُرَابَ قَالَ لِلْمَلِكِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلْبُومِ وَفِيهِنَّ ٱلْوَزِيرُ ٱلَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ : قَدْ عَلِمْتَ مَا جَرَى عَلَيَّ مِنَ ٱلْغِرْبَانِ وَإِنَّهُ لَا يَسْتَرِيحُ قَلْبِي دُونَ ٱلْأَخْذِ بِثَأْرِي مِنْهُنَّ . وَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي ذٰلِكَ فَإِذَا بِي لَا أَقْدِرُ عَلَى مَا رُمْتُ[٧] لِأَنِّي غُرَابٌ . وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ٱلْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ قَالُوا مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ

---

(١) التعب (٢) من العفة وهي الكف عما لا يحل (٣) اي الشيء الخسيس
(٤) اكسبوا (٥) اقام (٦) نهضوا او وثبوا (٧) قصدت

يُحرِقَهَا فَقَدْ قَرَّبَ لِلَّهِ أَعْظَمَ ٱلْقُرْبَانِ لا يَدْعُو عِنْدَ ذٰلِكَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا ٱسْتُجِيبَ لَهُ. فَإِنْ رَأَى ٱلْمَلِكُ أَنْ يَأْمُرَنِي فَأُحْرِقَ نَفْسِي وَأَدْعُوَ رَبِّي أَنْ يُحَوِّلَنِي بُومًا فَأَكُونَ أَشَدَّ عَدَاوَةً لِلْغِرْبَانِ وَأَقْوَى بَأْسًا عَلَيْهِنَّ لَعَلِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُنَّ(١). فَقَالَ ٱلْوَزِيرُ ٱلَّذِي أَشَارَ بِقَتْلِهِ: مَا أَشْبَهَكَ فِي خَيْرِ مَا تُظْهِرُ وَشَرِّ مَا تُضْمِرُ بِٱلْخَمْرَةِ ٱلطَّيِّبَةِ ٱلطَّعْمِ وَٱلرِّيحِ ٱلْمُنْقَعِ(٢) فِيهَا ٱلسُّمُّ. أَرَأَيْتَ لَوْ أَحْرَقْنَا جِسْمَكَ بِٱلنَّارِ أَنَّ جَوْهَرَكَ وَطَبْعَكَ مُتَغَيِّرٌ. أَوَ لَيْسَتْ أَخْلَاقُكَ تَدُورُ مَعَكَ حَيْثُ دُرْتَ وَتَصِيرُ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى أَصْلِكَ وَطِينَتِكَ(٣) كَٱلْفَأْرَةِ ٱلَّتِي خُيِّرَتْ(٤) فِي ٱلْأَزْوَاجِ بَيْنَ ٱلشَّمْسِ وَٱلرِّيحِ وَٱلسَّحَابِ وَٱلْجَبَلِ فَلَمْ تَزَلْ تَتَخَيَّرُهُمْ(٥) حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى أَصْلِهَا وَتَزَوَّجَتِ ٱلْجُرَذَ. قِيلَ لَهُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ: زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ مُسْتَجَابُ ٱلدَّعْوَةِ. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ عَلَى سَاحِلِ ٱلْبَحْرِ إِذْ مَرَّتْ بِهِ حِدَأَةٌ(٦) فِي رِجْلِهَا دِرْصُ(٧) فَأْرَةٍ. فَوَقَعَتْ مِنْهَا عِنْدَ ٱلنَّاسِكِ وَأَدْرَكَتْهُ لَهَا رَحْمَةٌ فَأَخَذَهَا وَلَفَّهَا فِي وَرَقَةٍ وَذَهَبَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ. ثُمَّ خَافَ أَنْ تَشُقَّ(٨) عَلَى أَهْلِهِ تَرْبِيَتُهَا فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا جَارِيَةً فَتَحَوَّلَتْ جَارِيَةً حَسْنَاءَ. فَٱنْطَلَقَ بِهَا إِلَى ٱمْرَأَتِهِ فَقَالَ لَهَا: هٰذِهِ ٱبْنَتِي فَٱصْنَعِي مَعَهَا صَنِيعَكِ بِوَلَدِي* فَلَمَّا كَبِرَتْ قَالَ لَهَا ٱلنَّاسِكُ: يَا بُنَيَّةُ ٱخْتَارِي مَنْ أَحْبَبْتِ حَتَّى أُزَوِّجَكِ إِيَّاهُ. فَقَالَتْ أَمَا إِذَا خَيَّرْتَنِي فَإِنِّي أَخْتَارُ زَوْجًا يَكُونُ أَقْوَى ٱلْأَشْيَاءِ. فَقَالَ ٱلنَّاسِكُ: لَعَلَّكِ تُرِيدِينَ ٱلشَّمْسَ. ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلشَّمْسِ فَقَالَ أَيُّهَا ٱلْخَلْقُ ٱلْعَظِيمُ لِي جَارِيَةٌ وَقَدْ طَلَبَتْ زَوْجًا يَكُونُ

---

(١) اي أعاقبهنّ (٢) المجتمع (٣) خلقتك وجبلتك (٤) فوض اليها ان تختار (٥) اي تنتقي منهم (٦) طائر يصطاد الجرذان ويعرف عند العامة بالشوحة (٧) ولد الفارة (٨) تصعب

أَقوَى ٱلْأَشياء فَهَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجُهَا . فَقَالَتِ ٱلشَّمْسُ أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي ٱلسَّحَابِ ٱلَّذِي يُغَطِّينِي وَيَرُدُّ حِرَمَ شُعَاعِي وَيَكْسِفُ أَشِعَّةَ أَنْوَارِي. فَذَهَبَ ٱلنَّاسِكُ إِلَى ٱلسَّحَابِ فَقَالَ لَهُ مَا قَالَ لِلشَّمْسِ . فَقَالَ ٱلسَّحَابُ (١) وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي فَاذْهَبْ إِلَى ٱلرِّيحِ ٱلَّتِي تُقْبِلُ بِي وَتُدْبِرُ (٢) وَتَذْهَبُ بِي شَرْقاً وَغَرْباً. فَجَاءَ ٱلنَّاسِكُ إِلَى ٱلرِّيحِ فَقَالَ لَهَا كَقَوْلِهِ لِلسَّحَابِ فَقَالَتْ وَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَهُوَ ٱلْجَبَلُ ٱلَّذِي لَا أَقْدِرُ عَلَى تَحْرِيكِهِ. فَمَضَى إِلَى ٱلْجَبَلِ فَقَالَ لَهُ ٱلْقَوْلَ فَأَجَابَهُ ٱلْجَبَلُ وَقَالَ لَهُ: أَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي : ٱلْجُرَذِ ٱلَّذِي لا أَسْتَطِيعُ ٱلِامْتِنَاعَ مِنْهُ إِذَا خَرَقَنِي وَٱتَّخَذَنِي مَسْكِناً . فَٱنْطَلَقَ ٱلنَّاسِكُ إِلَى ٱلْجُرَذِ فَقَالَ لَهُ هَلْ أَنْتَ مُتَزَوِّجٌ هٰذِهِ ٱلْجَارِيَةَ . فَقَالَ وَكَيْفَ أَتَزَوَّجُهَا وَمَسْكِنِي ضَيِّقٌ . وَإِنَّمَا يَتَزَوَّجُ ٱلْجُرَذُ ٱلْفَأْرَةَ . فَدَعَا ٱلنَّاسِكُ رَبَّهُ أَنْ يُحَوِّلَهَا فَأْرَةً كَمَا كَانَتْ وَذٰلِكَ بِرِضَى ٱلْجَارِيَةِ فَأَعَادَهَا ٱللهُ إِلَى عُنْصُرِهَا (٣) ٱلْأَوَّلِ فَٱنْطَلَقَتْ مَعَ ٱلْجُرَذِ

فَهٰذَا مَثَلُكَ أَيُّهَا ٱلْمُخَادِعُ . فَلَمْ يَلْتَفِتْ مَلِكُ ٱلْبُومِ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْقَوْلِ وَرَفَقَ (٤) بِٱلْغُرَابِ وَلَمْ يَزْدَدْ لَهُ إِلَّا إِكْرَاماً . حَتَّى إِذَا طَابَ عَيْشُهُ وَنَبَتَ رِيشُهُ وَٱطَّلَعَ عَلَى مَا أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ رَاغَ (٥) رَوْغَةً فَأَتَى أَصْحَابَهُ بِمَا رَأَى وَسَمِعَ * فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ فَرَغْتُ مِمَّا كُنْتُ أُرِيدُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ . قَالَ لَهُ أَنَا وَٱلْجُنْدُ تَحْتَ أَمْرِكَ فَٱحْتَكِمْ (٦) كَيْفَ شِئْتَ . قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّ ٱلْبُومَ بِمَكَانِ كَذَا فِي جَبَلٍ كَثِيرِ ٱلْحَطَبِ . وَفِي ذٰلِكَ ٱلْمَوْضِعِ

---

(١) الغيم الممطر (٢) اي تأتي وتولي (٣) اصلها (٤) لطف (٥) مال بحيلة
(٦) اي اطلب منا ما تريد

قَطِيعٌ مِنَ ٱلْغَنَمِ مَعَ رَجُلٍ رَاعٍ. وَنَحْنُ مُصِيبُونَ(١) هُنَاكَ نَارًا وَنُلْقِيهَا فِي أَنْقَابِ(٢) ٱلْبُومِ وَنَقْذِفُ عَلَيْهَا مِنْ يَابِسِ ٱلْحَطَبِ وَنَتَرَوَّحُ عَلَيْهَا(٣) ضَرْبًا بِأَجْنِحَتِنَا حَتَّى تَضْطَرِمَ ٱلنَّارُ فِي ٱلْحَطَبِ فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُنَّ ٱحْتَرَقَ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ مَاتَ بِٱلدُّخَانِ مَوْضِعَهُ. فَفَعَلَ ٱلْغِرْبَانُ ذٰلِكَ فَأَهْلَكْنَ ٱلْبُومَ قَاطِبَةً(٤) وَرَجَعْنَ إِلَى مَنَازِلِهِنَّ سَالِمَاتٍ آمِنَاتٍ.

ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ ٱلْغِرْبَانِ قَالَ لِذٰلِكَ ٱلْغُرَابِ كَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى صُحْبَةِ ٱلْبُومِ وَلَا صَبْرَ لِلْأَخْيَارِ عَلَى صُحْبَةِ ٱلْأَشْرَارِ. قَالَ ٱلْغُرَابُ إِنَّ مَا قُلْتَهُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَكَذٰلِكَ. فَإِنَّهُ يُقَالُ لَذْعُ(٥) ٱلنَّارِ أَيْسَرُ عَلَى ٱلْمَرْءِ مِنْ صُحْبَةِ ٱلْأَشْرَارِ وَٱلْإِقَامَةِ مَعَهُمْ. وَلٰكِنَّ ٱلْعَاقِلَ إِذَا أَتَاهُ ٱلْأَمْرُ ٱلْفَظِيعُ(٦) ٱلْعَظِيمُ ٱلَّذِي يَخَافُ مِنْ عَدَمِ تَحَمُّلِهِ ٱلْجَائِحَةَ(٧) عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ لَمْ يَجْزَعْ(٨) مِنْ شِدَّةِ ٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ لِمَا يَرْجُو مِنْ أَنْ يُعْقِبَهُ صَبْرُهُ حُسْنَ ٱلْعَاقِبَةِ وَكَثِيرَ ٱلْخَيْرِ. فَلَمْ يَجِدْ لِذٰلِكَ أَلَمًا وَلَمْ تَكْرَهْ نَفْسُهُ ٱلْخُضُوعَ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ حَتَّى يَبْلُغَ حَاجَتَهُ فَيَغْتَبِطَ(٩) بِخَاتِمَةِ أَمْرِهِ وَعَاقِبَةِ صَبْرِهِ * فَقَالَ ٱلْمَلِكُ أَخْبِرْنِي عَنْ عُقُولِ ٱلْبُومِ. قَالَ ٱلْغُرَابُ لَمْ أَجِدْ فِيهِنَّ عَاقِلًا إِلَّا ٱلَّذِي كَانَ يَحُثُّهُنَّ عَلَى قَتْلِي وَكَانَ حَرَّضَهُنَّ عَلَى ذٰلِكَ مِرَارًا فَكُنَّ أَضْعَفَ شَيْءٍ رَأْيًا فَلَمْ يَنْظُرْنَ فِي أَمْرِي وَيَذْكُرْنَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ ذَا مَنْزِلَةٍ فِي ٱلْغِرْبَانِ وَأَنِّي أُعَدُّ مِنْ ذَوِي ٱلرَّأْيِ. وَلَمْ يَتَخَوَّفْنَ مَكْرِي وَحِيلَتِي وَلَا قَبِلْنَ مِنَ ٱلنَّاصِحِ ٱلشَّفِيقِ(١٠) وَلَا أَخْفَيْنَ دُونِي أَسْرَارَهُنَّ. وَقَدْ قَالَتِ ٱلْعُلَمَاءُ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُحَصِّنَ أُمُورَهُ مِنَ

---

(١) واجدون (٢) جمع نقب وهو الخرق (٣) اي نجلب اليها الريح (٤) جميعاً (٥) حرق (٦) الشنيع (٧) المصيبة العظيمة التي تهلك الناس (٨) اي لم يظهر الحزن والاضطراب (٩) اي يتحسن حاله ويسر (١٠) الحريص على الاصلاح

أَهلِ ٱلنَّمِيمَةِ وَلَا يُطلِعُ أَحدًا مِنهُم عَلَى مَوَاضِعِ سِرِّهِ . وَقَدْ قِيلَ يَنبَغِي لِلمَرْءِ أَنْ يَتَحَفَّظَ مِنْ عَدُوِّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي ٱلْمَاءِ ٱلَّذِي يَشْرَبُهُ وَيَغتَسِلُ بِهِ وَٱلفِرَاشِ ٱلَّذِي يَنَامُ عَلَيهِ وَٱلحُلَّةِ[١] ٱلَّتِي يَلبَسُهَا وَٱلدَّابَّةِ ٱلَّتِي يَرْكَبُهَا . وَلَا يَأْمَنَ عَلَى نَفسِهِ إِلَّا ٱلثِّقَةَ[٢] ٱلأَمِينَ ٱلسَّالِمَ ٱلبَاطِنِ وَٱلظَّاهِرِ وَيَكُونَ بَعدَ ذٰلِكَ كُلِّهِ عَلَى حَذَرٍ مِنهُ . لِأَنَّ عَدُوَّهُ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَيهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ ثِقَاتِهِ فَرُبَّمَا كَانَ أَحَدُهُم لِعَدُوِّهِ صَدِيقًا فَيَصِلُ ٱلعَدُوُّ إِلَى مُرَادِهِ مِنهُ . فَقَالَ ٱلمَلِكُ مَا أَهلَكَ ٱلبُومَ فِي نَفسِي[٣] إِلَّا ٱلبَغْيُ[٤] وَضُعفُ رَأْيِ ٱلمَلِكِ وَمُوَافَقَتُهُ وُزَرَاءَ ٱلسُّوءِ . فَقَالَ ٱلغُرَابُ صَدَقتَ أَيُّهَا ٱلمَلِكُ إِنَّهُ قَلَّمَا ظَفِرَ أَحَدٌ بِغِنًى وَلَمْ يَطْغَ[٥] وَقَلَّمَا حَرَصَ ٱلرَّجُلُ عَلَى ٱلنِّسَاءِ وَلَمْ يَفْتَضِحْ[٦] . وَقَلَّ مَنْ أَكثَرَ مِنَ ٱلطَّعَامِ وَلَمْ يَمرَضْ . وَقَلَّ مَنْ وَثِقَ بِوُزَرَاءِ ٱلسُّوءِ وَسَلِمَ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي ٱلمَهَالِكِ . وَكَانَ يُقَالُ لَا يَطمَعَنَّ ذُو ٱلكِبْرِ[٧] فِي حُسنِ ٱلثَّنَاءِ . وَلَا ٱلخَبُّ[٨] فِي حُسنِ ٱلصَّدِيقِ . وَلَا ٱلسَّيِّئُ ٱلآدَابِ فِي ٱلشَّرَفِ . وَلَا ٱلشَّحِيحُ[٩] فِي ٱلبِرِّ[١٠] وَلَا ٱلحَرِيصُ فِي قِلَّةِ ٱلذُّنُوبِ . وَلَا ٱلمَلِكُ ٱلمُختَالُ[١١] ٱلمُتَهَاوِنُ[١٢] بِٱلأُمُورِ ٱلضَّعِيفُ ٱلوُزَرَاءِ فِي ثَبَاتِ مُلكِهِ وَصَلَاحِ رَعِيَّتِهِ * قَالَ ٱلمَلِكُ : لَقَدِ ٱحتَمَلتَ مَشَقَّةً شَدِيدَةً فِي تَصَنُّعِكَ[١٣] لِلبُومِ وَتَضَرُّعِكَ إِلَيهِنَّ . قَالَ ٱلغُرَابُ إِنَّهُ مَنِ ٱحتَمَلَ مَشَقَّةً يَرْجُو نَفعَهَا وَنَحَّى[١٤] عَنْ نَفسِهِ ٱلأَنَفَةَ[١٥] وَٱلحَمِيَّةَ[١٦] وَوَطَّنَهَا عَلَى ٱلصَّبرِ[١٧] حَمِدَ غِبَّ[١٨] رَأْيِهِ . وَإِنَّهُ يُقَالُ لَوْ

(١) الثوب (٢) الموثوق به (٣) اي في اعتقادي (٤) الظلم (٥) يسرف في المعاصي والظلم (٦) لم تنكشف مساوئه (٧) الكبرياء (٨) الخداع (٩) البخيل (١٠) الصلاح (١١) المتكبر (١٢) المحتقر والمستخفف (١٣) اظهارك عن نفسك ما ليس فيك (١٤) ابعد (١٥) عزة النفس (١٦) النخوة والمروءة والحماسة (١٧) مهدها لفعله واقرّها عليه (١٨) عاقبة

أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ عَدُوَّهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَرْجُو هَلَاكَهُ وَرَاحَتَهُ مِنْهُ لَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَهُ خَفِيفًا هَيِّنًا كَمَا صَبَرَ ٱلْأَسْوَدُ[١] عَلَى حَمْلِ مَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ عَلَى ظَهْرِهِ وَشَبِعَ بِذَٰلِكَ وَعَاشَ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذَٰلِكَ

قَالَ ٱلْغُرَابُ: زَعَمُوا أَنَّ أَسْوَدَ مِنَ ٱلْحَيَّاتِ كَبِرَ وَضَعُفَ بَصَرُهُ وَذَهَبَتْ قُوَّتُهُ فَلَمْ يَسْتَطِعْ صَيْدًا وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى طَعَامٍ. وَإِنَّهُ ٱنْسَابَ[٢] يَلْتَمِسُ شَيْئًا يَعِيشُ بِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى عَيْنٍ كَثِيرَةِ ٱلضَّفَادِعِ قَدْ كَانَ يَأْتِيهَا قَبْلَ ذَٰلِكَ فَيُصِيبُ مِنْ ضَفَادِعِهَا رِزْقَهُ. فَرَمَى نَفْسَهُ قَرِيبًا مِنْهُنَّ مُظْهِرًا لِلْكَآبَةِ وَٱلْحُزْنِ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُهَا مَالِي أَرَاكَ أَيُّهَا ٱلْأَسْوَدُ كَئِيبًا حَزِينًا. قَالَ وَمَنْ أَحْرَى[٣] بِطُولِ ٱلْحُزْنِ مِنِّي. وَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُ مَعِيشَتِي مِمَّا كُنْتُ أُصِيبُ مِنَ ٱلضَّفَادِعِ فَٱبْتُلِيتُ بِبَلَاءٍ حَرُمَتْ عَلَيَّ ٱلضَّفَادِعُ مِنْ أَجْلِهِ حَتَّى إِنِّي إِذَا ٱلْتَقَيْتُ بِبَعْضِهَا لَا أَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِهِ. فَٱنْطَلَقَ ٱلضِّفْدِعُ إِلَى مَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ فَبَشَّرَهُ بِمَا سَمِعَ مِنَ ٱلْأَسْوَدِ. فَأَتَى مَلِكُ ٱلضَّفَادِعِ إِلَى ٱلْأَسْوَدِ فَقَالَ لَهُ كَيْفَ كَانَ أَمْرُكَ. قَالَ سَعَيْتُ مُنْذُ أَيَّامٍ فِي طَلَبِ ضِفْدِعٍ وَذَٰلِكَ عِنْدَ ٱلْمَسَاءِ فَٱضْطَرَرْتُهُ[٤] إِلَى بَيْتِ نَاسِكٍ وَدَخَلْتُ فِي أَثَرِهِ فِي ٱلظُّلْمَةِ وَفِي ٱلْبَيْتِ ٱبْنٌ لِلنَّاسِكِ فَأَصَبْتُ إِصْبَعَهُ فَظَنَنْتُ أَنَّهَا ٱلضِّفْدِعُ فَلَدَغْتُهُ فَمَاتَ. فَخَرَجْتُ هَارِبًا فَتَبِعَنِي ٱلنَّاسِكُ فِي أَثَرِي وَدَعَا عَلَيَّ وَلَعَنَنِي وَقَالَ كَمَا قَتَلْتَ ٱبْنِي ٱلْبَرِيءَ ظُلْمًا وَتَعَدِّيًا أَدْعُو عَلَيْكَ أَنْ تَذِلَّ وَتَصِيرَ مَرْكَبًا لِمَلِكِ ٱلضَّفَادِعِ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَخْذَهَا وَلَا أَكْلَ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْكَ مَلِكُهَا. فَأَتَيْتُ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَنِي مُقِرًّا

---

(١) الحية العظيمة وفيها سواد (٢) جرى وتدافع في مشيه (٣) أولى
(٤) ألجأته

بِذٰلِكَ رَاضِياً بِهِ * فَرَغِبَ مَلِكُ ٱلضَّفَادِعِ فِي رُكُوبِ ٱلْأَسْوَدِ وَظَنَّ أَنَّ ذٰلِكَ فَخْرٌ لَهُ وَشَرَفٌ وَرِفْعَةٌ فَرَكِبَهُ وَٱسْتَطَابَ ذٰلِكَ . فَقَالَ لَهُ ٱلْأَسْوَدُ قَدْ عَلِمْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنِّي مَحْرُومٌ فَٱجْعَلْ لِي رِزْقاً أَعِيشُ بِهِ . قَالَ مَلِكُ ٱلضَّفَادِعِ لَعَمْرِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ رِزْقٍ يَقُومُ بِكَ إِذَا كُنْتَ مَرْكَبِي فَأَمَرَ لَهُ بِضِفْدِعَيْنِ يُؤْخَذَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَيُدْفَعَانِ إِلَيْهِ . فَعَاشَ بِذٰلِكَ وَلَمْ يَضُرَّهُ خُضُوعُهُ لِلْعَدُوِّ ٱلذَّلِيلِ بَلِ ٱنْتَفَعَ بِذٰلِكَ وَصَارَ لَهُ رِزْقاً وَمَعِيشَةً

وَكَذٰلِكَ كَانَ صَبْرِي عَلَى مَا صَبَرْتُ عَلَيْهِ ٱلْتِمَاساً لِهٰذَا ٱلنَّفْعِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي ٱجْتَمَعَ لَنَا فِيهِ ٱلْأَمْنُ وَٱلظَّفَرُ وَهَلَاكُ ٱلْعَدُوِّ وَٱلرَّاحَةُ مِنْهُ . وَوَجَدْتُ صَرْعَةَ[1] ٱللِّينِ وَٱلرِّفْقِ أَسْرَعَ وَأَشَدَّ ٱسْتِئْصَالاً[2] لِلْعَدُوِّ مِنْ صَرْعَةِ ٱلْمُكَابَرَةِ وَٱلْعِنَادِ . فَإِنَّ ٱلنَّارَ لَا تَزِيدُ بِحِدَّتِهَا وَحَرِّهَا إِذَا أَصَابَتِ ٱلشَّجَرَةَ عَلَى أَنْ تُحْرِقَ مَا فَوْقَ ٱلْأَرْضِ مِنْهَا . وَٱلْمَاءُ بِلِينِهِ وَبَرْدِهِ يَسْتَأْصِلُ مَا تَحْتَ ٱلْأَرْضِ مِنْهَا . وَيُقَالُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ قَلِيلُهَا ٱلنَّارُ وَٱلْمَرَضُ وَٱلْعَدُوُّ وَٱلدَّيْنُ * قَالَ ٱلْغُرَابُ وَكُلُّ ذٰلِكَ كَانَ مِنْ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ وَأَدَبِهِ وَسَعَادَةِ جَدِّهِ[3] وَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ إِذَا طَلَبَ ٱثْنَانِ أَمْراً ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمَا أَفْضَلُهُمَا مُرُوءَةً . فَإِنِ ٱعْتَدَلَا[4] فِي ٱلْمُرُوءَةِ فَأَشَدُّهُمَا عَزْماً[5] فَإِنِ ٱسْتَوَيَا فِي ٱلْعَزْمِ فَأَسْعَدُهُمَا جَدّاً * وَكَانَ يُقَالُ مَنْ حَارَبَ ٱلْمَلِكَ ٱلْحَازِمَ ٱلْأَرِيبَ[6] ٱلْمُتَضَرِّعَ[7] ٱلَّذِي لَا تُبْطِرُهُ ٱلسَّرَّاءُ وَلَا تُدْهِشُهُ ٱلضَّرَّاءُ كَانَ هُوَ دَاعِيَ ٱلْحَتْفِ[8] إِلَى نَفْسِهِ . وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مِثْلَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْعَالِمُ بِفُرُوضِ ٱلْأَعْمَالِ وَمَوَاضِعِ ٱلشِّدَّةِ وَٱللِّينِ

(١) اي اهلاك (٢) يقال استأصل الشيء اي قطعه من اصله (٣) حظه (٤) تناسبا (٥) العزم عقد القلب على الشيء وتوطيد النفس على فعله (٦) الحاذق بكل عمل (٧) المتذلل لله تعالى (٨) الهلاك

وَٱلْغَضَبِ وَٱلرِّضَى وَٱلْمُعَاجَلَةِ وَٱلْأَنَاةِ[١] ٱلنَّاظِرُ فِي أَمْرِ يَوْمِهِ وَغَدِهِ وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ لِلْغُرَابِ : بَلْ بِرَأْيِكَ وَعَقْلِكَ وَنَصِيحَتِكَ وَيُمْنِ[٢] طَالِعِكَ[٣] كَانَ ذٰلِكَ . فَإِنَّ رَأْيَ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْعَاقِلِ ٱلْحَازِمِ أَبْلَغُ فِي هَلَاكِ ٱلْعَدُوِّ مِنَ ٱلْجُنُودِ ٱلْكَثِيرَةِ مِنْ ذَوِي ٱلْبَأْسِ وَٱلنَّجْدَةِ[٤] وَٱلْعَدَدِ وَٱلْعُدَّةِ[٥] وَإِنَّ مِنْ عَجِيبِ أَمْرِكَ عِنْدِي طُولَ لُبْثِكَ[٦] بَيْنَ ظَهْرَانَيِ[٧] ٱلْبُومِ تَسْمَعُ ٱلْكَلَامَ ٱلْغَلِيظَ ثُمَّ لَمْ تَسْقُطْ بَيْنَهُنَّ بِكَلِمَةٍ . قَالَ ٱلْغُرَابُ لَمْ أَزَلْ مُتَمَسِّكاً بِأَدَبِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَصْحَبُ ٱلْبَعِيدَ وَٱلْقَرِيبَ بِٱلرِّفْقِ وَٱللِّينِ وَٱلْمُبَالَغَةِ وَٱلْمُوَاتَاةِ[٨]

قَالَ ٱلْمَلِكُ : أَصَبْتُ وَقَدْ وَجَدْتُكَ صَاحِبَ ٱلْعَمَلِ وَوَجَدْتُ غَيْرَكَ مِنَ ٱلْوُزَرَاءِ أَصْحَابَ أَقَاوِيلَ لَيْسَ لَهَا عَاقِبَةٌ حَمِيدَةٌ فَقَدْ مَنَّ ٱللهُ عَلَيْنَا بِكَ مِنَّةً عَظِيمَةً لَمْ نَكُنْ قَبْلَهَا نَجِدُ لَذَّةَ ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ وَلَا ٱلنَّوْمِ وَلَا ٱلْقَرَارِ . وَكَانَ يُقَالُ لَا يَجِدُ ٱلْمَرِيضُ لَذَّةَ ٱلطَّعَامِ وَٱلنَّوْمِ حَتَّى يَبْرَأَ . وَلَا ٱلرَّجُلُ ٱلشَّرِهُ[٩] ٱلَّذِي قَدْ أَطْمَعَهُ سُلْطَانُهُ فِي مَالٍ وَعَمَلٍ فِي يَدِهِ حَتَّى يُنْجِزَهُ[١٠] لَهُ وَلَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي قَدْ أَلَحَّ[١١] عَلَيْهِ عَدُوُّهُ وَهُوَ يَخَافُهُ صَبَاحاً وَمَسَاءً حَتَّى يَسْتَرِيحَ مِنْهُ قَلْبُهُ . وَمَنْ وَضَعَ ٱلْحِمْلَ ٱلثَّقِيلَ عَنْ يَدِهِ أَرَاحَ نَفْسَهُ . وَمَنْ أَمِنَ عَدُوَّهُ ثَلِجَ[١٢] صَدْرُهُ * قَالَ ٱلْغُرَابُ أَسْأَلُ ٱللهَ ٱلَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّكَ

---

(١) الحلم والتأني (٢) بركة (٣) الطالع عند المنجمين هو جزء من منطقة البروج يكون على الافق الشرقي في وقت مخصوص فان كان ذلك الوقت زمان ولادة شخص يقال له طالع ذلك الشخص وبحسب ذلك يحكمون له بالسعد او النحس (٤) الشجاعة والقتال (٥) السلاح (٦) اقامتك (٧) اي في وسطهم (٨) الملاينة والموافقة (٩) الشديد الحرص على الطعام (١٠) يقضيه (١١) اي اقبل عليه وواظبه (١٢) اطمأنّ

أَنْ يُمَتِّعَكَ[١] بِسُلْطَانِكَ وَأَنْ يَجْعَلَ فِي ذَٰلِكَ صَلَاحَ رَعِيَّتِكَ وَيُشْرِكَهُمْ فِي قُرَّةِ ٱلْعَيْنِ[٢] بِمُلْكِكَ. فَإِنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي مُلْكِهِ قُرَّةُ عُيُونِ رَعِيَّتِهِ فَمَثَلُهُ مَثَلُ زَنَمَةِ[٣] ٱلْعَنْزِ ٱلَّتِي يَمُصُّهَا ٱلْجَدْيُ وَهُوَ يَحْسَبُهَا حَلَمَةَ ٱلضَّرْعِ[٤] فَلَا يُصَادِفُ فِيهَا خَيْرًا

قَالَ ٱلْمَلِكُ : أَيُّهَا ٱلْوَزِيرُ ٱلصَّالِحُ كَيْفَ كَانَتْ سِيرَةُ ٱلْبُومِ وَمَلِكِهَا فِي حُرُوبِهَا وَفِيمَا كَانَتْ فِيهِ مِنْ أُمُورِهَا * قَالَ ٱلْغُرَابُ : كَانَتْ سِيرَتُهُ سِيرَةَ بَطَرٍ وَأَشَرٍ[٥] وَخُيَلَاءَ[٦] وَعَجْزٍ وَفَخْرٍ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ ٱلصِّفَاتِ ٱلذَّمِيمَةِ. وَكُلُّ أَصْحَابِهِ وَوُزَرَائِهِ شَبِيهٌ بِهِ إِلَّا ٱلْوَزِيرَ ٱلَّذِي كَانَ يُشِيرُ عَلَيْهِ بِقَتْلِي فَإِنَّهُ كَانَ حَكِيمًا أَرِيبًا فَيْلَسُوفًا[٧] حَازِمًا قَلَّمَا يُرَى مِثْلُهُ فِي عُلُوِّ ٱلْهِمَّةِ وَكَمَالِ ٱلْعَقْلِ وَجُودَةِ ٱلرَّأْيِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ وَأَيُّ خَصْلَةٍ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَى عَقْلِهِ. قَالَ خَلَّتَانِ إِحْدَاهُمَا رَأْيُهُ فِي قَتْلِي وَٱلْأُخْرَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْتُمُ صَاحِبَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنِ ٱسْتَثْقَلَهَا. وَلَمْ يَكُنْ كَلَامُهُ كَلَامَ عُنْفٍ[٨] وَقَسْوَةٍ وَلٰكِنَّهُ كَلَامُ رِفْقٍ وَلِينٍ حَتَّى أَنَّهُ رُبَّمَا أَخْبَرَهُ بِبَعْضِ عُيُوبِهِ وَلَا يُصَرِّحُ بِحَقِيقَةِ ٱلْحَالِ بَلْ يَضْرِبُ لَهُ ٱلْأَمْثَالَ وَيُحَدِّثُهُ بِعَيْبِ غَيْرِهِ فَيَعْرِفُ عَيْبَهُ فَلَا يَجِدُ مَلِكُهُ إِلَى ٱلْغَضَبِ عَلَيْهِ سَبِيلًا وَكَانَ مِمَّا سَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَلِكِهِ أَنَّهُ قَالَ لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ جَسِيمٌ لَا يَظْفَرُ بِهِ مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا يُدْرَكُ إِلَّا بِٱلْحَزْمِ. فَإِنَّ ٱلْمُلْكَ عَزِيزٌ فَمَنْ ظَفِرَ بِهِ فَلْيُحْسِنْ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ فَإِنَّهُ قَدْ

---

(١) ان يطيل انتفاعك (٢) اي السرور (٣) لحمة تتدلى من عنق العنز
(٤) الضرع لذات الظلف كالثدي للمرأة والخلف للناقة (٥) ترق واختيال
(٦) كبرياء (٧) عالمًا بالفلسفة وهي محبة الحكمة (٨) شدة وخشونة

قِيلَ إِنَّهُ فِي قِلَّةِ بَقَائِهِ بِمَنْزِلَةِ قِلَّةِ بَقَاءِ ٱلظِّلِّ عَنْ وَرَقِ ٱلنَّيْلُوفَرِ (١) وَهُوَ فِي خِفَّةِ زَوَالِهِ وَسُرْعَةِ إِقْبَالِهِ وَإِدْبَارِهِ كَالرِّيحِ وَفِي قِلَّةِ ثَبَاتِهِ كَاللَّبِيبِ (٢) مَعَ ٱللِّئَامِ وَفِي سُرْعَةِ ٱضْمِحْلَالِهِ كَحَبَابِ ٱلْمَاءِ (٣) مِنْ وَقْعِ ٱلْمَطَرِ

فَهٰذَا مَثَلُ أَهْلِ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلَّذِينَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُغْتَرَّ بِهِمْ وَإِنْ هُمْ أَظْهَرُوا تَوَدُّدًا وَتَضَرُّعًا

# باب

## ٱلْقِرْدِ وَٱلْغَيْلَمِ (٤)

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ: إِنَّ طَلَبَ ٱلْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنَ ٱلِٱحْتِفَاظِ بِهَا وَمَنْ ظَفِرَ بِٱلْحَاجَةِ ثُمَّ لَمْ يُحْسِنِ ٱلْقِيَامَ بِهَا أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلْغَيْلَمَ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا: زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا كَانَ مَلِكَ ٱلْقِرَدَةِ يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَهَرِمَ. فَوَثَبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ ٱلْمَمْلَكَةِ فَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى ٱنْتَهَى إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَوَجَدَ شَجَرَةً مِنْ شَجَرِ ٱلتِّينِ فَٱرْتَقَى (٥) إِلَيْهَا وَجَعَلَهَا مُقَامَهُ (٦). فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ

---

(١) ضرب من الرياحين وقدمر (٢) العاقل (٣) ما يطفو فوقه من الفقاقيع وهي كرات تعلوه ممتلئة هواء (٤) ذكر السلحفاة (٥) صعد (٦) محل اقامته

ذٰلِكَ ٱلتِّينِ إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تِينَةٌ فِي ٱلْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِيقَاعًا (١) فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرْمِي فِي ٱلْمَاءِ فَأَطْرَبَهُ ذٰلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطْرِيحِ ٱلتِّينِ فِي ٱلْمَاءِ وَثَمَّ (٢) غَيْلَمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تِينَةٌ أَكَلَهَا . فَلَمَّا كَثُرَ ذٰلِكَ ظَنَّ أَنَّ ٱلْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغِبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنِسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ وَأَلِفَ (٣) كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَتْ غَيْبَةُ ٱلْغَيْلَمِ عَنْ زَوْجَتِهِ فَجَزِعَتْ (٤) عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذٰلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَضَ لَهُ عَارِضُ سُوءٍ فَٱغْتَالَهُ (٥) فَقَالَتْ لَهَا إِنَّ زَوْجَكِ فِي ٱلسَّاحِلِ قَدْ أَلِفَ قِرْدًا وَأَلِفَهُ ٱلْقِرْدُ فَهُوَ مُؤَاكِلُهُ وَمُشَارِبُهُ (٦) وَهُوَ ٱلَّذِي قَطَعَهُ عَنْكِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَكِ حَتَّى تَحْتَالِي لِهَلَاكِ ٱلْقِرْدِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ أَصْنَعُ . قَالَتْ جَارَتُهَا إِذَا وَصَلَ إِلَيْكِ فَتَمَارَضِي (٧) فَإِذَا سَأَلَكِ عَنْ حَالِكِ فَقُولِي إِنَّ ٱلْأَطِبَّاءَ وَصَفُوا لِي قَلْبَ قِرْدٍ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْغَيْلَمَ ٱنْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةَ (٨) ٱلْحَالِ مَهْمُومَةً فَقَالَ لَهَا : مَالِي أَرَاكِ هٰكَذَا . فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا وَقَالَتْ : إِنَّ زَوْجَتَكَ مَرِيضَةٌ مِسْكِينَةٌ وَقَدْ وَصَفَ لَهَا ٱلْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : هٰذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي ٱلْمَاءِ وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا . ثُمَّ قَالَ فِي نَفْسِهِ : مَالِي قُدْرَةٌ عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا أَنْ أَغْدِرَ بِخَلِيلِي (٩) وَصَاحِبِي وَإِثْمُهُ (١٠) عِنْدِي شَدِيدٌ وَأَشَدُّ مِنْ ذٰلِكَ هَلَاكُ زَوْجَتِي لِأَنَّ ٱلزَّوْجَةَ ٱلصَّالِحَةَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ لِأَنَّهَا عَوْنٌ (١١) عَلَى أَمْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ

---

(١) نغمة حسنة (٢) هناك (٣) اي صادقهُ (٤) خافت (٥) اهلكهُ
(٦) اي آكل وشارب معهُ (٧) اي تظاهري بانك مريضة (٨) رديئة
(٩) بصديقي (١٠) ذنبهُ اي ذنب هذا الغدر (١١) معينة

ثُمَّ عَادَ إِلَى ٱلسَّاحِلِ حَزِيناً كَئِيباً مُفَكِّراً فِي نَفْسِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ. فَقَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ (١) عَنِّي. قَالَ لَهُ ٱلْغَيْلَمُ: مَا حَبَسَنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَائِي فَلَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أُكَافِئُكَ عَلَى إِحْسَانِكَ إِلَيَّ. وَأُرِيدُ أَنْ تُتِمَّ إِحْسَانَكَ إِلَيَّ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَنْزِلِي فَإِنِّي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَيِّبَةِ ٱلْفَاكِهَةِ. فَٱرْكَبْ ظَهْرِي لِأَسْبَحَ بِكَ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَلْتَمِسُهُ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِلَّائِهِ أَنْ يَغْشَوْا (٢) مَنْزِلَهُ وَيَنَالُوا مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَيَعْرِفَهُمْ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ وَجِيرَانُهُ. وَأَنْتَ لَمْ تَطَأْ (٣) مَنْزِلِي وَلَمْ تَذُقْ لِي طَعَاماً وَلَا شَرَاباً وَذٰلِكَ مَنْقَصَةٌ وَعَارٌ عَلَيَّ. قَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ: وَمَا يُرِيدُ ٱلْمَرْءُ مِنْ خَلِيلِهِ إِلَّا أَنْ يَبْذُلَ لَهُ وُدَّهُ (٤) وَيُصْفِيَ لَهُ قَلْبَهُ وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَفُضُولٌ (٥). قَالَ ٱلْغَيْلَمُ نَعَمْ. غَيْرَ أَنَّ ٱلِٱجْتِمَاعَ عَلَى ٱلطَّعَامِ وَٱلشَّرَابِ آكَدُ (٦) لِلْمَوَدَّةِ وَٱلْأُنْسِ. لِأَنَّا نَرَى ٱلدَّوَابَّ إِذَا ٱعْتَلَفَتْ (٧) مَعاً أَلِفَ بَعْضُهَا بَعْضاً. وَكَانَ يُقَالُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَلِجَّ عَلَى إِخْوَانِهِ فِي ٱلْمَسْأَلَةِ فَإِنَّ ٱلْعِجْلَ إِذَا أَكْثَرَ مَصَّ ضَرْعِ (٨) أُمِّهِ نَطَحَتْهُ. فَرَغِبَ ٱلْقِرْدُ فِي ٱلذَّهَابِ مَعَهُ فَقَالَ حُبّاً وَكَرَامَةً وَنَزَلَ فَرَكِبَ ظَهْرَ ٱلْغَيْلَمِ فَسَبَحَ بِهِ. حَتَّى إِذَا تَجَاوَزَ قَلِيلاً عَرَضَ لَهُ قُبْحُ مَا أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ ٱلْغَدْرِ فَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَوَقَفَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ كَيْفَ أَغْدِرُ بِخَلِيلِي لِكَلِمَةٍ قَالَتْهَا ٱمْرَأَةٌ مِنَ ٱلْجَاهِلَاتِ. وَمَا أَدْرِي لَعَلَّ جَارَتِي قَدْ خَدَعَتْنِي وَكَذَبَتْ بِمَا رَوَتْ (٩) عَنِ ٱلْأَطِبَّاءِ. فَإِنَّ ٱلذَّهَبَ يُجَرَّبُ بِٱلنَّارِ وَٱلرِّجَالَ بِٱلْأَخْذِ وَٱلْعَطَاءِ وَٱلدَّوَابَّ بِٱلْحَمْلِ وَٱلْجَرْيِ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُجَرِّبَ مَكْرَ ٱلنِّسَاءِ وَلَا يَقْدِرُ

---

(١) اي ما منعك (٢) يأتوا (٣) تدُس (٤) اي يقدم لهُ الحب (٥) اي زيادة بلا فائدة (٦) اي اكثر تأكيداً (٧) اطعمت العلف وهو ما تطعمه الدواب (٨) الضرع للبقر ونحوها بمنزلة الثدي للمرأة وقد مرّ (٧) نقلت

عَلى كَيْدِهِنَّ وَ كَثْرَةِ حِيَلِهِنَّ

فَقَالَ لَهُ ٱلقِرْدُ : مَالِي أَرَاكَ مُهتَمًا . قَالَ ٱلغَيْلَمُ : إِنَّمَا هَمِّي لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ زَوْجَتِي شَدِيدَةُ ٱلمَرَضِ وَذٰلِكَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَهُ (١) مِنْ كَرَامَتِكَ وَمُلَاطَفَتِكَ . قَالَ ٱلقِرْدُ : إِنَّ ٱلَّذِي أَعْرِفُ مِنْ حِرْصِكَ عَلى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَؤُونَةَ (٢) ٱلتَّكَلُّفِ . قَالَ ٱلغَيْلَمُ أَجَلْ (٣) وَمَضَى بِٱلقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَسَاءَ ظَنُّ ٱلقِرْدِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا ٱحْتِبَاسُ ٱلغَيْلَمِ وَإِبْطَاؤُهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ قَدْ تَغَيَّرَ لِي وَحَالَ (٤) عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخَفُّ وَأَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ ٱلقَلْبِ . وَقَدْ يُقَالُ يَنْبَغِي لِلعَاقِلِ أَنْ لَا يَغْفُلَ عَنِ ٱلتِمَاسِ مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ وَعِنْدَ ٱلقِيَامِ وَٱلقُعُودِ وَعَلى كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلى مَا فِي ٱلقُلُوبِ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلعُلَمَاءُ إِذَا دَخَلَ قَلْبَ ٱلصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيبَةٌ (٥) فَلْيَأْخُذْ بِٱلحَزْمِ (٦) فِي ٱلتَّحَفُّظِ مِنْهُ . وَلْيَتَفَقَّدْ ذٰلِكَ فِي لَحَظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ فَإِنْ كَانَ مَا يَظُنُّ حَقًّا ظَفِرَ بِٱلسَّلَامَةِ وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَفِرَ بِٱلحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ ذٰلِكَ

ثُمَّ قَالَ لِلغَيْلَمِ مَا يَحْبِسُكَ وَمَالِي أَرَاكَ مُهتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى . قَالَ يُهِمُّنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تَجِدُ أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي مَرِيضَةٌ . قَالَ ٱلقِرْدُ لَا تَغْتَمَّ (٧) فَإِنَّ ٱلغَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ (٨) شَيْئًا . وَلٰكِنِ ٱلتَمِسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ ٱلأَدْوِيَةِ وَٱلأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ لِيَبْذُلْ

---

(١) اي ان اصل اليه (٢) ثقل وشدة (٣) نعم (٤) انقلب (٥) شك
(٦) الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٧) لا تحزن (٨) اي لا ينفعك

ذَوُو ٱلْمَالِ مَالَهُمْ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ فِي ٱلصَّدَقَةِ وَفِي وَقْتِ ٱلْحَاجَةِ وَعَلَى ٱلْبَنِينِ وَعَلَى ٱلْأَزْوَاجِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كُنَّ صَالِحَاتٍ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ صَدَقْتَ . وَقَدْ قَالَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ إِنَّهُ لَا دَوَاءَ لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءَتَاهُ[1] لَقَدْ أَدْرَكَنِي ٱلْحِرْصُ وَٱلشَّرَهُ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ وَرْطَةٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ ٱلَّذِي قَالَ يَعِيشُ ٱلْقَانِعُ ٱلرَّاضِي مُسْتَرِيحاً مُطْمَئِنّاً وَذُو ٱلْحِرْصِ وَٱلشَّرَهِ يَعِيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ[2] . وَإِنِّي قَدِ ٱحْتَجْتُ ٱلْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي ٱلْتِمَاسِ ٱلْمَخْرَجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ * ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَصْلَحَكَ ٱللّٰهُ أَنْ تُعْلِمَنِي عِنْدَ مَنْزِلِي حَتَّى كُنْتُ أَحْمِلُ قَلْبِي مَعِي . فَإِنَّ هٰذِهِ سُنَّةٌ[3] فِينَا مَعَاشِرَ[4] ٱلْقِرَدَةِ إِذَا خَرَجَ أَحَدُنَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَّفَ[5] قَلْبَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ لِنَنْظُرَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرَمِ[6] ٱلْمَزُورِ وَلَيْسَ قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ ٱلْآنَ . قَالَ خَلَّفْتُهُ فِي ٱلشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَٱرْجِعْ بِي إِلَى ٱلشَّجَرَةِ حَتَّى آتِيَكَ بِهِ . فَفَرِحَ ٱلْغَيْلَمُ بِذٰلِكَ وَقَالَ : لَقَدْ وَافَقَنِي صَاحِبِي بِدُونِ أَنْ أَغْدِرَ بِهِ ثُمَّ رَجَعَ بِٱلْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ ٱلسَّاحِلَ وَثَبَ[7] عَنْ ظَهْرِهِ فَٱرْتَقَى ٱلشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى ٱلْغَيْلَمِ نَادَاهُ يَا خَلِيلِي[8] ٱحْمِلْ قَلْبَكَ وَٱنْزِلْ فَقَدْ حَبَسْتَنِي . فَقَالَ ٱلْقِرْدُ هَيْهَاتَ[9] أَتَظُنُّ أَنِّي كَٱلْحِمَارِ ٱلَّذِي زَعَمَ ٱبْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْقِرْدُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ أَسَدٌ فِي أَجَمَةٍ[10] وَكَانَ مَعَهُ ٱبْنُ آوَى

---

(١) اي واحزني (٢) اعياء (٣) طريقة (٤) جماعات (٥) ترك (٦) نساء (٧) قفز (٨) ياصديقي (٩) اي بَعُدَ نزولي اليك (١٠) واحدة الاجم وهو الشجر الكثيف الملتف

يَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ . فَأَصَابَ ٱلْأَسَدَ جَرَبٌ وَضَعُفَ شَدِيدًا وَجُهِدَ [1] فَلَمْ يَسْتَطِعِ ٱلصَّيْدَ . فَقَالَ لَهُ ٱبْنُ آوَى : مَا بَالُكَ يَا سَيِّدَ ٱلسِّبَاعِ قَدْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُكَ . قَالَ هٰذَا ٱلْجَرَبُ ٱلَّذِي قَدْ جَهَدَنِي وَلَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ إِلَّا قَلْبُ حِمَارٍ وَأُذُنَاهُ . قَالَ ٱبْنُ آوَى مَا أَيْسَرَ هٰذَا . وَقَدْ عَرَفْتُ بِمَكَانِ كَذَا حِمَارًا مَعَ قَصَّارٍ [2] يَحْمِلُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ وَأَنَا آتِيكَ بِهِ . ثُمَّ دَلَفَ [3] إِلَى ٱلْحِمَارِ فَأَتَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ مَا لِي أَرَاكَ مَهْزُولًا . قَالَ لِسُوءِ تَدْبِيرِ صَاحِبِي فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ يُجِيعُ بَطْنِي وَيُثْقِلُ ظَهْرِي . وَمَا تَجْتَمِعُ هَاتَانِ ٱلْحَالَتَانِ عَلَى جِسْمٍ إِلَّا أَنْحَلَتَاهُ [4] وَأَسْقَمَتَاهُ . فَقَالَ لَهُ كَيْفَ تَرْضَى ٱلْمُقَامَ مَعَهُ عَلَى هٰذَا . قَالَ مَا لِي حِيلَةٌ لِلْهَرَبِ مِنْهُ فَلَسْتُ أَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ إِلَّا أَضَرَّ بِي إِنْسَانٌ فَكَدَّنِي [5] وَأَجَاعَنِي . قَالَ ٱبْنُ آوَى فَأَنَا أَدُلُّكَ عَلَى مَكَانٍ مَعْزُولٍ عَنِ ٱلنَّاسِ لَا يَمُرُّ بِهِ إِنْسَانٌ . خَصِيبِ ٱلْمَرْعَى فِيهِ عَانَةٌ [6] مِنَ ٱلْحُمُرِ [7] تَرْعَى آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً . قَالَ ٱلْحِمَارُ وَمَا يَحْبِسُنَا [8] عَنْهَا فَٱنْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهَا . فَٱنْطَلَقَ بِهِ نَحْوَ ٱلْأَسَدِ وَتَقَدَّمَ ٱبْنُ آوَى وَدَخَلَ ٱلْغَابَةَ عَلَى ٱلْأَسَدِ فَأَخْبَرَهُ بِمَكَانِ ٱلْحِمَارِ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَأَرَادَ أَنْ يَثِبَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِضَعْفِهِ وَتَخَلَّصَ ٱلْحِمَارُ مِنْهُ فَأَفْلَتَ هَلِعًا [9] عَلَى وَجْهِهِ . فَلَمَّا رَأَى ٱبْنُ آوَى أَنَّ ٱلْأَسَدَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ٱلْحِمَارِ قَالَ لَهُ يَا سَيِّدَ ٱلسِّبَاعِ أَعَجَزْتَ إِلَى هٰذِهِ ٱلْغَايَةِ [10] . فَقَالَ لَهُ إِنْ جِئْتَنِي بِهِ مَرَّةً أُخْرَى فَلَنْ يَنْجُوَ مِنِّي أَبَدًا * فَمَضَى ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْحِمَارِ فَقَالَ لَهُ مَا ٱلَّذِي جَرَى عَلَيْكَ : إِنَّ أَحَدَ ٱلْحُمُرِ رَآكَ غَرِيبًا فَخَرَجَ يَتَلَقَّاكَ مُرَحِّبًا بِكَ وَلَوْ ثَبَتَّ لَآنَسَكَ

---

(١) أُتعب (٢) مُحوِّر الثياب اي مبيضها (٣) اسرع (٤) أهزلتاه (٥) اتعبني
(٦) قطيع من الحمير (٧) جمع حمار (٨) اي ما يمنعنا وقد تقدم (٩) اي ذهب مسرعاً مضطرباً (١٠) اي الى هذا الحد

وَمَضَى بِكَ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْحِمَارُ ذٰلِكَ وَلَمْ يَكُنْ رَأَى أَسَدًا قَطُّ صَدَّقَ مَا قَالَهُ ٱبْنُ آوَى وَأَخَذَ طَرِيقَهُ إِلَى ٱلْأَسَدِ . فَسَبَقَهُ ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْأَسَدِ وَأَعْلَمَهُ بِمَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ ٱسْتَعِدَّ لَهُ فَقَدْ خَدَعْتُهُ لَكَ فَلَا يُدْرِكَنَّكَ ٱلضَّعْفُ فِي هٰذِهِ ٱلنَّوْبَةِ(١) فَإِنَّهُ إِنْ أَفْلَتَ لَنْ يَعُودَ مَعِي أَبَدًا وَٱلْفُرَصُ لَا تُصَابُ(٢) فِي كُلِّ وَقْتٍ . فَجَاشَ ٱلْأَسَدُ(٣) لِتَحْرِيضِ ٱبْنِ آوَى لَهُ وَخَرَجَ إِلَى مَوْضِعِ ٱلْحِمَارِ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ عَاجَلَهُ بِوَثْبَةٍ ٱفْتَرَسَهُ بِهَا . ثُمَّ قَالَ قَدْ ذَكَرَتِ ٱلْأَطِبَّاءُ أَنَّهُ لَا يُؤْكَلُ إِلَّا بَعْدَ ٱلِاغْتِسَالِ وَٱلطُّهُورِ . فَٱحْتَفِظْ بِهِ حَتَّى أَعُودَ فَآكُلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ وَأَتْرُكَ مَا سِوَى ذٰلِكَ قُوتًا لَكَ . فَلَمَّا ذَهَبَ ٱلْأَسَدُ لِيَغْتَسِلَ عَمَدَ ٱبْنُ آوَى إِلَى ٱلْحِمَارِ فَأَكَلَ قَلْبَهُ وَأُذُنَيْهِ رَجَاءَ أَنْ يَتَطَيَّرَ(٤) ٱلْأَسَدُ مِنْهُ فَلَا يَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَسَدَ رَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَقَالَ لِٱبْنِ آوَى : أَيْنَ قَلْبُ ٱلْحِمَارِ وَأُذُنَاهُ . قَالَ ٱبْنُ آوَى : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ يَعْقِلُ بِهِ وَأُذُنَانِ يَسْمَعُ بِهِمَا لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ بَعْدَمَا أَفْلَتَ وَنَجَا مِنَ ٱلْهَلَكَةِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ كَذٰلِكَ ٱلْحِمَارِ ٱلَّذِي زَعَمَ ٱبْنُ آوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ وَلَا أُذُنَانِ . وَلٰكِنَّكَ ٱحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ وَٱسْتَدْرَكْتُ فَارِطَ أَمْرِي(٥) . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ٱلَّذِي يُفْسِدُهُ ٱلْحِلْمُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا ٱلْعِلْمُ . قَالَ ٱلْغَيْلَمُ صَدَقْتَ إِلَّا أَنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيِ أَنْ يُؤَدَّبَ لِصِدْقِهِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ(٦) أَمْكَنَهُ ٱلتَّخَلُّصُ مِنْهَا بِحِيلَتِهِ وَعَقْلِهِ كَٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي

---

(١) الفرصة (٢) لا تدرك (٣) اي حميت نفسه (٤) يتشاءم اي يعتقد الشؤم وهو ضد البركة (٥) اي طلبت واتيت ما فاتني (٦) شدة

يَعْثُرُ(١) عَلَى ٱلْأَرْضِ وَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُ فِي نُهُوضِهِ
فَهٰذَا مَثَلُ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَطْلُبُ ٱلْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

# باب

## ٱلنَّاسِكِ وَٱبْنِ عِرْسٍ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ ٱلرَّجُلِ ٱلْعَجْلَانِ(٢) فِي أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ(٣) وَلَا نَظَرٍ فِي ٱلْعَوَاقِبِ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَثَبِّتاً لَمْ يَزَلْ نَادِماً وَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ ٱلنَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَقَدْ كَانَ لَهُ وَدُوداً .

قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكاً مِنَ ٱلنُّسَّاكِ كَانَ بِأَرْضِ جُرْجَانَ وَكَانَتْ لَهُ ٱمْرَأَةٌ صَالِحَةٌ لَهَا مَعَهُ صُحْبَةٌ . فَمَكَثَا زَمَاناً لَمْ يُرْزَقَا وَلَداً . ثُمَّ حَمَلَتْ بَعْدَ ٱلْإِيَاسِ(٤) فَسُرَّتِ ٱلْمَرْأَةُ وَسُرَّ ٱلنَّاسِكُ بِذٰلِكَ وَحَمِدَ ٱللّٰهَ تَعَالَى وَسَأَلَهُ أَنْ يَكُونَ ٱلْحَمْلُ(٥) ذَكَراً وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ : أَبْشِرِي(٦) فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ غُلَاماً فِيهِ لَنَا مَنَافِعُ وَقُرَّةُ عَيْنٍ(٧) أَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ ٱلْأَسْمَاءِ وَأُحْضِرُ لَهُ جَمِيعَ ٱلْمُؤَدِّبِينَ . فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ مَا يَحْمِلُكَ أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ عَلَى أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمَا لَا تَدْرِي أَيَكُونُ أَمْ لَا . وَمَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ ٱلنَّاسِكَ ٱلَّذِي

---

(١) يسقط (٢) المسرع (٣) تفكر وتأمل (٤) قطع الرجاء (٥) الولد في البطن (٦) افرحي (٧) اي سرور

أَهرقَ(١) عَلَى رَأْسِهِ ٱلسَّمْنَ وَٱلْعَسَلَ . قَالَ لَهَا وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَتْ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكاً كَانَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ تَاجِرٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ رِزْقٌ مِنَ ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْهُ قُوتَهُ وَحَاجَتَهُ وَيَرْفَعُ ٱلْبَاقِيَ وَيَجْعَلُهُ فِي جَرَّةٍ فَيُعَلِّقُهَا فِي وَتَدٍ فِي نَاحِيَةِ ٱلْبَيْتِ حَتَّى ٱمْتَلأَتْ . فَبَيْنَمَا ٱلنَّاسِكُ ذَاتَ يَوْمٍ مُسْتَلْقٍ(٢) عَلَى ظَهْرِهِ وَٱلْعُكَّازَةُ(٣) فِي يَدِهِ وَٱلْجَرَّةُ مُعَلَّقَةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ تَفَكَّرَ فِي غَلاءِ ٱلسَّمْنِ وَٱلْعَسَلِ . فَقَالَ سَأَبِيعُ مَا فِي هٰذِهِ ٱلْجَرَّةِ بِدِينَارٍ وَأَشْتَرِي بِهِ عَشْرَ أَعْنُزٍ(٤) فَيَحْبَلْنَ وَيَلِدْنَ فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ مَرَّةً . وَلَا تَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى تَصِيرَ مِعْزاً كَثِيراً إِذَا وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا . ثُمَّ حَرَّرَ(٥) عَلَى هٰذَا ٱلنَّحْوِ بِسِنِينَ فَوَجَدَ ذٰلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِئَةِ عَنْزٍ . فَقَالَ أَنَا أَشْتَرِي بِهَا مِئَةً مِنَ ٱلْبَقَرِ بِكُلِّ أَرْبَعِ أَعْنُزٍ ثَوْراً أَوْ بَقَرَةً وَأَشْتَرِي أَرْضاً وَبَذْراً(٦) وَأَسْتَأْجِرُ أَكَرَةً(٧) وَأَزْرَعُ عَلَى ٱلثِّيرَانِ(٨) وَأَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِ ٱلْإِنَاثِ وَنِتَاجِهَا(٩) فَلا تَأْتِي عَلَيَّ خَمْسُ سِنِينَ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ ٱلزَّرْعِ مَالاً كَثِيراً . فَأَبْنِي بَيْتاً فَاخِراً وَأَشْتَرِي إِمَاءً(١٠) وَعَبِيداً وَأَتَزَوَّجُ ٱمْرَأَةً صَالِحَةً جَمِيلَةً فَتَحْمِلُ ثُمَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ سَرِيٍّ(١١) نَجِيبٍ(١٢) فَأَخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ ٱلْأَسْمَاءِ . فَإِذَا تَرَعْرَعَ(١٣) أَدَّبْتُهُ وَأَحْسَنْتُ تَأْدِيبَهُ . وَأَشْدِدُ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ فَإِنْ قَبِلَ مِنِّي وَإِلَّا ضَرَبْتُهُ بِهٰذِهِ ٱلْعُكَّازَةِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى ٱلْجَرَّةِ فَكَسَرَهَا فَسَالَ مَا فِيهَا عَلَى وَجْهِهِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِكَيْ لَا تَعْجَلَ بِذِكْرِ مَا لَا يَنْبَغِي ذِكْرُهُ وَمَا

---

(١) صب (٢) نائم (٣) عصا طويلة ذات زج « حديدة » في اسفلها (٤) جمع عنز وهي الانثى من المعز (٥) قوّم وضبط (٦) حباً يبذر في الارض (٧) حرّاثين (٨) جمع ثور وهو الذكر من البقر (٩) اولادها (١٠) جواري (١١) صاحب مروءة في شرف (١٢) كريم الحسب (١٣) تحرك ونشأ

لَا تَدْرِي أَيَصِحُّ أَمْ لَا يَصِحُّ . وَلٰكِنِ ٱدْعُ رَبَّكَ وَتَوَسَّلْ (١) إِلَيْهِ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ . فَإِنَّ ٱلتَّصَاوِيرَ فِي ٱلْحَائِطِ إِنَّمَا هِيَ مَا دَامَ بِنَاؤُهُ قَائِماً فَإِذَا وَقَعَ وَتَهَدَّمَ لَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهَا . فَٱتَّعَظَ (٢) ٱلنَّاسِكُ بِمَا حَكَتْ زَوْجَتُهُ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْمَرْأَةَ وَلَدَتْ غُلَاماً جَمِيلاً فَفَرِحَ بِهِ أَبُوهُ وَبَعْدَ أَيَّامٍ حَانَ (٣) لَهَا أَنْ تَغْتَسِلَ . فَقَالَتِ ٱلْمَرْأَةُ لِلنَّاسِكِ ٱقْعُدْ عِنْدَ ٱبْنِكَ حَتَّى أَذْهَبَ إِلَى ٱلْحَمَّامِ فَأَغْتَسِلَ وَأَعُودَ . ثُمَّ إِنَّهَا ٱنْطَلَقَتْ إِلَى ٱلْحَمَّامِ وَخَلَّفَتْ (٤) زَوْجَهَا وَٱلْغُلَامَ فَلَمْ يَلْبَثْ (٥) أَنْ جَاءَ رَسُولُ ٱلْمَلِكِ يَسْتَدْعِيهِ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُخَلِّفُهُ عِنْدَ ٱبْنِهِ غَيْرَ ٱبْنِ عِرْسٍ دَاجِنٍ (٦) عِنْدَهُ كَانَ قَدْ رَبَّاهُ صَغِيراً فَهُوَ عِنْدَهُ عَدِيلُ (٧) وَلَدِهِ . فَتَرَكَهُ ٱلنَّاسِكُ عِنْدَ ٱلصَّبِيِّ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِمَا ٱلْبَيْتَ وَذَهَبَ مَعَ ٱلرَّسُولِ . فَخَرَجَ مِنْ بَعْضِ أَجْحَارِ ٱلْبَيْتِ حَيَّةٌ سَوْدَاءُ فَدَنَتْ مِنَ ٱلْغُلَامِ (٨) فَضَرَبَهَا ٱبْنُ عِرْسٍ فَوَثَبَتْ عَلَيْهِ فَقَتَلَهَا ثُمَّ قَطَّعَهَا وَٱمْتَلَأَ فَمُهُ مِنْ دَمِهَا * ثُمَّ جَاءَ ٱلنَّاسِكُ وَفَتَحَ ٱلْبَابَ فَٱلْتَقَاهُ ٱبْنُ عِرْسٍ كَٱلْمُبَشِّرِ لَهُ بِمَا صَنَعَ مِنْ قَتْلِ ٱلْحَيَّةِ . فَلَمَّا رَآهُ مُلَوَّثاً بِٱلدَّمِ وَهُوَ مَذْعُورٌ (٩) طَارَ عَقْلُهُ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ خَنَقَ وَلَدَهُ وَلَمْ يَتَثَبَّتْ (١٠) فِي أَمْرِهِ وَلَمْ يَتَرَوَّ (١١) فِيهِ حَتَّى يَعْلَمَ حَقِيقَةَ ٱلْحَالِ وَيَعْمَلَ بِغَيْرِ مَا ظَنَّ مِنْ ذٰلِكَ وَلٰكِنْ عَجَّلَ عَلَى ٱبْنِ عِرْسٍ وَضَرَبَهُ بِعُكَّازَةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ (١٢) فَمَاتَ . وَدَخَلَ ٱلنَّاسِكُ فَرَأَى ٱلْغُلَامَ سَلِيماً حَيّاً وَعِنْدَهُ أَسْوَدُ مُقَطَّعٌ فَلَمَّا عَرَفَ ٱلْقِصَّةَ وَتَبَيَّنَ لَهُ سُوءُ فِعْلِهِ فِي ٱلْعَجَلَةِ لَطَمَ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَ : لَيْتَنِي لَمْ أُرْزَقْ هٰذَا ٱلْوَلَدَ وَلَمْ أَغْدِرْ هٰذَا ٱلْغَدْرَ * وَدَخَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فَوَجَدَتْهُ عَلَى

---

(١) اي إعمل عملاً تتقرَّب به اليه تعالى (٢) اي قبل الموعظة (٣) آن اي صار الوقت (٤) تركت (٥) اي فلم يبطئ (٦) اليف (٧) مثل (٨) قربت اليه (٩) خائف (١٠) يتأنَّ (١١) يتفكر (١٢) دماغه

تِلْكَ ٱلْحَالِ فَقَالَتْ لَهُ مَا شَأْنُكَ[١] . فَأَخْبَرَهَا بِالْخَبَرِ مِنْ حُسْنِ فِعْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وَسُوءِ مُكَافَأَتِهِ لَهُ . فَقَالَتْ هٰذِهِ ثَمَرَةُ ٱلْعَجَلَةِ لِأَنَّ ٱلْأَمْرَ إِذَا فَرَطَ[٢] مِثْلُ ٱلْكَلَامِ إِذَا خَرَجَ وَٱلسَّهْمِ إِذَا مَرَقَ[٣] لَا مَرَدَّ لَهُ

فَهٰذَا مَثَلُ مَنْ لَا يَتَثَبَّتُ فِي أَمْرِهِ بَلْ يَفْعَلُ أَغْرَاضَهُ بِالسُّرْعَةِ

# باب

## ٱلْجُرَذِ وَٱلسِّنَّوْرِ[٤]

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ رَجُلٍ كَثُرَ أَعْدَاؤُهُ وَأَحْدَقُوا[٥] بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَأَشْرَفَ[٦] مَعَهُمْ عَلَى ٱلْهَلَاكِ فَٱلْتَمَسَ ٱلنَّجَاةَ[٧] وَٱلْمَخْرَجَ بِمُوَالَاةِ[٨] بَعْضِ أَعْدَائِهِ وَمُصَالَحَتِهِ فَسَلِمَ مِنَ ٱلْخَوْفِ وَأَمِنَ . ثُمَّ وَفَى لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْهُمْ . وَأَخْبِرْنِي عَنْ مَوْضِعِ ٱلصُّلْحِ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : إِنَّ ٱلْمَوَدَّةَ وَٱلْعَدَاوَةَ لَا تَثْبُتَانِ عَلَى حَالَةٍ أَبَدًا . وَرُبَّمَا حَالَتِ[٩] ٱلْمَوَدَّةُ إِلَى ٱلْعَدَاوَةِ وَصَارَتِ ٱلْعَدَاوَةُ وِلَايَةً[١٠] وَصَدَاقَةً . وَلِهٰذَا حَوَادِثُ وَعِلَلٌ وَتَجَارِبُ . وَذُو ٱلرَّأْيِ يُحْدِثُ لِكُلِّ مَا يَحْدُثُ مِنْ ذٰلِكَ رَأْيًا جَدِيدًا . أَمَّا مِنْ قِبَلِ ٱلْعَدُوِّ فَبِٱلْبَأْسِ[١١] وَأَمَّا مِنْ قِبَلِ ٱلصَّدِيقِ

---

(١) ما أمرك (٢) سبق من غير روية (٣) نفذ في الرمية (٤) الجرذ وقدمر
(٥) احاطوا (٦) اطلع وقارب (٧) طلب الخلاص (٨) بمصادقة (٩) انقلبت
(١٠) نصرة ومحبة (١١) الشجاعة والشدة في الحرب

فَبِالْاسْتِئْنَاسِ (١) . وَلَا تَمْنَعُ ذَا الْعَقْلِ عَدَاوَةٌ كَانَتْ فِي نَفْسِهِ لِعَدُوِّهِ مِنْ مُقَارَبَتِهِ وَالِاسْتِنْجَادِ (٢) بِهِ عَلَى دَفْعِ مَرْهُوبٍ (٣) أَوْ جَرِّ مَرْغُوبٍ . وَمَنْ عَمِلَ فِي ذٰلِكَ بِالْحَزْمِ ظَفِرَ (٤) بِحَاجَتِهِ . وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ الْجُرَذِ وَالسِّنَّوْرِ حِينَ وَقَعَا فِي الْوَرْطَةِ فَنَجَوَا بِاصْطِلَاحِهِمَا جَمِيعاً مِنَ الْوَرْطَةِ وَالشِّدَّةِ . قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ شَجَرَةً عَظِيمَةً كَانَ فِي أَصْلِهَا جُحْرُ سِنَّوْرٍ يُقَالُ لَهُ رُومِيٌّ . وَكَانَ قَرِيباً مِنْهُ جُحْرُ جُرَذٍ يُقَالُ لَهُ فَرِيدُونُ . وَكَانَ الصَّيَّادُونَ كَثِيراً مَا يَتَدَاوَلُونَ (٥) ذٰلِكَ الْمَكَانَ يَصِيدُونَ فِيهِ الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ . فَأَتَى ذَاتَ يَوْمٍ صَيَّادٌ فَنَصَبَ حِبَالَتَهُ (٦) قَرِيباً مِنْ مَوْضِعِ رُومِيٍّ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَقَعَ فِيهَا . فَخَرَجَ الْجُرَذُ يَدِبُّ (٧) وَيَطْلُبُ مَا يَأْكُلُ وَهُوَ حَذِرٌ (٨) مِنْ رُومِيٍّ . فَبَيْنَمَا هُوَ يَسْعَى إِذْ بَصُرَ بِهِ فِي الشَّرَكِ فَسُرَّ وَاسْتَبْشَرَ . ثُمَّ الْتَفَتَ فَرَأَى خَلْفَهُ ابْنَ عِرْسٍ يُرِيدُ أَخْذَهُ وَفِي الشَّجَرَةِ بُوماً يُرِيدُ اخْتِطَافَهُ . فَتَحَيَّرَ فِي أَمْرِهِ وَخَافَ إِنْ رَجَعَ وَرَاءَهُ أَخَذَهُ ابْنُ عِرْسٍ وَإِنْ ذَهَبَ يَمِيناً أَوْ شِمَالاً اخْتَطَفَهُ الْبُومُ وَإِنْ تَقَدَّمَ أَمَامَهُ افْتَرَسَهُ السِّنَّوْرُ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ هٰذَا بَلَاءٌ قَدِ اكْتَنَفَنِي (٩) وَشُرُورٌ تَظَاهَرَتْ (١٠) عَلَيَّ وَمِحَنٌ قَدْ أَحَاطَتْ بِي * وَبَعْدَ ذٰلِكَ فَمَعِي عَقْلِي فَلَا يُفْزِعُنِي أَمْرِي وَلَا يَهُولُنِي (١١) شَأْنِي وَلَا يَلْحَقُنِي الدَّهَشُ (١٢) وَلَا يَذْهَبُ قَلْبِي شَعَاعاً (١٣) . فَالْعَاقِلُ لَا يَفْرَقُ (١٤) عِنْدَ سَدَادِ (١٥) رَأْيِهِ وَلَا

---

(١) الالفة (٢) الاستعانة (٣) مخوف (٤) فاز (٥) يتعاقبونهُ مرة بعد اخرى
(٦) مصيدته (٧) يمشي على يديه ورجليه (٨) خائف (٩) احاط بي (١٠) تعاونت
(١١) يفزعني (١٢) الحيرة (١٣) متبدداً من الخوف (١٤) اي لا يخاف
(١٥) اصابة

يَعزُبُ(١) عَنْهُ ذِهْنُهُ عَلَى حَالٍ . وَإِنَّمَا ٱلعَقْلُ شَبِيهٌ بِٱلبَحْرِ ٱلَّذِي لَا يُدرَكُ غَورُهُ(٢) وَلَا يَبلُغُ ٱلبَلَاءُ مِن ذِي ٱلرَّأْيِ مَجهُودَهُ(٣) فَيُهلِكُهُ . وَتَحقُّقُ ٱلرَّجَاءِ لَا يَنبَغِي أَن يَبلُغَ مِنهُ مَبلَغًا يُبطِرُهُ وَيُسكِرُهُ فَيَعمَى(٤) عَلَيهِ أَمرُهُ . وَلَستُ أَرَى لِي مِن هٰذَا ٱلبَلَاءِ مَخلَصًا إِلَّا مُصَالَحَةَ ٱلسِّنَّورِ فَإِنَّهُ قَد نَزَلَ(٥) بِهِ مِنَ ٱلبَلَاءِ مِثلُ مَا قَد نَزَلَ بِي أَو بَعضُهُ . وَلَعَلَّنَا إِن سَمِعَ كَلَامِي ٱلَّذِي أُكَلِّمُهُ بِهِ وَوَعَى(٦) عَنِّي صَحِيحَ خِطَابِي وَمَحضَ(٧) صِدقِي ٱلَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ وَلَا خِدَاعَ مَعَهُ فَفَهِمَهُ وَطَمِعَ فِي مَعُونَتِي إِيَّاهُ نَخلُصُ جَمِيعًا

ثُمَّ إِنَّ ٱلجُرَذَ دَنَا مِنَ ٱلسِّنَّورِ فَقَالَ لَهُ كَيفَ حَالُكَ . قَالَ لَهُ ٱلسِّنَّورُ كَمَا تُحِبُّ فِي ضَنكٍ(٨) وَضِيقٍ . قَالَ وَأَنَا ٱليَومَ شَرِيكُكَ فِي ٱلبَلَاءِ . وَلَستُ أَرجُو لِنَفسِي خَلَاصًا إِلَّا بِٱلَّذِي أَرجُو لَكَ فِيهِ ٱلخَلَاصَ وَكَلَامِي هٰذَا لَيسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلَا خَدِيعَةٌ . وَٱبنُ عِرسٍ هَا هُوَ كَامِنٌ(٩) لِي وَٱلبُومُ يَرصُدُنِي(١٠) وَكِلَاهُمَا لِي وَلَكَ عَدُوٌّ . وَإِنِّي وَإِيَّاكَ وَإِن كُنَّا مُختَلِفِي ٱلطِّبَاعِ لٰكِنَّنَا مُتَّفِقَا ٱلحَالَةِ . وَٱلَّذِينَ حَالَتُهُم وَاحِدَةٌ وَطِبَاعُهُم مُختَلِفَةٌ تَجمَعُهُمُ ٱلحَالَةُ وَإِن فَرَّقَتهُمُ ٱلطِّبَاعُ . فَإِن أَنتَ جَعَلتَ لِيَ ٱلأَمَانَ قَطَعتُ حَبَائِلَكَ وَخَلَّصتُكَ مِن هٰذِهِ ٱلوَرطَةِ(١١) . فَإِن كَانَ ذٰلِكَ تَخَلَّصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا بِسَبَبِ صَاحِبِهِ كَٱلسَّفِينَةِ وَٱلرُّكَّابِ فِي ٱلبَحرِ فَبِٱلسَّفِينَةِ يَنجُونَ وَبِهِم تَنجُو ٱلسَّفِينَةُ

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلسِّنَّورُ كَلَامَ ٱلجُرَذِ وَعَرَفَ أَنَّهُ صَادِقٌ قَالَ لَهُ : إِنَّ قَولَكَ هٰذَا لَشَبِيهٌ بِٱلحَقِّ وَأَنَا أَيضًا رَاغِبٌ فِيمَا أَرجُو لَكَ وَلِنَفسِي بِهِ ٱلخَلَاصَ .

---

(١) اي لا يغيب (٢) قعره (٣) اي غاية جهده (٤) يلتبس (٥) حلّ (٦) حفظ (٧) خالص (٨) ضعف (٩) مستتر (١٠) يرقبني (١١) الشدة وقد مرّ

ثُمَّ إِنِّي إِنْ فَعَلْتَ ذٰلِكَ سَأَشْكُرُكَ مَا بَقِيتُ . قَالَ ٱلْجُرَذُ فَإِنِّي سَأَدْنُو مِنْكَ فَأَقْطَعُ ٱلْحَبَائِلَ كُلَّهَا إِلَّا حَبْلًا وَاحِدًا أُبْقِيهِ لِأَسْتَوْثِقَ لِنَفْسِي (١) مِنْكَ وَأَخَذَ فِي تَقْرِيضِ (٢) حَبَائِلِهِ . ثُمَّ إِنَّ ٱلْبُومَ وَٱبْنَ عِرْسٍ لَمَّا رَأَيَا دُنُوَّ ٱلْجُرَذِ مِنَ ٱلسِّنَّوْرِ أَيِسَا (٣) مِنْهُ وَٱنْصَرَفَا * ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَبْطَأَ عَلَى رُومِيٍّ فِي قَطْعِ ٱلْحَبَائِلِ فَقَالَ لَهُ : مَا لِي لَا أَرَاكَ جَادًّا فِي قَطْعِ حَبَائِلِي . فَإِنْ كُنْتَ قَدْ ظَفِرْتَ بِحَاجَتِكَ فَتَغَيَّرْتَ عَمَّا كُنْتَ عَلَيْهِ وَتَوَانَيْتَ (٤) فِي حَاجَتِي فَمَا ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِ ٱلصَّالِحِينَ . فَإِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَا يَتَوَانَى فِي حَقِّ صَاحِبِهِ وَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سَابِقِ مَوَدَّتِي مِنَ ٱلْفَائِدَةِ وَٱلنَّفْعِ مَا قَدْ رَأَيْتَ وَأَنْتَ حَقِيقٌ (٥) أَنْ تُكَافِئَنِي بِذٰلِكَ وَلَا تَذْكُرَ ٱلْعَدَاوَةَ ٱلَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ . فَٱلَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنَ ٱلصُّلْحِ حَقِيقٌ أَنْ يُنْسِيَكَ ذٰلِكَ مَعَ مَا فِي ٱلْوَفَاءِ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَٱلْأَجْرِ وَمَا فِي ٱلْغَدْرِ مِنْ سُوءِ ٱلْعَاقِبَةِ . فَإِنَّ ٱلْكَرِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا شَكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ تُنْسِيهِ ٱلْخَلَّةُ (٦) ٱلْوَاحِدَةُ مِنَ ٱلْإِحْسَانِ ٱلْخِلَالَ ٱلْكَثِيرَةَ مِنَ ٱلْإِسَاءَةِ . وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ أَعْجَلَ ٱلْعُقُوبَةِ عُقُوبَةُ ٱلْغَدْرِ . وَمَنْ إِذَا تُضُرِّعَ إِلَيْهِ وَسُئِلَ ٱلْعَفْوَ فَلَمْ يَرْحَمْ وَلَمْ يَعْفُ فَقَدْ غَدَرَ * قَالَ ٱلْجُرَذُ : إِنَّ ٱلصَّدِيقَ صَدِيقَانِ طَائِعٌ وَمُضْطَرٌّ (٧) وَكِلَاهُمَا يَلْتَمِسَانِ ٱلْمَنْفَعَةَ وَيَحْتَرِسَانِ مِنَ ٱلْمَضَرَّةِ . فَأَمَّا ٱلطَّائِعُ فَيُسْتَرْسَلُ (٨) إِلَيْهِ وَيُؤْمَنُ فِي جَمِيعِ ٱلْأَحْوَالِ . وَأَمَّا ٱلْمُضْطَرُّ فَفِي بَعْضِ ٱلْأَحْوَالِ يُسْتَرْسَلُ إِلَيْهِ وَفِي بَعْضِهَا يُتَحَذَّرُ مِنْهُ . وَلَا يَزَالُ ٱلْعَاقِلُ يَرْتَهِنُ مِنْهُ بَعْضَ حَاجَاتِهِ (٩) لِبَعْضِ مَا يَتَّقِي وَيَخَافُ . وَلَيْسَ غَايَةُ ٱلتَّوَاصُلِ مِنْ كُلٍّ مِنَ ٱلْمُتَوَاصِلَيْنِ إِلَّا

---

(١) اي لاستأمن عليها (٢) تقطيع (٣) قطعا الرجاء (٤) اي فترت همتك (٥) اهل (٦) الخصلة (٧) محتاج (٨) اي يركن اليه ويوثق به (٩) اي يأخذها رهنًا

طَلَبَ عَاجِلَ ٱلنَّفْعِ وَبُلُوغَ مَأْمُولِهِ (١) . وَأَنَا وَافٍ لَكَ بِمَا وَعَدْتُكَ وَمُحْتَرِسٌ مِنْكَ مَعَ ذٰلِكَ مِنْ حَيْثُ أَخَافُكَ تَخَوُّفَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْكَ مَا أَلْجَأَنِي خَوْفُهُ إِلَى مُصَالَحَتِكَ وَأَلْجَأَكَ إِلَى قَبُولِ ذٰلِكَ مِنِّي . فَإِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ حِينًا . فَمَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ فِي حِينِهِ فَلَا حُسْنَ لِعَاقِبَتِهِ . وَأَنَا قَاطِعٌ حَبَائِلَكَ كُلَّهَا غَيْرَ أَنِّي تَارِكٌ عُقْدَةً أَرْتَهِنُكَ بِهَا وَلَا أَقْطَعُهَا إِلَّا فِي ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي أَعْلَمُ أَنَّكَ فِيهَا عَنِّي مَشْغُولٌ وَذٰلِكَ عِنْدَ مُعَايَنَتِي ٱلصَّيَّادَ * ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَطْعِ حَبَائِلِ ٱلسِّنَّوْرِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ وَافَى ٱلصَّيَّادُ . فَقَالَ لَهُ ٱلسِّنَّوْرُ ٱلْآنَ جَاءَ وَقْتُ ٱلْجِدِّ فِي قَطْعِ حَبَائِلِي . فَجَهَدَ ٱلْجُرَذُ نَفْسَهُ (٢) فِي ٱلْقَرْضِ (٣) حَتَّى إِذَا فَرَغَ وَثَبَ ٱلسِّنَّوْرُ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ عَلَى دَهَشٍ مِنَ ٱلصَّيَّادِ وَدَخَلَ ٱلْجُرَذُ بَعْضَ ٱلْأَجْحَارِ (٤) وَجَاءَ ٱلصَّيَّادُ فَأَخَذَ حَبَائِلَهُ مُقَطَّعَةً ثُمَّ ٱنْصَرَفَ خَائِبًا

ثُمَّ إِنَّ ٱلْجُرَذَ خَرَجَ بَعْدَ ذٰلِكَ وَكَرِهَ أَنْ يَدْنُوَ مِنَ ٱلسِّنَّوْرِ فَنَادَاهُ ٱلسِّنَّوْرُ أَيُّهَا ٱلصَّدِيقُ ٱلنَّاصِحُ ذُو ٱلْبَلَاءِ (٥) ٱلْحَسَنِ عِنْدِي مَا مَنَعَكَ مِنَ ٱلدُّنُوِّ إِلَيَّ لِأُجَازِيَكَ بِأَحْسَنِ مَا أَسْدَيْتَ (٦) إِلَيَّ . هَلُمَّ (٧) إِلَيَّ وَلَا تَقْطَعْ إِخَائِي (٨) فَإِنَّهُ مَنِ ٱتَّخَذَ صَدِيقًا وَقَطَعَ إِخَاءَهُ وَأَضَاعَ صَدَاقَتَهُ حُرِمَ ثَمَرَةَ إِخَائِهِ وَأَيِسَ مِنْ نَفْعِهِ ٱلْإِخْوَانُ وَٱلْأَصْدِقَاءُ . وَإِنَّ يَدَكَ (٩) عِنْدِي لَا تُنْسَى وَأَنْتَ حَقِيقٌ أَنْ تَلْتَمِسَ مُكَافَأَةَ ذٰلِكَ مِنِّي وَمِنْ إِخْوَانِي وَأَصْدِقَائِي وَلَا تَخَافَ مِنِّي شَيْئًا وَٱعْلَمْ أَنَّ مَا قِبَلِي (١٠) لَكَ مَبْذُولٌ (١١) . ثُمَّ حَلَفَ وَٱجْتَهَدَ عَلَى صَدِيقِهِ فِيمَا قَالَ * فَنَادَاهُ ٱلْجُرَذُ رُبَّ صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ بَاطِنُهَا عَدَاوَةٌ كَامِنَةٌ وَهِيَ أَشَدُّ

---

(١) اي ما يرجوه (٢) اي جدّ وبذل قدرته (٣) القطع (٤) الاوكار
(٥) الصنيع (٦) احسنت (٧) كلمة بمعنى الدعاء الى الشيء كتعال (٨) صداقتي
(٩) احسانك (١٠) اي ما عندي (١١) موهوب

مِنَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلظَّاهِرَةِ . وَمَنْ لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْهَا وَقَعَ مَوْقِعَ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَرْكَبُ نَابَ ٱلْفِيلِ ٱلْهَائِجِ ثُمَّ يَغْلِبُهُ ٱلنُّعَاسُ فَيَسْتَيْقِظُ تَحْتَ فَرَاسِنِ(١) ٱلْفِيلِ فَيَدُوسُهُ وَيَقْتُلُهُ . وَإِنَّمَا سُمِّيَ ٱلصَّدِيقُ صَدِيقًا لِمَا يُرْجَى مِنْ صِدْقِهِ وَنَفْعِهِ وَسُمِّيَ ٱلْعَدُوُّ عَدُوًّا لِمَا يُخَافُ مِنِ ٱعْتِدَائِهِ وَضَرَرِهِ . وَٱلْعَاقِلُ إِذَا رَجَا نَفْعَ ٱلْعَدُوِّ أَظْهَرَ لَهُ ٱلصَّدَاقَةَ وَإِذَا خَافَ ضَرَّ ٱلصَّدِيقِ أَظْهَرَ لَهُ ٱلْعَدَاوَةَ . أَلَا تَرَى تَتَبُّعَ ٱلْبَهَائِمِ أُمَّاتِهَا رَجَاءَ أَلْبَانِهَا فَإِذَا ٱنْقَطَعَ ذٰلِكَ ٱنْصَرَفَتْ عَنْهَا . وَرُبَّمَا قَطَعَ ٱلصَّدِيقُ عَنْ صَدِيقِهِ بَعْضَ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنْهُ فَلَمْ يَخَفْ شَرَّهُ لِأَنَّ أَصْلَ أَمْرِهِ لَمْ يَكُنْ عَدَاوَةً . فَأَمَّا مَنْ كَانَ أَصْلُ أَمْرِهِ عَدَاوَةً جَوْهَرِيَّةً(٢) ثُمَّ أَحْدَثَ صَدَاقَةً لِحَاجَةٍ حَمَلَتْهُ عَلَى ذٰلِكَ فَإِنَّهُ إِذَا زَالَتِ ٱلْحَاجَةُ ٱلَّتِي حَمَلَتْهُ(٣) عَلَى ذٰلِكَ زَالَتْ صَدَاقَتُهُ فَتَحَوَّلَتْ(٤) وَصَارَتْ إِلَى أَصْلِ أَمْرِهِ . كَٱلْمَاءِ ٱلَّذِي يُسَخَّنُ بِٱلنَّارِ فَإِذَا رُفِعَ عَنْهَا عَادَ بَارِدًا وَلَيْسَ مِنْ أَعْدَائِي عَدُوٌّ أَضَرَّ لِي مِنْكَ وَقَدِ ٱضْطَرَّنِي وَإِيَّاكَ حَاجَةٌ إِلَى مَا أَحْدَثْنَا مِنَ ٱلْمُصَالَحَةِ وَقَدْ ذَهَبَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي ٱحْتَجْتَ إِلَيَّ وَٱحْتَجْتُ إِلَيْكَ فِيهِ . وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ مَعَ ذَهَابِهِ عَوْدُ ٱلْعَدَاوَةِ . وَلَا خَيْرَ لِلضَّعِيفِ فِي قُرْبِ ٱلْعَدُوِّ ٱلْقَوِيِّ وَلَا لِلذَّلِيلِ فِي قُرْبِ ٱلْعَدُوِّ ٱلْعَزِيزِ . وَلَا أَعْلَمُ لَكَ قِبَلِي حَاجَةً إِلَّا أَنْ تَكُونَ تُرِيدُ أَكْلِي . وَلَا أَعْلَمُ لِي قِبَلَكَ حَاجَةً وَلَيْسَ عِنْدِي بِكَ ثِقَةٌ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ٱلضَّعِيفَ ٱلْمُحْتَرِسَ مِنَ ٱلْعَدُوِّ ٱلْقَوِيِّ أَقْرَبُ إِلَى ٱلسَّلَامَةِ مِنَ ٱلْقَوِيِّ إِذَا ٱغْتَرَّ بِٱلضَّعِيفِ وَٱسْتَرْسَلَ إِلَيْهِ . وَٱلْعَاقِلُ يُصَالِحُ عَدُوَّهُ إِذَا

---

(١) جمع فرسن وهو للفيل كالقدم للانسان (٢) أصلية (٣) اغرته وحرضته (٤) انصرفت

اَضطُرَّ إِلَيْهِ وَيُصَانِعُهُ(١) وَيُظْهِرُ لَهُ وُدَّهُ وَيُرِيهِ مِنْ نَفْسِهِ ٱلْاسْتِرْسَالَ إِلَيْهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ ذٰلِكَ بُدًّا . ثُمَّ يُعَجِّلُ ٱلِٱنْصِرَافَ عَنْهُ حِينَ يَجِدُ إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلًا

وَٱعْلَمْ أَنَّ سَرِيعَ ٱلِٱسْتِرْسَالِ(٢) لَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ(٣) . وَٱلْعَاقِلُ يَفِي لِمَنْ صَالَحَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ بِمَا جَعَلَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا يَثِقُ بِهِ كُلَّ ٱلثِّقَةِ وَلَا يَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعَ ٱلْقُرْبِ مِنْهُ وَيَنْبَغِي أَنْ يُبْعِدَ عَنْهُ مَا ٱسْتَطَاعَ . وَأَنَا أَوَدُّكَ مِنْ بَعِيدٍ وَأُحِبُّ لَكَ مِنَ ٱلْبَقَاءِ وَٱلسَّلَامَةِ مَا لَمْ أَكُنْ أُحِبُّهُ لَكَ مِنْ قَبْلُ وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تُجَازِيَنِي عَلَى صَنِيعِي(٤) إِلَّا بِمِثْلِ ذٰلِكَ إِذْ لَا سَبِيلَ إِلَى ٱجْتِمَاعِنَا وَٱلسَّلَامُ

# باب

## ٱلْمَلِكِ وَٱلطَّائِرِ فَنْزَةَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلَ أَهْلِ ٱلتِّرَاتِ(٥) ٱلَّذِينَ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنِ ٱتِّقَاءِ(٦) بَعْضٍ

قَالَ بَيْدَبَا : زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ ٱلْهِنْدِ كَانَ يُقَالُ لَهُ بَرِيدُونُ وَكَانَ لَهُ طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ فَنْزَةُ وَكَانَ لَهُ فَرْخٌ . وَكَانَ هٰذَا ٱلطَّائِرُ وَفَرْخُهُ يَنْطِقَانِ بِأَحْسَنِ مَنْطِقٍ وَكَانَ ٱلْمَلِكُ بِهِمَا مُعْجَبًا(٧) فَأَمَرَ بِهِمَا أَنْ يُجْعَلَا عِنْدَ

---

(١) يداريه ويداهنه (٢) الركون (٣) اي لا يرفع منها (٤) احساني
(٥) جمع ترة وهي الثار (٦) اي من حذر وخوف (٧) مسرورًا

ٱمْرَأَتِهِ وَأَمَرَهَا بِٱلْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا . وَٱتَّفَقَ أَنَّ ٱمْرَأَةَ ٱلْمَلِكِ كَانَتْ حَامِلًا فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَأَلِفَ ٱلْفَرْخُ ٱلْغُلَامَ وَكِلَاهُمَا طِفْلَانِ يَلْعَبَانِ جَمِيعًا . وَكَانَ فَنْزَةُ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَيَأْتِي بِفَاكِهَةٍ لَا تُعْرَفُ فَيُطْعِمُ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ شَطْرَهَا(١) وَيُطْعِمُ فَرْخَهُ شَطْرَهَا . فَأَسْرَعَ ذٰلِكَ فِي نَشْأَتِهِمَا وَشَبَابِهِمَا وَبَانَ عَلَيْهِمَا أَثَرُهُ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ فَٱزْدَادَ لِفَنْزَةَ إِكْرَامًا وَتَعْظِيمًا وَمَحَبَّةً حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ ٱلْأَيَّامِ وَفَنْزَةُ غَائِبٌ فِي ٱجْتِنَاءِ ٱلثَّمَرَةِ وَفَرْخُهُ فِي حِجْرِ(٢) ٱلْغُلَامِ حَدَثَ(٣) مِنَ ٱلْفَرْخِ مَا أَغْضَبَ ٱلْغُلَامَ فَأَخَذَهُ فَضَرَبَ بِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَاتَ . ثُمَّ إِنَّ فَنْزَةَ أَقْبَلَ فَوَجَدَ فَرْخَهُ مَقْتُولًا فَصَاحَ وَحَزِنَ وَقَالَ قُبْحًا لِلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ وَلَا وَفَاءَ . وَيْلٌ لِمَنِ ٱبْتُلِيَ(٤) بِصُحْبَةِ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِينَ لَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا حُرْمَةَ(٥) وَلَا يُحِبُّونَ أَحَدًا وَلَا يَكْرُمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا إِذَا طَمِعُوا فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ غَنَاءٍ(٦) وَٱحْتَاجُوا إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ فَيُكْرِمُونَهُ لِذٰلِكَ . فَإِذَا ظَفِرُوا بِحَاجَتِهِمْ مِنْهُ فَلَا وُدَّ وَلَا إِخَاءَ وَلَا إِحْسَانَ وَلَا غُفْرَانَ ذَنْبٍ وَلَا مَعْرِفَةَ حَقٍّ . هُمُ ٱلَّذِينَ أَمْرُهُمْ مَبْنِيٌّ عَلَى ٱلرِّيَاءِ(٧) وَٱلْفُجُورِ وَهُمْ يَسْتَصْغِرُونَ مَا يَرْتَكِبُونَهُ مِنْ عَظِيمِ ٱلذُّنُوبِ وَيَسْتَعْظِمُونَ ٱلْيَسِيرَ(٨) إِذَا خُولِفَتْ فِيهِ أَهْوَاؤُهُمْ . وَمِنْهُمْ هٰذَا ٱلْكَفُورُ(٩) ٱلَّذِي لَا رَحْمَةَ لَهُ ٱلْغَادِرُ بِإِلْفِهِ وَأَخِيهِ . ثُمَّ وَثَبَ فِي شِدَّةِ حَنَقِهِ عَلَى وَجْهِ ٱلْغُلَامِ فَفَقَأَ عَيْنَيْهِ . ثُمَّ طَارَ فَوَقَفَ عَلَى شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ

وَبَلَغَ ٱلْمَلِكَ ذٰلِكَ فَجَزِعَ(١٠) أَشَدَّ ٱلْجَزَعِ ثُمَّ طَمِعَ أَنْ يَحْتَالَ لَهُ فَيُهْلِكَهُ .

---

(١) نصفها (٢) حضن (٣) حصل (٤) جرب وامتحن (٥) الحرمة العهد (٦) نفع (٧) التظاهر بخلاف ما في الباطن (٨) القليل (٩) الجاحد النعمة (١٠) حزن

فَرَكِبَ مِنْ سَاعَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى نَاحِيَةِ ٱلطَّائِرِ حَتَّى وَقَفَ قَرِيباً مِنْهُ وَنَادَاهُ وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ آمِنٌ فَٱنْزِلْ يَا فَنْزَةُ فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّ ٱلْغَادِرَ مَأْخُوذٌ بِغَدْرِهِ وَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأَهُ(١) عَاجِلُ ٱلْعُقُوبَةِ لَمْ يُخْطِئْهُ ٱلْآجِلُ(٢) حَتَّى إِنَّهُ يُدْرِكُ ٱلْأَعْقَابَ(٣) وَأَعْقَابَ ٱلْأَعْقَابِ وَإِنَّ ٱبْنَكَ غَدَرَ بِٱبْنِي فَعُجِّلَتْ لَهُ ٱلْعُقُوبَةُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ قَدْ لَعَمْرِي(٤) غَدَرَ ٱبْنِي بِٱبْنِكَ وَقَدْ تَنَاصَفْنَا(٥) جَمِيعاً فَلَيْسَ لَكَ قِبَلَنَا(٦) وَلَيْسَ لَنَا قِبَلَكَ وِتْرٌ(٧) مَطْلُوبٌ فَٱرْجِعْ إِلَيْنَا آمِناً وَلَا تَخَفْ * قَالَ فَنْزَةُ لَسْتُ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ أَبَداً فَإِنَّ ذَوِي ٱلرَّأْيِ قَدْ نَهَوا عَنْ قُرْبِ ٱلْمَوْتُورِ(٨) فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُكَ لُطْفُ ٱلْحَقُودِ وَلِينُهُ وَتَكْرِمَتُهُ إِيَّاكَ إِلَّا وَحْشَةً مِنْهُ وَسُوءَ ظَنٍّ بِهِ . فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ لِلْحَقُودِ ٱلْمَوْتُورِ أَمَاناً هُوَ أَوْثَقُ لَكَ مِنَ ٱلذُّعْرِ(٩) مِنْهُ وَلَا أَجْوَدُ مِنَ ٱلْبُعْدِ عَنْهُ وَٱلِٱتِّقَاءِ(١٠) لَهُ أَوْلَى . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ إِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَعُدُّ أَبَوَيْهِ أَصْدِقَاءَ وَٱلْإِخْوَةَ رُفَقَاءَ وَٱلْأَزْوَاجَ أُلَّافاً(١١) وَٱلْبَنِينَ ذِكْراً وَٱلْبَنَاتِ خُصَمَاءَ وَٱلْأَقَارِبَ غُرَمَاءَ(١٢) وَيَعُدُّ نَفْسَهُ فَرِيداً وَحِيداً وَأَنَا ٱلْفَرِيدُ ٱلْوَحِيدُ ٱلْغَرِيبُ ٱلطَّرِيدُ(١٣) قَدْ تَزَوَّدْتُ مِنْ عِنْدِكُمْ عِبْئاً(١٤) ثَقِيلاً لَا يَحْمِلُهُ مَعِي أَحَدٌ وَأَنَا ذَاهِبٌ فَعَلَيْكَ مِنِّي ٱلسَّلَامُ * قَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَكُنْ قَدِ ٱجْتَزَيْتَ(١٥) مِنَّا فِيمَا صَنَعْنَاهُ بِكَ أَوْ كَانَ صَنِيعُكَ بِنَا مِنْ غَيْرِ ٱبْتِدَاءٍ مِنَّا بِٱلْغَدْرِ كَانَ ٱلْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ . وَأَمَّا إِذْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ بَدَأْنَاكَ

---

(١) أي لم يصبه (٢) المتأخر (٣) الاولاد (٤) قسماً بعمري (٥) انصف كل منا الآخر من نفسه اي استوفى حقهُ منهُ (٦) عندنا وقد مرّ (٧) ثأر (٨) من قُتِل لهُ قتيل فلم يدرك بدمهِ (٩) الخوف (١٠) التحفظ (١١) جمع أليف وهو الصديق المؤنس (١٢) جمع غريم وهو الخصم (١٣) المنفي والهارب (١٤) حملاً (١٥) اي جازيتنا على عملنا

فما ذنبك وما الذي يمنعك من الثقة بنا . هلمّ فارجع فإنك آمن * قال فنزة : أعلم أن الأحقاد لها في القلوب مواضع ممكّنة موجعة . فالألسن لا تصدق في خبرها عن القلوب والقلب أعدل شهادة على اللسان من اللسان على القلب . وقد علمت أن قلبي لا يشهد للسانك بصدقه ولا قلبك للساني

قال الملك : ألا تعلم أن الضغائن(١) والأحقاد تكون بين كثير من الناس . فمن كان ذا عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تربيته* قال فنزة : إن ذلك لكما ذكرت ولكن لا ينبغي لذي الرأي مع ذلك أن يظن أن الموتور الحقود ناس ما وتر(٢) به أو مصروف عنه . وذو الرأي يتخوف المكر والخديعة والحيل ويعلم أن كثيراً من العدو لا يستطاع بالشدة والمكابرة(٣) حتى يصاد بالرفق والملاينة كما يصطاد الفيل الوحشيّ بالفيل الداجن(٤) . قال الملك : إن العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع إخوانه ولا يضيع الحفاظ(٥) وإن هو خاف على نفسه . حتى إن هذا الخلق يكون في أوضع(٦) الدواب منزلة . فقد علمت أن اللاعبين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها ويأكلونها ويرى الكلب الذي قد ألفهم ذلك فيمنعه من مفارقتهم ألفته إياهم

قال فنزة إن الأحقاد مخوفة حيث كانت وأخوفها وأشدها ما كان في أنفس الملوك فإن الملوك يدينون(٧) بالانتقام ويرون الدرك(٨) والطلب بالوتر مكرمة وفخراً . وإن العاقل لا يغتر(٩) بسكون الحقد إذا

---

(١) بمعنى الاحقاد (٢) اصيب (٣) المعاندة والمنازعة (٤) الاليف وقد مر
(٥) المراعاة (٦) اخس وادنى (٧) يجعلون دينهم الانتقام (٨) اللحاق
(٩) لا ينخدع

سَكَنَ. فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحِقْدِ فِي ٱلْقَلْبِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مُحَرِّكًا مَثَلُ ٱلْجَمْرِ ٱلْمَكْنُونِ(١) مَا لَمْ يَجِدْ حَطَبًا. فَلَيْسَ يَنْفَكُّ ٱلْحِقْدُ مُطَّلِعًا(٢) إِلَى ٱلْعِلَلِ(٣) كَمَا تَبْتَغِي ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ. فَإِذَا وَجَدَ عِلَّةً ٱسْتَعَرَ(٤) ٱسْتِعَارَ ٱلنَّارِ فَلَا يُطْفِئُهُ حُسْنُ كَلَامٍ وَلَا لِينٌ وَلَا رِفْقٌ وَلَا خُضُوعٌ وَلَا تَضَرُّعٌ وَلَا مُصَانَعَةٌ(٥) وَلَا شَيْءٌ دُونَ تَلَفِ(٦) ٱلْأَنْفُسِ وَذَهَابِ ٱلْأَرْوَاحِ. مَعَ أَنَّهُ رُبَّ وَاتِرٍ يَطْمَعُ فِي مُرَاجَعَةِ ٱلْمَوْتُورِ لِمَا يَرْجُو أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّفْعِ لَهُ وَٱلدَّفْعِ عَنْهُ. وَلٰكِنِّي أَنَا أَضْعَفُ مِنْ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ يَذْهَبُ بِهِ مَا فِي نَفْسِكَ * وَبَعْدُ فَلَوْ كَانَتْ نَفْسُكَ لِي عَلَى مَا تَقُولُ مَا كَانَ ذٰلِكَ عَنِّي مُغْنِيًا(٧) أَيْضًا وَلَا أَزَالُ فِي خَوْفٍ وَوَحْشَةٍ وَسُوءِ ظَنٍّ مَا ٱصْطَحَبْنَا(٨) فَلَيْسَ ٱلرَّأْيُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِلَّا ٱلْفِرَاقَ وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكَ ٱلسَّلَامَ(٩)

قَالَ ٱلْمَلِكُ: لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا. وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا يُصِيبُ أَحَدًا إِلَّا بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مَعْلُومٍ. وَكَمَا أَنَّ خَلْقَ مَا يُخْلَقُ وَوِلَادَةَ مَا يُولَدُ وَبَقَاءَ مَا يَبْقَى لَيْسَ لِلْخَلَائِقِ مِنْهُ شَيْءٌ. كَذٰلِكَ فَنَاءُ مَا يَفْنَى وَهَلَاكُ مَا يَهْلِكُ. وَلَيْسَ لَكَ فِي ٱلَّذِي فَعَلْتَ بِٱبْنِي ذَنْبٌ وَلَا لِٱبْنِي فِيمَا صَنَعَ بِٱبْنِكَ ذَنْبٌ: إِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ كُلُّهُ قَدَرًا مَقْدُورًا وَكِلَانَا لَهُ عِلَّةٌ وَسَبَبٌ فَلَا نُؤَاخَذُ بِمَا أَتَانَا بِهِ ٱلْقَدَرُ * قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ ٱلْقَدَرَ لَكَمَا ذَكَرْتَ. لٰكِنْ لَا يَمْنَعُ ٱلْحَازِمَ مِنْ تَوَقِّي ٱلْمَخَاوِفِ وَٱلِٱحْتِرَاسِ مِنَ ٱلْمَكَارِهِ. وَإِلَّا كَانَ ٱلْمَرِيضُ غَيْرَ مُصِيبٍ فِي طَلَبِهِ

---

(١) المستتر (٢) اي مديمًا النظر (٣) الاسباب (٤) اتقد واشتعل (٥) مداراة ومداهنة (٦) هلاك (٧) اي ما كان ذلك يجديني نفعًا (٨) اي مدة اصطحابنا (٩) ابلغك اياه

ٱلطَّبِيبَ وَكَانَ أَهْلُ ٱلْمَصَائِبِ يَتْرُكُونَ ٱلنَّظَرَ فِيمَا فِيهِ ٱلْفَرَجُ لَهُمْ . وَلَا يَنْفَعُ ٱلْحَذَرُ وَٱلِاحْتِرَاسُ مَعَ ٱلْقَضَاءِ لٰكِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَجْمَعُ مَعَ ٱلتَّصْدِيقِ بِٱلْقَدَرِ ٱلْأَخْذَ بِٱلْحَزْمِ وَٱلْقُوَّةِ لَعَلَّ مَا يَسْتَسْلِمُ(١) إِلَيْهِ لَا يَكُونُ مَقْدُورًا(٢) عَلَيْهِ وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ تُكَلِّمُنِي بِغَيْرِ مَا فِي نَفْسِكَ . وَٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ غَيْرُ صَغِيرٍ لِأَنَّ ٱبْنَكَ قَتَلَ ٱبْنِي وَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ ٱبْنِكَ . وَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَفِيَ(٣) بِقَتْلِي وَتَخْتِلَنِي(٤) عَنْ نَفْسِي وَٱلنَّفْسُ تَأْبَى ٱلْمَوْتَ . وَقَدْ كَانَ يُقَالُ ٱلْفَاقَةُ(٥) بَلَاءٌ وَٱلْحُزْنُ بَلَاءٌ وَقُرْبُ ٱلْعَدُوِّ بَلَاءٌ وَفِرَاقُ ٱلْأَحِبَّةِ بَلَاءٌ وَٱلسُّقْمُ بَلَاءٌ وَٱلْهَرَمُ(٦) بَلَاءٌ وَرَأْسُ ٱلْبَلَايَا كُلِّهَا ٱلْمَوْتُ . وَلَيْسَ أَحَدٌ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي نَفْسِ ٱلْمُوجَعِ ٱلْحَزِينِ مِمَّنْ ذَاقَ مِثْلَ مَا بِهِ . فَأَنَا مِمَّا فِي نَفْسِي عَالِمٌ بِمَا فِي نَفْسِكَ لِلْمَثَلِ ٱلَّذِي عِنْدِي مِنْ ذٰلِكَ وَلَا خَيْرَ لِي فِي صُحْبَتِكَ . فَإِنَّكَ لَنْ تَتَذَكَّرَ صَنِيعِي بِٱبْنِكَ وَلَنْ أَتَذَكَّرَ صَنِيعَ ٱبْنِكَ بِٱبْنِي إِلَّا أَحْدَثَ ذٰلِكَ لِقُلُوبِنَا تَغَيُّرًا . قَالَ ٱلْمَلِكُ : لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْإِعْرَاضَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَلَا يَنْسَاهُ وَيُهْمِلُهُ بِحَيْثُ لَا يَذْكُرُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكُونُ لَهُ فِي نَفْسِهِ مَوْقِعٌ * قَالَ فَنْزَةُ إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي فِي بَاطِنِ قَدَمِهِ قَرْحَةٌ(٧) إِنْ هُوَ حَرَصَ عَلَى ٱلْمَشْيِ لَا بُدَّ أَنْ تُنْكَأَ(٨) قَرْحَتُهُ . وَٱلرَّجُلُ ٱلْأَرْمَدُ ٱلْعَيْنِ إِذَا ٱسْتَقْبَلَ بِهَا ٱلرِّيحَ تَعَرَّضَ لِأَنْ تَزْدَادَ رَمَدًا . وَكَذٰلِكَ ٱلْوَاتِرُ إِذَا دَنَا مِنَ ٱلْمَوْتُورِ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَاكِ . وَلَا يَنْبَغِي لِصَاحِبِ ٱلدُّنْيَا إِلَّا تَوَقِّي ٱلْمَهَالِكِ وَٱلْمَتَالِفِ(٩) وَتَقْدِيرُ(١٠) ٱلْأُمُورِ وَقِلَّةُ ٱلِاتِّكَالِ عَلَى ٱلْحَوْلِ(١١) وَٱلْقُوَّةِ وَقِلَّةُ ٱلِاغْتِرَارِ بِمَنْ لَا يَأْمَنُ . فَإِنَّهُ مَنِ ٱتَّكَلَ عَلَى قُوَّتِهِ فَحَمَلَهُ ذٰلِكَ عَلَى أَنْ

---

(١) ينقاد (٢) امرًا محتومًا (٣) تنال حاجتك فتطيب نفسك (٤) تخدعني (٥) الفقر (٦) الشيخوخة (٧) جراحة متقادمة (٨) تقشر (٩) بمعنى المهالك (١٠) قياس (١١) القدرة

يَسْلُكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلْمَخُوفَ فَقَدْ سَعَى فِي حَتْفِ(١) نَفْسِهِ وَمَنْ لَا يُقَدِّرُ لِطَاقَتِهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَحَمَّلَ نَفْسَهُ مَا لَا تُطِيقُ(٢) وَلَا تَحْمِلُ فَقَدْ قَتَلَ نَفْسَهُ . وَمَنْ لَمْ يُقَدِّرْ لُقْمَتَهُ وَعَظَّمَهَا فَوْقَ مَا يَسَعُ فُوهُ فَرُبَّمَا غَصَّ بِهَا فَمَاتَ . وَمَنِ ٱغْتَرَّ بِكَلَامِ عَدُوِّهِ وَٱنْخَدَعَ لَهُ وَضَيَّعَ ٱلْحَزْمَ فَهُوَ أَعْدَى(٣) لِنَفْسِهِ مِنْ عَدُوِّهِ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ ٱلنَّظَرُ فِي ٱلْقَدَرِ(٤) ٱلَّذِي لَا يَدْرِي مَا يَأْتِيهِ مِنْهُ وَلَا مَا يُصْرَفُ عَنْهُ . وَلٰكِنْ عَلَيْهِ ٱلْعَمَلُ بِٱلْحَزْمِ وَٱلْأَخْذُ بِٱلْقُوَّةِ وَمُحَاسَبَةُ نَفْسِهِ فِي ذٰلِكَ . وَٱلْعَاقِلُ لَا يَثِقُ بِأَحَدٍ مَا ٱسْتَطَاعَ وَلَا يُقِيمُ عَلَى خَوْفٍ يَجِدُ عَنْهُ مَذْهَباً . وَأَنَا كَثِيرُ ٱلْمَذَاهِبِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَذْهَبَ وَجْهاً إِلَّا أَصَبْتُ فِيهِ مَا يُغْنِينِي . فَإِنَّ خِلَالًا(٥) خَمْساً مَنْ تَزَوَّدَهُنَّ كَفَيْنَهُ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَآنَسْنَهُ فِي كُلِّ غُرْبَةٍ وَقَرَّبْنَ لَهُ ٱلْبَعِيدَ وَأَكْسَبْنَهُ ٱلْمَعَاشَ وَٱلْإِخْوَانَ * أُولَاهُنَّ كَفُّ ٱلْأَذَى(٦) . وَٱلثَّانِيَةُ حُسْنُ ٱلْأَدَبِ . وَٱلثَّالِثَةُ مُجَانَبَةُ ٱلرِّيَبِ(٧) وَٱلرَّابِعَةُ كَرَمُ ٱلْخُلُقِ . وَٱلْخَامِسَةُ ٱلنُّبْلُ(٨) فِي ٱلْعَمَلِ * وَإِذَا خَافَ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ شَيْئاً طَابَتْ نَفْسُهُ عَنِ ٱلْمَالِ(٩) وَٱلْأَهْلِ وَٱلْوَلَدِ وَٱلْوَطَنِ فَإِنَّهُ يَرْجُو ٱلْخَلَفَ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلَا يَرْجُو عَنِ ٱلنَّفْسِ خَلَفاً . وَشَرُّ ٱلْمَالِ مَا لَا إِنْفَاقَ مِنْهُ . وَشَرُّ ٱلْأَزْوَاجِ ٱلَّتِي لَا تُؤَاتِي(١٠) بَعْلَهَا . وَشَرُّ ٱلْوَلَدِ ٱلْعَاصِي ٱلْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ(١١) وَشَرُّ ٱلْإِخْوَانِ ٱلْخَاذِلُ(١٢) لِأَخِيهِ عِنْدَ ٱلنَّكَبَاتِ(١٣) وَٱلشَّدَائِدِ وَٱلَّذِي يُحْصِي(١٤) ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَتْرُكُ ٱلْحَسَنَاتِ . وَشَرُّ ٱلْمُلُوكِ ٱلَّذِي يَخَافُهُ ٱلْبَرِيءُ وَلَا يُوَاظِبُ(١٥) عَلَى

---

(١) هلاك (٢) اي ما لا تقدر عليه (٣) اشد عداوة (٤) قضاء الله وحكمه
(٥) خصالًا (٦) الضرر (٧) الشكوك ونحوها (٨) الذكاء والنجابة
(٩) اي تركهُ (١٠) اي لا توافق زوجها (١١) الذي لا يفي حق التربية
(١٢) التارك النصرة والمعونة (١٣) المصائب (١٤) يعد (١٥) يداوم

حِفظِ أهلِ مملكتِهِ . وَشَرُّ البِلادِ بِلادٌ لا خِصبَ[١] فيها وَلا أمنَ . وإنَّهُ لا أمنَ لي عندكَ أيُّها المَلِكُ وَلا طُمأنينةَ لي في جِوارِكَ . ثُمَّ وَدَّعَ المَلِكَ وَطارَ

فهٰذا مَثَلُ ذوي الأوتارِ[٢] الّذينَ لا ينبغي لِبَعضِهِم أن يَثِقَ بِبَعضٍ .

# باب

## الأسدِ وَابنِ آوَى النّاسكِ

قالَ دَبشَليمُ المَلِكُ لِبَيدَبا الفيلسوفِ : قَد سَمِعتُ هٰذا المَثَلَ فَاضرِب لي مَثَلَ المَلِكِ الّذي يُراجِعُ مَن أصابَتهُ مِنهُ عُقوبَةٌ مِن غَيرِ جُرمٍ أو جَفوَةٌ[٣] مِن غَيرِ ذَنبٍ

قالَ الفيلسوفُ : إنَّ المَلِكَ لَو لَم يُراجِع مَن أصابَتهُ مِنهُ جَفوَةٌ عَن ذَنبٍ أو عَن غَيرِ ذَنبٍ ظُلِمَ أو لَم يُظلَم لَأضَرَّ ذٰلكَ بِالأمورِ وَلٰكنَّ المَلِكَ حَقيقٌ أن يَنظُرَ في حالِ مَنِ ابتُلِيَ بِذٰلكَ وَيَخبُرَ[٤] ما عِندَهُ مِنَ المَنافِعِ . فَإن كانَ مِمَّن يُوثَقُ بِهِ في رَأيِهِ وَأمانَتِهِ فَإنَّ المَلِكَ حَقيقٌ بِالحِرصِ عَلى مُراجَعَتِهِ . فَإنَّ المُلكَ لا يُستَطاعُ ضَبطُهُ إلّا مَعَ ذَوي الرَّأيِ وَهُمُ الوُزَراءُ وَالأعوانُ[٥] وَلا يُنتَفَعُ بِالوُزَراءِ وَالأعوانِ إلّا بِالمَوَدَّةِ وَالنَّصيحَةِ وَلا مَوَدَّةَ وَلا نَصيحَةَ إلّا لِذَوي الرَّأيِ وَالعَفافِ . وَأعمالُ السُّلطانِ كَثيرَةٌ وَالّذينَ

---

(١) اي رفاهة عيش (٢) الثارات (٣) الجفوة نقيض الانس والمواصلة
(٤) يختبر (٥) المساعدون

يَحتاجُ إِلَيهِمْ مِنَ ٱلعُمَّالِ وَٱلأَعوانِ كَثِيرُونَ. وَمَنْ يَجْمَعُ مِنهُمْ مَا ذُكِرَتْ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلعَفافِ قَلِيلٌ. فَيَجِبُ عَلَيهِ أَنْ يَخْبُرَ وُزَراءَهُ وَذَوِي رَأْيِهِ وَيَرَى مَا عِندَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمْ مِنَ ٱلرَّأْيِ وَٱلتَّدبِيرِ وَمَا يَنطَوِي عَلَيهِ. فَإِذَا ٱستَقَرَّ ذٰلِكَ عِندَهُ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنهُمْ مَا يَصلُحُ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهِ وَيُدَبِّرَهُ. وَأَنْ لَا يُوَجِّهَ إِلى ٱلأَعمَالِ إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِدِينِهِ وَأَمانَتِهِ وَعِفَّتِهِ. ثُمَّ عَلَيهِ بَعدَ ذٰلِكَ إِنفاذُ(١) مَنْ يَثِقُ بِهِ لِلكَشفِ عَنْ أَعمالِهِمْ وَتَفَقُّدِ أُمُورِهِمْ بِٱلسِّرِّ ٱلخَفِيِّ حَتَّى لَا يَخفَى عَلَيهِ إِحسانُ مُحسِنٍ وَلَا إِساءَةُ مُسِيءٍ. فَإِنْ لَمْ يَفعَلْ ذٰلِكَ تَهاوَنَ(٢) ٱلمُحسِنُ وَٱجتَرَأَ ٱلمُسِيءُ وَفِي عُرْضِ(٣) ذٰلِكَ تَهلِكُ ٱلرَّعِيَّةُ وَيَفسُدُ ٱلمُلكُ. وَٱلمَثَلُ فِي ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلأَسَدِ وَٱبنِ آوَى ٱلنَّاسِكِ. قَالَ ٱلمَلِكُ وَكَيفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلفَيلَسُوفُ: زَعَمُوا أَنَّ ٱبنَ آوَى كَانَ يَسكُنُ فِي بَعضِ ٱلدِّحالِ(٤) وَكَانَ مُتَزَهِّدًا مُتَعَفِّفًا مَعَ بَناتِ آوَى وَذِئابٍ وَثَعالِبَ وَلَمْ يَكُنْ يَصنَعُ مَا يَصنَعنَ وَلَا يُغِيرُ(٥) كَمَا يُغِرْنَ وَلَا يُهرِيقُ(٦) دَمًا وَلَا يَأكُلُ لَحمًا وَلَا يَظلِمُ طَرفَةَ عَينٍ * فَخاصَمَتهُ تِلكَ ٱلسِّباعُ وَقُلنَ نَحنُ لَا نَرَى سِيرَتَكَ(٧) وَلَا رَأْيَكَ ٱلَّذِي أَنتَ عَلَيهِ مِنْ تَزَهُّدِكَ مَعَ أَنَّ تَزَهُّدَكَ لَا يُغنِي عَنكَ(٨) شَيئًا. وَأَنتَ لَا تَستَطِيعُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَأَحَدِنَا تَسعَى مَعَنا وَتَفعَلُ فِعلَنا. وَأَيُّ شَيءٍ يُشبِهُ كَفَّكَ عَنِ ٱلدِّماءِ وَعَنْ أَكلِ ٱللَّحمِ * قَالَ ٱبنُ آوَى: إِنَّ صُحبَتِي إِيَّاكُنَّ لَا تُؤَثِّمُنِي(٩) إِذَا لَمْ أُؤَثِّمْ نَفسِي لِأَنَّ ٱلآثامَ لَيسَتْ مِنْ قِبَلِ ٱلأَماكِنِ

---

(١) ارسال (٢) استخف (٣) جانب (٤) جمع دحل وهو ثقب فمهُ ضيق واسفله متسع (٥) يغزو (٦) لا يسفك (٧) اي لا نوافق على سلوكك (٨) اي لا ينفعك (٩) اي لا توقعني في الاثم

وَٱلْأَصْحَابِ وَلٰكِنَّهَا مِنْ قِبَلِ ٱلْقُلُوبِ وَٱلْأَعْمَالِ . وَلَوْ كَانَ صَاحِبُ ٱلْمَكَانِ ٱلصَّالِحِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ صَالِحًا وَصَاحِبُ ٱلْمَكَانِ ٱلسَّيِّئِ يَكُونُ عَمَلُهُ فِيهِ سَيِّئًا كَانَ حِينَئِذٍ مَنْ قَتَلَ ٱلنَّاسِكَ فِي مِحْرَابِهِ[١] لَمْ يَأْثَمْ وَمَنِ ٱسْتَحْيَاهُ[٢] فِي مَعْرَكَةِ ٱلْقِتَالِ أَثِمَ . وَإِنِّي إِنَّمَا صَحِبْتُكُنَّ بِنَفْسِي وَلَمْ أَصْحَبْكُنَّ بِقَلْبِي وَأَعْمَالِي لِأَنِّي أَعْرِفُ ثَمَرَةَ ٱلْأَعْمَالِ فَلَزِمْتُ حَالِي . وَإِنَّمَا صَحِبْتُكُنَّ مَوَدَّةً مِنِّي لَكُنَّ . فَإِنْ كَانَتْ صُحْبَتِي تَضُرُّكُنَّ فَٱلْأَمَاكِنُ وَٱلْمَوَاضِعُ كَثِيرَةٌ

وَثَبَتَ ٱبْنُ آوَى عَلَى حَالِهِ تِلْكَ وَٱشْتَهَرَ بِٱلنُّسْكِ وَٱلتَّزَهُّدِ حَتَّى بَلَغَ ذٰلِكَ أَسَدًا كَانَ مَلِكَ تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ . فَرَغِبَ فِيهِ لِمَا بَلَغَهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْعَفَافِ وَٱلنَّزَاهَةِ وَٱلزُّهْدِ وَٱلْأَمَانَةِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ يَسْتَدْعِيهِ فَلَمَّا حَضَرَ كَلَّمَهُ وَآنَسَهُ فَوَجَدَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ عَلَى غَرَضِهِ . ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ أَيَّامٍ إِلَى صُحْبَتِهِ وَقَالَ لَهُ : تَعْلَمُ أَنَّ عُمَّالِي[٣] كَثِيرٌ وَأَعْوَانِي جَمٌّ غَفِيرٌ[٤] وَأَنَا مَعَ ذٰلِكَ إِلَى ٱلْأَعْوَانِ مُحْتَاجٌ . وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ عَفَافٌ وَأَدَبٌ وَعَقْلٌ وَدِينٌ . وَقَدِ ٱخْتَبَرْتُكَ فَوَجَدْتُكَ كَذٰلِكَ فَٱزْدَدْتُ فِيكَ رَغْبَةً . وَأَنَا مُوَلِّيكَ[٥] مِنْ عَمَلِي جَسِيمًا وَرَافِعُكَ إِلَى مَنْزِلَةٍ شَرِيفَةٍ وَجَاعِلُكَ مِنْ خَاصَّتِي[٦] * قَالَ ٱبْنُ آوَى إِنَّ ٱلْمُلُوكَ أَحِقَّاءُ[٧] بِٱخْتِيَارِ ٱلْأَعْوَانِ فِيمَا يَهْتَمُّونَ بِهِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ مِمَّنْ لَهُمُ ٱلْخِبْرَةُ بِذٰلِكَ . وَهُمْ أَحْرَى[٨] أَنْ لَا يُكْرِهُوا[٩] عَلَى ذٰلِكَ أَحَدًا فَإِنَّ ٱلْمُكْرَهَ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْمُبَالَغَةَ[١٠] فِي ٱلْعَمَلِ وَإِنِّي لِعَمَلِ ٱلسُّلْطَانِ كَارِهٌ وَلَيْسَ لِي بِهِ تَجْرِبَةٌ وَلَا

---

(١) غرفته (٢) استبقاه حياً (٣) جمع عامل وهو في اصطلاح ارباب السياسة الرئيس والوالي (٤) اي جمع كثير (٥) اي جاعلك والياً (٦) اي المقربين اليّ (٧) اي لهم الحق باختيار الاعوان اي بانتقاء المساعدين (٨) أولى (٩) اي لا يجبروا (١٠) الاجتهاد

بِالسُّلْطَانِ(١) رِفْقٌ(٢) وَأَنْتَ مَلِكُ السِّبَاعِ وَعِنْدَكَ مِنْ أَجْنَاسِ الْوُحُوشِ عَدَدٌ كَثِيرٌ فِيهِمْ أَهْلُ نُبْلٍ(٣) وَقُوَّةٍ وَلَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ حِرْصٌ وَعِنْدَهُمْ بِهِ وَبِالسُّلْطَانِ رِفْقٌ فَإِنِ اسْتَعْمَلْتَهُمْ أَغْنَوا عَنْكَ(٤) وَاغْتَبَطُوا(٥) لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا أَصَابَهُمْ مِنْ ذَلِكَ * قَالَ الْأَسَدُ دَعْ(٦) عَنْكَ هٰذَا فَإِنِّي غَيْرُ مُعْفِيكَ مِنَ الْعَمَلِ * قَالَ ابْنُ آوَى إِنَّمَا يُقْدِمُ عَلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ غَيْرَ هَائِبٍ رَجُلَانِ لَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا. إِمَّا مُصَانِعٌ(٧) يَنَالُ حَاجَتَهُ بِفُجُورِهِ وَيَسْلَمُ بِمُصَانَعَتِهِ وَإِمَّا هَيِّنٌ(٨) لَا يَحْسُدُهُ أَحَدٌ. وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْدُمَ السُّلْطَانَ بِالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ غَيْرَ خَالِطٍ ذَلِكَ بِمُصَانَعَتِهِ فَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ عَلَى ذَلِكَ. لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَدُوُّ السُّلْطَانِ وَصَدِيقُهُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ. أَمَّا الصَّدِيقُ فَيُنَافِسُهُ فِي مَنْزِلَتِهِ(٩) وَيَبْغِي عَلَيْهِ(١٠) وَيُعَادِيهِ لِأَجْلِهَا وَيَشِي(١١) عَلَيْهِ كَذِبًا. فَإِذَا لَقِيَتِ الْوِشَايَةُ أُذُنًا وَاعِيَةً(١٢) مِنَ الْمَلِكِ كَانَ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ. وَأَمَّا عَدُوُّ السُّلْطَانِ فَيَضْطَغِنُ(١٣) عَلَيْهِ لِنَصِيحَتِهِ لِسُلْطَانِهِ وَإِغْنَائِهِ عَنْهُ فَيَعْمَلُ عَلَى هَلَاكِهِ(١٤) وَيَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ(١٥) فَإِذَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هٰذَانِ الصِّنْفَانِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْهَلَاكِ

قَالَ الْأَسَدُ: لَا يَكُونَنَّ بَغْيُ أَصْحَابِي عَلَيْكَ وَحَسَدُهُمْ إِيَّاكَ وَعَدَاوَةُ أَعْدَائِي لَكَ مِمَّا يَعْرِضُ فِي نَفْسِكَ(١٦) فَأَنْتَ مَعِي وَأَنَا أَكْفِيكَ ذَلِكَ(١٧)

---

(١) بالتسلط (٢) لطف وهو ضد العنف (٣) ذكاء ونجابة (٤) نفعوك (٥) حصلوا على حسن حال ومسرة (٦) اترك (٧) مدار ومداهن (٨) ضعيف ذليل (٩) أي يعارضهُ ويرغب فيها (١٠) يظلمهُ (١١) من الوشاية وهي النميمة (١٢) اي قابلة لما تسمع (١٣) يحقد (١٤) اي يسعى فيه (١٥) أي ينتظر حوادث الدهر ليوقعهُ فيها (١٦) أي يخطر في بالك (١٧) أغنيك عن ذلك

وَأَبْلُغُ بِكَ مِنْ دَرَجَاتِ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْإِحْسَانِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِكَ * قَالَ ٱبْنُ آوَى : إِنْ كَانَ ٱلْمَلِكُ يُرِيدُ ٱلْإِحْسَانَ إِلَيَّ فَلْيَدَعْنِي (١) فِي هٰذِهِ ٱلْبَرِّيَّةِ أَعِيشُ آمِنًا قَلِيلَ ٱلْهَمِّ رَاضِيًا بِعَيْشِي مِنَ ٱلْمَاءِ وَٱلْعُشْبِ . فَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ صَاحِبَ ٱلسُّلْطَانِ يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْأَذَى وَٱلْخَوْفِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا لَا يَصِلُ إِلَى غَيْرِهِ فِي طُولِ عُمْرِهِ وَأَنَّهُ يَتَّصِلُ إِلَيْهِ ٱلنَّفْعُ سَاعَةً وَاحِدَةً ثُمَّ هُوَ فِي ٱلْخَوْفِ سَرْمَدًا (٢) . وَإِنَّ قَلِيلًا مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَطُمَأْنِينَةٍ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ ٱلْعَيْشِ فِي خَوْفٍ وَنَصَبٍ (٣) * قَالَ ٱلْأَسَدُ قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ فَلَا تَخَفْ شَيْئًا مِمَّا أَرَاكَ تَخَافُ مِنْهُ . وَلَسْتُ أَجِدُ بُدًّا مِنَ ٱلِاسْتِعَانَةِ بِكَ فِي أَمْرِي * قَالَ ٱبْنُ آوَى : أَمَّا إِذَا أَبَى (٤) ٱلْمَلِكُ إِلَّا ذٰلِكَ فَلْيَجْعَلِ ٱلْمَلِكُ لِي عَهْدًا إِنْ بَغَى عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مِمَّنْ هُوَ فَوْقِي مَخَافَةً عَلَى مَنْزِلَتِهِ أَوْ مِمَّنْ هُوَ دُونِي لِيُنَازِعَنِي (٥) عَلَى مَنْزِلَتِي فَذَكَرَ عِنْدَ ٱلْمَلِكِ مِنْهُمْ ذَاكِرٌ بِلِسَانِهِ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ مَا يُرِيدُ بِهِ تَحْرِيشَ ٱلْمَلِكِ عَلَيَّ أَنْ لَا يَعْجَلَ فِي أَمْرِي وَأَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ وَيُذْكَرُ عِنْدَهُ مِنْ ذٰلِكَ وَيَفْحَصَ عَنْهُ ثُمَّ لِيَصْنَعْ مَا بَدَا لَهُ . فَإِذَا وَثِقْتُ مِنْهُ بِذٰلِكَ أَعَنْتُهُ بِنَفْسِي فِيمَا يُحِبُّ إِطَاعَةً لَهُ وَعَمِلْتُ لَهُ فِيمَا أَوْلَانِي بِنَصِيحَةٍ وَٱجْتِهَادٍ وَحَرَصْتُ عَلَى أَنْ لَا أَجْعَلَ لَهُ عَلَى نَفْسِي سَبِيلًا (٦) * قَالَ ٱلْأَسَدُ لَكَ عَلَيَّ ذٰلِكَ وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ وَلَّاهُ خَزَائِنَهُ وَٱخْتَصَّ بِهِ (٧) دُونَ أَصْحَابِهِ وَزَادَ فِي كَرَامَتِهِ

فَلَمَّا رَأَى أَصْحَابُ ٱلْأَسَدِ ذٰلِكَ غَاظَهُمْ وَسَاءَهُمْ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ (٨) وَٱتَّفَقُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يُحَرِّشُوا عَلَيْهِ ٱلْأَسَدَ * وَكَانَ ٱلْأَسَدُ قَدِ ٱسْتَطَابَ

---

(١) يتركني (٢) دائمًا (٣) تعب (٤) اي لم يرد (٥) يخاصمني (٦) اي حجة يحتج بها (٧) اي فضّلهُ على غيره واحبه (٨) جعلوه جمعًا اي غير متفرق

لحماً فعزل[١] منه مقداراً وأمر ابن آوى بالاحتفاظ به وأن يرفعه في أحصن موضع طعامه وأحرزه[٢] ليعاد عليه . فأخذوه من موضعه وحملوه إلى بيت ابن آوى فخبأوه فيه ولا علم له به . ثم حضروا يكذبونه إذا جرت في ذلك حال . فلما كان من الغد دعا الأسد بغدائه ففقد ذلك اللحم والتمسه فلم يجده . وابن آوى لم يشعر[٣] بما صنع في حقه من المكيدة وهو غائب في خدمة الأسد وأشغاله . فحضر الذين عملوا المكيدة[٤] وقعدوا في المجلس . ثم إن الملك سأل عن اللحم وشدد فيه وفي السؤال عنه فنظر بعضهم إلى بعض . فقال أحدهم قول المخبر الناصح إنه لا بد لنا أن نخبر الملك بما يضره وينفعه وإن شق[٥] ذلك على من يشق عليه . وإنه بلغني أن ابن آوى هو الذي ذهب باللحم إلى منزله ليأكله دون الملك . قال الآخر : ما أراه يفعل هذا . ولكن انظروا وافحصوا فإن معرفة الخلائق شديدة * فقال الآخر لعمري ما تكاد السرائر[٦] أن تعرف وأظنكم إن فحصتم عن هذا وجدتم اللحم في بيت ابن آوى . وكل شيء يذكر من عيوبه وخيانته نحن أحق أن نصدقه * قال الآخر لئن وجدنا هذا حقاً لم تكن[٧] بالخيانة فقط ولكن مع الخيانة كفر[٨] النعمة والجراءة على الملك * قال الآخر : أنتم أهل الفضل لا أستطيع أن أكذبكم . ولكن سيبين هذا لو أرسل الملك إلى بيته من يفتشه * قال الآخر : إن كان الملك مفتشاً منزله فليعجل فإن عيونه[٩]

---

(١) نحّى وافرز (٢) امنعه (٣) اي لم يعلم (٤) المكر والاحتيال (٥) صعب (٦) الخفايا (٧) أي هذه الفعلة (٨) انكار (٩) جواسيسه

وَجَوَاسِيسُهُ مَبْثُوثَةٌ بِكُلِّ مَكَانٍ * وَلَمْ يَزَالُوا فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ وَأَشْبَاهِهِ حَتَّى وَقَعَ(١) فِي نَفْسِ ٱلْأَسَدِ ذٰلِكَ . فَأَمَرَ بِٱبْنِ آوَى فَحَضَرَ

فَقَالَ لَهُ أَيْنَ ٱللَّحْمُ ٱلَّذِي أَمَرْتُكَ بِٱلْاِحْتِفَاظِ بِهِ . قَالَ دَفَعْتُهُ(٢) إِلَى صَاحِبِ ٱلطَّعَامِ لِيُقَرِّبَهُ إِلَى ٱلْمَلِكِ . فَدَعَا ٱلْأَسَدُ بِصَاحِبِ ٱلطَّعَامِ وَكَانَ مِمَّنْ شَايَعَ(٣) وَبَايَعَ(٤) مَعَ ٱلْقَوْمِ عَلَى ٱبْنِ آوَى فَقَالَ مَا دَفَعَ إِلَيَّ شَيْئًا . فَأَرْسَلَ ٱلْأَسَدُ أَمِينًا إِلَى بَيْتِ ٱبْنِ آوَى لِيُفَتِّشَهُ فَوَجَدَ فِيهِ ذٰلِكَ ٱللَّحْمَ فَأَتَى بِهِ ٱلْأَسَدَ . فَدَنَا مِنَ ٱلْأَسَدِ ذِئْبٌ لَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ وَكَانَ يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنَ ٱلْعُدُولِ ٱلَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ . فَقَالَ بَعْدَ أَنِ ٱطَّلَعَ ٱلْمَلِكُ عَلَى خِيَانَةِ ٱبْنِ آوَى لَا يَعْفُوَنَّ عَنْهُ فَإِنَّهُ إِنْ عَفَا عَنْهُ لَمْ يَطَّلِعِ ٱلْمَلِكُ بَعْدَهَا عَلَى خِيَانَةِ خَائِنٍ وَلَا ذَنْبِ مُذْنِبٍ فَأَمَرَ ٱلْأَسَدُ بِٱبْنِ آوَى أَنْ يُخْرَجَ وَإِنْ لَمْ يُحْتَفَظْ بِهِ(٥) . فَقَالَ بَعْضُ جُلَسَاءِ ٱلْمَلِكِ إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ رَأْيِ ٱلْمَلِكِ وَمَعْرِفَتِهِ بِٱلْأُمُورِ كَيْفَ يَخْفَى عَلَيْهِ أَمْرُ هٰذَا وَلَمْ يَعْرِفْ خِبَّهُ(٦) وَمُخَادَعَتَهُ . وَأَعْجَبُ مِنْ هٰذَا أَنِّي أَرَاهُ سَيَصْفَحُ عَنْهُ بَعْدَ ٱلَّذِي ظَهَرَ مِنْهُ . فَأَرْسَلَ ٱلْأَسَدُ بَعْضَهُمْ رَسُولًا إِلَى ٱبْنِ آوَى يَلْتَمِسُ مِنْهُ ٱلْعُذْرَ عَنْ أَمْرِهِ . فَرَجَعَ إِلَيْهِ ٱلرَّسُولُ بِرِسَالَةٍ كَاذِبَةٍ ٱخْتَلَقَهَا(٧) فَغَضِبَ ٱلْأَسَدُ مِنْ ذٰلِكَ وَأَمَرَ بِٱبْنِ آوَى أَنْ يُقْتَلَ * فَعَلِمَتْ أُمُّ ٱلْأَسَدِ أَنَّهُ قَدْ عَجِلَ فِي أَمْرِهِ فَأَرْسَلَتْ إِلَى ٱلَّذِينَ أُمِرُوا بِقَتْلِهِ أَنْ يُرْجِئُوهُ(٨) . وَدَخَلَتْ عَلَى ٱبْنِهَا فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ بِأَيِّ ذَنْبٍ أَمَرْتَ بِقَتْلِ ٱبْنِ آوَى فَأَخْبَرَهَا بِٱلْأَمْرِ .

---

(١) أثَّر (٢) أعطيتهُ (٣) تابع ووالى (٤) عاهدهم وانقاد اليهم (٥) اي لا يجعل تحت الحفظ (٦) خبثه وغشه (٧) افتراها (٨) يؤخروه

فَقَالَتْ يَا بُنَيَّ عَجِلْتَ وَإِنَّمَا يَسْلَمُ ٱلْعَاقِلُ مِنَ ٱلنَّدَامَةِ بِتَرْكِ ٱلْعَجَلَةِ وَبِٱلتَّثَبُّتِ. وَٱلْعَجَلَةُ لا يَزَالُ صَاحِبُهَا يَجْتَنِي ثَمَرَةَ ٱلنَّدَامَةِ بِسَبَبِ ضُعْفِ ٱلرَّأْيِ. وَمَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي أُمُورِهِ نَظَرَ مُفَكِّرٍ كَانَ نَظَرُهُ كَنَظَرِ ٱلَّذِي يَكُونُ بِعَيْنَيْهِ سَبَلٌ[1] فَيُخَيَّلُ لَهُ[2] أَنَّ أَمَامَهَا كَهَيْئَةِ شَعْرَةٍ. وَكَانَ كَٱلرَّجُلِ ٱلْجَاهِلِ ٱلَّذِي يَسْمَعُ صَوْتَ ٱلْبَعُوضَةِ[3] فِي ٱللَّيْلِ فَيَظُنُّهَا لِشِدَّةِ صَوْتِهَا شَيْئاً فَإِذَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ. وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحْوَجَ إِلَى ٱلتُّؤَدَةِ[4] وَٱلتَّثَبُّتِ مِنَ ٱلْمُلُوكِ. فَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ بِزَوْجِهَا وَٱلْوَلَدَ بِوَالِدَيْهِ وَٱلْمُتَعَلِّمَ بِٱلْمُعَلِّمِ وَٱلْجُنْدَ بِٱلْقَائِدِ وَٱلنَّاسِكَ بِٱلدِّينِ وَٱلْعَامَّةَ بِٱلْمُلُوكِ وَٱلْمُلُوكَ بِٱلتَّقْوَى وَٱلتَّقْوَى بِٱلْعَقْلِ وَٱلْعَقْلَ بِٱلتَّثَبُّتِ وَٱلْأَنَاةِ[5] وَرَأْسُ ٱلْحَزْمِ لِلْمَلِكِ مَعْرِفَةُ أَصْحَابِهِ وَإِنْزَالُهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ[6] وَإِتِّهَامُهُ[7] بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ. فَإِنَّهُ لَوْ وَجَدَ بَعْضُهُمْ إِلَى هَلَاكِ بَعْضٍ سَبِيلاً لَفَعَلَ

وَقَدْ جَرَّبْتَ ٱبْنَ آوَى وَبَلَوْتَ[8] رَأْيَهُ وَأَمَانَتَهُ وَمُرُوءَتَهُ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَادِحاً لَهُ رَاضِياً عَنْهُ. وَقَدِ ٱتَّهَمْتَهُ بِشَيْءٍ لَا صِحَّةَ لَهُ وَلَا تَعْلَمُ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ وَلَعَلَّ ذٰلِكَ عَمَلُ أَهْلِ ٱلْكَذِبِ وَٱلْحَسَدِ وَٱلْخِيَانَةِ مِنْ وُزَرَائِكَ. لِأَنَّ ٱلْمَلِكَ إِذَا تَهَاوَنَ فِي أَمْرِ وُزَرَائِهِ وَتَغَافَلَ عَنْهُمْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي ذٰلِكَ مَا تُكْرَهُ عَاقِبَتُهُ. وَٱلْمَلِكُ أَخْبَرُ مِنْ طَرِيقِ ٱلْعَقْلِ أَنَّ ٱلْأَشْرَارَ يَحْسُدُونَ ٱلْأَخْيَارَ وَيَرْقُبُونَهُمْ لِيُوقِعُوا بِهِمْ[9] وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُخَوِّنَهُ[10] بَعْدَ ٱرْتِضَائِهِ إِيَّاهُ وَٱئْتِمَانِهِ لَهُ. وَمُنْذُ مَجِيئِهِ إِلَى ٱلْآنَ لَمْ يَطَّلِعْ لَهُ عَلَى خِيَانَةٍ

---

(١) شبه غشاوة تعرض في العين (٢) يتوهم (٣) واحدة البعوض وهو المعروف بالناموس (٤) الرزانة والتأني (٥) الحلم والرفق (٦) مراتبهم (٧) ادخاله التهمة والظن (٨) اختبرت (٩) اي ليهلكوهم (١٠) ينسب اليه الخيانة

إِلَّا عَلَى ٱلعِفَّةِ وَٱلنَّصِيحَةِ وَمَا كَانَ مِنْ رَأْيِ ٱلمَلِكِ أَنْ يُعَجِّلَ عَلَيْهِ لِأَجْلِ طَابَقِ (١) لَحْمٍ. وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلمَلِكُ حَقِيقٌ أَنْ تَنْظُرَ فِي حَالِ ٱبْنِ آوَى وَلِتَعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَعَرَّضُ لِلَّحْمِ وَلَا يَأْكُلُهُ فَكَيْفَ لِلَّحْمِ ٱسْتَوْدَعْتَهُ إِيَّاهُ. وَلَعَلَّ ٱلمَلِكَ إِنْ فَحَصَ عَنْ ذٰلِكَ ظَهَرَ لَهُ أَنَّ ٱبْنَ آوَى لَهُ خُصَمَاءُ هُمُ ٱلَّذِينَ ٱئْتَمَرُوا بِهٰذَا ٱلأَمْرِ وَهُمُ ٱلَّذِينَ ذَهَبُوا بِٱللَّحْمِ إِلَى بَيْتِهِ فَوَضَعُوهُ فِيهِ. فَإِنَّ ٱلحِدَأَةَ (٢) إِذَا كَانَ فِي رِجْلِهَا قِطْعَةُ لَحْمٍ ٱجْتَمَعَ عَلَيْهَا سَائِرُ ٱلطَّيْرِ. وَٱلكَلْبَ إِذَا كَانَ مَعَهُ عَظْمٌ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ٱلكِلَابُ. وَٱبْنُ آوَى مُنْذُ كَانَ إِلَى ٱليَوْمِ نَافِعٌ وَكَانَ مُحْتَمِلًا لِكُلِّ ضَرَرٍ فِي جَنْبِ مَنْفَعَةٍ تَصِلُ إِلَيْكَ وَلِكُلِّ عَنَاءٍ (٣) يَكُونُ لَكَ فِيهِ رَاحَةٌ وَلَمْ يَكُنْ يَطْوِي (٤) دُونَكَ سِرًّا

فَبَيْنَمَا أُمُّ ٱلأَسَدِ تَقُصُّ عَلَيْهِ هٰذِهِ ٱلمَقَالَةَ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ ثِقَاتِهِ فَأَخْبَرَهُ بِبَرَاءَةِ ٱبْنِ آوَى. فَقَالَتْ أُمُّ ٱلأَسَدِ إِنَّ ٱلمَلِكَ بَعْدَ أَنِ ٱطَّلَعَ عَلَى بَرَاءَةِ ٱبْنِ آوَى حَقِيقٌ أَنْ لَا يَتَسَاهَلَ مَعَ مَنْ سَعَى بِهِ (٥) لِئَلَّا يَتَجَرَّأُوا عَلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذٰلِكَ. وَلٰكِنْ يُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ لِكَيْ لَا يَعُودُوا إِلَى مِثْلِهِ. وَلَا تَحْتَقِرْ مَا فَعَلُوا مَعَكَ فَإِنَّ ٱلعُشْبَ وَإِنْ كَانَ لَا قُوَّةَ لَهُ يُصْنَعُ مِنْهُ ٱلحَبْلُ ٱلَّذِي يُوثَقُ (٦) بِهِ ٱلفِيلُ. فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُرَاجِعَ فِي أَمْرِ ٱلكَفُورِ (٧) لِلْحُسْنَى وَٱلجَرِيءِ عَلَى ٱلغَدْرِ وَٱلزَّاهِدِ فِي ٱلخَيْرِ وَٱلَّذِي لَا يُوقِنُ (٨) بِٱلآخِرَةِ وَيَنْبَغِي أَنَّهُ يُجْزَى بِعَمَلِهِ. وَقَدْ عَرَفْتَ سُرْعَةَ ٱلغَضَبِ وَفَرْطَ (٩) ٱلهَفْوَةِ (١٠) وَمَنْ سَخِطَ بِٱلْيَسِيرِ لَمْ يَبْلُغْ رِضَاهُ بِٱلكَثِيرِ. وَٱلأَوْلَى لَكَ أَنْ تُرَاجِعَ ٱبْنَ

---

(١) ظرف يطبخ فيه (٢) طائر وقد مرّ (٣) تعب (٤) يكتم (٥) نمّ عليه ووشى به (٦) يقيد (٧) الجاحد والمنكر (٨) لا يثق (٩) سبق وعجلة (١٠) السقطة والزلة

آوى وتَعطِفَ عَلَيهِ وَلَا يُوئِسَنَّكَ(١) مِنْ مُنَاصَحَتِهِ مَا فَرَطَ(٢) مِنكَ إِلَيهِ مِنَ الإِسَاءَةِ . فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَنبَغِي تَرْكُهُ عَلَى حَالٍ مِنَ الأَحوَالِ وَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالصَّلاحِ وَالكَرَمِ وَحُسنِ العَهدِ وَالشُّكرِ وَالوَفَاءِ وَالمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ الحَسَدِ وَالبُعدِ مِنَ الأَذَى(٣) وَالاِحتِمَالِ لِلإِخوَانِ وَالأَصحَابِ وَإِنْ ثَقُلَتْ عَلَيهِ مِنهُمُ المَؤُونَةُ(٤) . وَأَمَّا مَنْ يَنبَغِي تَركُهُ فَهُوَ مَنْ عُرِفَ بِالشَّرَاسَةِ وَلُؤمِ العَهدِ وَقِلَّةِ الشُّكرِ وَالوَفَاءِ وَالبُعدِ عَنِ الرَّحمَةِ وَالوَرَعِ(٥) وَاتَّصَفَ بِالجُحُودِ(٦) لِثَوَابِ(٧) الآخِرَةِ وَعِقَابِهَا وَقَدْ عَرَفتَ ابنَ آوى وَجَرَّبتَهُ وَأَنتَ حَقِيقٌ بِمُوَاصَلَتِهِ

فَدَعَا الأَسَدُ بِابنِ آوى وَاعتَذَرَ إِلَيهِ(٨) مِمَّا كَانَ مِنهُ وَوَعَدَهُ خَيرًا وَقَالَ إِنِّي مُعتَذِرٌ إِلَيكَ وَرَادُّكَ إِلَى مَنزِلَتِكَ . فَقَالَ ابنُ آوى أَوَ لَيسَ هٰذَا الَّذِي خِفتُ مِنهُ فِي أَوَّلِ اتِّصَالِي بِكَ وَالَّذِي لِأَجلِهِ امتَنَعتُ مِمَّا عَرَضتَهُ عَلَيَّ مِن صُحبَتِكَ وَتَوَلِّي خِدمَتِكَ . وَإِنَّ شَرَّ الأَخِلَّاءِ(٩) مَنِ التَمَسَ مَنفَعَةَ نَفسِهِ بِضَرِّ أَخِيهِ وَمَنْ كَانَ غَيرَ نَاظِرٍ لَهُ كَنَظَرِهِ لِنَفسِهِ أَوْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُرضِيَهُ بِغَيرِ الحَقِّ لِأَجلِ اتِّبَاعِ هَوَاهُ وَكَثِيرًا مَا يَقَعُ ذٰلِكَ بَينَ الأَخِلَّاءِ * وَقَدْ كَانَ مِنَ المَلِكِ إِلَيَّ مَا عَلِمَ وَلَا يَنبَغِي لِلمَلِكِ أَنْ يَطمَئِنَّ(١٠) إِلَى مَنْ عَاقَبَهُ أَشَدَّ العُقُوبَةِ مِنْ نَزعِهِ عَنْ عَمَلِهِ أَوْ أَخذِ مَالِهِ بِغَيرِ ذَنبٍ أَوْ مَنْ كَانَ لِلكَرَامَةِ أَهلًا(١١) فَلَمْ يَعرِفْ لَهُ ذٰلِكَ وَلَمْ يُعطِهِ مَا هُوَ أَهلُهُ . أَوْ كَانَ

---

(١) يقطع املك (٢) اي ما سبق وتقدم (٣) التعدي (٤) اي الكلفة
(٥) التقوى (٦) الانكار (٧) الثواب الجزاء على الاعمال خيرًا او شرًا واكثر استعماله في ثواب الاخرة (٨) اي احتج لنفسه بما يسقط عنها اللوم (٩) الاصدقاء
(١٠) يسكن ويؤمن (١١) مستحقًا

مَظلوماً وَلَم يَنظُرْ في أمرِهِ أو كانَ مِنْ أهلِ الطَّمَعِ فلَمْ يُصِبْ ما يَرْجوهُ أو كانَ بَيْنَ قومٍ قدِ اجتَرَموا جَريمةً[١] هُوَ مِنها بَرِيءٌ فأُخِذَ[٢] هُوَ بِها مِن بَيْنِهِم وخُلِّيَ[٣] سَبيلُهُم . فأَمثالُ هؤلاءِ لا يَنبَغي لِلمَلِكِ أنْ يَصحَبَهُم وأنا أيُّها المَلِكُ أحدُ هؤلاءِ . فلَعَلَّ المَلِكَ يَقولُ إنَّ ابنَ آوى لا يَنسى الَّذي لَقِيَهُ مِنَ الهَوانِ[٤] فيَقتَصُّ مِنّي . وأنا يَعلَمُ اللهُ أنْ لَيسَ في قَلبي شَيءٌ مِن قِبَلِ هذا وإنّما خَوفي أنْ يَفعَلوا بي ذلكَ مَرَّةً أُخرى . فلا يَغلُظَنَّ[٥] على نَفسِ المَلِكِ ما أُخبِرُهُ أنّي بِهِ غيرُ واثِقٍ وأنَّهُ لا يَنبَغي لي أنْ أصحَبَهُ * وإنَّ المَلِكَ لا يَنبَغي لهُ أنْ يَصحَبَ مَنْ كانَ مِثْلي ولا يَنبَغي لهُ أنْ يَرفُضَهُ أصلاً فإنَّ ذا السُّلطانِ[٦] إذا عَزَلَ كانَ مُستَحِقّاً لِلكَرامةِ في حالةِ إبعادِهِ والإقصاءِ[٧] لهُ * فلَمْ يَلتَفِتِ الأسدُ إلى كَلامِهِ ثُمَّ قالَ لهُ إنّي قد بَلَوتُ طِباعَكَ وأخلاقَكَ وجَرَّبتُ أمانَتَكَ ووَفاءَكَ وعَرَفتُ كَذِبَ مَنْ مَحَلَ بِكَ[٨] وإنّي مُنزِلُكَ مِن نَفسي مَنزِلَةَ الأخيارِ الكُرَماءِ والكَريمُ تُنسيهِ الخَلَّةُ[٩] الواحِدَةُ مِنَ الإحسانِ الخِلالَ الكَثيرةَ مِنَ الإساءةِ . وقد عُدْنا إلى الثِّقَةِ بِكَ فعُدْ إلى الثِّقَةِ بِنا فإنَّهُ كائِنٌ لَنا ولَكَ بِذلِكَ غِبطَةٌ وسُرورٌ * فعادَ ابنُ آوى إلى وِلايةِ ما كانَ يَلي[١٠] وضاعَفَ لهُ الأسدُ الكَرامةَ ولَمْ تَزِدْهُ الأيّامُ إلّا تَقَرُّباً مِنهُ

---

(١) اذنبوا ذنباً (٢) عوقب (٣) اي تركوا (٤) الذل والاحتقار (٥) لا يصعبنَّ (٦) صاحب السلطة (٧) اي والمبالغة في ابعاده (٨) اي كادك بسعاية (٩) الخصلة وقد مرَّ (١٠) اي الى ما كان يملك امره ويقوم به

# باب
## اللَّبُوَةِ (١) وَالإِسْوَارِ (٢) وَالشَّعْهَرِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا الْمَثَلَ فَاضْرِبْ لِي مَثَلاً فِي شَأْنِ مَنْ يَدَعُ ضَرَّ غَيْرِهِ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الضَّرَرِ وَيَكُونُ لَهُ مِمَّا يَنْزِلُ بِهِ وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ عَنِ ارْتِكَابِ الظُّلْمِ وَالْعَدَاوَةِ لِغَيْرِهِ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: إِنَّهُ لا يُقْدِمُ عَلَى طَلَبِ مَا يَضُرُّ بِالنَّاسِ وَمَا يَسُوءُهُمْ إِلَّا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَهِ (٣) وَسُوءِ النَّظَرِ فِي الْعَوَاقِبِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَقِلَّةِ الْعِلْمِ بِمَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ مِنْ حُلُولِ النِّقْمَةِ (٤) وَبِمَا يَلْزَمُهُمْ مِنْ تَبِعَةِ (٥) مَا اكْتَسَبُوا مِمَّا لَا تُحِيطُ بِهِ الْعُقُولُ. وَإِنْ سَلِمَ بَعْضُهُمْ مِنْ ضَرَرِ بَعْضٍ بِاتِّفَاقٍ عَرَضَ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ وَبَالُ (٦) مَا صَنَعَ لَمْ يَسْلَمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ. فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَأْمَنِ الْمَصَائِبَ وَكَانَ حَقِيقاً أَنْ لَا يَسْلَمَ مِنَ الْمَعَاطِبِ (٧) وَرُبَّمَا اتَّعَظَ الْجَاهِلُ وَاعْتَبَرَ (٨) بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْمَضَرَّةِ مِنَ الْغَيْرِ فَارْتَدَعَ (٩) عَنْ أَنْ يَغْشَى (١٠) أَحَداً بِمِثْلِ ذٰلِكَ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَحَصَلَ لَهُ نَفْعُ مَا كَفَّ عَنْهُ مِنْ ضَرَرِهِ لِغَيْرِهِ فِي الْعَاقِبَةِ * وَمِثْلُ ذٰلِكَ حَدِيثُ اللَّبُوَةِ وَالإِسْوَارِ وَالشَّعْهَرِ. قَالَ الْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ الْفَيْلَسُوفُ: زَعَمُوا أَنَّ لَبُوَةً كَانَتْ فِي غَيْضَةٍ (١١) وَلَهَا شِبْلَانِ (١٢)

---

(١) انثى الاسد (٢) الصياد الجيد الرمي بالسهام (٣) الخفة والطيش (٤) المكافأة بالعقوبة (٥) التبعة ما يترتب على فعل الرجل من خير او شرّ (٦) شدة وسوء عاقبة (٧) المهالك (٨) بمعنى اتعظ (٩) انكفَّ (١٠) يأتي (١١) مجتمع شجر (١٢) مثنى شبل وهو ولد الاسد

وَإِنَّهَا خَرَجَتْ فِي طَلَبِ ٱلصَّيْدِ وَخَلَّفَتْهُمَا[١] فِي كَهْفِهِمَا[٢] فَمَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَحَمَلَ[٣] عَلَيْهِمَا وَرَمَاهُمَا[٤] فَقَتَلَهُمَا وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَٱحْتَقَبَهُمَا[٥] وَٱنْصَرَفَ بِهِمَا إِلَى مَنْزِلِهِ . ثُمَّ إِنَّهَا رَجَعَتْ فَلَمَّا رَأَتْ مَا حَلَّ[٦] بِهِمَا مِنَ ٱلْأَمْرِ ٱلْفَظِيعِ[٧] ٱضْطَرَبَتْ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَصَاحَتْ وَضَجَّتْ . وَكَانَ إِلَى جَنْبِهَا شَعْهَرٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذٰلِكَ مِنْ صِيَاحِهَا قَالَ لَهَا : مَا هٰذَا ٱلَّذِي تَصْنَعِينَ وَمَا نَزَلَ بِكِ أَخْبِرِينِي بِهِ . قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ : شِبْلَايَ مَرَّ بِهِمَا إِسْوَارٌ فَقَتَلَهُمَا وَسَلَخَ جِلْدَيْهِمَا فَٱحْتَقَبَهُمَا وَنَبَذَهُمَا[٨] فِي ٱلْعَرَاءِ[٩] . قَالَ لَهَا ٱلشَّعْهَرُ لَا تَضِجِّي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكِ[١٠] وَٱعْلَمِي أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ مُكَافَأَةٍ فَفَاعِلُ ٱلْخَيْرِ يَحْمَدُهُ وَفَاعِلُ ٱلشَّرِّ يَجْنِي ثَمَرَهُ . وَإِنَّ هٰذَا ٱلْإِسْوَارَ لَمْ يَأْتِ إِلَيْكِ[١١] شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ كُنْتِ تَفْعَلِينَ بِغَيْرِكِ مِثْلَهُ وَتَأْتِينَ مِثْلَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِمَّنْ كَانَ يَجِدُ[١٢] بِحَمِيمِهِ[١٣] وَمَنْ يَعِزُّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا تَجِدِينَ بِشِبْلَيْكِ . فَٱصْبِرِي مِنْ غَيْرِكِ[١٤] عَلَى مَا صَبَرَ غَيْرُكِ عَلَيْهِ مِنْكِ . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ[١٥] وَلِكُلِّ عَمَلٍ ثَمَرَةٌ مِنَ ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ وَهُمَا عَلَى قَدْرِهِ فِي ٱلْكَثْرَةِ وَٱلْقِلَّةِ كَٱلزَّرْعِ إِذَا حَضَرَ ٱلْحَصَادُ أَعْطَى عَلَى حَسَبِ بَذْرِهِ .

قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ : بَيِّنْ لِي مَا تَقُولُ وَأَفْصِحْ لِي عَنْ إِشَارَتِهِ . قَالَ ٱلشَّعْهَرُ : كَمْ أَتَى لَكِ مِنَ ٱلْعُمْرِ قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ كَذَا وَكَذَا سَنَةً . قَالَ ٱلشَّعْهَرُ مَا كَانَ

---

(١) تركتهما (٢) ملجأهما اي محل اقامتهما (٣) هجم (٤) اي بالسهام (٥) اي شدهما في موخر رحل ركوبته (٦) نزل (٧) الشنيع (٨) طرحهما (٩) الفضاء لا يستتر فيه بشيء (١٠) اي استوفي حقك منها (١١) اي يفعل بك (١٢) يحزن (١٣) اي بقريبه الذي يهتم بأمره (١٤) اي على ما اصابك منه (١٥) اي كما تجازي تجازى

قُوتُكِ فِيهِ. قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ لَحْمَ ٱلْوَحْشِ. قَالَ ٱلشَّعْهَرُ وَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكِ إِيَّاهُ. قَالَتِ ٱللَّبُوَةُ كُنْتُ أَصِيدُ ٱلْوَحْشَ وَآكُلُهُ. قَالَ ٱلشَّعْهَرُ: أَرَأَيْتِ ٱلْوُحُوشَ ٱلَّتِي كُنْتِ تَأْكُلِينَ أَمَا كَانَ لَهَا آبَاءٌ وَأُمَّهَاتٌ. قَالَتْ بَلَى. قَالَ ٱلشَّعْهَرُ فَمَا بَالِي[1] لَا أَرَى وَلَا أَسْمَعُ لِأُولٰئِكَ ٱلْآبَاءِ وَٱلْأُمَّهَاتِ مِنَ ٱلْجَزَعِ[2] مَا أَرَى وَأَسْمَعُ لَكِ. أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَنْزِلْ بِكِ مَا نَزَلَ إِلَّا لِسُوءِ نَظَرِكِ فِي ٱلْعَوَاقِبِ وَقِلَّةِ تَفَكُّرِكِ فِيهَا وَجَهَالَتِكِ بِمَا يَرْجِعُ عَلَيْكِ مِنْ ضَرِّهَا * فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱللَّبُوَةُ ذٰلِكَ مِنْ كَلَامِ ٱلشَّعْهَرِ عَرَفَتْ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا جَنَتْ عَلَى نَفْسِهَا[3] وَأَنَّ عَمَلَهَا كَانَ جَوْرًا وَظُلْمًا. فَتَرَكَتِ ٱلصَّيْدَ وَٱنْصَرَفَتْ عَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ إِلَى أَكْلِ ٱلثِّمَارِ وَٱلنُّسْكِ[4] وَٱلْعِبَادَةِ. فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ وَرَشَانٌ[5] كَانَ صَاحِبَ تِلْكَ ٱلْغَيْضَةِ وَكَانَ عَيْشُهُ مِنَ ٱلثِّمَارِ قَالَ لَهَا: قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ ٱلشَّجَرَ عَامَنَا[6] هٰذَا لَمْ تَحْمِلْ لِقِلَّةِ ٱلْمَاءِ. فَلَمَّا أَبْصَرْتُكِ تَأْكُلِينَهَا وَأَنْتِ آكِلَةُ ٱللَّحْمِ فَتَرَكْتِ رِزْقَكِ وَطَعَامَكِ وَمَا قَسَمَ ٱللّٰهُ لَكِ وَتَحَوَّلْتِ إِلَى رِزْقِ غَيْرِكِ فَٱنْتَقَصْتِهِ[7] وَدَخَلْتِ عَلَيْهِ فِيهِ[8]. عَلِمْتُ أَنَّ ٱلشَّجَرَ ٱلْعَامَ أَثْمَرَتْ كَمَا كَانَتْ تُثْمِرُ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ وَإِنَّمَا أَتَتْ قِلَّةُ ٱلثَّمَرِ مِنْ جِهَتِكِ. فَوَيْلٌ لِلشَّجَرِ وَوَيْلٌ لِلثِّمَارِ وَوَيْلٌ لِمَنْ عَيْشُهُمْ مِنْهَا مَا أَسْرَعَ هَلَاكَهُمْ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِمْ فِي أَرْزَاقِهِمْ وَغَلَبَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَظٌّ وَلَمْ يَكُنْ مُعْتَادًا لِأَكْلِهَا * فَلَمَّا سَمِعَتِ ٱللَّبُوَةُ

---

(١) اي ما شأني او ما حالي (٢) اي من عدم الصبر (٣) اي مما جرّته اليها من الذنوب (٤) الزهد والتقشف (٥) طائر يقال له ساق حرّ وهو ذكر القماري لان حكاية صوته ساق حر او الساق الحمام والحر فرخه يعني انه فرخ الحمام (٦) اي في عامنا (٧) اخذتِ منهُ (٨) اي اتيتهِ دخيلة والدخيل من دخل في قوم وانتسب اليهم وليس منهم يعني انها دخيلة في الامر

ذٰلِكَ مِنْ كَلامِ ٱلْوَرَشَانِ تَرَكَتْ أَكْلَ ٱلثِّمارِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى أَكْلِ ٱلْعُشْبِ وَٱلعِبادَةِ

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِتَعْلَمَ أَنَّ ٱلْجَاهِلَ رُبَّمَا ٱنْصَرَفَ بِضَرٍّ يُصِيبُهُ عَنْ ضَرِّ ٱلنَّاسِ كَٱللَّبُوَةِ ٱلَّتِي ٱنْصَرَفَتْ لِمَا لَقِيَتْ فِي شِبْلَيْهَا عَنْ أَكْلِ ٱللَّحْمِ ثُمَّ عَنْ أَكْلِ ٱلثِّمارِ بِقَوْلِ ٱلْوَرَشَانِ وَأَقْبَلَتْ عَلَى ٱلنُّسْكِ وَٱلعِبادَةِ

وَٱلنَّاسُ أَحَقُّ بِحُسْنِ ٱلنَّظَرِ فِي ذٰلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ مَا لا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ لَا تَصْنَعْهُ لِغَيْرِكَ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ ٱلعَدْلَ وَفِي ٱلعَدْلِ رِضَى ٱللهِ تَعالَى وَرِضَى ٱلنَّاسِ

## باب

## إِيلاذَ وَبَلاذَ وَإِيراخْتَ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلمَلِكُ لِبَيْدَبا ٱلفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي ٱلْأَشْيَاءِ ٱلَّتِي يَجِبُ عَلَى ٱلمَلِكِ أَنْ يَلْزَمَ بِهَا نَفْسَهُ وَيَحْفَظَ مُلْكَهُ وَيُثَبِّتَ بِهَا سُلْطَانَهُ وَيَكُونُ ذٰلِكَ رَأْسَ أَمْرِهِ وَمِلاكَهُ(١) . ٱلحِلْمُ أَمِ ٱلمُرُوءَةُ أَمِ ٱلشَّجَاعَةُ أَمِ ٱلجُودُ

قَالَ بَيْدَبا : إِنَّ أَحَقَّ مَا يَحْفَظُ بِهِ ٱلمَلِكُ مُلْكَهُ(٢) ٱلحِلْمُ وَبِهِ تَثْبُتُ ٱلسَّلْطَنَةُ(٣) . وَٱلحِلْمُ رَأْسُ ٱلْأُمُورِ وَمِلاكُها وَأَجْوَدُ مَا كَانَ فِي ٱلمُلُوكِ .

---

(١) قوامه (٢) ما يملكه ويتصرّف به (٣) المملكة

كَالَّذِي زَعَمُوا أَنَّـهُ كَانَ مَلِكٌ يُدْعَى بَلَاذَ وَكَانَ لَهُ وَزِيرٌ يُدْعَى إِيلَاذَ وَكَانَ مُتَعَبِّدًا نَاسِكاً . وَإِنَّ ٱلْمَلِكَ نَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ أَفْزَعَتْهُ فَٱسْتَيْقَظَ مَرْعُوبًا فَدَعَا بِٱلْبَرَاهِمَـةِ (١) وَهُمُ ٱلنُّسَّاكُ لِيَعْبُرُوا رُؤْيَاهُ (٢) . فَلَمَّا حَضَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ قَصَّ عَلَيْهِمْ مَا رَأَى فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : لَقَدْ رَأَى ٱلْمَلِكُ عَجَباً . فَإِنْ أَمْهَلْتَنَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ جِئْنَاهُ بِتَأْوِيلِهِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ قَدْ أَمْهَلْتُكُمْ . فَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ ٱجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ أَحَدِهِمْ وَٱئْتَمَرُوا (٣) بَيْنَهُمْ وَقَالُوا : قَدْ وَجَدْتُمْ عِلْماً وَاسِعاً تُدْرِكُونَ بِهِ ثَأْرَكُمْ وَتَنْتَقِمُونَ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ قَتَلَ مِنَّا بِٱلْأَمْسِ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً . وَهَا هُوَ قَـدْ أَطْلَعَنَا عَلَى سِرِّهِ وَسَأَلَنَا تَفْسِيرَ رُؤْيَاهُ فَهَلُمَّ نُغْلِظْ (٤) لَهُ ٱلْقَوْلَ وَنُخِيفُهُ حَتَّى يَحْمِلَهُ ٱلْفَرَقُ (٥) وَٱلْجَزَعُ (٦) عَلَى أَنْ يَفْعَلَ ٱلَّذِي نُرِيـدُ . وَنَأْمُرُهُ فَنَقُولُ ٱدْفَعْ إِلَيْنَا أَحِبَّاءَكَ وَمَنْ يَكْرُمُ عَلَيْكَ حَتَّى نَقْتُلَهُمْ . فَإِنَّا قَدْ نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا فَلَمْ نَرَ أَنْ يُدْفَعَ عَنْكَ مَا رَأَيْتَ لِنَفْسِكَ وَمَا وَقَعْتَ فِيهِ مِنْ هٰذَا ٱلشَّرِّ إِلَّا بِقَتْلِ مَنْ نُسَمِّي لَكَ . فَإِنْ قَالَ ٱلْمَلِكُ وَمَنْ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا سَمُّوهُمْ لِي . قُلْنَا نُرِيدُ ٱلْمَلِكَةَ إِيرَاخْتَ أُمَّ جُوِيرَ ٱلْمَحْمُودَةَ أَكْرَمَ نِسَائِكَ عَلَيْكَ . وَنُرِيدُ جُوِيرَ أَحَبَّ بَنِيكَ إِلَيْكَ وَأَفْضَلَهُمْ عِنْدَكَ . وَنُرِيدُ كَالَا ٱلْكَاتِبَ صَاحِبَ سِرِّكَ . وَسَيْفَكَ ٱلَّذِي لَا يُوجَـدُ مِثْلُهُ . وَٱلْفِيلَ ٱلْأَبْيَضَ ٱلَّذِي لَا تَلْحَقُهُ ٱلْخَيْلُ . وَٱلْفَرَسَ ٱلَّذِي هُوَ مَرْكَبُـكَ فِي ٱلْقِتَالِ . وَنُرِيدُ ٱلْفِيلَيْنِ ٱلْعَظِيمَيْنِ ٱللَّذَيْنِ يَكُونَانِ مَعَ ٱلْفِيلِ ٱلذَّكَرِ . وَنُرِيـدُ ٱلْبُخْتِيَّ (٧) ٱلسَّرِيعَ ٱلْقَوِيَّ

---

(١) كهنة الهنود (٢) اي يفسروها ويخبروه بآخر ما يأول اليه امرها
(٣) تشاوروا (٤) نخشن (٥) الخوف (٦) نقيض الصبر (٧) واحد البخت وهي الابل الخراسانية

وَنُرِيدُ كَبَارِيُونَ ٱلْحَكِيمَ ٱلْفَاضِلَ ٱلْعَالِمَ بِٱلْأُمُورِ لِنَنْتَقِمَ مِنْهُ بِمَا فَعَلَ بِنَا * ثُمَّ نَقُولُ لَهُ إِنَّمَا يَنْبَغِي لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ أَنْ تَقْتُلَ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ لَكَ ثُمَّ تَجْعَلَ دِمَاءَهُمْ فِي حَوْضٍ تَمْلَأُهُ ثُمَّ تَقْعُدُ فِيهِ . فَإِذَا خَرَجْتَ مِنَ ٱلْحَوْضِ ٱجْتَمَعْنَا نَحْنُ مَعَاشِرَ ٱلْبَرَاهِمَةِ مِنَ ٱلْآفَاقِ(١) ٱلْأَرْبَعَةِ نَجُولُ حَوْلَكَ فَنَرْقِيكَ(٢) وَنَتْفِلُ(٣) عَلَيْكَ وَنَمْسَحُ عَنْكَ ٱلدَّمَ وَنَغْسِلُكَ بِٱلْمَاءِ وَٱلدُّهْنِ ٱلطَّيِّبِ . ثُمَّ تَقُومُ إِلَى مَنْزِلِكَ ٱلْبَهِيِّ فَيَدْفَعُ ٱللهُ بِذٰلِكَ ٱلْبَلَاءَ ٱلَّذِي نَتَخَوَّفُهُ عَلَيْكَ * فَإِنْ صَبَرْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَطَابَتْ نَفْسُكَ عَنْ أَحِبَّائِكَ ٱلَّذِينَ ذَكَرْنَا لَكَ وَجَعَلْتَهُمْ فِدَاكَ تَخَلَّصْتَ مِنَ ٱلْبَلَاءِ وَٱسْتَقَامَ لَكَ مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ وَٱسْتَخْلَفْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ أَحْبَبْتَ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ تَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ أَنْ يُغْصَبَ(٤) مُلْكُكَ أَوْ تَهْلِكَ . فَإِنْ هُوَ أَطَاعَنَا فِيمَا نَأْمُرُهُ قَتَلْنَاهُ شَرَّ قِتْلَةٍ

فَلَمَّا أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى مَا ٱئْتَمَرُوا فِيهِ رَجَعُوا إِلَيْهِ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّامِنِ وَقَالُوا لَهُ : أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنَّا نَظَرْنَا فِي كُتُبِنَا تَفْسِيرَ مَا رَأَيْتَ وَفَحَصْنَا عَنِ ٱلرَّأْيِ فِيمَا بَيْنَنَا . فَلْيَكُنْ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلطَّاهِرُ ٱلصَّالِحُ وَٱلْكَرَامَةُ(٥) . وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نُعْلِمَكَ بِمَا رَأَيْنَا إِلَّا أَنْ تَخْلُوَ بِنَا(٦) وَتُؤَمِّنَنَا . فَأَخْرَجَ ٱلْمَلِكُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ وَخَلَا بِهِمْ فَحَدَّثُوهُ بِٱلَّذِي ٱئْتَمَرُوا فِيهِ . فَقَالَ لَهُمُ ٱلْمَوْتُ خَيْرٌ لِي مِنَ ٱلْحَيَاةِ إِنْ أَنَا قَتَلْتُ هٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ هُمْ عَدِيلُ(٧) نَفْسِي . وَأَنَا مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ وَٱلْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ وَلَسْتُ كُلَّ ٱلدَّهْرِ مَلِكًا . وَإِنَّ ٱلْمَوْتَ عِنْدِي وَفِرَاقَ ٱلْأَحْبَابِ سَوَاءٌ فَضْلًا عَمَّا أَرْتَكِبُهُ مِنَ ٱلْإِثْمِ فِي قَتْلِهِمْ * قَالَ لَهُ

---

(١) الجهات (٢) اي فنعمل لك السحر (٣) نبصق (٤) اي يؤخذ منك قهراً
(٥) اي فليكن لك الامر الصالح والكرامة (٦) تنفرد بنا ولم يكن معك احد (٧) مثل

ٱلبَرْهَمِيُّونَ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَغْضَبْ أَخْبَرْنَاكَ . فَأَذِنَ لَهُمْ فَقَالُوا أَيُّهَا ٱلمَلِكُ إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ صَوَابًا حِينَ تَجْعَلُ نَفْسَ غَيْرِكَ أَعَزَّ عِنْدَكَ مِنْ نَفْسِكَ . فَٱحْتَفِظْ بِنَفْسِكَ وَمُلْكِكَ هٰذَا ٱلَّذِي فِيهِ لَكَ ٱلرَّجَاءُ ٱلعَظِيمُ عَلَى ثِقَةٍ وَيَقِينٍ وَقَرَّ عَيْنًا بِمُلْكِكَ فِي وُجُوهِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ ٱلَّذِينَ شَرُفْتَ وَكَرُمْتَ بِهِمْ وَلَا تَدَعِ ٱلأَمْرَ ٱلعَظِيمَ وَتَأْخُذْ بِٱلضَّعِيفِ فَتُهْلِكَ نَفْسَكَ إِيثَارًا[١] لِمَنْ تُحِبُّ * وَٱعْلَمْ أَيُّهَا ٱلمَلِكُ أَنَّ ٱلإِنْسَانَ إِنَّمَا يُحِبُّ ٱلحَيَاةَ مَحَبَّةً لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ أَحَبَّ مِنَ ٱلأَحْبَابِ إِلَّا لِيَتَمَتَّعَ[٢] بِهِ فِي حَيَاتِهِ . وَإِنَّمَا قِوَامُ نَفْسِكَ بَعْدَ ٱللهِ بِمُلْكِكَ . وَإِنَّكَ لَمْ تَنَلْ مُلْكَكَ إِلَّا بِٱلمَشَقَّةِ[٣] وَٱلعَنَاءِ ٱلكَثِيرِ فِي ٱلشُّهُورِ وَٱلسِّنِينَ وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُضَهُ وَيَهُونَ عَلَيْكَ فَٱسْتَمِعْ كَلَامَنَا وَٱنْظُرْ لِنَفْسِكَ مُنَاهَا[٤] وَدَعْ مَا سِوَاهَا فَإِنَّهُ لَا خَطَرَ لَهُ[٥] * فَلَمَّا رَأَى ٱلمَلِكُ أَنَّ ٱلبَرْهَمِيِّينَ قَدْ أَغْلَظُوا لَهُ فِي ٱلقَوْلِ وَٱسْتَجْرَأُوا عَلَيْهِ فِي ٱلكَلَامِ ٱشْتَدَّ غَمُّهُ وَحُزْنُهُ وَقَامَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانَيْهِمْ[٦] وَدَخَلَ إِلَى حُجْرَتِهِ[٧] فَخَرَّ[٨] عَلَى وَجْهِهِ يَبْكِي وَيَتَقَلَّبُ كَمَا تَتَقَلَّبُ ٱلسَّمَكَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ ٱلمَاءِ . وَجَعَلَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ : مَا أَدْرِي أَيُّ ٱلأَمْرَيْنِ أَعْظَمُ فِي نَفْسِي ٱلهَلَكَةُ أَمْ قَتْلُ أَحِبَّائِي . وَلَنْ أَنَالَ ٱلفَرَحَ مَا عِشْتُ وَلَيْسَ مُلْكِي بِبَاقٍ عَلَيَّ إِلَى ٱلأَبَدِ وَلَسْتُ بِٱلمُصِيبِ سُؤْلِي فِي مُلْكِي . وَإِنِّي لَزَاهِدٌ فِي ٱلحَيَاةِ إِذَا لَمْ أَرَ إِيرَاخْتَ وَجُوِيرَ . وَكَيْفَ أَقْدِرُ عَلَى ٱلقِيَامِ بِمُلْكِي إِذَا هَلَكَ وَزِيرِي إِيلَاذُ وَكَيْفَ أَضْبِطُ أَمْرِي إِذَا هَلَكَ فِيلِي ٱلأَبْيَضُ وَفَرَسِي ٱلجَوَادُ وَكَيْفَ

---

(١) تفضيلاً (٢) لينتفع (٣) اي بالتعب الشديد (٤) ما تتمناه (٥) اي لا شرف لهُ ولا علو منزلة (٦) من وسطهم (٧) غرفتهِ (٨) سقط

أدعى مَلِكاً وقد قتلتُ مَن أشارَ البراهمةُ بقتلهِ وما أصنعُ بالدنيا بعدهم

ثمّ إنّ الحديثَ فشا(١) في الأرضِ بحزنِ الملكِ وهمِّهِ. فلمّا رأى إيلاذُ ما نالَ(٢) الملكَ من الهمِّ والحزنِ فكّرَ في حكمتِهِ ونظرَ وقالَ: ما ينبغي لي أن أستقبلَ الملكَ فأسألهُ عن هذا الأمرِ الذي قد نالهُ من غيرِ أن يدعوني. ثمّ انطلقَ إلى إيراختَ فقالَ: إنّي منذُ خدمتُ الملكَ إلى الآنِ لم يعملْ عملاً إلّا بمشورتي ورأيي. وأراهُ يكتمُ عنّي أمراً لا أعلمُ ما هو ولا أراهُ يُظهِرُ منهُ شيئاً. وإنّي رأيتُهُ خالياً مع جماعةِ البرهميّينَ منذُ ليالٍ وقد احتجبَ(٣) عنّا فيها وأنا خائفٌ من أن يكونَ قد أطلعهم على شيءٍ من أسرارِهِ فلستُ آمنُهم أن يُشيروا عليهِ بما يضرُّهُ ويُدخِلُ عليهِ منهُ السوء. فقومي وادخلي عليهِ فاسأليهِ عن أمرِهِ وشأنِهِ وأخبريني بما هو عليهِ وأعلميني فإنّي لستُ أقدرُ على الدخولِ عليهِ. فلعلّ البرهميّينَ قد زيّنوا لهُ أمراً وحملوهُ على خطّةٍ(٤) قبيحةٍ. وقد علمتُ أنّ من خُلقِ الملكِ أنّهُ إذا غضبَ لا يسألُ أحداً وسواءٌ عندهُ صغيرُ الأمورِ وكبيرُها * فقالت إيراختُ إنّهُ كانَ بيني وبينَ الملكِ بعضُ العتابِ فلستُ بداخلةٍ عليهِ في هذهِ الحالِ. فقالَ لها إيلاذُ: لا تحملي(٥) عليهِ الحقدَ في مثلِ هذا ولا يخطرنَّ ذلكَ على بالكِ فليسَ يقدرُ على الدخولِ عليهِ أحدٌ سواكِ. وقد سمعتُهُ كثيراً يقولُ ما اشتدّ غمّي ودخلتْ عليَّ إيراختُ إلّا سُرّيَ(٦) ذلكَ عنّي. فقومي إليهِ واصفحي عنهُ وكلّميهِ بما تعلمينَ أنّهُ تطيبُ بهِ نفسُهُ ويذهبُ الذي

---

(١) شاع (٢) اصاب (٣) تستر (٤) اي طريقة (٥) لا تحفظي (٦) كشف

يَجِدُهُ(١) وَأَعْلِمِينِي بِمَا يَكُونُ جَوَابُهُ فَإِنَّ بِذَلِكَ لَنَا وَلِأَهْلِ ٱلْمَمْلَكَةِ أَعْظَمَ ٱلرَّاحَةِ

فَٱنْطَلَقَتْ إِيرَاخْتُ فَدَخَلَتْ عَلَى ٱلْمَلِكِ فَجَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَتْ : مَا ٱلَّذِي بِكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمَحْمُودُ وَمَا ٱلَّذِي سَمِعْتَ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ فَإِنِّي أَرَاكَ مَحْزُونًا فَأَعْلِمْنِي بِمَا بِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْزَنَ مَعَكَ وَنُوَاسِيكَ(٢) بِأَنْفُسِنَا . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ أَيَّتُهَا ٱلْمَرْأَةُ لَا تَسْأَلِينِي عَنْ أَمْرِي فَتَزِيدِينِي غَمًّا وَحُزْنًا . فَإِنَّهُ أَمْرٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلِينِي عَنْهُ . قَالَتْ أَوَ قَدْ نَزَلْتُ عِنْدَكَ مَنْزِلَةَ مَنْ يَسْتَحِقُّ هٰذَا . إِنَّمَا أَحْمَدُ(٣) ٱلنَّاسِ عَقْلًا مَنْ إِذَا نَزَلَتْ(٤) بِهِ ٱلنَّازِلَاتُ(٥) كَانَ لِنَفْسِهِ أَشَدَّ ضَبْطًا وَأَكْثَرَهُمُ ٱسْتِمَاعًا مِنْ أَهْلِ ٱلنُّصْحِ حَتَّى يَنْجُوَ مِنْ تِلْكَ ٱلنَّازِلَةِ بِٱلْحِيلَةِ وَٱلْعَقْلِ وَٱلْبَحْثِ وَٱلْمُشَاوَرَةِ فَعَظِيمُ ٱلذَّنْبِ لَا يَقْنَطُ(٦) مِنَ ٱلرَّحْمَةِ . وَلَا تُدْخِلَنَّ عَلَيْكَ شَيْئًا مِنَ ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ فَإِنَّهُمَا لَا يَرُدَّانِ شَيْئًا مَقْضِيًّا(٧) إِلَّا أَنَّهُمَا يُنْحِلَانِ(٨) ٱلْجِسْمَ وَيَشْفِيَانِ ٱلْعَدُوَّ(٩) . وَٱلصَّبْرُ عِنْدَ نُزُولِ ٱلْمُصِيبَةِ عِبَادَةٌ وَسَوْفَ تَحْمَدُ أَمْرَكَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي . قَالَ لَهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَسْأَلِينِي عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ شَقَقْتِ عَلَيَّ(١٠) . وَٱلَّذِي تَسْأَلِينِي عَنْهُ لَا خَيْرَ فِيهِ لِأَنَّ عَاقِبَتَهُ هَلَاكِي وَهَلَاكُكِ وَهَلَاكُ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي وَمَنْ هُوَ عَدِيلُ نَفْسِي . وَذَاكَ أَنَّ ٱلْبَرَاهِمَةَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِكِ وَقَتْلِ جُوِيرَ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ

---

(١) يحزنهُ (٢) من المؤاساة وهي ان ينزل الانسان غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنهُ (٣) تفضيل من الحمد بمعنى الشكر والمدح (٤) حلت (٥) المصائب الشديدة (٦) لا يقطع الرجاء (٧) محكوماً بهِ (٨) يسقمان ويهزلان (٩) اي يقضيان حاجته التي يتوق اليها (١٠) اي اوقعتني في المشقة وهي الصعوبة والعناء

مَوَدَّتِي وَلَا خَيْرَ فِي ٱلْعَيْشِ بَعْدَكُمْ . وَهَلْ أَحَدٌ يَسْمَعُ بِهٰذَا إِلَّا ٱعْتَرَاهُ(١) ٱلْحُزْنُ

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذٰلِكَ إِيرَاخْتُ جَزِعَتْ وَمَنَعَهَا عَقْلُهَا أَنْ تُظْهِرَ لِلْمَلِكِ جَزَعًا فَقَالَتْ: أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَجْزَعْ فَنَحْنُ لَكَ ٱلْفِدَاءُ وَلَكَ فِي سِوَايَ وَمِثْلِي مَا تَقَرُّ بِهِ(٢) عَيْنُكَ . وَلٰكِنِّي أَطْلُبُ مِنْكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ حَاجَةً يَحْمِلُنِي عَلَى طَلَبَتِهَا حُبِّي لَكَ وَإِيثَارِي(٣) إِيَّاكَ وَهِيَ نَصِيحَتِي لَكَ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَمَا هِيَ . قَالَتْ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لَا تَثِقَ بَعْدَهَا بِأَحَدٍ مِنَ ٱلْبَرَاهِمَةِ وَلَا تُشَاوِرَهُمْ فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَثَبَّتَ فِي أَمْرِكَ ثُمَّ تُشَاوِرَ فِيهِ ثِقَاتِكَ(٤) مِرَارًا . فَإِنَّ ٱلْقَتْلَ أَمْرٌ عَظِيمٌ وَلَسْتَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُحْيِيَ مَنْ قَتَلْتَ . وَقَدْ قِيلَ فِي ٱلْحَدِيثِ إِذَا لَقِيتَ جَوْهَرًا لَا خَيْرَ فِيهِ فَلَا تُلْقِهِ مِنْ يَدِكَ حَتَّى تُرِيَهُ مَنْ يَعْرِفُهُ وَأَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ لَا تَعْرِفُ أَعْدَاءَكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَرَاهِمَةَ لَا يُحِبُّونَكَ وَقَدْ قَتَلْتَ مِنْهُمْ بِٱلْأَمْسِ ٱثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا . وَلَا تَظُنَّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ أُولٰئِكَ . وَلَعَمْرِي مَا كُنْتَ جَدِيرًا أَنْ تُخْبِرَهُمْ بِرُؤْيَاكَ وَلَا أَنْ تُطْلِعَهُمْ عَلَيْهَا(٥) . وَإِنَّمَا قَالُوا لَكَ مَا قَالُوا لِأَجْلِ ٱلْحِقْدِ ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُهْلِكُونَكَ وَيُهْلِكُونَ أَحِبَّاءَكَ وَوَزِيرَكَ فَيَبْلُغُوا قَصْدَهُمْ مِنْكَ . وَأَظُنُّكَ لَوْ قَبِلْتَ مِنْهُمْ فَقَتَلْتَ مَنْ أَشَارُوا بِقَتْلِهِ ظَفِرُوا بِكَ وَغَلَبُوكَ عَلَى مُلْكِكَ فَيَعُودُ ٱلْمُلْكُ إِلَيْهِمْ كَمَا كَانَ . فَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ إِذَا أُرِيدَ قَلْعُهَا عُمِدَ(٦) أَوَّلًا إِلَى أُصُولِهَا وَمَا تَتَثَبَّتُ بِهِ فِي ٱلْأَرْضِ فَقُطِعَتْ ثُمَّ قُلِعَتْ فَهَانَ قَلْعُهَا . فَٱنْطَلِقْ إِلَى كَبَارْيُونَ ٱلْحَكِيمِ

---

(١) اصابه وغشيه (٢) تفرح وتسر (٣) تفضيلي (٤) اي امناءك الذين تعتمد عليهم (٥) اي تظهرها لهم (٦) قصد

فَهُوَ فَطِنٌ عَالِمٌ فَأَخْبِرْهُ عَمَّا رَأَيْتَ فِي رُؤْيَاكَ وَٱسْأَلْهُ عَنْ وَجْهِهَا وَتَأْوِيلِهَا (١)

فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ سُرِّيَ عَنْهُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ ٱلْغَمِّ . فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ فَرَكِبَهُ ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى كَبَارِيُونَ ٱلْحَكِيمِ . فَلَمَّا ٱنْتَهَى إِلَيْهِ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَسَجَدَ لَهُ وَقَامَ مُطَأْطِئًا (٢) ٱلرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحَكِيمُ مَا بَالُكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَمَا لِي أَرَاكَ مُتَغَيِّرَ ٱللَّوْنِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْمَلِكُ إِنِّي رَأَيْتُ فِي ٱلْمَنَامِ ثَمَانِيَةَ أَحْلَامٍ قَصَصْتُهَا عَلَى ٱلْبَرَاهِمَةِ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ ذٰلِكَ عَظِيمُ أَمْرٍ بِمَا سَمِعْتُ مِنْ تَعْبِيرِهِمْ لِرُؤْيَايَ وَأَخْشَى أَنْ يُغْصَبَ مِنِّي مُلْكِي أَوْ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ ٱلْحَكِيمُ إِنْ شِئْتَ قَصَصْتَ عَلَيَّ أَحْلَامَكَ وَإِنْ شِئْتَ قَصَصْتُهَا عَلَيْكَ وَأَخْبَرْتُكَ بِمَا رَأَيْتَ جَمِيعِهِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ بَلْ مِنْ فِيكَ (٣) أَحْسَنُ . قَالَ ٱلْحَكِيمُ : لَا يُحْزِنْكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ هٰذَا ٱلْأَمْرُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ * أَمَّا ٱلسَّمَكَتَانِ ٱلْحَمْرَاوَانِ ٱللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا قَائِمَتَيْنِ عَلَى ذَنَبَيْهِمَا فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ رَسُولٌ مِنْ مَلِكِ هَيْمُونَ بِعِقْدَيْنِ مُكَلَّلَيْنِ بِٱلدُّرِّ وَٱلْيَاقُوتِ ٱلْأَحْمَرِ قِيمَتُهُمَا أَرْبَعَةُ آلَافِ رِطْلٍ مِنْ ذَهَبٍ فَيَقُومُ (٤) بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا ٱلْوَزَّتَانِ ٱللَّتَانِ رَأَيْتَهُمَا طَارَتَا مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِكَ فَوَقَعَتَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ بَلْخَ فَرَسَانِ لَيْسَ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِثْلُهُمَا فَيَقُومَانِ بَيْنَ يَدَيْكَ * وَأَمَّا ٱلْحَيَّةُ ٱلَّتِي رَأَيْتَهَا تَدِبُّ (٥) عَلَى رِجْلِكَ ٱلْيُسْرَى فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ صِنْجِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِسَيْفٍ خَالِصِ ٱلْحَدِيدِ لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ * وَأَمَّا ٱلدَّمُ ٱلَّذِي رَأَيْتَ كَأَنَّهُ خُضِبَ (٦) بِهِ جَسَدُكَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَازَرُونَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِلِبَاسٍ مُعْجِبٍ يُسَمَّى حُلَّةَ أُرْجُوَانٍ (٧) يُضِيءُ فِي ٱلظُّلْمَةِ *

(١) تفسيرها (٢) خافضاً (٣) فمك (٤) ينتصب (٥) تسري (٦) لون
(٧) ثوب احمر

وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ غَسْلِكَ جِسْمَكَ بِالْمَاءِ فَإِنَّــهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ رِهْزِينَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِثِيَابِ كَتَّانٍ مِنْ لِبَاسِ ٱلْمُلُوكِ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ مِنْ أَنَّكَ عَلَى جَبَلٍ أَبْيَضَ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ كَيْدُورَ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِفِيلٍ أَبْيَضَ لَا تَلْحَقُهُ ٱلْخَيْلُ * وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ عَلَى رَأْسِكَ شَبِيهاً بِالنَّارِ فَإِنَّهُ يَأْتِيكَ مِنْ مَلِكِ ٱلْأَرْزَنِ مَنْ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ بِإِكْلِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلٍ بِالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ * وَأَمَّا ٱلطَّائِرُ ٱلَّذِي رَأَيْتَهُ ضَرَبَ رَأْسَكَ بِمِنْقَارِهِ فَلَسْتُ مُفَسِّرًا ذٰلِكَ ٱلْيَوْمَ وَلَيْسَ بِضَارِّكَ فَلَا تَوْجَلَنَّ [1] مِنْهُ وَلٰكِنْ فِيهِ بَعْضُ ٱلسُّخْطِ [2] وَٱلْإِعْرَاضِ [3] عَمَّا تُحِبُّهُ * فَهٰذَا تَفْسِيرُ رُؤْيَاكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَأَمَّا هٰذِهِ ٱلْبُرُدُ [4] وَٱلرُّسُلُ فَإِنَّهَا تَأْتِيكَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَمِيعاً فَتَقُومُ بَيْنَ يَدَيْكَ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ سَجَدَ لِكِبَارْيُونَ وَرَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ جَاءَتِ ٱلْبَشَائِرُ بِقُدُومِ ٱلرُّسُلِ فَخَرَجَ ٱلْمَلِكُ فَجَلَسَ عَلَى ٱلسَّرِيرِ [5] وَأَذِنَ لِلْأَشْرَافِ وَجَاءَتْهُ ٱلْهَدَايَا كَمَا أَخْبَرَهُ كِبَارْيُونُ ٱلْحَكِيمُ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ ٱشْتَدَّ عَجَبُهُ وَفَرَحُهُ مِنْ عِلْمِ كِبَارْيُونَ وَقَالَ: مَا وُفِّقْتُ حِينَ قَصَصْتُ رُؤْيَايَ عَلَى ٱلْبَرَاهِمَةِ فَأَمَرُونِي بِمَا أَمَرُونِي بِهِ * وَلَوْلَا أَنَّ ٱللهَ تَعَالَى تَدَارَكَنِي لَهَلَكْتُ وَأَهْلَكْتُ . وَكَذٰلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْمَعَ إِلَّا مِنَ ٱلْأَخِلَّاءِ ذَوِي ٱلْعُقُولِ . وَإِنَّ إِيرَاخْتَ أَشَارَتْ بِالْخَيْرِ فَقَبِلْتُهُ وَرَأَيْتُ بِهِ ٱلنَّجَاحَ فَضَعُوا ٱلْهَدِيَّةَ بَيْنَ يَدَيْهَا لِتَأْخُذَ مِنْهَا مَا ٱخْتَارَتْ . ثُمَّ قَالَ لِإِيلَاذَ خُذِ ٱلْإِكْلِيلَ وَٱلثِّيَابَ وَٱحْمِلْهَا وَٱتْبَعْنِي بِهَا . وَدَعَا ٱلْمَلِكُ

---

(١) اي فلا تخافنّ (٢) الغضب (٣) الصد والهجر (٤) جمع بريد وهي الخيل التي تأتي عليها الرسل (٥) على تخته

إيراخت وحورقتاه بين يديه فقال لإيلاذ دع[1] الكسوة والإكليل بين يدي إيراخت لتأخذ أيها شاءت . فوضعت الهدايا بين يدي إيراخت فأخذت منها الإكليل وأخذت حورقتاه كسوة من أفخر الثياب وأحسنها* وإن إيراخت صنعت للملك بعد ذلك أرزاً بحلاوة فدخلت عليه بالصحفة[2] والإكليل على رأسها واتفق أن حورقتاه لبست تلك الكسوة ومرت بين يدي الملك فالتفت الملك إلى إيراخت فقال: إنك جاهلة حين أخذت الإكليل وتركت الكسوة التي ليس في خزائننا مثلها. فلما سمعت إيراخت مدح الملك لحورقتاه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها أخذها من ذلك الغيرة[3] والغيظ فضربت بالصحفة رأس الملك فسال الأرز على وجهه وكان ذلك تمام تعبير الرؤيا التي عبرها كباريون* فقام الملك من مكانه ودعا بإيلاذ وقال : ألا ترى وأنا ملك العالم كيف حقرتني[4] هذه الجاهلة وفعلت بي ما ترى فانطلق بها واقتلها ولا ترحمها

فخرج إيلاذ من عند الملك وقال لا أقتلها حتى يسكن عنه الغضب فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل[5] في النساء وليس الملك بصابر عنها وقد خلصته من الموت وعملت أعمالاً صالحة ورجاؤنا فيها عظيم. ولست آمنه أن يقول لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني . فلست قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية . فإن رأيته نادماً حزيناً على ما فعل جئت بها حية وكنت قد عملت عملاً عظيماً وأنجيت[6] إيراخت

---

(١) اترك (٢) اناء يوضع فيه الطعام ويعرف بالصحن (٣) الحمية وكراهة الشركة في حقها (٤) اذلتني ولهانتني (٥) مثيل (٦) خلصت

مِنَ ٱلْقَتْلِ وَحَفِظْتُ قَلْبَ ٱلْمَلِكِ وَٱتَّخَذْتُ عِنْدَ عَامَّةِ ٱلنَّاسِ بِذٰلِكَ يَدًا[١] وَإِنْ رَأَيْتُهُ فَرِحًا مُسْتَرِيحًا مُصَوِّبًا رَأْيَهُ[٢] فِي ٱلَّذِي فَعَلَهُ فَقَتْلُهَا لَا يَفُوتُ * ثُمَّ ٱنْطَلَقَ بِهَا إِلَى مَنْزِلِهِ وَوَكَّلَ بِهَا خَادِمًا مِنْ أُمَنَائِهِ وَأَمَرَهُ بِخِدْمَتِهَا وَحِرَاسَتِهَا حَتَّى يَنْظُرَ مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ ٱلْمَلِكِ. ثُمَّ خَضَبَ سَيْفَهُ[٣] بِٱلدَّمِ وَدَخَلَ عَلَى ٱلْمَلِكِ كَٱلْكَئِيبِ[٤] ٱلْحَزِينِ فَقَالَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ أَمْرَكَ فِي إِيرَاخْتَ. فَلَمْ يَلْبَثِ ٱلْمَلِكُ أَنْ سَكَنَ عَنْهُ ٱلْغَضَبُ وَذَكَرَ جَمَالَ إِيرَاخْتَ وَفَضْلَهَا وَٱشْتَدَّ أَسَفُهُ عَلَيْهَا وَجَعَلَ يُعَزِّي نَفْسَهُ عَنْهَا وَيَتَجَلَّدُ[٥]. وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَسْأَلَ إِيلَاذَ أَحَقًّا أَمْضَى أَمْرَهُ فِيهَا أَمْ لَا. وَرَجَا لِمَا عَرَفَ مِنْ عَقْلِ إِيلَاذَ أَنْ لَا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ. وَنَظَرَ إِلَيْهِ إِيلَاذُ بِفَضْلِ عَقْلِهِ فَعَلِمَ ٱلَّذِي بِهِ. فَقَالَ لَهُ: لَا تَهْتَمَّ وَلَا تَحْزَنْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْهَمِّ وَٱلْحُزْنِ مَنْفَعَةٌ وَلٰكِنَّهُمَا يُنْحِلَانِ ٱلْجِسْمَ وَيُفْسِدَانِهِ. فَٱصْبِرْ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عَلَى مَا لَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ أَبَدًا. وَإِنْ أَحَبَّ ٱلْمَلِكُ أَنْ أُحَدِّثَهُ بِحَدِيثٍ يُسَلِّيهِ. قَالَ حَدِّثْنِي

قَالَ إِيلَاذُ: زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَتَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى مَلَآ عُشَّهُمَا مِنَ ٱلْحِنْطَةِ وَٱلشَّعِيرِ. فَقَالَ ٱلذَّكَرُ لِلْأُنْثَى إِنَّا إِذَا وَجَدْنَا فِي ٱلصَّحَارَى[٦] مَا نَعِيشُ بِهِ فَلَسْنَا نَأْكُلُ مِمَّا هٰهُنَا شَيْئًا: فَإِذَا جَاءَ ٱلشِّتَاءُ وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلصَّحَارَى شَيْءٌ رَجَعْنَا إِلَى مَا فِي عُشِّنَا فَأَكَلْنَاهُ. فَرَضِيَتِ ٱلْأُنْثَى بِذٰلِكَ وَقَالَتْ لَهُ نِعِمَّا[٧] رَأَيْتَ. وَكَانَ ذٰلِكَ ٱلْحَبُّ نَدِيًّا[٨] حِينَ وَضَعَاهُ فِي عُشِّهِمَا. فَٱنْطَلَقَ ٱلذَّكَرُ

---

(١) جاهاً ووقاراً (٢) حاكماً له بالصواب (٣) لوّنه (٤) المغتم
(٥) يتكلف الجلادة وهي الصبر (٦) الفلوات (٧) اي نعم الرأي رأيك
(٨) مبتلًا

فَغَابَ . فَلَمَّا جَاءَ ٱلصَّيْفُ يَبِسَ ٱلْحَبُّ وَتَضَمَّرَ (١) فَلَمَّا رَجَعَ ٱلذَّكَرُ رَأَى ٱلْحَبَّ نَاقِصاً فَقَالَ لَهَا : أَلَيْسَ كُنَّا جَمَعْنَا رَأْيَنَا عَلَى أَنْ لَا نَأْكُلَ مِنْهُ شَيْئاً فَلِمَ أَكَلْتِهِ . فَجَعَلَتْ تَحْلِفُ أَنَّهَا مَا أَكَلَتْ مِنْهُ شَيْئاً وَجَعَلَتْ تَتَنَصَّلُ (٢) إِلَيْهِ فَلَمْ يُصَدِّقْهَا وَجَعَلَ يَنْقُرُهَا (٣) حَتَّى مَاتَتْ . فَلَمَّا جَاءَتِ ٱلْأَمْطَارُ وَدَخَلَ ٱلشِّتَاءُ تَنَدَّى ٱلْحَبُّ وَٱمْتَلَأَ ٱلْعُشُّ كَمَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى ٱلذَّكَرُ ذٰلِكَ نَدِمَ . ثُمَّ ٱضْطَجَعَ إِلَى جَانِبِ حَمَامَتِهِ وَقَالَ : مَا يَنْفَعُنِي ٱلْحَبُّ وَٱلْعَيْشُ بَعْدَكِ إِذَا طَلَبْتُكِ فَلَمْ أَجِدْكِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْكِ . وَإِذَا فَكَّرْتُ فِي أَمْرِكِ وَعَلِمْتُ أَنِّي قَدْ ظَلَمْتُكِ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى تَدَارُكِ (٤) مَا فَاتَ . ثُمَّ ٱسْتَمَرَّ عَلَى حُزْنِهِ فَلَمْ يَطْعَمْ (٥) طَعَاماً وَلَا شَرَاباً حَتَّى مَاتَ إِلَى جَانِبِهَا

وَٱلْعَاقِلُ لَا يَعْجَلُ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلْعُقُوبَةِ وَلَا سِيَّمَا مَنْ يَخَافُ ٱلنَّدَامَةَ كَمَا نَدِمَ ٱلْحَمَامُ ٱلذَّكَرُ . وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضاً أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ ٱلْجَبَلَ وَعَلَى رَأْسِهِ طَبَقٌ مِنَ ٱلْعَدَسِ فَوَضَعَ ٱلطَّبَقَ عَلَى ٱلْأَرْضِ لِيَسْتَرِيحَ . فَنَزَلَ قِرْدٌ مِنْ شَجَرَةٍ فَأَخَذَ مِلْءَ كَفِّهِ مِنَ ٱلْعَدَسِ وَصَعِدَ إِلَى ٱلشَّجَرَةِ . فَسَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ حَبَّةٌ فَنَزَلَ فِي طَلَبِهَا فَلَمْ يَجِدْهَا وَٱنْتَثَرَ (٦) مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ ٱلْعَدَسِ أَجْمَعُ * وَأَنْتَ أَيْضاً أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِنْدَكَ كَثِيرٌ مِمَّنْ تُحِبُّ تَدَعُهُمْ (٧) وَتَطْلُبُ مَا لَا تَجِدُ * فَلَمَّا سَمِعَ ٱلْمَلِكُ ذٰلِكَ خَشِيَ أَنْ تَكُونَ إِيرَاخْتُ قَدْ هَلَكَتْ فَقَالَ إِيهاً (٨) إِيلَاذُ (٩) مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَعَلْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنْ سَاعَتِكَ وَتَعَلَّقْتَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ كَانَ مِنِّي وَلَمْ تَتَثَبَّتْ (١٠) فِي ٱلْأَمْرِ . فَقَالَ إِيلَاذُ إِنَّ

---

(١) رق ولطف (٢) تتبرأ (٣) يضربها بمنقاره (٤) طلب واثبات (٥) يأكل (٦) تساقط متفرقاً (٧) تتركهم (٨) كلمة يراد بها التبعيد والاستغراب (٩) اي يا ايلاذ (١٠) تتحقق

ٱلَّذِي قَوْلُهُ وَاحِدٌ لَا يَخْتَلِفُ هُوَ ٱللهُ ٱلَّذِي لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَا ٱخْتِلَافَ لِقَوْلِهِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ : لَقَدْ أَفْسَدْتَ أَمْرِي وَشَدَّدْتَ حُزْنِي بِقَتْلِ إِيرَاخْتَ . قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا : ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلْإِثْمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَٱلَّذِي لَا يَعْمَلُ ٱلْخَيْرَ قَطُّ . لِأَنَّ فَرَحَهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا وَنَعِيمَهَا قَلِيلٌ وَنَدَامَتَهُمَا إِذَا يُعَايِنَانِ ٱلْجَزَاءَ طَوِيلَةٌ لَا يُسْتَطَاعُ إِحْصَاؤُهَا * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَئِنْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ حَيَّةً لَا أَحْزَنُ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا . قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ لَا يَنْبَغِي لَهُمَا أَنْ يَحْزَنَا . ٱلْمُجْتَهِدُ فِي ٱلْبِرِّ[1] كُلَّ يَوْمٍ وَٱلَّذِي لَمْ يَأْثَمْ[2] قَطُّ * قَالَ ٱلْمَلِكُ مَا أَنَا بِنَاظِرٍ إِلَى إِيرَاخْتَ أَكْثَرَ مِمَّا نَظَرْتُ . قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ لَا يَنْظُرَانِ . ٱلْأَعْمَى وَٱلَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ . وَكَمَا أَنَّ ٱلْأَعْمَى لَا يَنْظُرُ ٱلسَّمَاءَ وَنُجُومَهَا وَلَا يَنْظُرُ ٱلْبُعْدَ وَٱلْقُرْبَ كَذَٰلِكَ ٱلَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ لَا يَعْرِفُ ٱلْحَسَنَ مِنَ ٱلْقَبِيحِ وَلَا ٱلْمُحْسِنَ مِنَ ٱلْمُسِيءِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَوْ رَأَيْتُ إِيرَاخْتَ لَٱشْتَدَّ فَرَحِي . قَالَ إِيلَاذُ : ٱثْنَانِ هُمَا ٱلْفَرِحَانِ ٱلْبَصِيرُ وَٱلْعَالِمُ . فَكَمَا أَنَّ ٱلْبَصِيرَ يُبْصِرُ أُمُورَ ٱلْعَالَمِ وَمَا فِيهِ مِنَ ٱلزِّيَادَةِ وَٱلنُّقْصَانِ وَٱلْبَعِيدِ وَٱلْقَرِيبِ فَكَذَٰلِكَ ٱلْعَالِمُ يُبْصِرُ ٱلْبِرَّ وَٱلْإِثْمَ وَيَعْرِفُ أَعْمَالَ ٱلْآخِرَةِ وَيَتَبَيَّنُ لَهُ نَجَاتُهُ وَيُهْدَى إِلَى صِرَاطٍ[3] مُسْتَقِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَشْتَفِ[4] مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى إِيرَاخْتَ بَعْدُ . قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ لَا يَشْتَفِيَانِ أَبَدًا . مَنْ يَكُونُ هَمُّهُ جَمْعَ ٱلْمَالِ وَٱدِّخَارَهُ . وَمَنْ يَأْمُلُ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَسْأَلُ مَا لَا يَجِدُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَبَاعَدَ مِنْكَ يَا إِيلَاذُ وَنَأْخُذَ ٱلْحَذَرَ وَنَلْزَمَ ٱلْإِتِّقَاءَ[5] . قَالَ إِيلَاذُ ٱثْنَانِ يَنْبَغِي أَنْ

---

(١) الصلاح والعدل ونحوهما (٢) اي لم يعمل ما لا يحل (٣) طريق (٤) اكتفِ
(٥) التحفظ

يُتَبَاعَدَ مِنْهُمَا ٱلَّذِي يَقُولُ لَا بِرَّ وَلَا إِثْمَ وَلَا عِقَابَ وَلَا ثَوَابَ وَلَا شَيْءَ عَلَيَّ مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَٱلَّذِي لَا يَكَادُ يَصْرِفُ بَصَرَهُ عَمَّا لَيْسَ لَهُ بِمُحَلَّلٍ ، وَلَا أُذُنَهُ عَنِ ٱسْتِمَاعِ ٱلسُّوءِ وَلَا نَفْسَهُ عَنْ خَاصَّةِ غَيْرِهِ وَلَا قَلْبَهُ عَمَّا تَهُمُّ بِهِ نَفْسُهُ(١) مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْحِرْصِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ صَارَتْ يَدِي مِنْ إِيرَاخْتَ صِفْرًا(٢) قَالَ إِيلَاذُ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ أَصْفَارٌ : ٱلنَّهْرُ ٱلَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ وَٱلْأَرْضُ ٱلَّتِي لَيْسَ فِيهَا مَلِكٌ وَٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي لَيْسَ لَهَا بَعْلٌ(٣) وَٱلْجَاهِلُ ٱلَّذِي لَا يَعْرِفُ ٱلْخَيْرَ مِنَ ٱلشَّرِّ * قَالَ ٱلْمَلِكُ إِنَّكَ يَا إِيلَاذُ لَتُلَقَّى ٱلْجَوَابَ(٤) قَالَ إِيلَاذُ ثَلَاثَةٌ يُلَقَّوْنَ ٱلْجَوَابَ : ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي يُعْطِي وَيَقْسِمُ مِنْ خَزَائِنِهِ . وَٱلْمَرْأَةُ ٱلْمُهْدَاةُ(٥) إِلَى مَنْ تَوَدُّ مِنْ ذَوِي ٱلْحَسَبِ(٦) . وَٱلرَّجُلُ ٱلْعَالِمُ ٱلْمُوَفَّقُ لِلْخَيْرِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ أَهْلَكْتَ إِيرَاخْتَ يَا إِيلَاذُ بِغَيْرِ حَقٍّ . قَالَ إِيلَاذُ ثَلَاثَةٌ هُمُ ٱلزَّائِغُونَ(٧) عَنِ ٱلْحَقِّ : ٱلَّذِي يَلْبَسُ ٱلثِّيَابَ ٱلْبِيضَ ثُمَّ يَنْفُخُ بِٱلْكِيرِ(٨) فَيُسَوِّدُهَا بِٱلدُّخَانِ . وَٱلْقَصَّارُ(٩) ٱلَّذِي يَلْبَسُ ٱلْجَوْرَبَيْنِ(١٠) ٱلْجَدِيدَيْنِ وَرِجْلَاهُ أَبَدًا فِي ٱلْمَاءِ . وَٱلَّذِي يَقْتَنِي ٱلْفَرَسَ ٱلْكَرِيمَ لِلرُّكُوبِ ثُمَّ يَلْتَهِي عَنْهُ فَلَا يَرْكَبُهُ فَيَبْطَرُ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَيْتَنِي أَنْظُرُ إِلَى إِيرَاخْتَ قَبْلَ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا . قَالَ إِيلَاذُ : ٱلَّذِينَ يَطْلُبُونَ مَا لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ : مَنْ لَا وَرَعَ لَهُ وَهُوَ يَرْتَجِي ثَوَابَ ٱلْأَبْرَارِ . وَٱلْبَخِيلُ ٱلَّذِي يَلْتَمِسُ بِبُخْلِهِ أَنْ يَنَالَ مَنْزِلَةَ ٱلسَّخِيِّ(١١) وَٱلْفَاجِرُ ٱلَّذِي يَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَيَأْمُلُ أَنَّ رُوحَهُ مِنْ أَرْوَاحِ

---

(١) تقصده وتعزم عليه ولم تفعله (٢) خالية (٣) زوج (٤) تلهمه وتوفق اليه (٥) المزفوفة (٦) المفاخر (٧) المائلون (٨) الزق الذي ينفخ فيه الحداد (٩) الذي يدق الثياب ويبيضها (١٠) مثنى جورب وهو ما يعرف عند العامة بالكلسات (١١) الكريم

ٱلشُّهَدَاءِ(١) * قَالَ ٱلْمَلِكُ أَنَا ٱلَّذِي جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَجَرَرْتُ ٱلْبَلَاءَ إِلَيْهَا . قَالَ إِيلَاذُ : أُولٰئِكَ فِي ٱلنَّاسِ خَمْسَةٌ : ٱلَّذِي يَتَعَرَّضُ لِلْقِتَالِ وَهُوَ أَعْزَلُ(٢) وَٱلْبَخِيلُ يَجْمَعُ مَالَهُ فِي مَنْزِلِهِ وَلَا أَحَدَ مَعَهُ فَيَقْصِدُهُ ٱللُّصُوصُ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَأْخُذُونَ مَالَهُ . وَٱلْكَبِيرُ يَخْطُبُ ٱلصَّغِيرَةَ وَٱلْقَبِيحُ يَخْطُبُ ٱلْجَمِيلَةَ . وَٱلْمَرْأَةُ ٱلَّتِي تُحِبُّ وَلَدَهَا وَهُوَ شَاطِرٌ(٣) عَارِمٌ(٤) فَهِيَ تَسْتُرُ أُمُورَهُ وَتُخْفِيهَا ثُمَّ هُوَ يَكُونُ تَعَبًا لَهَا وَوَبَالًا(٥) عَلَيْهَا * قَالَ ٱلْمَلِكُ قَدْ وَضَعْتُ ٱلْأَمْرَ غَيْرَ مَوْضِعِهِ فِي قَتْلِي إِيرَاخْتَ : قَالَ إِيلَاذُ مَنْ يَفْعَلُ ذٰلِكَ ثَلَاثَةٌ : وَهُمُ ٱلطَّائِرُ ٱلَّذِي يَرْفَعُ رِجْلَيْهِ نَحْوَ ٱلسَّمَاءِ خَوْفًا مِنْ سُقُوطِهَا عَلَيْهِ . وَٱلْكُرْكِيُّ ٱلَّذِي يَقُومُ عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا يَضَعُ ٱلثَّانِيَةَ عَلَى ٱلْأَرْضِ خَوْفَ أَنْ يَخْسِفَهَا(٦) . وَٱلْغَنِيُّ ٱلْبَخِيلُ إِذَا أَكَلَ لَا يَشْبَعُ يَخَافُ عَلَى مَالِهِ مِنَ ٱلنَّفَادِ . كَٱلْخَرَاطِينِ(٧) ٱلَّتِي طَعَامُهَا ٱلتُّرَابُ تَقْصِدُ ٱلْإِقْلَالَ مِنَ ٱلْأَكْلِ مِنْهُ لِئَلَّا يَنْفَدَ(٨) وَيَفْنَى . وَكَٱلْكَلْبِ ٱلَّذِي يَلَغُ(٩) مِنَ ٱلنَّهْرِ بِلِسَانِهِ وَلَا يَعُبُّ(١٠) مِنْهُ حِذَارَ أَنْ يَجِفَّ . وَٱلْخُفَّاشُ(١١) ٱلَّذِي يَطِيرُ بِٱللَّيْلِ لَا يَفْعَلُ ذٰلِكَ بِٱلنَّهَارِ مَخَافَةَ أَنْ يَصْطَادَهُ ٱلنَّاسُ لِحُسْنِهِ وَهُوَ أَقْبَحُ ٱلطَّيْرِ * قَالَ ٱلْمَلِكُ لَمْ أَحْزَنْ قَطُّ حُزْنِي عَلَى إِيرَاخْتَ . قَالَ إِيلَاذُ خَمْسَةُ أَشْيَاءَ إِذَا كُنَّ فِي ٱلْمَرْأَةِ كَانَتْ أَهْلًا(١٢) أَنْ يُحْزَنَ عَلَيْهَا . إِذَا كَانَتْ عَفِيفَةً . كَرِيمَةَ ٱلْحَسَبِ وَٱلنَّسَبِ . عَاقِلَةً . جَمِيلَةً

---

(١) جمع شهيد وهو القتيل في سبيل الله (٢) اي لا سلاح معهُ (٣) الشاطر من أعيا اهله خبثًا (٤) شرس موذٍ (٥) عاقبة سيئة (٦) يغرقها او يخرقها (٧) هي ديدان حمر طوال توجد في الارض الندية لا مفرد لها (٨) يفرغ (٩) من الولوغ وهو شرب الكلب (١٠) من العب وهو شرب الدواب (١١) الوطواط (١٢) مستحقة

موافقةٌ لزوجها مُحِبَّةٌ لهُ * قالَ ٱلملكُ لَيسَ تأْخذُني سِنَةٌ[١] ولا نومٌ مِنْ حُزني على إيراخت . قالَ إيلاذُ ٱثنانِ لا يهجعانِ[٢] ولا يستريحانِ . ٱلكثيرُ ٱلمالِ وليسَ لهُ خازنٌ[٣] ولا أمينٌ . وٱلشديدُ ٱلمرضِ ولا طبيبَ لهُ

ثمَّ إنَّ إيلاذَ لمَّا رأى ٱلملكَ قدِ ٱشتدَّ بهِ ٱلأمرُ سكتَ . فقالَ لهُ ٱلملكُ ما بالكَ يا إيلاذُ سكتَّ . قالَ أيُّها ٱلملكُ : إني قد تجاسرتُ عليكَ فيما ٱمتحنتُكَ بهِ إرادةَ أنْ أعلمَ ما آلَ إليهِ أمرُكَ في إيراخت . وأراني قد تجاوزتُ طوري[٤] في ذلكَ وبانَ لي مِنْ حلمكَ وعقلكَ ما أذهلني إذ لم يبدُ منكَ مع ما ٱجترأتُ بهِ عليكَ شيءٌ مِنَ ٱلغضبِ ولا تغيَّرتَ عن حالكَ . وها أنا شاكرٌ لعفوكَ وصفحكَ وتجاوزكَ عنّي[٥] وإنْ لم يكنْ ذلكَ منّي إلّا نُصحاً للملكِ وٱستطلاعاً لأمرهِ فٱعفُ عنّي إنْ شئتَ أو فعاقبني بما تراهُ فإنَّ إيراختَ بٱلحياةِ . فلمَّا سمعَ ٱلملكُ ذلكَ ٱشتدَّ فرحُهُ وقالَ يا إيلاذُ إنَّما منعني مِنَ ٱلغضبِ ما أعرفُ مِنْ نصيحتكَ وصدقِ حديثكَ وكنتُ أرجو لمعرفتي بعلمكَ أنْ لا تكونَ قد قتلتَ إيراختَ . فإنَّها وإنْ تكنْ أتتْ عظيماً وأغلظتْ[٦] في ٱلقولِ لم تأتهِ عداوةً ولا طلبَ مضرَّةٍ ولكنَّها فعلتْ ذلكَ لغيرةٍ . وقد كانَ ينبغي لي أنْ أُعرضَ عن ذلكَ وأحتملهُ . ولكنَّكَ يا إيلاذُ أردتَ أنْ تختبرني وتتركني في شكٍّ مِنْ أمرها . وقدِ ٱتَّخذتَ عندي أفضلَ ٱلأيادي[٧] وأنا لكَ شاكرٌ فٱنطلقْ فأتني بها . فخرجَ مِنْ عندِ ٱلملكِ فأتى إيراختَ وأمرها أنْ تتزيَّنَ ففعلتْ ذلكَ وٱنطلقَ

---

(١) نعاس (٢) لا ينامان (٣) متولٍّ حفظ ماله وانفاقه (٤) قدري
(٥) اي عفوك وعدم مؤاخذتك اياي (٦) خشنت وعنفت (٧) النعم

بِهَا . فَلَمَّا دَخَلَتْ سَجَدَتْ لِلْمَلِكِ ثُمَّ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَتْ أَحْمَدُ ٱللّٰهَ تَعَالَى ثُمَّ أَحْمَدُ ٱلْمَلِكَ ٱلَّذِي أَحْسَنَ إِلَيَّ . قَدْ أَذْنَبْتُ ٱلذَّنْبَ ٱلْعَظِيمَ ٱلَّذِي لَمْ أَكُنْ لِلْبَقَاءِ أَهْلًا بَعْدَهُ فَوَسِعَهُ (١) حِلْمُهُ وَكَرَمُ طَبْعِهِ وَرَأْفَتُهُ . ثُمَّ أَحْمَدُ إِيلَاذَ ٱلَّذِي أَخَّرَ أَمْرِي وَأَنْجَانِي مِنَ ٱلْهَلَكَةِ لِعِلْمِهِ بِرَأْفَةِ ٱلْمَلِكِ وَسَعَةِ حِلْمِهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِ جَوْهَرِهِ (٢) وَوَفَاءِ عَهْدِهِ * وَقَالَ ٱلْمَلِكُ لِإِيلَاذَ مَا أَعْظَمَ يَدَكَ (٣) عِنْدِي وَعِنْدَ إِيرَاخْتَ وَعِنْدَ ٱلْعَامَّةِ إِذْ قَدْ أَحْيَيْتَهَا بَعْدَ مَا أَمَرْتُ بِقَتْلِهَا . فَأَنْتَ ٱلَّذِي وَهَبْتَهَا لِي ٱلْيَوْمَ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ وَاثِقًا بِنَصِيحَتِكَ وَتَدْبِيرِكَ وَقَدِ ٱزْدَدْتَ ٱلْيَوْمَ عِنْدِي كَرَامَةً وَتَعْظِيمًا . وَأَنْتَ مُحَكَّمٌ فِي مُلْكِي تَعْمَلُ فِيهِ بِمَا تَرَى وَتَحْكُمُ عَلَيْهِ بِمَا تُرِيدُ فَقَدْ جَعَلْتُ ذٰلِكَ إِلَيْكَ وَوَثِقْتُ بِكَ . قَالَ إِيلَاذُ أَدَامَ ٱللّٰهُ لَكَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمُلْكَ وَٱلسُّرُورَ فَلَسْتُ بِمَحْمُودٍ عَلَى ذٰلِكَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ . لٰكِنْ حَاجَتِي أَنْ لَا يَعْجَلَ ٱلْمَلِكُ فِي ٱلْأَمْرِ ٱلْجَسِيمِ ٱلَّذِي يَنْدَمُ عَلَى فِعْلِهِ وَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ ٱلْغَمَّ وَٱلْحُزْنَ وَلَا سِيَّمَا فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلْمَرْأَةِ ٱلنَّاصِحَةِ ٱلْمُشْفِقَةِ (٤) ٱلَّتِي لَا يُوجَدُ فِي ٱلْأَرْضِ مِثْلُهَا . فَقَالَ ٱلْمَلِكُ : بِحَقٍّ قُلْتَ يَا إِيلَاذُ وَقَدْ قَبِلْتُ قَوْلَكَ وَلَسْتُ عَامِلًا بَعْدَهَا عَمَلًا كَبِيرًا وَلَا صَغِيرًا فَضْلًا عَنْ مِثْلِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي مَا سَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ ٱلْمُؤَامَرَةِ (٥) وَٱلنَّظَرِ وَٱلتَّرَدُّدِ وَمُشَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْمَوَدَّةِ وَٱلرَّأْيِ

ثُمَّ أَحْسَنَ ٱلْمَلِكُ جَائِزَةَ إِيلَاذَ وَمَكَّنَهُ (٦) مِنْ أُولٰئِكَ ٱلْبَرَاهِمَةِ ٱلَّذِينَ أَشَارُوا بِقَتْلِ أَحِبَّائِهِ فَأَطْلَقَ فِيهِمِ ٱلسَّيْفَ . وَقَرَّتْ عَيْنُ (٧) ٱلْمَلِكِ وَعُيُونُ

---

(١) احاط به (٢) اصله (٣) نعمتك واحسانك (٤) الحريصة (٥) المشاورة
(٦) جعل له عليهم سلطانًا وقدرة (٧) سُرَّ وفرح

عُظَماء أَهلِ مَملَكَتِهِ وَحَمِدُوا ٱللهَ وَأَثنَوا عَلى كِبارِيُونَ لِسِعَةِ عِلمِهِ وَفَضلِ حِكْمَتِهِ لِأَنَّهُ بِعِلمِهِ خَلَصَ ٱلمَلِكُ وَوَزِيرُهُ ٱلصَّالِحُ وَٱمرَأَتُهُ ٱلصَّالِحَةُ

# باب

## ٱلنَّاسِكِ وَٱلضَّيفِ

قَالَ دَبشَلِيمُ ٱلمَلِكُ لِبَيدَبَا ٱلفَيلَسُوفِ : قَد سَمِعتُ هٰذا ٱلمَثَلَ فَاضرِب لِي مَثَلَ ٱلَّذِي يَدَعُ صُنعَهُ ٱلَّذِي يَلِيقُ بِهِ وَيُشاكِلُهُ (١) وَيَطلُبُ غَيرَهُ فَلا يُدرِكُهُ (٢) وَيَرجِعُ إِلَى ٱلَّذِي كانَ عَلَيهِ فَلا يَقدِرُ عَلَيهِ فَيَبقَى حَيرانَ مُتَرَدِّدًا

قَالَ ٱلفَيلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّهُ كانَ بِأَرضِ ٱلكَرخِ ناسِكٌ عابِدٌ مُجتَهِدٌ. فَنَزَلَ بِهِ ضَيفٌ ذاتَ يَومٍ فَدَعا ٱلنَّاسِكُ لِضَيفِهِ بِتَمرٍ لِيُطرِفَهُ (٣) بِهِ فَأَكَلا مِنهُ جَمِيعاً . ثُمَّ قالَ ٱلضَّيفُ ما أَحلَى هٰذا ٱلتَّمرَ وَأَطيَبَهُ فَلَيسَ هُوَ فِي بِلادِي ٱلَّتِي أَسكُنُها وَلَيتَهُ كانَ فِيها . ثُمَّ قالَ أَرى أَن تُساعِدَنِي عَلَى أَن آخُذَ مِنهُ ما أَغرِسُهُ فِي أَرضِنا فَإِنِّي لَستُ عارِفاً بِثِمارِ أَرضِكُم هٰذِهِ وَلا بِمَواضِعِها . قالَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ لَيسَ لَكَ فِي ذٰلِكَ راحَةٌ فَإِنَّهُ يَثقُلُ عَلَيكَ . وَلَعَلَّ ذٰلِكَ لا يُوافِقُ أَرضَكُم . مَعَ أَنَّ بِلادَكُم كَثِيرَةُ ٱلأَثمارِ فَما حاجَةٌ مَعَ كَثرَةِ ثِمارِها إِلَى ٱلتَّمرِ مَعَ وَخامَتِهِ (٤) وَقِلَّةِ مُناسَبَتِهِ لِلجَسَدِ . ثُمَّ قالَ لَهُ ٱلنَّاسِكُ إِنَّهُ لا يُعَدُّ سَعِيدًا مَن طَلَبَ ما لا يَجِدُ . وَإِنَّكَ سَعِيدُ ٱلجَدِّ (٥) إِذا قَنِعتَ بِٱلَّذِي

---

(١) يوافقهُ ويماثله (٢) اي لا يصل اليه (٣) ليقدمهُ له ومنهُ الطرفة وهي الشيء المستحسن المعجب (٤) عدم موافقته (٥) الحظ

تَجِدُ وَتَزْهَدُ فِيمَا لَا تَجِدُ * وَكَانَ هَـذَا ٱلنَّاسِكُ يُحْسِنُ ٱلْعِبْرَانِيَّةَ فَسَمِعَهُ ٱلضَّيْفُ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَرَّةً فَٱسْتَحْسَنَ كَلَامَهُ وَأَعْجَبَهُ فَتَكَلَّفَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ وَعَالَجَ فِي ذٰلِكَ نَفْسَهُ أَيَّامًا . فَقَالَ ٱلنَّاسِكُ لَهُ : مَا أَخْلَقَكَ[١] أَنْ تَقَعَ مِمَّا تَرَكْتَ مِنْ كَلَامِكَ وَتَكَلَّفْتَ مِنْ كَلَامِ ٱلْعِبْرَانِيَّةِ فِي مِثْلِ مَا وَقَعَ فِيهِ ٱلْغُرَابُ . قَالَ ٱلضَّيْفُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلنَّاسِكُ : زَعَمُوا أَنَّ غُرَابًا رَأَى حَجَلَةً تَدْرُجُ[٢] وَتَمْشِي فَأَعْجَبَتْهُ مِشْيَتُهَا وَطَمِعَ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا . فَرَاضَ[٣] عَلَى ذٰلِكَ نَفْسَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِحْكَامِهَا وَأَيِسَ[٤] مِنْهَا وَأَرَادَ أَنْ يَعُودَ إِلَى مِشْيَتِهِ ٱلَّتِي كَانَ عَلَيْهَا فَإِذَا هُوَ قَدِ ٱخْتَلَطَ مَشْيُهُ وَتَخَلَّعَ[٥] فِيهِ وَصَارَ أَقْبَحَ ٱلطَّيْرِ مَشْيًا

وَإِنَّمَا ضَرَبْتُ لَكَ هٰذَا ٱلْمَثَلَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ أَنَّكَ تَرَكْتَ لِسَانَكَ ٱلَّذِي طُبِعْتَ عَلَيْهِ وَأَقْبَلْتَ عَلَى لِسَانِ ٱلْعِبْرَانِيَّةِ وَهُوَ لَا يُشَاكِلُكَ[٦] وَأَخَافُ أَنْ تُدْرِكَهُ وَتَنْسَى لِسَانَكَ وَتَرْجِعَ إِلَى أَهْلِكَ وَأَنْتَ شَرُّهُمْ لِسَانًا . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ يُعَدُّ جَاهِلًا مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ ٱلْأُمُورِ مَا لَا يُشَاكِلُهُ وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يُؤَدِّبْهُ عَلَيْهِ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يُعْرَفْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ وَذَوِي قَرَابَتِهِ فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ لَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ[٧]

وَٱلْوُلَاةُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ وَأَرْبَابُ[٨] ٱلْأَمْرِ أَوْلَى بِٱلِٱنْتِبَاهِ إِلَى هَـذَا ٱلشَّأْنِ وَمَنْعِ حُدُوثِهِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ لِأَنَّ فِيهِ مَضَرَّةً لَهُمْ بِمَا يُجَرِّئُ[٩] ٱلْأَنْفُسَ عَلَى مُنَازَعَتِهِمْ فِي مَنَازِلِهِمْ وَيُغْرِيهَا[١٠] بِمُقَاوَمَتِهِمْ فِي أَحْكَامِهِمْ لِمَا فِيهِ مِنْ

---

(١) ما أحقك (٢) تمشي (٣) درّب وعوّد (٤) قطع الامل (٥) تفكك
(٦) لا يوافقك (٧) حدّه (٨) اصحاب (٩) يشجع (١٠) يحرضها

إطماع السفلة (١) في مراتب أهل الطبقة (٢) العالية ومزاحمة اللئيم للكريم والجاهل للعالم والخامل (٣) للنسيب والدنيء للشريف إلى غير ذلك مما يفضي (٤) إلى تشوش العالم وفساد الأمور واختلاط الطبقات وضياع المراتب والأقدار والأمور في ذلك كله تجري على مثال واحد ينتهي إلى الأمر الخطير (٥) الجسيم من مزاحمة الملك على ملكه ومضادته فيه

# باب

## السائح والصائغ

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الذي يضع المعروف في غير موضعه ويرجو الشكر عليه

قال الفيلسوف: أيها الملك ليس أضيع من جميل يصنع مع غير شاكر ولا أخسر من صانعه. كما أنه لا بذر أنمى من بذر الجميل في قلوب الشاكرين ولا تجارة أربح من تجارته. ومع ذلك فإن المرء جدير أن يصنع المعروف إلى كل أحد فإنه إن ضاع المعروف عند الناس لا يضيع عند الله. ولا سيما إلى ذوي الشكر والوفاء كيف كانت منزلتهم فلعله احتاج إليهم يوما من الدهر فيكافئوه عليه* غير أن الملوك وغيرهم من ذوي العقول إذا تعمدوا بمعروفهم أحدا يختصونه به ينبغي لهم

---

(١) الادنياء (٢) الرتبة (٣) الساقط (٤) يبلغ وينتهي (٥) الرفيع

أنْ يَضَعُوهُ مَوضعهُ وَلَا يُضَيّعُوهُ عِندَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ(١) وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ . فَيَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أنْ لَا يَصْطَفُوا(٢) أحدًا إلَّا بَعْدَ ٱلْخِبْرَةِ بِطَرَائِقِهِ وَٱلْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ وَمَوَدَّتِهِ وَشُكْرِهِ . فَإنَّ مَنْ أقْدَمَ عَلَى ٱلْمَشْهُورِ بِٱلِاسْتِقَامَةِ وَٱلْعِفَّةِ وَٱسْتَرْسَلَ إلَيْهِ(٣) مِنْ غَيْرِ ٱخْتِبَارٍ وَلَا تَجْرِبَةٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذَٰلِكَ مُشْرِفًا(٤) مِنْهُ عَلَى هَلَاكٍ وَفَسَادٍ . ألَا تَرَى أنَّ ٱلطَّبِيبَ ٱلرَّفِيقَ(٥) ٱلْعَاقِلَ لَا يَكْتَفِي فِي مُدَاوَاةِ ٱلْمَرِيضِ بِٱلْمُعَايَنَةِ فَقَطْ . لٰكِنَّهُ لَا يُقْدِمُ عَلَى عِلَاجِهِ إلَّا بَعْدَ تَعَرُّفِ أحْوَالِهِ وَٱلْجَسِّ لِعُرُوقِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ فَإذَا عَرَفَ ذَٰلِكَ كُلَّهُ أقْدَمَ عَلَى مُعَالَجَتِهِ . وَلَا يَنْبَغِي أنْ يَخْتَصُّوا بِذَٰلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ وَلَا أحَدًا مِنْ خَاصَّتِهِمْ لِشَرَفِهِ إذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ لِلصَّنِيعَةِ(٦) فَإنَّهُ إنَّمَا شَرُفَ بِتَشْرِيفِهِمْ إيَّاهُ . وَلَا أنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَجَمِيلَهُمْ عَنْ بَعِيدٍ لِبُعْدِهِ أوْ خَامِلٍ لِخُمُولِهِ إذَا كَانَ عَارِفًا بِحَقِّ مَا يُصْطَنَعُ إلَيْهِ(٧) مُؤَدِّيًا لِشُكْرِ مَا أُنْعِمَ عَلَيْهِ . وَقَدْ قِيلَ لَا يَنْبَغِي لِذِي ٱلْعَقْلِ أنْ يَحْتَقِرَ أحَدًا مِنَ ٱلنَّاسِ حَتَّى ٱلْبَهَائِمِ وَلٰكِنَّهُ خَلِيقٌ أنْ يَبْلُوَهُمْ(٨) وَيَخْتَبِرَهُمْ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ فَقَدْ يَكُونُ ٱلْخَيْرُ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ ٱلشَّرُّ وَٱلشَّرُّ عِنْدَ مَنْ يُظَنُّ بِهِ ٱلْخَيْرُ

وَإنَّ طَبَائِعَ(٩) ٱلْخَلْقِ أيُّهَا ٱلْمَلِكُ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ ٱللهُ مِمَّا يَمْشِي عَلَى أرْبَعٍ أوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أوْ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْنِ أوْ يَسْبَحُ فِي ٱلْمَاءِ شَيْءٌ هُوَ أفْضَلُ مِنَ ٱلْإنْسَانِ . وَمَعَ ذَٰلِكَ فَرُبَّمَا تَحَذَّرَ ٱلْعَاقِلُ مِنَ ٱلنَّاسِ فَلَمْ يَأمَنْ أحَدًا مِنْهُمْ وَأخَذَ ٱبْنَ عِرْسٍ فَأدْخَلَهُ فِي كُمِّهِ وَأخْرَجَهُ مِنَ ٱلْآخَرِ

---

(١) يتقلده ويشكره (٢) لا يختاروا (٣) أمنه وركن اليه (٤) مطلعاً
(٥) اللطيف النافع (٦) الاحسان (٧) يحسن (٨) يجربهم (٩) جمع طبيعة
وهي السجية التي طبع عليها الانسان

وَأَخذَ ٱلطَّيْرَ ٱلْجَارِحَ فَوَضَعَهُ عَلى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئاً أَبْقَى لَهُ مِنْهُ نَصِيباً . وَمِنَ ٱلنَّاسِ ٱلْبَرُّ [١] وَٱلْفَاجِرُ [٢] وَمِنْ هٰؤُلَاء كُلُّ كَفُورٍ كَنُودٍ [٣] حَتَّى لَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ ٱلْبَهَائِمِ وَٱلسِّبَاعِ وَٱلطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْـهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَنْ حُرْمَةٍ [٤] وَأَشْكَرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَقَدْ مَضَى فِي ذٰلِكَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ بَعْضُ ٱلْحُكَمَاءِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً ٱحْتَفَرُوا رَكِيَّةً [٥] فَوَقَعَ فِيهَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَحَيَّةٌ وَقِرْدٌ وَبَبْرٌ [٦] . وَمَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ سَائِحٌ فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلرَّكِيَّةِ فَبَصُرَ بِٱلرَّجُلِ وَٱلْحَيَّةِ وَٱلْقِرْدِ وَٱلْبَبْرِ . فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ لَسْتُ أَعْمَلُ لِآخِرَتِي عَمَلاً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ أُخَلِّصَ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مِنْ بَيْنِ هٰؤُلَاءِ ٱلْأَعْدَاءِ . فَقَدْ قِيلَ لَمْ يُؤْجَرْ مَأْجُورٌ بِأَعْظَمَ مِنْ أَجْرِ مَنِ ٱسْتَحْيَا نَفْساً هَالِكَةً وَلَا عُوقِبَ مُعَاقَبٌ بِأَشَدَّ مِنْ عِقَابِ مَنْ كَفَّ عَنْ ذٰلِكَ وَهُوَ قَادِرٌ عَلَيْهِ وَلَوْ بِمَشَقَّةٍ [٧] مِمَّا خَلَا ذَهَابَ نَفْسِهِ * فَأَخَذَ حَبْلاً وَأَدْلَاهُ إِلَى ٱلْبِئْرِ فَتَعَلَّقَ بِـهِ ٱلْقِرْدُ لِخِفَّتِهِ فَخَرَجَ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَانِيَةً فَٱلْتَفَّتْ بِهِ ٱلْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ ثُمَّ أَدْلَاهُ ثَالِثَةً فَتَعَلَّقَ بِهِ ٱلْبَبْرُ فَأَخْرَجَهُ . فَشَكَرْنَ لَهُ صَنِيعَهُ وَقُلْنَ لَهُ لَا تُخْرِجْ هٰذَا ٱلرَّجُلَ مِنَ ٱلرَّكِيَّةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَقَلَّ مِنْ شُكْرِ ٱلْإِنْسَانِ . ثُمَّ قَالَ لَهُ ٱلْقِرْدُ إِنَّ مَنْزِلِي فِي جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نُوَادَرَخْتُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْبَبْرُ أَنَا أَيْضاً فِي أَجَمَةٍ [٨] إِلَى جَانِبِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ . قَالَتِ ٱلْحَيَّـةُ وَأَنَا فِي سُورِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ . فَإِنْ أَنْتَ مَرَرْتَ بِنَا يَوْماً مِنَ ٱلدَّهْرِ وَٱحْتَجْتَ إِلَيْنَا فَصَوِّتْ

---

(١) الصالح (٢) الفاسق العاصي (٣) الكنود هو الذي يعد المصائب وينسى المواهب (٤) الحرمة ما لا يحل فعله (٥) بئراً ذات ماء (٦) اسد هندي (٧) بتعب شديد (٨) غابة

عَلَيْنَا حَتَّى نَأْتِيَكَ فَنَجْزِيَكَ بِمَا أَسْدَيْتَ (١) إِلَيْنَا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ . فَلَمْ يَلْتَفِتِ ٱلسَّائِحُ إِلَى مَا ذَكَرُوا لَهُ مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ ٱلْإِنْسَانِ وَأَدْلَى ٱلْحَبْلَ فَأَخْرَجَ ٱلصَّائِغَ فَسَجَدَ لَهُ وَقَالَ : لَقَدْ أَوْلَيْتَنِي (٢) مَعْرُوفًا فَإِنْ مَرَرْتَ يَوْمًا مِنَ ٱلدَّهْرِ بِمَدِينَةِ نُوَادَرْخْتَ فَٱسْأَلْ عَنْ مَنْزِلِي وَأَنَا رَجُلٌ صَائِغٌ وَٱسْمِي فُلَانٌ لَعَلِّي أُكَافِئُكَ بِمَا صَنَعْتَ إِلَيَّ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ . فَٱنْطَلَقَ ٱلصَّائِغُ إِلَى مَدِينَتِهِ وَٱنْطَلَقَ ٱلسَّائِحُ إِلَى وِجْهَتِهِ (٣) * فَعَرَضَ بَعْدَ ذٰلِكَ أَنَّ ٱلسَّائِحَ ٱتَّفَقَتْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَى تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ فَٱنْطَلَقَ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْقِرْدُ فَسَجَدَ لَهُ وَقَبَّلَ رِجْلَيْهِ وَٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ ٱلْقُرُودَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلٰكِنِ ٱقْعُدْ حَتَّى آتِيَكَ وَٱنْطَلَقَ ٱلْقِرْدُ وَأَتَاهُ بِفَاكِهَةٍ طَيِّبَةٍ فَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَكَلَ مِنْهَا حَاجَتَهُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلسَّائِحَ ٱنْطَلَقَ حَتَّى دَنَا مِنْ بَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱسْتَقْبَلَهُ ٱلْبَبْرُ فَخَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَعْرُوفًا فَٱطْمَئِنَّ سَاعَةً حَتَّى آتِيَكَ . فَٱنْطَلَقَ ٱلْبَبْرُ فَدَخَلَ فِي بَعْضِ ٱلْحِيطَانِ إِلَى بِنْتِ ٱلْمَلِكِ فَقَتَلَهَا وَأَخَذَ حَلْيَهَا (٤) فَأَتَاهُ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ ٱلسَّائِحُ مِنْ أَيْنَ هُوَ * فَقَالَ فِي نَفْسِهِ هٰذِهِ ٱلْبَهَائِمُ قَدْ أَوْلَتْنِي هٰذَا ٱلْجَزَاءَ فَكَيْفَ لَوْ أَتَيْتُ إِلَى ٱلصَّائِغِ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ مُعْسِرًا (٥) لَا يَمْلِكُ شَيْئًا فَسَيَبِيعُ هٰذَا ٱلْحَلْيَ فَيَسْتَوْفِي ثَمَنَهُ فَيُعْطِينِي بَعْضَهُ وَيَأْخُذُ بَعْضَهُ وَهُوَ أَعْرَفُ بِثَمَنِهِ . فَٱنْطَلَقَ ٱلسَّائِحُ فَأَتَى إِلَى ٱلصَّائِغِ فَلَمَّا رَآهُ رَحَّبَ (٦) بِهِ وَأَدْخَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ . فَلَمَّا بَصُرَ بِٱلْحَلْيِ مَعَهُ عَرَفَهُ وَكَانَ هُوَ ٱلَّذِي صَاغَهُ لِٱبْنَةِ ٱلْمَلِكِ . فَقَالَ ٱلصَّائِغُ ٱطْمَئِنَّ (٧) حَتَّى آتِيَكَ بِطَعَامٍ فَلَسْتُ أَرْضَى

---

(١) احسنت (٢) صنعت اليَّ (٣) الناحية التي يقصدها (٤) ما تتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة الكريمة (٥) ضيّق الحال فقيرًا (٦) اي قال له مرحبًا بك (٧) استرح

لَكَ مَا فِي ٱلْبَيْتِ. ثُمَّ خَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ قَدْ أَصَبْتُ فُرْصَتِي[١]. أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى ٱلْمَلِكِ وَأَدُلَّهُ عَلَى ذٰلِكَ فَتَحْسُنُ مَنْزِلَتِي عِنْدَهُ. فَانْطَلَقَ إِلَى بَابِ ٱلْمَلِكِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنَّ ٱلَّذِي قَتَلَ ٱبْنَتَكَ وَأَخَذَ حَلْيَهَا عِنْدِي. فَأَرْسَلَ ٱلْمَلِكُ وَأَتَى بِٱلسَّائِحِ فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْحَلْيَ مَعَهُ لَمْ يُمْهِلْهُ وَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُعَذَّبَ وَيُطَافَ بِهِ[٢] فِي ٱلْمَدِينَةِ وَيُصْلَبَ * فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ جَعَلَ ٱلسَّائِحُ يَبْكِي وَيَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: لَوْ أَنِّي أَطَعْتُ ٱلْقِرْدَ وَٱلْحَيَّةَ وَٱلْبَبْرَ فِيمَا أَمَرَتْنِي بِهِ وَأَخْبَرَتْنِي مِنْ قِلَّةِ شُكْرِ ٱلْإِنْسَانِ لَمْ يَصِرْ[٣] أَمْرِي إِلَى هٰذَا ٱلْبَلَاءِ وَجَعَلَ يُكَرِّرُ هٰذَا ٱلْقَوْلَ. فَسَمِعَتْ مَقَالَتَهُ تِلْكَ ٱلْحَيَّةُ فَخَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا فَعَرَفَتْهُ فَٱشْتَدَّ عَلَيْهَا أَمْرُهُ فَجَعَلَتْ تَحْتَالُ فِي خَلَاصِهِ. فَانْطَلَقَتْ حَتَّى لَدَغَتِ[٤] ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ فَدَعَا ٱلْمَلِكُ أَهْلَ ٱلْعِلْمِ فَرَقَوْهُ[٥] لِيَشْفُوهُ فَلَمْ يُغْنُوا عَنْهُ[٦] شَيْئًا

ثُمَّ مَضَتِ ٱلْحَيَّةُ إِلَى أُخْتٍ[٧] لَهَا مِنَ ٱلْجِنِّ فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا صَنَعَ ٱلسَّائِحُ إِلَيْهَا مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ وَمَا وَقَعَ فِيهِ فَرَقَّتْ لَهُ وَانْطَلَقَتْ إِلَى ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَتَرَاءَتْ[٨] لَهُ وَقَالَتْ: إِنَّكَ لَا تَبْرَأُ حَتَّى يَرْقِيَكَ هٰذَا ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي قَدْ عَاقَبْتُمُوهُ ظُلْمًا. وَانْطَلَقَتِ ٱلْحَيَّةُ إِلَى ٱلسَّائِحِ فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ ٱلسِّجْنَ وَقَالَتْ لَهُ. هٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْهُ مِنِ ٱصْطِنَاعِ ٱلْمَعْرُوفِ إِلَى هٰذَا ٱلْإِنْسَانِ وَلَمْ تُطِعْنِي وَأَتَتْهُ بِوَرَقٍ يَنْفَعُ مِنْ سُمِّهَا وَقَالَتْ لَهُ: إِذَا جَاءُوا بِكَ لِتَرْقِيَ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ فَٱسْقِهِ مِنْ مَاءِ هٰذَا ٱلْوَرَقِ فَإِنَّهُ يَبْرَأُ وَإِذَا سَأَلَكَ ٱلْمَلِكُ عَنْ حَالِكَ فَٱصْدُقْهُ فَإِنَّكَ تَنْجُو إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَى * وَإِنَّ ٱبْنَ ٱلْمَلِكِ أَخْبَرَ أَبَاهُ أَنَّهُ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ

---

(١) وقتي (٢) اي يركب على حيوان ويدار به (٣) يتمّ (٤) لسعت
(٥) عالجوه بعلاج الملسوع (٦) اي فلم ينفعوه (٧) صديقة (٨) تظاهرت

إِنَّكَ لَنْ تَبْرَأَ حَتَّى يَرْقِيَكَ ٱلسَّائِحُ ٱلَّذِي حُبِسَ ظُلْماً . فَدَعَا ٱلْمَلِكُ بِٱلسَّائِحِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْقِيَ وَلَدَهُ فَقَالَ لَا أُحْسِنُ ٱلرُّقَى وَلٰكِنْ أَسْقِيهِ مِنْ مَاءِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَى . فَسَقَاهُ فَبَرِئَ ٱلْغُلَامُ . فَفَرِحَ ٱلْمَلِكُ بِذٰلِكَ وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَأَخْبَرَهُ فَشَكَرَهُ ٱلْمَلِكُ وَأَعْطَاهُ عَطِيَّةً حَسَنَةً وَأَمَرَ بِٱلصَّائِغِ أَنْ يُصْلَبَ فَصَلَبُوهُ لِكَذِبِهِ وَٱنْحِرَافِهِ عَنِ ٱلشُّكْرِ وَمُجَازَاتِهِ ٱلْفِعْلَ ٱلْجَمِيلَ بِٱلْقَبِيحِ

ثُمَّ قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ لِلْمَلِكِ : فَفِي صَنِيعِ ٱلصَّائِغِ بِٱلسَّائِحِ وَكُفْرِهِ (١) لَهُ بَعْدَ ٱسْتِنْقَاذِهِ (٢) إِيَّاهُ وَشُكْرِ ٱلْبَهَائِمِ لَهُ وَتَخْلِيصِ بَعْضِهَا إِيَّاهُ عِبْرَةٌ لِمَنِ ٱعْتَبَرَ وَفِكْرَةٌ لِمَنِ ٱفْتَكَرَ وَأَدَبٌ فِي وَضْعِ ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلْإِحْسَانِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْوَفَاءِ وَٱلْكَرَمِ قَرُبُوا أَوْ بَعُدُوا لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ صَوَابِ ٱلرَّأْيِ وَجَلْبِ ٱلْخَيْرِ وَصَرْفِ (٣) ٱلْمَكْرُوهِ

# باب

## ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَإِنْ كَانَ ٱلرَّجُلُ لَا يُصِيبُ ٱلْخَيْرَ إِلَّا بِعَقْلِهِ وَرَأْيِهِ وَتَثَبُّتِهِ (٤) فِي ٱلْأُمُورِ كَمَا يَزْعُمُونَ فَمَا بَالُ ٱلرَّجُلِ ٱلْجَاهِلِ يُصِيبُ ٱلرِّفْعَةَ وَٱلْخَيْرَ وَٱلرَّجُلِ ٱلْحَكِيمِ ٱلْعَاقِلِ قَدْ يُصِيبُ ٱلْبَلَاءَ وَٱلضُّرَّ * قَالَ بَيْدَبَا : كَمَا أَنَّ ٱلْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِقَلْبِهِ وَلَا يَمْشِي إِلَّا

---

(١) جحده نعمته (٢) تخليصه (٣) ابعاد (٤) تأنيه

بِحَسِّهِ (١) مَعَ ٱلْمُهْلَةِ وَٱلتَّأَنِّي . كَذٰلِكَ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْلُكَ فِي ٱلْأُمُورِ بِعَيْنِ ٱلْعَقْلِ وَٱلْبَصِيرَةِ وَٱلْعِلْمِ وَبِٱلتَّثَبُّتِ وَٱلْأَنَاةِ فَقَلَّ أَنْ يَعْثُرَ عَلَى هٰذَا . غَيْرَ أَنَّ ٱلْقَضَاءَ وَٱلْقَدَرَ قَدْ يَغْلِبَانِ عَلَى ذٰلِكَ كَمَا قَدْ يَعْثُرُ ٱلْبَصِيرُ وَيَسْلَمُ ٱلضَّرِيرُ (٢) وَمَثَلُ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱبْنِ ٱلْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ . قَالَ ٱلْمَلِكُ وَكَيْفَ كَانَ ذٰلِكَ

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ (٣) ٱصْطَحَبُوا فِي طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ أَحَدُهُمُ ٱبْنُ مَلِكٍ وَٱلثَّانِي ٱبْنُ تَاجِرٍ وَٱلثَّالِثُ ٱبْنُ شَرِيفٍ ذُو جَمَالٍ وَٱلرَّابِعُ ٱبْنُ أَكَّارٍ (٤) . وَكَانُوا جَمِيعاً مُحْتَاجِينَ وَقَدْ أَصَابَهُمْ ضُرٌّ وَجَهْدٌ (٥) شَدِيدٌ فِي مَوْضِعِ غُرْبَةٍ لَا يَمْلِكُونَ إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنَ ٱلثِّيَابِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ إِذْ فَكَّرُوا فِي أَمْرِهِمْ وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ رَاجِعاً إِلَى طِبَاعِهِ وَمَا كَانَ يَأْتِيهِ مِنْهُ ٱلْخَيْرُ . فَقَالَ ٱبْنُ ٱلْمَلِكِ إِنَّ أَمْرَ ٱلدُّنْيَا كُلَّهُ بِٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ . وَٱلَّذِي قُدِّرَ عَلَى ٱلْإِنْسَانِ يَأْتِيهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَٱلصَّبْرُ لِلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ وَٱنْتِظَارُهُمَا أَفْضَلُ ٱلْأُمُورِ * وَقَالَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ ٱلْعَقْلُ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَقَالَ ٱبْنُ ٱلشَّرِيفِ ٱلْجَمَالُ أَفْضَلُ مِمَّا ذُكِرَ . ثُمَّ قَالَ ٱلْأَكَّارُ لَيْسَ فِي ٱلدُّنْيَا أَفْضَلَ مِنَ ٱلِٱجْتِهَادِ فِي ٱلْعَمَلِ . فَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا مِطْرُونُ جَلَسُوا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا يَتَشَاوَرُونَ . فَقَالُوا لِٱبْنِ ٱلْأَكَّارِ ٱنْطَلِقْ فَٱكْتَسِبْ لَنَا بِٱجْتِهَادِكَ طَعَاماً لِيَوْمِنَا هٰذَا . فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلْأَكَّارِ وَسَأَلَ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ ٱلْإِنْسَانُ يَكْتَسِبُ فِيهِ طَعَامَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ . فَعَرَّفُوهُ أَنْ لَيْسَ فِي تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ شَيْءٌ أَعَزَّ (٦) مِنَ ٱلْحَطَبِ وَكَانَ ٱلْحَطَبُ مِنْهَا عَلَى فَرْسَخٍ . فَٱنْطَلَقَ

---

(١) بلمسه (٢) الذاهب البصر (٣) النفر ما بين الثلاثة الى العشرة (٤) حرّاث اي زرّاع (٥) تعب (٦) اقل واندر وجوداً

ٱبْنُ ٱلْأَكَّارِ فَٱحْتَطَبَ طُنَّاً(١) (٢) مِنَ ٱلْحَطَبِ وَأَتَى بِهِ ٱلْمَدِينَةَ فَبَاعَهُ بِدِرْهَمٍ، وَٱشْتَرَى بِهِ طَعَاماً . وَكَتَبَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ : عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ إِذَا جَهِدَ بِهِ ٱلرَّجُلُ بَدَنَهُ قِيمَتُهُ دِرْهَمٌ . ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِٱلطَّعَامِ فَأَكَلُوا

فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ قَالُوا يَنْبَغِي لِلَّذِي قَالَ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ (٣) مِنَ ٱلْجَمَالِ أَنْ تَكُونَ نَوْبَتُهُ(٤) . فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلشَّرِيفِ لِيَأْتِيَ ٱلْمَدِينَةَ فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ أَنَا لَسْتُ أُحْسِنُ عَمَلاً فَمَا يُدْخِلُنِي ٱلْمَدِينَةَ . ثُمَّ ٱسْتَحْيَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِغَيْرِ طَعَامٍ وَهَمَّ (٥) بِمُفَارَقَتِهِمْ فَٱنْطَلَقَ حَتَّى أَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى شَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ فَغَلَبَهُ ٱلنَّوْمُ فَنَامَ . فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ وَبَصُرَ بِهِ فَأَعْجَبَهُ حُسْنُهُ أَنْ يُصَوِّرَهُ وَيَكْتَسِبَ مِنْ صُورَتِهِ إِذَا عَمِلَ مِنْهَا صُوَراً وَبَاعَهَا فَأَيْقَظَهُ(٦) وَذَهَبَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِيُصَوِّرَهُ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْمَسَاءُ أَجَازَهُ بِمِئَةِ دِرْهَمٍ . فَخَرَجَ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ : جَمَالُ يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي مِئَةَ دِرْهَمٍ، وَأَتَى بِٱلدَّرَاهِمِ إِلَى أَصْحَابِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا فِي ٱلْيَوْمِ ٱلثَّالِثِ قَالُوا لِٱبْنِ ٱلتَّاجِرِ ٱنْطَلِقْ أَنْتَ فَٱطْلُبْ لَنَا بِعَقْلِكَ وَتِجَارَتِكَ لِيَوْمِنَا هٰذَا شَيْئاً . فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى بَصُرَ بِسَفِينَةٍ مِنْ سُفُنِ ٱلْبَحْرِ كَثِيرَةِ ٱلْمَتَاعِ (٧) قَدْ قَدِمَتْ إِلَى ٱلسَّاحِلِ فَخَرَجَ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ ٱلتُّجَّارِ يُرِيدُونَ أَنْ يَبْتَاعُوا مِمَّا فِيهَا مِنَ ٱلْمَتَاعِ . فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ ٱلْمَرْكَبِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ٱرْجِعُوا يَوْمَنَا هٰذَا لَا نَشْتَرِي مِنْهُمْ شَيْئاً حَتَّى يَكْسُدَ(٨) ٱلْمَتَاعُ عَلَيْهِمْ فَيُرَخِّصُوهُ(٩) عَلَيْنَا مَعَ أَنَّنَا مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَسَيَرْخُصُ . فَخَالَفَ ٱبْنُ ٱلتَّاجِرِ

---

(١) جمع حطباً (٢) حزمة (٣) اشرف واكرم (٤) وقته (٥) قصد ولم يفعل (٦) نبهه (٧) المتاع ما ينتفع به من الحوائج (٨) أي لا ينفق (٩) يجعلوه رخيصاً .

ٱلطَّرِيقَ وَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِ ٱلْمَرْكَبِ فَٱبْتَاعَ مِنْهُمْ مَا فِيهِ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ نَسِيئَةً[1] وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ مَتَاعَهُ إِلَى مَدِينَةٍ أُخْرَى . فَلَمَّا سَمِعَ ٱلتُّجَّارُ ذٰلِكَ خَافُوا أَنْ يَذْهَبَ ذٰلِكَ ٱلْمَتَاعُ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَأَرْبَحُوهُ عَلَى مَا ٱشْتَرَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَأَحَالَ[2] عَلَيْهِمْ أَصْحَابَ ٱلْمَرْكَبِ بِٱلْبَاقِي وَحَمَلَ رِبْحَهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَكَتَبَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ عَقْلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَمَنُهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ . فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلرَّابِعُ قَالُوا لِٱبْنِ ٱلْمَلِكِ ٱنْطَلِقْ أَنْتَ وَٱكْتَسِبْ لَنَا بِقَضَائِكَ وَقَدَرِكَ . فَٱنْطَلَقَ ٱبْنُ ٱلْمَلِكِ حَتَّى أَتَى إِلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَجَلَسَ عَلَى دَكَّةٍ[3] فِي بَابِ ٱلْمَدِينَةِ

وَٱتَّفَقَ بِٱلْقَدَرِ أَنْ مَاتَ مَلِكُ تِلْكَ ٱلنَّاحِيَةِ وَلَمْ يُخَلِّفْ وَلَدًا وَلَا أَحَدًا ذَا قَرَابَةٍ . فَمَرُّوا عَلَيْهِ بِجِنَازَةِ ٱلْمَلِكِ وَلَمْ يَحْزَنْ وَكُلُّهُمْ يَحْزَنُونَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَكْتَرِثْ لِمَا هُمْ فِيهِ . فَأَنْكَرُوا[4] حَالَهُ وَشَتَمَهُ[5] ٱلْبَوَّابُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ يَا لَئِيمُ وَمَا يُجْلِسُكَ عَلَى بَابِ ٱلْمَدِينَةِ وَلَا نَرَاكَ تَحْزَنُ لِمَوْتِ ٱلْمَلِكِ وَلَا تَهْتَمُّ وَطَرَدَهُ ٱلْبَوَّابُ عَنِ ٱلْبَابِ . فَلَمَّا ذَهَبُوا عَادَ ٱلْغُلَامُ فَجَلَسَ مَكَانَهُ . فَلَمَّا دَفَنُوا ٱلْمَلِكَ وَرَجَعُوا بَصُرَ بِهِ ٱلْبَوَّابُ فَغَضِبَ وَقَالَ لَهُ : أَلَمْ أَنْهَكَ عَنِ ٱلْجُلُوسِ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ وَأَخَذَهُ فَحَبَسَهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ ٱلْغَدِ وَقَدِ ٱجْتَمَعَ أَهْلُ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِي مَنْ يُمَلِّكُونَهُ عَلَيْهِمْ وَيَخْتَلِفُونَ بَيْنَهُمْ إِذْ دَخَلَ ٱلْبَوَّابُ فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي رَأَيْتُ أَمْسِ غُلَامًا جَالِسًا عَلَى ٱلْبَابِ وَلَمْ أَرَهُ يَحْزَنُ لِحُزْنِنَا كَأَنَّ ٱلْأَمْرَ لَيْسَ عِنْدَهُ بِعَظِيمٍ

---

(١) تأخيرًا اي الى وقت آخر (٢) اي نقل الدين الذي في ذمته الى ذمتهم
(٣) بناء يسطح اعلاه للجلوس عليه (٤) جهلوا (٥) سبَّهُ

وَتَلُوحُ(١) عَلَيْهِ لَوَائِحُ(٢) ٱلْعِزَّةِ وَٱلشَّرَفِ . فَكَلَّمْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي فَطَرَدْتُهُ عَنِ ٱلْبَابِ فَلَمَّا عُدْتُ رَأَيْتُهُ جَالِساً فَأَدْخَلْتُهُ ٱلسِّجْنَ مَخَافَةَ أَنْ يَكُونَ عَيْناً(٣) * فَبَعَثَتْ أَشْرَافُ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى ٱلْغُلَامِ فَجَاؤُوا بِهِ وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ وَمَا أَقْدَمَهُ إِلَى مَدِينَتِهِمْ . فَقَالَ أَنَا ٱبْنُ مَلِكِ فَوِيرَانَ . وَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ وَالِدِي غَلَبَنِي أَخِي عَلَى ٱلْمُلْكِ وَقَدْ كَانَ أَبِي عَهِدَ إِلَيَّ(٤) بِهِ فَغَصَبَنِي إِيَّاهُ فَهَرَبْتُ مِنْ يَدِهِ حَذَراً(٥) عَلَى نَفْسِي حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى هٰذِهِ ٱلْغَايَةِ . فَلَمَّا ذَكَرَ ٱلْغُلَامُ مَا ذَكَرَ مِنْ أَمْرِهِ عَرَفَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ يَغْشَى(٦) بِلَادَ أَبِيهِ مِنْهُمْ وَأَثْنَوْا عَلَى أَبِيهِ خَيْراً * ثُمَّ إِنَّ ٱلْأَشْرَافَ ٱخْتَارُوا ٱلْغُلَامَ أَنْ يُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ وَرَضُوا بِهِ . وَكَانَ لِأَهْلِ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ سُنَّةٌ(٧) إِذَا مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ مَلِكاً حَمَلُوهُ عَلَى فِيلٍ أَبْيَضَ وَطَافُوا(٨) بِهِ حَوَالَيِ ٱلْمَدِينَةِ . فَلَمَّا فَعَلُوا بِهِ ذٰلِكَ مَرَّ بِبَابِ ٱلْمَدِينَةِ فَرَأَى ٱلْكِتَابَةَ عَلَى ٱلْبَابِ فَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ : إِنَّ ٱلِٱجْتِهَادَ وَٱلْجَمَالَ وَٱلْعَقْلَ وَمَا أَصَابَ ٱلْإِنْسَانَ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِنَّمَا هُوَ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ مِنَ ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدِ ٱعْتَبِرْ ذٰلِكَ بِمَا سَاقَ ٱللهُ إِلَيَّ مِنَ ٱلْكَرَامَةِ وَٱلْخَيْرِ * ثُمَّ ٱنْطَلَقَ إِلَى مَجْلِسِهِ فَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ(٩) مُلْكِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِهِ ٱلَّذِينَ كَانَ مَعَهُمْ فَأَحْضَرَهُمْ فَأَشْرَكَ صَاحِبَ ٱلْعَقْلِ مَعَ ٱلْوُزَرَاءِ وَضَمَّ صَاحِبَ ٱلِٱجْتِهَادِ إِلَى أَصْحَابِ ٱلزَّرْعِ وَوَلَّى صَاحِبَ ٱلْجَمَالِ إِحْدَى مَصَالِحِهِ

ثُمَّ جَمَعَ عُلَمَاءَ أَرْضِهِ وَذَوِي(١٠) ٱلرَّأْيِ مِنْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ أَمَّا أَصْحَابِي فَقَدْ

---

(١) تبدو (٢) اشارات (٣) جاسوساً (٤) اوصى لي (٥) خوفاً (٦) يأتي
(٧) طريقة (٨) داروا (٩) تخت (١٠) اصحاب

تيقنوا[١] أن الذي رزقهم الله سبحانه وتعالى من الخير إنما هو بقضاء الله وقدره. وإنما أحب أن تعلموا ذلك وتستيقنوه فإن الذي منحني[٢] الله وهيأه لي إنما كان بقدر ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد. وما كنت أرجو إذ طردني أخي أن يصيبني ما يعيشني من القوت فضلاً عن أن أصيب هذه المنزلة. وما كنت أؤمل أن أكون بها لأني قد رأيت في هذه الأرض من هو أفضل مني حسناً وجمالاً وأشد اجتهاداً وأحزم[٣] رأياً فساقني القضاء إلى أن اعتززت[٤] بقدر من الله. وكان في ذلك الجمع شيخ فنهض حتى استوى[٥] قائماً وقال: إنك قد تكلمت بكلام عقل وحكمة ولكن الذي بلغ بك ذلك وفور[٦] عقلك وحسن ظنك وقد حققت ظننا فيك ورجاءنا لك وقد عرفنا ما ذكرت وصدقناك فيما وصفت. والذي ساق الله إليك من الملك والكرامة كنت أهلاً[٧] له لما قسم الله تعالى لك من العقل والرأي. وإن أسعد الناس في الدنيا والآخرة من رزقه الله رأياً وعقلاً. وإنما أحسن الله إلينا بقضائه إذ وفقك[٨] لنا عند موت ملكنا وكرمنا بك. ثم قام شيخ آخر فحمد الله عز وجل وأثنى عليه[٩] وقال إن شأن القضاء والقدر لكما ذكرت. وقد زعموا أن أحد السياح حدث عن نفسه فقال:

إني كنت أخدم وأنا غلام قبل أن أكون سائحاً رجلاً من أشراف الناس. فلما بدا لي رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل وقد كان أعطاني

---

(١) علموا تحققوا (٢) أعطاني اياه (٣) احكم (٤) تشرفت (٥) استقام واعتدل (٦) كمال (٧) مستحقاً (٨) من التوفيق وهو تسهيل طريق الخير وسد طريق الشر (٩) مدحه

مِنْ أُجرَتي دِينارَيْنِ . فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِما وَأَسْتَبْقِيَ ٱلْآخَرَ فَأَتَيْتُ ٱلسُّوقَ فَوَجَدْتُ مَعَ رَجُلٍ مِنَ ٱلصَّيَّادِينَ زَوْجَيْ هُدْهُدٍ(١) فَسَاوَمْتُهُ(٢) فِيهِما لِأُطْلِقَهُما فَأَبَى ٱلصَّيَّادُ أَنْ يَبِيعَهُما إِلَّا بِدِينارَيْنِ . فَٱجْتَهَدْتُ أَنْ يَبِيعَنِيهِما بِدِينارٍ وَاحِدٍ فَأَبَى . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي أَشْتَرِي أَحَدَهُما وَأَتْرُكُ ٱلْآخَرَ . ثُمَّ قُلْتُ لَعَلَّهُما يَكُونَانِ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى فَأُفَرِّقَ بَيْنَهُما . فَأَدْرَكَتْنِي لَهُما رَحْمَةٌ فَتَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللهِ وَٱبْتَعْتُهُما بِدِينارَيْنِ وَأَشْفَقْتُ(٣) إِنْ أَرْسَلْتُهُما فِي أَرْضٍ عَامِرَةٍ أَنْ يُصَادَا وَلَا يَسْتَطِيعَا أَنْ يَطِيرَا مِمَّا لَقِيَا مِنَ ٱلْجُوعِ وَٱلْهُزَالِ(٤) وَلَمْ آمَنْ عَلَيْهِما ٱلْآفَاتِ(٥) فَٱنْطَلَقْتُ بِهِما إِلَى مَكَانٍ كَثِيرِ ٱلْمَرْعَى وَٱلْأَشْجَارِ بَعِيدٍ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱلْعُمْرَانِ فَأَرْسَلْتُهُما فَطَارَا وَوَقَعَا عَلَى شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ . فَلَمَّا صَارَا فِي أَعْلَاهَا شَكَرَا لِي وَسَمِعْتُ أَحَدَهُما يَقُولُ لِلْآخَرِ : لَقَدْ خَلَّصَنَا هٰذَا ٱلسَّائِحُ مِنَ ٱلْبَلَاءِ ٱلَّذِي كُنَّا فِيهِ وَٱسْتَنْقَذَنَا وَنَجَّانَا مِنَ ٱلْهَلَكَةِ وَإِنَّا لَخَلِيقَانِ أَنْ نُكَافِئَهُ بِفِعْلِهِ . وَإِنَّ فِي أَصْلِ هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ جَرَّةً مَمْلُوءَةً دَنَانِيرَ(٦) أَفَلَا نَدُلُّهُ عَلَيْها فَيَأْخُذَهَا . فَقُلْتُ لَهُما كَيْفَ تَدُلَّانِنِي عَلَى كَنْزٍ لَمْ تَرَهُ ٱلْعُيُونُ وَأَنْتُما لَمْ تُبْصِرَا ٱلشَّبَكَةَ . فَقَالَا إِنَّ ٱلْقَضَاءَ وَٱلْقَدَرَ ٱلَّذِي يَتَسَلَّطُ عَلَى ٱلْقَمَرِ وَٱلشَّمْسِ فَيَكْسِفُهُما وَعَلَى ٱلْحُوتِ فِي قَعْرِ ٱلْبَحْرِ فَيُصْطَادُ إِذَا نَزَلَ صَرَفَ ٱلْعُيُونَ عَنْ مَوْضِعِ ٱلشَّيْءِ وَغَشَّى(٧) عَلَى ٱلْبَصَرِ . وَإِنَّما صَرَفَ ٱلْقَضَاءُ أَعْيُنَنَا عَنِ ٱلشَّرَكِ وَلَمْ يَصْرِفْهَا عَنْ هٰذَا ٱلْكَنْزِ لِتَنْتَفِعَ أَنْتَ بِهِ . فَٱحْتَفَرْتُ

---

(١) طائر ذو خطوط والوان كثيرة (٢) يقال ساوم بالسلعة اذا غالى بها أي عرضها بثمن فدفع له المشتري اقل منهُ وهكذا الى ان يتفقا على ثمن (٣) خفت (٤) النحول (٥) العاهات او الاعراض المفسدة (٦) جمع دينار وهو قطعة ذهب من النقود القديمة (٧) غطَّى

وَٱسْتَخْرَجْتُ ٱلْبَرْنِيَّةَ[١] وَهِيَ مَمْلُوءَةٌ دَنَانِيرَ فَدَعَوْتُ لَهُمَا بِٱلْعَافِيَةِ وَقُلْتُ لَهُمَا: ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمَا مِمَّا رَأَى وَأَنْتُمَا تَطِيرَانِ فِي ٱلسَّمَاءِ وَأَخْبَرْتُمَانِي بِمَا تَحْتَ ٱلْأَرْضِ. فَقَالَا لِي أَيُّهَا ٱلْعَاقِلُ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ ٱلْقَدَرَ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَتَجَاوَزَهُ

فَلْيَعْرِفْ أَهْلُ ٱلنَّظَرِ فِي ٱلْأُمُورِ أَنَّ جَمِيعَ ٱلْأَشْيَاءِ بِقَدَرِ ٱللهِ وَقَضَائِهِ وَأَنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَا يَجْلُبُ إِلَى نَفْسِهِ مَحْبُوبًا وَلَا يَدْفَعُ عَنْهَا مَكْرُوهًا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ تَعَالَى * فَلْتَثِقْ نُفُوسُ أَهْلِ ٱلْفِكْرِ بِذٰلِكَ وَتَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رَاحَةً لِلْمُبْتَلَى[٢] وَدَاعِيًا[٣] لِمَنْ تُوَاتِيهِ[٤] ٱلْمَقَادِيرُ إِلَى شُكْرِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ

## باب

## ٱلْحَمَامَةِ وَٱلثَّعْلَبِ وَمَالِكِ ٱلْحَزِينِ[٥]

### وَهُوَ آخِرُ ٱلْكِتَابِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ ٱلْمَلِكُ لِبَيْدَبَا ٱلْفَيْلَسُوفِ: قَدْ سَمِعْتُ هٰذَا ٱلْمَثَلَ فَٱضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي شَأْنِ ٱلرَّجُلِ ٱلَّذِي يَرَى ٱلرَّأْيَ لِغَيْرِهِ وَلَا يَرَاهُ لِنَفْسِهِ. قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ: إِنَّ مَثَلَ ذٰلِكَ مَثَلُ ٱلْحَمَامَةِ وَٱلثَّعْلَبِ وَمَالِكِ ٱلْحَزِينِ. قَالَ ٱلْمَلِكُ وَمَا مَثَلُهُنَّ

---

(١) الجرة (٢) المصاب (٣) سبباً (٤) تساق اليه (٥) طائر من طيور الماء قيل دعي بذلك لانه لا يزال يقعد بقرب الماء ومواضع نبعها من الانهار فاذا نشفت يحزن على ذهابها ويبقى حزيناً كئيباً وربما ترك الشرب حتى يموت عطشاً خوفاً من زيادة نقصها من شربه منها

قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ حَمَامَةً كَانَتْ تُفْرِخُ فِي رَأْسِ نَخْلَةٍ طَوِيلَةٍ ذَاهِبَةٍ فِي ٱلسَّمَاءِ . فَكَانَتِ ٱلْحَمَامَةُ تَشْرَعُ (١) فِي نَقْلِ ٱلْعُشِّ إِلَى رَأْسِ تِلْكَ ٱلنَّخْلَةِ فَلَا يُمْكِنُهَا مَا تَنْقُلُ مِنَ ٱلْعُشِّ وَتَجْعَلُهُ تَحْتَ ٱلْبَيْضِ إِلَّا بَعْدَ شِدَّةٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لِطُولِ ٱلنَّخْلَةِ وَسُحْقِهَا (٢) وَكَانَتْ إِذَا فَرَغَتْ مِنَ ٱلنَّقْلِ بَاضَتْ ثُمَّ حَضَنَتْ بَيْضَهَا (٣) فَإِذَا ٱنْقَاضَ (٤) وَأَدْرَكَ (٥) فِرَاخُهَا جَاءَهَا ثَعْلَبٌ قَدْ تَعَهَّدَ (٦) ذٰلِكَ مِنْهَا لِوَقْتٍ قَدْ عَلِمَهُ رَيْثَمَا (٧) يَنْهَضُ فِرَاخُهَا فَوَقَفَ بِأَصْلِ ٱلنَّخْلَةِ فَصَاحَ بِهَا وَتَوَعَّدَهَا (٨) أَنْ يَرْقَى (٩) إِلَيْهَا أَوْ تُلْقِيَ (١٠) إِلَيْهِ فِرَاخَهَا فَتُلْقِيهَا إِلَيْهِ . فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ أَدْرَكَ لَهَا فَرْخَانِ إِذْ أَقْبَلَ مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ فَوَقَعَ (١١) عَلَى ٱلنَّخْلَةِ . فَلَمَّا رَأَى ٱلْحَمَامَةَ كَئِيبَةً حَزِينَةً شَدِيدَةَ ٱلْهَمِّ قَالَ لَهَا : يَا حَمَامَةُ مَالِي أَرَاكِ كَاسِفَةَ ٱلْبَالِ (١٢) سَيِّئَةَ ٱلْحَالِ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ إِنَّ ثَعْلَبًا دُهِيتُ بِهِ (١٣) كُلَّمَا كَانَ لِي فَرْخَانِ جَاءَنِي يَتَهَدَّدُنِي وَيَصِيحُ فِي أَصْلِ ٱلنَّخْلَةِ فَأَفْرَقُ مِنْهُ (١٤) فَأَطْرَحُ إِلَيْهِ فَرْخَيَّ . قَالَ لَهَا مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ إِذَا أَتَاكِ لِيَفْعَلَ مَا تَقُولِينَ فَقُولِي لَهُ لَا أُلْقِي إِلَيْكَ فَرْخَيَّ فَارْقَ (١٥) إِلَيَّ وَغَرِّرْ بِنَفْسِكَ (١٦) فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ وَأَكَلْتَ فَرْخَيَّ طِرْتُ عَنْكَ وَنَجَوْتُ بِنَفْسِي * فَلَمَّا عَلَّمَهَا مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ هٰذِهِ ٱلْحِيلَةَ طَارَ فَوَقَعَ عَلَى شَاطِئِ نَهَرٍ . وَأَقْبَلَ ٱلثَّعْلَبُ فِي ٱلْوَقْتِ ٱلَّذِي عَرَفَ فَوَقَفَ تَحْتَ ٱلنَّخْلَةِ ثُمَّ صَاحَ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فَأَجَابَتْهُ ٱلْحَمَامَةُ بِمَا عَلَّمَهَا مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ فَقَالَ لَهَا أَخْبِرِينِي مَنْ عَلَّمَكِ هٰذَا . قَالَتْ

---

(١) تبدأ (٢) علوها (٣) ضمته تحت جناحيها ورخمت عليه للتفريخ (٤) انكسر وخرج منه الفرخ (٥) بلغ (٦) تفقد وعرف (٧) الى ان (٨) تهددها (٩) يصعد (١٠) تطرح (١١) نزل (١٢) بمعنى سيئة الحال (١٣) أُصبت منهُ بمنكر (١٤) أخافهُ (١٥) فاصعد (١٦) اي عرضها للهلكة

عَلَّمَني مَالِكٌ ٱلْحَزِينُ * فَتَوَجَّهَ ٱلثَّعْلَبُ حَتَّى أَتَى مَالِكاً ٱلْحَزِينَ عَلَى شَاطِئِ ٱلنَّهْرِ فَوَجَدَهُ وَاقِفاً . فَقَالَ لَهُ ٱلثَّعْلَبُ يَا مَالِكُ ٱلْحَزِينُ إِذَا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ عَنْ يَمِينِكَ فَأَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قَالَ عَنْ شِمَالِي . قَالَ فَإِذَا أَتَتْكَ عَنْ شِمَالِكَ أَيْنَ تَجْعَلُ رَأْسَكَ قَالَ أَجْعَلُهُ عَنْ يَمِينِي أَوْ خَلْفِي . قَالَ فَإِذَا أَتَتْكَ ٱلرِّيحُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَكُلِّ نَاحِيَةٍ أَيْنَ تَجْعَلُهُ . قَالَ أَجْعَلُهُ تَحْتَ جَنَاحِي . قَالَ وَكَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ تَحْتَ جَنَاحَيْكَ مَا أَرَاهُ(١) يَتَهَيَّأُ لَكَ(٢) . قَالَ بَلَى . قَالَ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ فَلَعَمْرِي يَا مَعْشَرَ ٱلطَّيْرِ لَقَدْ فَضَّلَكُمُ ٱللهُ عَلَيْنَا إِنَّكُنَّ تَدْرِينَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَا نَدْرِي فِي سَنَةٍ . وَتَبْلُغْنَ مَا لَا نَبْلُغُ وَتُدْخِلْنَ رُؤُوسَكُنَّ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُنَّ مِنَ ٱلْبَرْدِ وَٱلرِّيحِ . فَهَنِيئاً لَكُنَّ فَأَرِنِي كَيْفَ تَصْنَعُ . فَأَدْخَلَ ٱلطَّائِرُ رَأْسَهُ تَحْتَ جَنَاحِهِ فَوَثَبَ عَلَيْهِ ٱلثَّعْلَبُ مَكَانَهُ فَأَخَذَهُ فَهَمَزَهُ(٣) هَمْزَةً دَقَّ(٤) عُنُقَهُ . ثُمَّ قَالَ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ تَرَى ٱلرَّأْيَ لِلْحَمَامَةِ وَتُعَلِّمُهَا ٱلْحِيلَةَ لِنَفْسِهَا وَتَعْجِزُ عَنْ ذٰلِكَ لِنَفْسِكَ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِنْكَ عَدُوُّكَ . ثُمَّ قَتَلَهُ وَأَكَلَهُ * أَلْهَمَنَا ٱللهُ أَنْ نَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْتَمِرِينَ(٥) لِمَا يَأْمُرُونَ وَٱلْمُنْتَصِحِينَ بِمَا يَنْصَحُونَ

فَلَمَّا ٱنْتَهَى ٱلْمَنْطِقُ(٦) بِٱلْفَيْلَسُوفِ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ سَكَتَ ٱلْمَلِكُ . فَقَالَ لَهُ ٱلْفَيْلَسُوفُ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ عِشْتَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَلَكْتَ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ وَأُعْطِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَظّاً وَبَلَغْتَ مَا أَمَّلْتَهُ مِنْ خَيْرِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فِي سُرُورٍ مِنْكَ وَقُرَّةِ عَيْنٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ بِكَ وَمُسَاعَدَةِ ٱلْقَضَاءِ وَٱلْقَدَرِ لَكَ . فَإِنَّهُ قَدْ كَمُلَ فِيكَ ٱلْحِلْمُ وَٱلْعِلْمُ وَحَسُنَ مِنْكَ ٱلْعَقْلُ وَٱلنِّيَّةُ وَتَمَّ فِيكَ ٱلْبَأْسُ

---

(١) أظنه (٢) يمكنك (٣) ضغطه وعضه (٤) كسر (٥) الممتثلين (٦) النطق

وَالْجُودُ وَاتَّفَقَ مِنْكَ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ . فَلَا يُوجَدُ فِي رَأْيِكَ نَقْصٌ وَلَا فِي قَوْلِكَ سَقْطٌ وَلَا عَيْبٌ . وَقَدْ جَمَعْتَ النَّجْدَةَ(١) وَاللِّينَ فَلَا تُوجَدُ جَبَانًا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا ضَيِّقَ الصَّدْرِ عِنْدَمَا يَنُوبُكَ(٢) مِنَ الْأَشْيَاءِ

وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ فِي هٰذَا الْكِتَابِ شَمْلَ بَيَانِ الْأُمُورِ وَشَرَحْتُ لَكَ جَوَابَ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ مِنْهَا تَزَلُّفًا(٣) إِلَى رِضَاكَ وَابْتِغَاءً(٤) لِطَاعَتِكَ فَأَبْلَغْتُكَ فِي ذٰلِكَ غَايَةَ نُصْحِي وَاجْتَهَدْتُ فِيهِ بِرَأْيِي وَنَظَرِي وَمَبْلَغِ(٥) فِطْنَتِي * وَاللّٰهُ تَعَالَى يَقْضِي حَقِّي بِحُسْنِ النِّيَّةِ مِنْكَ فِي إِعْمَالِ فِكْرِكَ وَعَقْلِكَ فِيمَا وَضَعْتُ لَكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْمَوْعِظَةِ . مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمَنْصُوحُ بِأَوْلَى بِالنَّصِيحَةِ مِنَ النَّاصِحِ وَلَا الْآمِرُ بِالْخَيْرِ بِأَسْعَدَ مِنَ الْمُطِيعِ لَهُ فِيهِ * فَافْهَمْ ذٰلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَلَا حَوْلَ(٦) وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

انتهى

---

(١) الشجاعة والشدة (٢) يصيبك (٣) تقرباً (٤) طلباً (٥) غاية
(٦) الحول القدرة على التصرّف

# فهرس

صفحة

بعض مطبوعات

# مكتبة صادر

في بيروت

## ابن عقيل

### على الفية ابن مالك

يشتمل على قواعد اللغة العربية منظومة بارجوزة شعرًا ومطبوعة بالشكل الكامل تأليف ابن مالك الشهير ومشروحة نثرًا بقلم العلامة ابن عقيل ثمنه ٨ غروش (١)

## اداب المراسلة

هو كتاب مدرسي جديد لتعليم الانشاء والمراسلات على طريقة السؤال والجواب مع تمارين عديدة بقلم العلامة الاب بطرس البستاني . صفحاته ١٧٦ وثمنه ٦ غروش

## اصول التربية والتعليم

يشتمل على دروس في اصول التربية والتعليم لحاجة معلمي المدارس ومعلماتها تأليف عبد سالم السلطي . صفحاته ٢٠٨ وثمنهُ ٦ غروش

---

(١) الاسعار معينة بالغرش الذهب باعتبار الليرة العثمانية الذهبية مئة غرش

٢ً – اذا شئت ان تطّلع على اسماء الكتب الموجودة في مكتبتنا وعلى اسعارها فاطلب فهرسها فنرسله اليك مجانًا وفيه بيان في كيفية ارسال الثمن اليها وارسال الكتب اليك .

عنوانها : بيروت – مكتبة صادر

# الف ليلة وليلة

ان كتاب الف ليلة وليلة من اكثر الكتب العربية شهرةً وهو يحتوي على قصص وروايات عربية الاصل عديدة . وقد تعددت الاراء في من هو مؤلفه وفي اي زمن أُلف . والظن في ذلك موجه الى الاصمعي معاصر الخليفة هرون الرشيد الخامس من بني العباس بدليل ازدهار العلوم وانتشارها في ذلك الوقت وما ورد فيه من اخبار ذلك الزمان . ولما كان هذا الكتاب قد طبع طبعات عديدة وقد أُدخل عليه بعض عبارات يأباها الذوق رأت مكتبتنا ان تطبعهُ طبعة مهذبة حرية بان يطالعها العموم فجاء في اربعة مجلدات ثمنها ٤٠ غرشاً

والكتاب المذكور مطبوعاً على ورق جميل ثمنه ٥٠ غرشاً

# ترويض الالباب

## في علم الحساب

بقلم سليم ابراهيم صادر . يشتمل على علم حساب الاعداد البسيطة والاعداد المركبة وحساب الكسور الاصطلاحية والكسور العشرية والروابط التجارية لمراجعة الفواتير واستخراج المجهولات كحساب السمسرة والضمانة والفائدة وتعديل الوفاء والمزيج وحساب النمرة وحساب الشراكة على انواعها وحساب النسبة وهو على طريقة السؤال والجواب مع تمارين على كل قاعدة خدمة لطلبة المدارس صفحاته ٩٦ وثمنه ٣ غروش

# تاريخ يوسيفوس

الشهير بابن كربون اليهودي . يشتمل على تاريخ العبرانيين وخراب بيت المقدس وتاريخ داريوس ملك مادي وكورش ملك فارس وبلطشاصر ملك بابل ومردخاي واستير واحشورش واسكندر المكدوني . صفحاته ٢٢٨ وثمنه ٨ غروش

# الترجمان الفرنساوي

## باللفظ العربي

يشتمل علـى مفردات ومخاطبات باللغتين الفرنساوية والعربية مع كتابة الكلمات الفرنساوية بالحروف العربية ايضاً لفائدة من يريد ان يتعلم اللغـة بنفسه بدون استاذ ثمنه ٥ غروش

وعلى نسق الترجمان الفرنساوي :

الترجمان الاسبانيولي باللفظ العربي ثمنهُ ١٠ غروش
الترجمان الانكليزي باللفظ العربي : ٥ :
الترجمان البرازيلي باللفظ العربي : ٦ :
الترجمان الطلياني باللفظ العربي : ٦ :

# المثري النبيل

رواية تمثيلية اخلاقية مضحكة ذات خمسة فصول تأليف موليير الروائي الشهير وترجمة الشاعر الناثر الاستاذ الياس ابي شبكه صفحاتها ٨٠ وثمنها ٥ غروش

# تعليم قراءة الخطوط العربية

## كتاب التلميذ

هو مجموع رسائل خطية لتمرين الاحداث عـلى قراءة الخطوط العربية بانواعها ثمنه ٣ غروش

## كتاب المعلم

يشتمل على الرسائل الخطية الواردة في كتاب التلميذ مع صورها بحروف الطبع ثمنه ٦ غروش

# الجهلاء المدعين العلم

رواية تمثيلية ادبية مضحكة ذات ثلاثة فصول قصيرة . يصلح تمثيلها في البيوت وفي المدارس الابتدائية . ثمنها غرشان

# جوسلين

هي من نفائس روايات لامارتين الشاعر الفرنساوي الشهير وتعريب الشاعر العربي الياس ابي شبكه الذي اجاد في ترجمتها ترجمة حرفية بعبارة عربية فصحى حرية بأن يقتنيها الادباء وطلبة المدارس العالية للاطلاع على افضل اساليب الترجمة . صفحاتها ١٧٦ وثمنها ٦ غروش

# كتاب الجغرافية

(بقلم بعض المدققين)

الجزء التمهيدي : يشتمل على مبادئ الجغرافية وابحاث عن سوريا ولبنان لحاجة الطلبة المبتدئين ثمنه ١ غرشاً واحداً

# كتاب الجغرافية المطول

يتضمن الايضاحات العامة وجغرافية سوريا ولبنان مفصلة وابحاثاً وافية عن بقية اقسام الكرة الارضية . مزين بتسع خرائط و٣٩ رسماً . صفحاته ١٦٨ بقطع كبير وورق صقيل وثمنهُ ١٠ غروش

# جواهر الادب

يشتمل على مختارات نفيسة من المنظوم والمنثور لمشاهير الشعراء وبلغاء الكتّاب لفائدة ارباب المدارس وطلّاب الادب . وهو خمسة اجزاء

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| الجزء الاول | صفحاته | ٢٤٠ | ثمنهُ | ٨ | غروش |
| الجزء الثاني | : | ٢٤٠ | : | ٨ | : |
| الجزء الثالث | : | ٣٢٠ | : | ١٠ | : |
| الجزء الرابع | : | ٤٠٠ | : | ١٢ | غرشاً |
| الجزء الخامس | : | ٤٥٦ | : | ١٥ | : |

# دفاتر لتعليم الخط العربي

خط علام

موضوعة بخمسة دفاتر . ثمن المائة دفتر ٤٠ غرشاً

# دفاتر لتعليم الخط الفرنساوي

موضوعة في اربعة دفاتر . ثمن المائة دفتر ٤٠ غرشاً

# الدليل المفيد الى العالم الجديد

يشتمل على وصف البلاد الاميركية وأشهر مدنها ومشاهدها وتاريخها ووصف مواقعها . صفحاته ٢٥٠ وثمنهُ ٤ غروش

# ديوان بهاء الدين زهير

وهو من اشهر الدواوين المعروفة بالسهل الممتنع وثمنهُ ٥ غروش

# الرسائل التجارية

باللغتين العربية والفرنساوية

يشتمل على رسائل تجارية عديدة مختلفة المقاصد والمواضيع بقلم يوسف صادر ويوسف ثابت وثمنه ١٠ غروش

# الرسائل العصرية

هي مجموعة رسائل في جميع المواضيع المألوفة في فن الرسائل وضعها الاستاذ العلامة الخوري بطرس البستاني على احدث اسلوب عصري ترتاح اليه الخاصة والعامة فضلاً عن تلامذة المدارس وطلاب الانشاء والبيان . صفحاته ٣٣٠ وثمنه ١٢ غرشاً

# السر القاتل

رواية ادبية اخلاقية ذات خمسة اجزا . صفحاتها ٤٧٠ وثمنها ٧ غروش ونصف

# سلم القراءة

هو اسلوب حديث لتعلم القراءة العربية . مزين بالصور ذات اربع درجات تشتمل الدرجة الاولى منها على مفردات وجمل يألفها الصغار ويسرُّون بقراءتها لانهم يفهمونها حالًا

وتشتمل بقية الدرجات على قصص ملذة ومفيدة في تهذيب الاخلاق .وعلى فصول عديدة في دروس الاشياء ووصف كثير من الحيوانات مع صورها

| | | |
|---|---|---|
| ثمن الدرجة الاولى | | ثلاثة ارباع الغرش |
| : : | الثانية | غرشان |
| : : | الثالثة | ٣ غروش |
| : : | الرابعة | ٤ غروش |

# سقوط ملاك

هي من نفائس روايات لامرتين الشاعر الفرنساوي الشهير وتعريب الشاعر العربي الياس ابي شبكه الذي اجاد في ترجمتها ترجمة حرفية بعبارة عربية فصحى حرية بأن يقتنيها الادباء وطلبة المدارس العالية للاطلاع على افضل اساليب الترجمة . ثمنها سبعة غروش

# الشاب الجاهل السكير

رواية تمثيلية اخلاقية ادبية هزلية مضحكة ذات ثلاثة فصول تمثل حالة السكير في اول امره من حيث اخلاقه واسرافه وتبذيره وما يحصل بينه وبين رفاقه من النكت والاحاديث المستملحة . ثم ما تؤول اليه حالته بعد ذلك من الفقر والذل يتخللها نصائح عديدة تدعو الى ترك المسكر . وهي من الروايات التي تمثل في البيوت فضلاً عن المدارس وثمنها غرشان

# الشذور الذهبية

في تركيب المواد الطبية . تأليف الدكتور فارس صهيون

وهو اقراباذين مطول يشتمل على تركيب العقاقير الطبية من نباتية وحيوانية ومعدنية وهو احدث اقراباذين طبع في اللغة العربية يفوق ما قبلهُ بذكر الاكتشافات الحديثة المتعلقة في انواع العلاجات وتركيبها . صفحاته ٩٧٣ وثمنه ٤٠ غرشاً

# شرح ديوان المتنبي

مطبوعاً بالشكل الكامل

طبعة جديدة ومتقنة على ورق صقيل وهو من اشهر دواوين العرب المفعمة بالحكم التي جرت بعد ناظمها مجرى الامثال وهو من اهم الكتب التي يحتاج اليها طلبة البيان والخطابة في المدارس العالية . صفحاته ٥٠٠ وثمنه ٢٥ غرشاً

# شرح قانون الجزاء

طبعة جديدة طبعت في سنة ١٩٢٥ مضافاً اليها التعديلات الاخيرة بقلم المحامي الشهير الاستاذ الشيخ رشيد نقاع المدرس في الحقوق وثمنه ٦٠ غرشاً

# شرح قانون المحاكمات الحقوقية

بقلم الاستاذ سليم باز

طبعة جديد معدلة طبعت في سنة ١٩٢٥ وثمنها ١٢٠ غرشاً

# قاموس انكليزي وعربي

بقلم الاستاذ ابراهيم عطيه

وهو احدث قاموس انكليزي وعربي ظهر حتى اليوم وقد ظهرت طبعته الجديدة

مستوفية جميع الكلمات الانكليزية بجميع مفرداتها العربية فجاء عند حاجة طلاب المدارس اليه وقد الحق به ذيل يحتوي على اكثر الافعال الانكليزية التي تختلف معانيها بالحاق احد حروف الجر فيها . ثمنه ٢٠ غرشاً

# مجمع البحرين

لقد جاء هذا الكتاب من ابدع آثار الشيخ ناصيف اليازجي وابلغ ما خطه براعه الساحر لما اشتمل من المقالات الشائقة والغرائب النادرة والشوارد اللطيفة والحكم الرائعة فضلاً عما استنبطه من الامثال الواردة عن العرب وما انطوى عليه من ذكر انسابهم وقصصهم ونوادرهم ولطائفهم الى غير ذلك من الضوابط التي يحتاج كل اديب الى معرفتها وثمنه ٢٥ غرشاً

# كتاب مسك الدفاتر

## تأليف سليم ابراهيم صادر

لقد وضعنا هذا الكتاب لفائدة الذين يرغبون في تعلم اصول مسك الدفاتر بدون استاذ . وقد حقق الله في ذلك الآمال فجاء كتاباً سهل المنال بحيث لا يحتاج الطالب الّا ان يطالعه فتتضح لهُ اسرار هذا العلم جميعها . صفحاته ١٤٨ وثمنه ١٠ غروش

# نفح الازهار

## في منتخبات الاشعار

يشتمل على قصائد وتقاطيع من نظم اكابر الشعراء في جميع المواضيع كالغزل والفخر والمديح والرثاء والتاريخ وغير ذلك . ثمنه ٣ غروش

مكتبة العرب
لصاحبها
الشيخ يوسف توما البستاني
بشارع الفجالة
بمصر

المطبعة البولسية ـ حريصا لبنان سنة ١٩٣٣

أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

CA
398.21
K144ifA
c.1